آخر مرة كذبت

تقول إنها بريئة

لكن الجميع يكذب

LAST TIME I LIED

مكتبة ياسمين

رواية
تشويقية مذهلة
جعلت نبضي يخفق بشدة
آ.ج.فين
المؤلف الأكثر مبيعاً
صاحب رواية
"امرأة في النافذة"

للكاتب الأكثر مبيعاً

رايلي ساجر

ترجمة: أميرة الوصيف

جليس

آخر مرة كذبت

رايلي ساجر

LAST TIME I LIED

RILEY SAGER

جليس
شركة جليس للنشر والتوزيع

0096560393960
info@jalees.net
jalees.net
@jalees_bookstore
@jalees_net

تصميم غلاف وإخراج : ضحى الملاح
اشراف عام :د. حمود طاهر
ر.د.م.ك : 9789921772142

الإهداء

أهدي هذه الرواية إلى مايك كما هي العادة.



هكذا يبدأ الأمر

ها أنت تستيقظين لتجدي نور الشمس يهمس بخفة في أذان الأشجار المفتراضة وراء النافذة مباشرةً، ذاك الضوء الضعيف الخافت ذو الحواف الرمادية بينما لا زال الفجر يُقشّر جلد الليل، ومع ذلك فإن الأجواء مُشرقة بما فيه الكفاية لتجعلك تتقلّبين في مضجعك حتى تصبح وضعيتك في مواجهة الجدار، وها هو صوت صرير فراشك القادم من الأسفل لا ينفك عن احتلال أذنيك، وخلال قيامك بتلك الحركة تعيشين لحظة من عدم الاتزان، ذاك الجزء من الثانية الذي لا تعرفين خلاله أين أنت؟ يحدث هذا أحيانًا عندما تحظين بنومٍ عميق قرير خال من الأحلام، تلك الحالة من فقدان الذاكرة المؤقت.

ترين بأم عينيكِ حبيبات ألواح الصنوبر الخشبية الجيدة وتشمين آثار أدخنة نار المُخيّم تفوح من خصلات شعركِ وحينها فقط تعرفين جيدًا أين أنت. إنك في كامب نايتنجيل. تُغلِقين عينيكِ فورًا ثم تُحاولين العودة إلى النومِ مُجددًا باذلةً قصارى جهدكِ من أجل تجاهل صَخب الطبيعة القادم من الخارج. إنها أصوات مُزعجة مُتنافرة- أقرب إلى اشتباك مخلوقات الليل بتلك النهارية- تقبض أذناك على مزيجٍ من أصوات طنين الحشرات، وزقزقة العصافير وإحدى صيحات البط البري التي يتجاوز صداها حدود البحيرة، ذاك الضجيج القادم من الخارج يخفي الصمت الداخلي بشكلٍ مؤقت، ولكن سرعان ما ينحسر صوت الفأر نقار الخشب إلى مجرد صدى وخلال تلك الهدنة الزمنية القصيرة يُمكنكِ أن تعرفي جيدًا مدى هدوء المكان، في تلك الأثناء تصبحين على دراية فقط بصوتِ هبوط وصعود أنفاسك الثقيلة خلال النوم. تفتحين عينيك مُجددًا عندما تُحاولين بمشقة واضحة الاستماع إلى شِيءٍ آخر- أي شيء- يأتي من داخل المقصورة، إلا أنه ما من صوتٍ على الإطلاق.

يواصل فأر الخشب أعمال النّقر والحفر مُجددًا ثم يسحبك صخبها من وضعية النوم في مواجهة الحائط إلى الجانب الاخر ليصبح وجهك في مقابلة بقية أرجاء المقصورة. مساحة المكان صغيرة جدًا فكل غرفة تكفي بالكاد لمجموعتين من الأسرّة ذات الطابقين، وطاولة عشاء يعلوها مصباح وأربعة صناديق إلى جوار الباب

من أجل أغراض التخزين، إنها متناهية الصغر إلى هذا الحد الذي قد لا يسمح لك بمعرفة إن كانت فارغة أم لا، وقد كانت كذلك بالفعل. ها أنت ترمين ببصرك ناحية الأسرّة الموجودة في مقابلتك، وإذا بك تتأملينها، فها أنت تلحظين مدى أناقة الفراش العلوي وملاءاته المرتّبة المسحوبة برفق، وعندما تنظرين إلى الفراش السّفليّ المقابل تجدينه عبارة عن مجموعة متشابكة من الأكوام والأغطية والتي تبدو وكأن هناك شيئاً متكتلاً مدفونا تحتها. تتفقدين ساعتك خلال النصف الأول من الفجر، مضت بضع دقائق على تجاوز الساعة الخامسة صباحًا، يتبقى ساعة واحدة على إطلاق بوق الاستيقاظ في المخيم، يشعرك ذلك الاكتشاف المباغت بتيارٍ خفي من الفزع والذي يبدأ في الهمهمة أسفل جلدك مباشرةً ليسبب لك الحكّة والتهيّج.

يتدفق وابل من السيناريوهات الطارئة إلى رأسك. شعور مفاجئ بالمرض أو مكالمة طارئة عاجلة من المنزل. تحاولين إخبار نفسك أنه من المحتمل أن الفتيات غادرن بسرعة لأنهن لم يرغبن في إيقاظك وإزعاجك، وربما حاولن فعل ذلك لكنك لم تستيقظي، وربما نجحوا بالفعل في إيقاظك لكنك لا تتذكرين ذلك على وجه التحديد. تركعين على ركبتيك أمام الصناديق الخشبية الموجودة إلى جوار الباب، فكل واحدة منها تم نقشها ونحتها بأسماء أولئك المخيمين السابقين، ها أنت تقومين بفتحها جميعًا فيما عدا صندوقك الخاص، يشتمل كل صندوق داخلي على علبة حريرية تمتلئ حتى آخرها بالملابس والمجلات وبطاقات التخييم المعتادة كما أن هناك صندوقين اشتملا على هواتف خلوية مغلقة غير مستخدمة لأيام. في أحد الصناديق تعثرين على هاتفها، ليس لديك أي فكرة لتعرفي ما يعنيه ذلك الأمر؟ تُفكرين أن المكان الوحيد المنطقي الذي من الممكن أن تذهب الفتيات إليه هو المرحاض!

تلك الغرفة مستطيلة الشكل ذات الجدران المصنوعة من أشجار الأرز والتي تتواجد خلف مبنى المقصورة مباشرةً على أعتاب الغابة، ربما أرادت إحداهن الذهاب إلى هناك واصطحبت الباقيات معها. لقد حدث معك هذا من قبل عندما شاركت في رحلات مماثلة، في تلك الأثناء التي تجتمعون فيها معًا وتنطلقون سيرًا على امتداد الطريق

اعتمادًا على ضوء أحد المصابيح اليدوية المشتركة، ولكن رؤيتك لذلك الفراش المرتَّب المثالي تجعلك تفكرين في إمكانية وجود غياب مُخطط طويل وربما الأمر أسوأ من ذلك فقد يكون ما من أحدٍ على الإطلاق قد نام فيه طوال الليلة الماضية، لازلت تفتحين باب المقصورة ثم تأخذين خطوة إلى الخارج في توترٍ ملحوظ، إنه صباح ضبابي بارد من ذلك النوع من الصباحات التي تجعلك تحتضنين ذاتك من أجل الحصول على بعض الدفء أثناء مُضيك قُدمًا إلى المرحاض. تقومين لتوك بفحص كل أكشاك وحجرات الاستحمام، وتجدينها جميعها فارغة تمامًا كما أن جدران المرحاض جافة جِدًا وكذلك الحال مع الأحواض.

ها أنت تعودين إلى الوراء مُجددًا لتقفي في الطريق بين المرحاض والمقصورة ثم تميلين برأسك قليلًا باذلةً قصارى جهدك من أجل الاستماع إلى أية دلائل أو مؤشرات على اختباء الفتيات في مكانٍ ما وسط أصوات الزقزقة والطنين والمياه التي تضرب البحيرة برِفق على بُعد خمسين ياردة، لكنه ما من صوتٍ على الإطلاق، فقد غطى الصمت المُخيّم نفسه. ثمة شعورٍ بالعُزلة يسقط بدوره على كتفيكِ لتجدي نفسك تتساءلين في عجب إن كان تم إخلاء المُخيم بأكمله ولم يتبق سواكِ.

تتدفق المزيد من السيناريوهات المرعبة إلى رأسك، فقد تم إفراغ المقصورات باندفاع غريب مُثير للقلق والريبة، ولقد قضيتِ ليلتك في خضم كل ذلك، ها أنت تعودين مرةً أخرى إلى المقصورات وإذا بك تدورين حولها في هدوء محاولةً إصاخة السّمع لأي مؤشر على وجود حياة في هذا المكان، فهناك عشرون مقصورة في الأرجاء والتي تم بناؤها بشكلٍ نمطي مُرتّب وشغلت مساحة مُحددة من الغابة الشاسعة. تشقين طريقك حولها واعيةً تمامًا بمدى سخافة مظهرك فأنت لا ترتدين سوى قميص ضيق وزوجين من السراويل القصيرة الداخلية بينما تلتصق إبر الصنوبر ونشارة الطريق بقدميك العاريتين.

لقد تمت تسمية كل مقصورة باسم شجرةٍ ما، اسم مقصورتك هو «القرانيا» كما أن اسم المقصورة المُجاورة لك هو «القيقب»، ها أنت تتفقدين أسماء المقصورات جميعها مُحاولةً العثور على تلك التي ربما تجول إليها الفتيات. تتخيلين نفسك نائمةً بشكلٍ ارتجالي ثم تُحدقين

في النوافذ وتحاولين فتح الأبواب المغلقة ثم تفحصين غرفة جديدة مكوّنة من طابقين يتواجد بها فتيات نائمات، تحاولين استراق النظر للكشف عن مُخيمين إضافيين، في إحدى الغرف والتي تحمل اسم مقصورة شجرة التنوب الزرقاء تُوقظين لتوك إحدى الفتيات بغتةً والتي تجلس في دهشة على فراشها السفلي، ثمة شهقة لا تزال عالقة في حلقها ثم تهمسين قائلة «أنا آسفة» قبل أن تقومي بإغلاق الباب. تتوجهين بعد ذلك إلى الجانب الآخر من المُخيّم والذي يزخر بالأنشطة بدءًا من شروق الشمس حتى الغروب، فحتى الآن لا زال الشروق مجرد وعد مجرد، فليس أكثر من هالة من اللون الوردي الذي يقترب ببطء فوق خط الأُفق، فالنشاط الوحيد الذي بمقدورك فعله الآن هو المشي بخُطى ثابتة ناحية صالة الطعام، فمن المفترض في غضون ساعة أو أكثر أن تفوح روائح القهوة ولحم الخنزير المقدد من المبنى، لكن ما من روائح أو ضوضاء في اللحظة الراهنة. ها أنتِ تُحاولين فتح الباب لكنه مُغلَق من الداخل فعندما تضغطين بوجهك على زجاج النافذة فكل ما ترينه هو غرفة الطعام حالكة الظلام والكراسي التي لا تزال مُكوّمة أعلى صفوفٍ طويلة من الطاولات. تتوجهين إلى باب مبنى الحِرَف والفنون وتجدين الأمر ذاته فالباب مُغلق والظلام يلف كل شيء. تقفين في مكانك مُحدّقة في النافذة من أمامك فإذا بك ترين ذاك الحامل النصف دائري يحمل اللوحة النصف مُنتهية الخاصة بدرس الأمس. لقد كنتِ تعملين على لوحة طبيعة صامتة تتألف من مزهرية زهور برية إلى جانب وعاء من ثمارِ البرتقال، والآن لا يمكنك تجاهل ذلك الشعور الخفي الذي يُخبرك سرًا أن هذه اللوحة لن تكتمل أبدًا، فدائمًا ما يتم طلاء الزهور على نحوٍ غير مُكتمل كما أن عادة الأواني أن تفقد ثمارها. تُقررين أن تبتعدي عن المبنى ثم تدورين بَبطء متأملةً خطوتك القادمة، على يمينك يوجد طريق مُمهّد بالحصى والذي يقودك إلى خارج المُخيم عبر الغابات إلى الطريق الرئيسي العام. تمضين قُدمًا إلى الاتجاه المقابل إلى قلب المُخيّم مُباشرةً، هناك حيث يوجد مبنى ضخم على شكل حيوان الماموث العملاق في نهاية المُحرك الدائري. تتجمدين واقفةً لبعض الوقت حتى تقع عينك على الكوخ الخشبي، ذلك المكان الذي لا تتوقعين أبدًا أن

تعتري فيه على الفتيات. فهو يبدو في حد ذاته أكثر من مجرد مبنى، يبدو أكثر اقترابًا من القصر منه إلى المقصورة والذي يعد بمثابة تذكير دائم مستمر للمخيمين لمساكنهم الضئيلة المتواضعة.

يخيم الصمت على هذا المكان الموحش المظلم في اللحظة الحالية كما أن تلك الهالة الجلية من الإشراق الهائل المُنعكسة خلفه تُلقي بظلالها على واجهة المبنى، يُمكنك بالكاد رؤية نوافذه المُضلَّعة المائلة، وكذلك يتعذر عليك رؤية بنائه الحجري وبابه الأحمر.

تشعرين وكأن جزءا منك يرغب في الركض ناحية الباب والضغط عليه حتى تُجيب فراني، فهي تحتاج أن تعرف باختفاء ثلاث فتيات، إنها مديرة المُخيَّم على أية حال، والفتيات يقعن ضمن نطاق مسؤوليتها. تُحاولين لتوك المقاومة لأن هناك احتمالية لأن تكوني مُخطِئة، فربما تكونين أغفلت بدورك أحد تلك الأماكن المهمة التي لجأ إليه الفتيات من أجل الاختباء وكأن هذا كله جزء من لعبة الغميضة. يُباغتك التردُّد في أن تُخبري فراني بتلك المسألة حتى يتعين عليك القيام بذلك فعلًا من الناحية العملية. لقد خيبتِ أملها مرة بالفعل من قبل ولا يمكنك فعل ذلك مُجددًا. ها أنتِ على وشك مُغادرة مقصورة «القرانيا» في تلك اللحظة التي قبضت فيها عيناك على شيءٍ ما قد أثار انتباهك خلف الكوخ الخشبي. ثمة شعاع من الضوء البرتقالي والذي قد بزغ خلف منحدره العشبي الخلفي. ها أنت تُفكِرين أن سماء مُنتصف الليل تعكس بدورها صفحة السماء الواسعة، ها أنتِ تُرددين في أعماقِ نفسك تلك العبارات:

من فضلكن كن بأمان! أرجو العثور عليكن هناك! ساعدوني على ذلك! من فضلكن!

الفتيات ليسوا هناك، فما من سبب منطقي لوجودهن في تلك المنطقة، يبدو الأمر كما الحلم السيء، ذلك النوع من الأحلام الذي تخشى بشدة مصافحة رؤيتها بعد إغلاق عينيك ليلًا، ذاك الكابوس الوحيد الذي يصبح حقيقة ملموسة، ربما لهذا السبب لا تتوقفين عن المضي قُدمًا عند بلوغك حافة البحيرة، فها أنت تُواصلين السير إلى داخل البحيرة نفسها تدهسين بقدميك تلك الصخور الملساء الماكثة بالأسفل، سرعان ما تصل المياه إلى كاحليك.

تشعرين برعشة مباغتة تتسلل إلى جسدك. فلا يمكنك معرفة إن كان ذلك بسبب برودة البحيرة أم إن كان هذا بسبب ذلك الشعور بالخوف الذي أمسك بتلابيب نفسك منذ تلك اللحظة التي تفقدت فيها ساعتك.

ها أنت تدورين بغير هدى في المياه محاولةً استكشاف المنطقة من حولك. خلفك يوجد ذلك الكوخ الخشبي الذي ينعكس نور الشمس على أحد جوانبه المقابلة لك وها هي نوافذه تتألق باللون الوردي المزدهر. ها هو الشاطئ يمتد بعيدًا عنك من كلا الجانبين تماما كما الخط اللانهائي للساحل الصخري والأشجار المائلة. تقررين أن تلقي ببصرك إلى الخارج بعيدًا إلى امتداد البحيرة الشاسع، فالمياه كما المرآة المصقولة تعكس الحركة البطيئة لمجموعة من الشخب وتناثر النجوم المتلاشية. إنها بالغة العمق تحديدًا في منتصف الجفاف عندما ينخفض مستوى سطح المياه مخلفًا شريطاً طويلاً من الحصى المجفف بالشمس على امتداد الشاطئ. تسمح لك السماء الساطعة برؤية الشاطئ المقابل على الرغم من مدى قتامة الرؤية وخفوتها خلال الضباب. إن المخيم والبحيرة والغابة المحيطة هي ملكية خاصة لعائلة فراني والتي توارثتها عبر الأجيال.

الكثير من المسطحات المائية والكثير من الأراضي، والعديد من الأماكن المحفزة على الاختفاء! من الممكن أن تتواجد الفتيات في أي مكان! فهذا تحديدًا ما تدركينه لحظة وقوفك في المياه ترتعشين بصعوبة بالغة، إنهن في الخارج، ربما في مكانٍ ما، من الممكن أن يتطلب الأمر بضعة أيام لإيجادهن وربما أسابيع، وهناك احتمال أنه لن يتم العثور عليهن مجددًا، تلك الفكرة المرعبة جدًا ولكنها الأمر الوحيد الذي يمكنك التفكير فيه الآن في نفس الوقت. ها أنت تتخيلين الفتيات يتعثرن في طريقهن الشاق عبر الغابات السميكة المتشابكة، ها أنت تتصورين جولتهن بغير هدى فاقدي الإحساس بالمكان والزمان، ها أنت تسمعينهن يتساءلن فيما بينهن إن كانت الطحالب النامية فوق الأشجار تشير حقًا إلى الاتجاه ناحية الشمال، ها أنت تشاهدين حصارهن بالجوع والخوف والارتجاف في مخيلتك كما أنك تتخيلين وجودهن أسفل المياه غارقات في الوحل يحاولن من دون جدوى الصعود إلى السطح، ها أنت تفكرين في كل تلك الأمور ثم تشرعين

بغتة في الصراخ.

الجزء الأول

الحقيقتان

الفصل الأول

قمت برسم الفتيات بنفس الترتيب التالي:

فيفان أولًا ثم ناتالي وأخيرًا قمت برسم أليسون، على الرغم من أن الأخيرة كانت أول من غادر المقصورة ومن ثم فإنها تقنيًا أول فتاة اختفت.

تتسم لوحاتي عادةً بالضخامة وكبر الحجم، فكما يقول راندال على الدوام إن اللوحة الفنية الواحدة تُعادل حجم باب الحظيرة! وعلى الرغم من ذلك لا يزال حجم الفتيات صغيرا جدًا إلى هذا الحد الذي يجعل هيئتهن على الورق تبدو كعلاماتٍ تافهة غير مؤثرة على الإطلاق داخل اللوحة العريضة بشكلٍ مثير للقلق. يمكنني القول إن لحظة ظهورهن تعد بمثابة المرحلة الثانية من الرسم، وذلك بعد أن قمت أولًا بوضع خلفية تشتمل على الأرض والسماء المصبوغة بألوانٍ تتناغم بشكلٍ مُلائم مع الأسماء الداكنة كما أنني رسمت بعض العناصر الأخرى مثل العنكبوت القاتمة، والظِّلّ الرمادي والدم الأحمر القاني وكذلك اللون الأزرق الليلي فأنا مُعتادة دائمًا على التعبير عن القليل من أضواء مُنتصف الليل في أعمالي الفنية ثم يأتي دور الفتيات فأحيانًا أحرص على استخدام ريشتي من أجل جمع شملهن معًا، وفي أحيانٍ أخرى أقوم ببعثرتهن في أقاصي زوايا اللوحة البعيدة.

جدير بالذكر أنني قمت بوضعهن داخل فساتين بيضاء ذات أكمامٍ مُتوهجة تمامًا كما شُعلة النار وقد بدت هيئتهن في تلك الأثناء كما لو كن يركضن هربًا من شيءٍ ما ثم ينقلب المشهد رأسًا على عقب تمامًا كما هي العادة ولا يمكن رؤية أي شيء منهن سوى خصلات شعرهن المُنسدلة وراءهن أثناء هروبهن. في بعض المناسبات النادرة عندما أقوم برسم لمحة من وجوههن لا أُظهر إلا بصيصاً من ملامحهن فقط عن طريق ضربة فرشاة مُقوّسة واحدة. خلال عملي أعتاد على صنع الغابة في نهاية المطاف مُستخدمةً سكين المعجون حتى أقوم بطلاء اللوحة عبر ضربات الفرشاة العريضة الهائلة، تلك العملية التي تأخذ بضعة أيام وربما أسابيع.

أشعر بالقليل من الدوار نتيجة لتلك الأدخنة والأبخرة المتصاعدة أثناء مواصلتي العمل عند القيام بطلاء

اللوحة طبقة إثر طبقة للحفاظ على سماكتها. لقد سمعت راندال ذات مرة يتباهى متحدثًا أمام عدد من المشتريين المحتملين قائلًا إن أسطح لوحاتي تُشبه تلك الخاصة بأعمال فان جوخ الفنية حيث إن طلاءها المزبد يصل ارتفاعه لحوالي بوصة واحدة أعلى اللوحة.

في الواقع أفضل أن أرسم كما الطبيعة حيث تعود السلاسة بمثابة اللغز الغامض تحديدًا فيما يخص الغابات كحواف لحاء الشجرة المتكسّر، والطحالب المرقّطة أعلى الصخور والأحجار، والمزيد من أوراق الخريف القيّمة التي تفترش الأرض، تلك هي ملامح الطبيعة التي أنشد تصويرها عبر الخربشات والنتوآت وشعيرات الطلاء ومن ثم فإني أضيف الكثير والكثير وكنتيجة مباشرة لذلك تصبح كل لوحة من لوحاتي والتي يصل حجمها إلى حجم الجدار أكثر استسلامًا إلى غابة مخيلتي شيئًا فشيئًا، تلك الغابة الكثيفة المخرّمة المحفوفة بالمخاطِر والأهوال حيث تلوح الأشجار القاتمة في الأفق كما تبدو صورة عناقيد العنب ليست كما صورتها الشائعة التقليدية فهي لا تزحف أرضًا كما اللفائف لكن حلقاتها محكمة بشدة كما لو كانت قبضاتِ خانقة، وها هي الشجيرات تُغطي أرضية الغابة، ومن جانبها تُلطّخ الأوراق صفحة السماء.

أرسم حتى أملأ اللوحة بأسرها من دون أن تتبقى أية مساحة فارغة، أمضي قدمًا على هذا النحو حتى يتم التهام الفتيات كلّيًا من قبل الغابة، لا أنفك أسكب الطلاء على لوحتي القماشية حتى يتم دفنهن أسفل الأشجار وعناقيد العنب والأوراق وتغيب طلتهن عن المشهد، في تلك الأثناء فقط أعرف أن اللوحة قد انتهت وأقوم لتوي على الفور بتوقيع اسمي في الرواية اليمنى السفلية مدونة: إيما دايفيز.

نفس الاسم، وكذلك نفس الخط الركيك غير القابل للقراءة ها هو الآن يقوم بتشريف جدران المعرض الفني، ويقوم بدوره باستقبال الضيوف وإلقاء التحية على الزوار بمجرد مرورهم إلى جوار الأبواب الضخمة المنزلقة في ذلك المستودع السابق في منطقة تعليب اللحوم.

كانت لوحاتي تملأ بقية الجدران الأخرى، حوالي سبع وعشرين لوحة تُزين المكان بأسره، جدير بالذكر أن هذا هو افتتاح معرضي الفني الأول. كان راندال قد ذهب إلى

حفلة الافتتاح وحول المكان إلى نوعٍ من الغابة الحضرية، فقد شهد المكان وجود تلك الجدران الملونة الصدئة وأشجار البتولا المقطوعة من إحدى غابات نيو جيرسي والتي تم ترتيبها ووضعها بشكلٍ مُنمق على هيئة تكتلاتٍ أنيقة.

تتمشى نبضات الموسيقى المنزلية على استحياء في الخلفية كما توحي الإضاءة بأجواء شهر أكتوبر على الرغم من أنه لا زال يتبقى أسبوع على الاحتفال بيوم القديس باتريك، في الخارج تتكدس الشوارع بطين الثلج الذائب ومع ذلك فإن المعرض يزدحم بالناس، حسنًا سأمنح راندال تلك الفرصة، فالنقاد الفنيون وجامعو اللوحات والتُحف يختلسون النظر باحثين عن مساحة شاغرة أمام اللوحات، ها هم يقفون في أماكنهم مُمسكين بكؤوس الشمبانيا والأطباق التي يطفو فوقها الماشروم والجُبن وكُفتة الماعز.

لقد تم تقديمي بالفعل في وقتٍ سابقٍ لعشراتٍ من هؤلاء الناس الذين قد نسيت أسماءهم كُليًا في الوقت الراهن، أولئك الأشخاص المهمين حقًا إلى هذا الحد الذي جعل راندال يهمس في أذني بأسمائهم لحظة قيامي بمصافحتهم بالأيدي قائلًا: تلك السيدة من جريدة التايمز مُشيرًا إلى امرأة ترتدي جميع درجات اللونِ الأرجواني من رأسها حتى أخمص قدميها ثم لوّح بيديه ناحية أحد الرجال والذي كان يرتدي زيًا لا يشوبه شائبة تم تصميمه خصيصاً من أجله وحذاء رياضياً براقاً ثم همس ببساطة في أذني قائلًا: هذا الرجل من شركة كريسيتز إحدى الشركات الرائدة في مجال مزاداتِ الفنون ثم نظر إليّ الرجل وقال على الفور:

- عمل رائع مُثير للإعجاب حقًا! ثم غمرني بابتسامة معقولة واستطرد قائلًا:

- أعمال جريئة!

كانت نبرة صوته تُوحي بالمفاجأة وكأنه يود أن يقول إن النساء عاجزات عن القيام بأعمالٍ جريئة، وربما نبعت تلك المفاجأة من أنه يراني شخصيًا أفتقد إلى الجرأة، فإذا قارنت نفسي بتلك الشخصيات المتضخمة في العالم الفني سأبدو امرأة رزينة محتشمة جدًا فأنا لست من هذا النوع الذي يرتدي ثيابًا أرجوانية كما أن الأحذية الزاهية البراقة

لا تُناسبني.

يمكنني القول إن فستان السهرة الأسود الصغير والحذاء الأسود ذا الكعب العالي هو الحد الأقصى لتلك الرفاهية التي بمقدوري التعبير عنها فيما يخص ذلك الشأن حيث إنني أرتدي معظم الأيام ذلك المزيج التقليدي من القمصان القطنية ذات اللون الكاكي كما أن المجوهرات الوحيدة التي أملكها تتمثل في ذاك السوار السحري الفضي الذي يلتف دائمًا حول معصمي الأيسر وتتدلى منه ثلاثة طيور قصديرية لامعة.

لقد أخبرت راندال ذات مرة أنني أتعمد ارتداء ملابس عادية غير مُلفتة وذلك لأني أرغب في إبراز فني وليس العكس، في واقع الأمر إن تلك الجرأة المُنعكسة في المظهر الخارجي والشخصية تبدو عبثية غير مُجدية بالنسبة لي، فقد كانت فيفان على سبيل المثال فتاة جريئة بكل الشبل، ولكن هذا لم يمنعها من الاختفاء!

أحرص على رسم تلك الابتسامة العريضة على وجهي خلال اللقاءات والاستقبالات وفقًا للتعليمات كما أتقبل المجاملات وأقوم بإرجاء كافة الأسئلة الحتمية حول ما أُخطط لفعله في الخطوة القادمة. في تلك اللحظة التي يستنفد فيها راندال امداداته لمسألة التقديم أمام الغرباء أتراجع عن الحشد مُقررةً ألا أتوجه بدوري لتفقُد كل لوحة للتأكد من وجود ذلك الفلصق الأحمر الذي يُشير أنه تم بيعها بدلًا من ذلك أحتسي كأسًا من الشمبانيا في إحدى الزوايا بينما يدفع بكتفي من الخلف أحد فروع شجرة البتولا التي تم قطعها حديثًا من الغابة بمجرد أن أشرع في النظر في الأرجاءِ بحثًا عن أناسٍ أعرفهم، هناك الكثير من الناس، ذلك الأمر الذي يجعلني أشعر بالامتنان في أعماق نفسي حقًا حتى وإن كان من الغريب فعلًا رؤية كل هؤلاء الأشخاص معًا!

ها هم أصدقاء المدرسة الثانوية يختلطون بزملاء العمل بإحدى الوكالات الإعلانية، وها هم الزملاء الرسامون يقفون بالقرب من الأقارب الذين استقلوا القطار من ولاية كونيكتيكت. جميعهم كانوا رجالا باستثناء ابنة عمي العزباء، ولم يكن هذا كله من قبيل الصدفة. أنتبه على الفور في تلك اللحظة المتأخرة التي يصل فيها مارك راسمًا تلك الابتسامة العريضة الفخورة على وجهه أثناء

قيامه بتمشيط المكان واستكشافه، وعلى الرغم من ادعائه الدائم بكراهيته واحتقاره لعالم الفن إلا أن ذلك الوسط يناسبه تمامًا، فها هو يتجول في الأرجاء متباهيًا بلحيته الفوضوية الرائعة مرتديًا سترة رياضية منقوشة ملقاة فوق قميص الميكي ماوس البالي الخاص به كما أنه يستعرض أحذيته الرياضية الحمراء التي جعلت السيد كريستي يشعر بخيبة أمل مزدوجة. ها هو مارك يجتاز الحشد العريض ثم يحتسي كوبًا من الشامبانيا كما يحصل بدوره على أحد الأطباق الشهية وسرعان ما يضع الطعام بداخل فمه ثم يبدأ في مضغه بشكلٍ مدروس.

- أعتقد أن مذاق الجبن أنقذ الموقف، قالها مارك ثم واصل حديثه قائلًا:

- لكن هذا الفطر المائي يعد بمثابة مُخالفة كبرى.

- لم أجرِّب هذا الطبق بَعد، في الواقع أشعر بالتوتر الشديد.

يضع مارك يده على كتفي مُحاولًا تهدئتي تمامًا كما أعتاد أن يفعل منذ أن كنا نعيش سوِيًا في مدرسة الفنون. إن كل شخص في هذا العالم- تحديدًا الفنانين- بحاجة إلى تأثير مُهدئ، وبالنسبة لي كان هذا الشخص هو مارك ستيوارت. إن مارك بمثابة صوت منطقي وعقلي، وصديقي الأقرب إلى قلبي وربما كان ليصبح زوجي المُحتمل لولا حقيقة أن كلينا يُحب الرجال. لطالما اعتدت الانجذاب إلى تلك العلاقات العاطفية بعيدة المنال، ولم يكن الأمر من قبيل الصدفة مُجددًا.

- يحق لكِ الاستمتاع بتلك الأجواء كما يجدر بكِ أن تشعري بالفخر، لا حاجة أبدًا لشعوركِ بالذنب فكما تعلمين أن تجارب الحياة وخبراتها تُلهم الفنانين، وهذا تحديدًا ما تدور حوله عملية الإبداع بشكلٍ عام.

يتحدث مارك عن مسألة الفتيات بالطبع، أولئك المدفونات داخل كل لوحة، فهو الشخص الوحيد- سواي- الذي يعرف بوجودهم، جدير بالذكر أن الشيء الوحيد الذي لم أخبره به هو لماذا أحرص على جعل هيئتهن تتلاشى مرارًا وتكرارًا بعد مرور خمسة عشر عاماً من الحادث، أعتقد أنه من الأفضل له ألا يعرف ذلك الشيء على وجه التحديد، فأنا لم أكن أنوي أبدًا أن أرسم بتلك الطريقة.

فمنذ اللحظة الأولى خلال وجودي في مدرسة الفنون انجذبت بدوري إلى بساطة الشكل واللون. لقد كنت على سبيل المثال شديدة التأثر بأسلوب الفنان أندي وارهول الخاص برسم علب الحساء كما أنني أعجبت كثيرًا بأسلوب الفنان جاسبر جونز وطريقته في رسم الأعلام كما أنني وقعت في غرام مربعات بيت موندريان المحددة وخطوطه السوداء الصارمة ثم توليت لاحقًا مهمة رسم شخص ميت كنت أعرفه يومًا ما. قمت باختيار الفتيات، رسمت فيفان أولًا لأنها كانت الأكثر لمعانًا وبريقًا في ذاكرتي، تلك الفتاة التي تملك شعرًا أشقر اللون كهذا الذي يظهر في إعلانات الشامبو، وعيناها الداكنة الغامضة التي تبدو سوداء تحت تأثير الإضاءة الجيدة وأنفها المذهل الغارق في بحرٍ من النمش الذي أبرزه نور الشمس. ألبستها رداءً أبيض اللون مزودًا بياقة تنتمي إلى أزياء العصر الفيكتوري والتي كانت تُحيط برقبتها الرشيقة الأشبه بعنق البجعة والتي تمنحها تلك الابتسامة الغامضة التي رسمتها على وجهها في هذا اليوم الذي غادرت فيه المقصورة وهي تهمس قائلةً: أنتِ صغيرة جدًا على القيام بهذا يا إيمي.

جاء دور ناتالي لاحقًا، تلك الفتاة ذات الجبهة العالية والذقن الفريع وخصلات الشعر المشدودة المحكمة على هيئة ذيل حصان وثوبها الأبيض المزود بياقة من الدانتيل التي تُثقل من كثافة رقبتها وأكتافها العريضة ثم جاء دور أليسون وهيئتها العامة التي توحي بالصلاح، تلك الجميلة ذات الوجنات الأشبه بثمرة التفاح والأنف النحيل، تمتلك أليسون حاجبين أكثر قتامة من شعرها الكتاني، تبدو هيئتهما الخارجية نحيلة ومثالية وكأن أحدهم قد قام برسمهما بالقلم البني. قمت برسم وشاح إليزابيثي الطراز حول رقبتها، ذلك النوع الملكي المزخرف، ومع ذلك فهناك خطب ما فيما يتعلق بمسألة الانتهاء من اللوحة، شيء ما استمر بدوره في نهش روحي و التهامها حتى تلك الليلة التي سبقت انتهاء المشروع في تلك اللحظة التي استيقظت فيها في تمام الساعة الثانية صباحًا ووجدت ثلاثتهن يحدقن في وجهي عبر جميع أنحاء الغرفة.

تكمن المشكلة أساسًا في النظر إليهن. زحفت على الفور متسللةً خارج فراشي واقتربت من اللوحة. أمسكت بالفرشاة ثم غمستها في بعض الطلاء البني وقمت برسم

خط أعلى أعينهن. لاحقًا قمت برسم أحد فروع الأشجار الذي أخفى وجودهن تقريبًا عن المشهد ثم توالت بعده المزيد من الفروع والجذوع والنباتات وعناقيد العنب والأشجار الكاملة، لقد أجبرت تلك الأشكال جميعها الفرشاة على الانزلاق بعيدًا عن اللوحة كما لو كانت قد تبرعمت ونمت لتوها هناك بالفعل، بحلول الفجر قمت بمحاصرة أرجاء اللوحة بالغابة. يجدر القول إن كل ما تبقى من فيفان وناتالي وأليسون كان أشلاءً من ثيابهن البيضاء وأجزاء من بشرتهن وخصلات شعرهن، تلك اللوحة هي العمل الفني الأول في سلسلة الغابة، العمل الوحيد الذي يكشف عن جزء بسيط مرئي من الفتيات، وعلى الرغم من أن تلك القطعة حازت على أعلى درجة في الصف بعد أن شرحت لمعلمي معناها إلا أنها غائبة عن صالة العرض اليوم، إنها مُعلّقة في شقتي غير معروضة للبيع. يجدر بي الإشارة أيضًا أن الكثير من تلك اللوحات متواجدة هنا حيث تستحوذ كل منها على جدار كامل بغرف المعرض المتعددة، إن رؤيتهم معًا على هذا النحو برفقة فروع الأشجار المُتشابكة والأوراق الخضراء النابضة بالحيوية، لقد جعلني ذلك أدرك مدى هوس المسعى بأكمله حيث إنني قضيت أعوامًا طويلة أرسم ذلك الموضوع الذي يُزعجني.

- أشعر بالفخر حقًا، أقولها لمارك قبل أن أرتشف القليل من الشامبانيا.

يُنهي مارك كأسه مرة واحدة وإذا به يُمسك بكأس آخر جديد.

- ما الخطب إذن؟ فأنتِ تبدين مُنزعجة للغاية، قالها مارك بلهجة بريطانية واضحة تمامًا كما لو كان ينتحل شخصية الممثل فينسنت برايس في أحد أفلام الرعب المصطنعة التي لا يذكر كلانا اسمه، فكل ما نعرفه جيدًا أننا كنا مُنتشين في تلك الأثناء التي شاهدنا خلالها الفيلم معًا على شاشة التلفاز، وقد جعلنا هذا النوع من الأفلام نعوي بالضحكات المجلجلة، لقد قلنا ذلك لبعضنا البعض مرارًا وتكرارًا.

- الأمر برمته غريب، هذا كل شيء.

أمسك بكأس الشامبانيا خاصتي لأشير إلى تلك اللوحات التي تحتل الجدران، تلك التي يصطف الناس أمامها في طوابير مُنظمة.

ها هو راندال يقبّل وجنتي زوجين أوروبيين واللذان مرا لتوهما عبر الباب.

- في الواقع لم أكن أتوقع أيًا من هذا، قلتها صراحةً ولم أكن أحاول التظاهر بالتواضع، فتلك هي الحقيقة ببساطة، فلو كنت أتوقع ذلك المعرض الفني لكنت قمت بدوري بتسمية عملي بدلًا من الاكتفاء المجرد بترقيمه تبعًا لترتيب رسم اللوحات بدءًا من رقم 1 حتى رقم 33. يمكنني القول إن وجود راندال والمعرض الفني وحفل الافتتاح السريالي مجرد صدفٍ سعيدة، وكان هذا يتماشى مع فكرة المكان المناسب في الوقت المناسب، وهذا المكان المناسب كان الحانة الصغيرة الخاصة بمارك في القرية الغربية، ففي ذلك الوقت كنت في السنة الرابعة من عملي كفنانة مستقلة بإحدى الوكالات الإعلانية، وعلى الرغم من أن العمل لم يكن مُمتعًا أو مُرضيًا إلا أنه مكنني من دفع إيجار شقتي المتهالِكة التي كانت تكفي للوحات الغابات الضخمة الخاصة بي.

أذكر تلك الأثناء التي تسرب خلالها أنبوب المياه إلى الحانة، حينها أحتاج مارك إلى شيءٍ ما حتى يقوم بإخفاء التلف الناجم عن المياه، لقد أقرضته لوحتي رقم 8 والتي كانت اللوحة الأكبر حجمًا القادرة على تغطية أكبر مساحة مُربّعة.

بالحديث عن الوقت المناسب يمكنني القول إنه بعد أسبوع آخر جاء أحد مُلاك المعارض الفنية الصغيرة والذي وقع معرضه على بُعد عدة بنايات إلى حانة مارك من أجل تناول الغذاء، وفي تلك الأثناء وقعت عيناه على لوحتي وحينها شعر بالافتتان والإثارة على الفور وسأل مارك عن اسم الرسام، وقد قاد ذلك بدوره إلى أحد لوحاتي رقم 7 والتي تم عرضها في المعرض. لقد تم بيعها بعد عرضها بأسبوع، وبناءً عليه طلب المالك المزيد من اللوحات، لقد أعطيته ثلاثة من أعمالي الفنية، ولحسن الحظ أن الصورة رقم 13 حازت على إعجاب إحدى الشابات من مُحبي الفنون والتي قامت بنشر صورتها على صفحتها الخاصة على موقع الإنستاجرام، وقد لفتت الصورة انتباه مديرتها التي كانت تعمل كمذيعة تليفزيونية في مجال أحدث الصيحات والتي قامت بشراء اللوحة وعلقتها في غرفة الطعام كما أنها حرصت على التباهي بها خلال حفلات

العشاء التي كانت تضم مجموعة من الأصدقاء. يجدر بي الإشارة أن أحد هؤلاء الأصدقاء والذي كان يعمل مُحررًا في مجلة فوغ الخاصة بالأزياء والموضة أخبر ابن عمه والذي كان يملك معرضًا ضخمًا مرموقًا عن لوحاتي الفنية، ابن العم سابق الذكر هذا هو راندال! ذلك الذي يجوب المعرض الفني ذهابًا وإيابا متأبطاً ذراع كل ضيف يراه، ولكن ما لا يعرفه راندال والممثلة التليفزيونية وحتى مارك أن الثلاثة والثلاثين لوحة التي قمت برسمها هي الشيء الوحيد الذي قمت بإنجازه خارج مهام عملي في الوكالة الإعلانية.

لم يكن هناك أية أفكار جديدة داخل هذا العقل الفني، يمكنني الاعتراف أنه ما من شرارة إلهام استطاعت أن تُشعِل فتيل الإنتاجية داخل نفسي، لقد حاولت بدوري القيام بأشياء أخرى انطلاقًا من شعور مُلح بالمسئولية أكثر منه إحساسا برغبةٍ فعليه حقيقية، فلم أكن أبدًا قادرة على تجاوز تلك الجهود الأولية الفاترة، لقد كنت أعود إلى رسم أولئك الفتيات في كل مرة لعينة، لم أكن قادرة على التوقف عن رسمهن كما أني عجزت عن اعتزال إضاعتهن مرارًا وتكرارًا داخل الغابات الموحشة الفسيحة، لقد أقسمت ألا أقوم برسم أي لوحة أخرى تحقيقًا لهذا الغرض ومن ثم فلن يكون هناك العمل رقم 34 أو 46 أو العمل رقم 112 لا سمح الله، ولهذا السبب لم أتمكن من الإجابة على ذلك السؤال الذي يطرحه الجميع في إلحاح حول ما سأفعله في المرّة القادمة، فليس لديَ إجابة لأمنحها لأحدهم، فمستقبلي بالمعنى الحرفي ما هو إلا مجرد لوحة بيضاء تنتظر أن أقوم بملئها، لم أقم خلال الستة أشهر الماضية إلا بطلاء مرسمي الخاص حيث إنني قمت بتحويله من لون النرجس البري الأصفر إلى لون بيضة طائر الروبن الزرقاء، فإذا كان هناك شيءِ ما يُزعجني حقًا فهو ذلك الأمر حيث إنني فتاة ناجحة محظوظة تحتل أعمالها الجريئة كل تلك الجدران لكنني كنتيجة لذلك أشعر بالعجز عندما يتركني مارك للدردشة مع نادل الحفلة الوسيم مانحًا راندال اللحظة المثالية ليقبض على معصمي ويأخذني إلى امرأة نحيلة تدرس اللوحة رقم 30، عملي الفني الأكثر ضخامة، وعلى الرغم من أني لا أتمكن من رؤية وجه المرأة إلا أنني أعرف جيدًا أنها سيدة مهمة

وذلك لانه عادة يتم توجيه الأشخاص العاديين إلي تلك الليلة وليس العكس.

- ها هي يا عزيزتي! الفنانة إيما دايفيز بنفسها، أعلنها راندال.

استدارت المرأة مُحدقةً في وجهي بنظرة مألوفة لم أرها منذ خمسة عشر عامًا، تلك النظرة التي تجعلك تتذكرها بسهولة فعندما تستهدفك تلك العيون الخضراء تجعلك تشعر وكأنك أهم شخص في العالم.

- مرحبًا يا إيما، قالتها.

ها أنا أتجمد في مكاني بلا حراك لأني لا أعرف ما يتعين علي فعله لاحقًا، وليس لديَ أية فكرة كيف ستتصرف في وقتٍ لاحقٍ أو ما ستقوله أو ما سبب تواجدها هنا الآن، لقد افترضت أن فرانسيكا هاريس لا تريد مني أي شيء لكنها ابتسمت قبل أن تقوم بضمي إليها حتى لامست وجنتي وجنتها، ذلك العناق العميق الذي جعل راندال يُراقب المشهد بغيرة واضحة ثم قال:

- هل تعرفان بعضكم البعض بالفعل؟

- أجل، قلتها وأنا ما زلت مذهولة من حضورها

- لقد مضى وقت طويل جدًا منذ أن رأيت أيما لأول مرة، فقد كانت حينها مجرد فتاة صغيرة، لكنني حقًا فخورة جدًا بما وصلت إليه الآن بعد أن أصبحت امرأة، قالتها ورمقتني بنظرة أخرى، تلك التي تحمل عنصر المفاجأة الذي يتعذر على المرء مُغادرته.

أدرك مدى سعادتي لرؤيتها الآن، في الواقع لم أكن أتوقع حدوث أمرًا كهذا.

- شكرًا لك يا سيدة هاريس وايت، قلتها لها.

قطبت المرأة جبينها في استهجان ثم قالت:

- لماذا تُناديني باسم هاريس وايت؟ أعتقد أنه مجرد هراء! فأنت تعلمين أني أحب اسم فراني، لطالما كنت تناديني بهذا الاسم.

أجل أتذكر ذلك كما أني لا زلت أتذكر لحظة وقوفها أمامنا مُرتديةً سروالها الأخضر القصير وقميصها الأزرق وأحذيتها الغالية التي كانت تجعل أقدامها تبدو ضخمة بشكلٍ مثير للسخرية عندما كانت تقول لنا:

- نادوني باسم فراني، أنا أصر على ذلك حقًا فجميعنا

متساوون هنا وسط تلك المناطق الخارجية الشاسعة.

لكن الأمر لم يدم طويلًا فما إن وقعت الحادثة حتى استخدمت جميع الصحف حول البلاد اسمها الكامل الرسمي «فرانسيسكا هاريس وايت، الابنة الوحيدة لأحد أقطاب العقارات السيد ثيودور هاريس، وهي أيضًا الحفيدة الوحيدة للبارون بوكانان هاريس والأرملة الأصغر سنًا لأحد ورثة تجارة التبغ السيد دوجلاس وايت، لقد بلغ إجمالي صافي ثروتها ما يقارب المليار جنيهًا كما أن معظم مصادر تلك الثروة الهائلة الضخمة تعود إلى العصر الذهبي.

ها هي الآن تقف أمامي وتبدو وكأن العمر لم يمسها على الإطلاق على الرغم من أنها من المفترض أن تكون في نهاية عقدها السابع، لكنها تعرف جيدًا كيف تتقدم في العمر بشكلٍ جيد فبشرتها برونزية أقرب إلى الشقرة تتألق في بهاء كما أن ثوبها الأزرق بلا أكمام يُبرز جمال جسدها الرشيق، بالإضافة إلى خصلات شعرها المتوازنة بين اللون الأشقر والرمادي والتي تم سحبها إلى الخلف على هيئة عقدة لتكشف عن عقد من اللؤلؤ يُحيط برقبتها. استدارت المرأة ناحية اللوحة مُجددًا وتفحصت بنظراتها اتساعها الهائل، إنها واحدة من أكثر لوحاتي سوداوية –فطلاؤها يعتمد أساسًا على اللون الأسود الغامق شديد الزُرقة الأقرب إلى الألوان البنية الطينية. جعلها حجم اللوحة الفنية تبدو كما لو كانت طفلة قزمة فلقد ظهرت وكأنها تقف في مواجهة إحدى الغابات الشاسعة ذات الأشجار الضخمة التي كادت أن تلتهمها.

- جميع اللوحات رائعة حقًا، قالتها المرأة.

ثمة غرابة في صوتها، شيء ما غير يقيني أقرب إلى نبرة مُرتعشة كما لو كان بإمكانها النظر مباشرةً إلى الفتيات اللواتي كن يرتدين ثيابهن البيضاء أسفل طلاء الأجمةِ.

في الواقع يتعين عليَ أن أعترف أنني قد جئت إلى هنا مُتذرعةً بحججٍ واهية، قالتها المرأة مواصلةً النظر إلى اللوحة وقد بدا عليها وكأنها غير قادرة على إشاحة نظرها بعيدًا ثم واصلت حديثها قائلةً:

- أعترف أنني هنا من أجل الفن بالطبع ولكن هناك سببًا آخر لوجودي والذي ربما يتعلق بموضوع مُثير للاهتمام.

في نهاية المطاف أشاحت المرأة ببصرها عن اللوحات

نهائيًا ثم ثبتت عينيها ذات اللون الأخضر على وجهي وقالت:

- أريد أن أناقش معك هذا الأمر عندما تملكين الوقت، قالتها وحينها نظرت على الفور إلى راندال الذي كان يقف على مسافة قصيرة من فراني.

تفوه راندال بالكلمة التي يتوق كل فنان أن يسمعها: تكليف خاص، لقد دفعتني لأن أقول بسرعة: بالطبع! مع العلم أنني كنت سأبادر بالرفض تحت أي ظرف أخر.

- حسنًا، هل يمكنك إذاً قبول دعوتي لتناول الغداء في منزلي غدًا؟ ليكن ذلك في تمام الساعة الثانية عشرة والنصف؟ أعتقد أن هذا سيمنحنا فرصة جيدة للحديث معًا والاسترخاء.

وجدت نفسي أومأ لها بالموافقة، على الرغم من أنني لم أكن واثقة بالكامل بشأن ما يحدث، فظهور فراني غير المتوقع ودعوتها الغريبة لتناول العشاء يوحي باحتمال غير متوقع لأن يتم تكليفي برسم لوحة ما خصيصًا من أجلها، فهذا في حد ذاته بمثابة لمسة سريالية أخرى لمساءٍ غريب

- بالطبع، قلتها مُجددًا مفتقدةً السبيل لقول أي شيء آخر.

تبتسم فراني ثم تقول:

- رائع! وإذا بها تضغط على يدي تاركةً بطاقة بيضاء أشبه بمطبوعات البحرية، إنها بسيطة لكنها أنيقة كما تحمل اسمها ورقم هاتفها وعنوانها في بارك أفينو، وقبيل أن ترحل جذبتني إليها وعانقتني مرة أخرى ثم استدارت ناحية راندال ولوحت ناحية اللوحة رقم 30 وقالت:

- سآخذ تلك اللوحة.

الفصل الثاني

من السهل العثور على منزل فراني، إنه إحدى تلك المنازل التي تحمل اسم عائلتها «أل هاريس»، ذلك الأخير الذي يشبه ساكنيه فالغموض يغلب على طابعه، ما من نوافذ أو مرتفعات من تلك المتواجدة في منطقة داكوتا، لا يوجد سوى هذا المعمار المرتفع الشائع في منطقة بارك أفينو، تم نحت أحرف اسم عائلة أل هاريس أعلى المدخل حيث ينتشر عدد من أشجار الصنوبر المحاطة بشجرة لبلاب، من الفلائم حقًا القول إن ثروة تلك العائلة جاءت نتيجة إعدام تلك الأشجار كما أن المنزل من الداخل يبدو في غاية السكون والقتامة والكآبة تمامًا كما لو كان كاتدرائية وكما لو كنت أنا الاثم المذنب الذي يمشي خلسة على رؤوس أصابعه بالداخل، أشعر بغتةً أني أحد المحتالين الذين لا ينتمون إلى هذا المكان وعلى الرغم من ذلك إلا أن حارس الباب يبتسم لي ويلقي عليَ التحية بالاسم كما لو كنت أعيش هنا منذ سنواتٍ طويلة. تستمر حفاوة الترحيب عندما تم توجيهي إلى المصعد. ها أنا أقف بالداخل إلى جوار أحد الأشخاص المألوفين من مخيم نايتنجيل فإذا بي أسأل بغتةً: لوتي؟

لقد تغيرت قليلًا على خلاف فراني خلال الخمسة عشر عاماً الأخيرة، أصبحت أكبر سنًا بالطبع وأكثر زقيًا وتطوزا، فقد استبدلت تلك السراويل القصيرة والقمصان المخططة التي اعتدنا على رؤيتها في السابق ببذلة عمل رسمية بلون الفحم أعلى قميص أبيض متموج كما أن شعرها الذي كان يومًا طويلا بلون أخشاب الماهوجني بات الآن أسود قصيرًا يؤطر وجهها الشاحب، لكن ابتسامتها لم تتغير فلا زالت تتحفظ بنفس هذا الوهج المُحبَب للنفس الذي رأيته للمرّة الأولى في مخيم نايتنجيل.

- إيما ؟ يا إلهي! كم أنا مسرورة برؤيتك مُجددًا!، قالتها لوتي ثم عانقتني واحتضنتها بدوري أنا الأخرى ثم قلت:

- وأنت أيضًا يا لوتي، في الواقع كنت أتساءل إن كنت لازلت تعملين لدى فراني.

- ليس بمقدور فراني القدرة على التخلص مني حتى وإن حاولت ذلك كما أنها لم تتمن حدوث هذا الأمر يومًا.

إنها مُحقّة فلم يسبق لهما الانفصال من قبل، لقد كانت

فراني هي مديرة المخيم بينما كانت لوتي مساعدتها المخلصة.

لقد اعتادت كلتاهما على إدارة المخيم ليس بقبضة حديدية ولكن بقفازٍ مخملي عبر دفقات من صبرٍ لا ينفذ حتى عندما تعاملن مع إنسانة مثلي، لازلت أتذكر تلك اللحظة الأولى التي التقيت فيها لوتي، لازلت أرى مشيتها المتأنية من المقصورة عندما وصلت برفقة والداي بعد ساعاتٍ من موعدنا المتوقّع وكيف قامت لوتي بإلقاء التحية علينا وكيف رحبت بنا راسمةً تلك الابتسامة الصادقة على وجهها بعد لقائنا معًا في مخيم نايتنجيل، ها هي الآن تُشير إلى المصعد وتضغط على أعلى الزر وبينما نحن بالداخل تقول:

- ستتناولين الطعام برفقة فراني في البيت الزجاجي، فقط انتظري لترينه أولًا.

أومأ لها شاعرةً بالكثيرِ من الحماس، تنظر إليّ لوتي بتمعُن تكاد تثقلني ، إنها تتفحصني جيدًا من رأسي إلى أخمص قدمي، ها هي تُحدّق في هيئتي المتصلبة وتُنصت إلى نقرات حذائي وتُراقب ابتسامتي المصطنعة ثم تقول:

- لا ترتبكي يا إيما فأنت تعرفين أن فراني سامحتك منذ وقتٍ طويل جدًا.

أتمنى لو كان بمقدوري تصديقها، فعلى الرغم من أن فراني كانت ودودة معي أثناء تواجدها في المعرض الفني إلا أن الشك يلتهمني من الداخل، لا أستطيع التخلص من ذلك الشعور القائل إن زيارتها أكثر من مجرد زيارة ودودة. ها هو المصعد يفتح أبوابه وها أنا أجد نفسي في مواجهة شقة فراني العلوية، لدهشتي أجد الجدار المواجه للمصعد يحمل لوحتي التي قامت بشرائها الليلة الماضية، ليس هناك ملصقات حمراء كما أنه ما من داعي للانتظار لأسابيع طويلة من أجل لقاء فرانسيسكا هاريس وايت. من المؤكد أن راندال بقي مستيقظًا طيلة الليل يُنظّم طريقة شحنه من المعرض إلى هنا.

- إنها لوحة جميلة حقًا، قالتها لوتي مُشيرةً إلى اللوحة رقم 30 مُكملةً:

- يمكنني أن أعرف لماذا قامت فراني بشرائها.

إني أتساءل مُتعجبةً هل لو كانت فراني تعلم أن الفتيات

يختبئن بسرية أسفل تلك اللوحة، هل كانت لتقوم بشرائها؟ إنهن يختبئن هناك في انتظار أن يكتشفهن أحد ما. إنني أتساءل أيضًا كيف كان للفتيات أن يشعرن خلال إقامتهن في منزل فراني؟ ربما ما كانت أليسون وناتالي أن تهتما بأمرٍ كهذا، ولكن ماذا عن فيفان؟ كانت لتُحب ذلك للغاية.

- في الواقع، إنني أخطط لزيارة المعرض ذات ظهيرة لأرى اللوحات الأخرى التي قمت برسمها ، قالتها لوتي ثم واصلت حديثها:

- أنا فخورة بك للغاية يا إيمي، في الواقع جميعنا فخورون بك.

قادتني عبر ممر صغير إلى ناحية اليسار وقد تجاوزنا بدورنا غرفة تناول الطعام الرسمية التي دخلناها عبر غرفة المعيشة.

- ها نحن بدورنا داخل المنزل الزجاجي.

لم تبد الكلمة بمثابة وصف عادل بالنسبة لمساحة الغرفة المنشودة، كان الأمر أقرب لأن تصف المحطة المركزية الكبرى بأنها مجرد محطة قطار، فكلتاهما كانت مزخرفة كُلّيًا بشكلٍ عصي على الوصف. جدير بالذكر أن بيت فراني الزجاجي مكون من طابقين تم بناؤهما على ما كان يومًا يمثّل السقيفة العلوية وتلك الألواح من الزجاج الثقيل المصقول التي ارتفعت عن الأرض مُشكّلَة ما يُعرف بالسّقف المقبب بينما لا زال بعضها يُمسك بمثلثات الثلوج في منعطفاتها الخارجية كما أنها تشتمل من الداخل على مبنى خيالي والذي يأخذ شكل غابة مُصغّرة، هناك المزيد من أشجار الصنوبر وأشجار الكرز المزدهرة وأشجار الورد المتوهجة باللون الأحمر والطحالب الملساء وأوتار أشجار اللبلاب التي تغطي الأرضيات، هناك أيضًا المزيد من الجداول المائية الصغيرة التي تتدفق عبر أحد الخلجان الصغيرة والتي تملؤها الحجارة، في قلب تلك الغابة الخيالية المذهلة كان هناك فناء من الطوب الأحمر حيث أمكنني العثور على فراني جالسةً حول إحدى الطاولات الحديدية الصُنع المُعدّة تحديدًا من أجل تناول الغداء.

- ها هي فراني!، قالتها لوتي، وحينها نظرت إليها ولاحظت أن علامات تضورها جوعًا تبرز على وجهها ومن ثم أدركت أنه يتوجب علي البدء على الفور في تناول

الطعام، قامت فراني بإلقاء التحية عليّ ثم عانقتني وقالت:
- كم هو أمر رائع أن أراكِ مُجددًا يا إيما كم أن ثوبكِ مذهل حقًا!

في الواقع لم يكن لديّ أي فكرة عما يتعين عليّ ارتداؤه لذلك فقمت بارتداء ثوب ديان فون فورستنبرج الملفوف الذي أهداني إياه والداي من أجل عيد الميلاد، وقد تبين لاحقًا أنه ما كان يتوجب عليّ القلق بشأن مسألة ارتداء ثياب غير مُهندمة وذلك بالمقارنة بملابس فراني السوداء الرسمية الصارمة التي جعلتني أشعر بالتوتر الشديد وأتساءل عن سبب استدعائي هنا.

- ما رأيكِ في منزلي الزجاجي الصغير يا إيما؟، سألتني فراني.

ألقيت نظرة أخرى في الأرجاء مُحاولةً التّجشس على بعض التفاصيل التي تم فقدها في السابق كتمثال أحد الملائكة الذي أخفته شجرة اللبلاب وأزهار النرجس البري النامية إلى جانب الجدول المائي الصغير.

- إن المشهد رائع حقًا! أنه أحد تلك المناظر الخلابة العصية على الوصف، قلتها.

- في الواقع هذه هي واحتي الأثيرة فمنذ سنواتٍ طويلة قررت أنه إذا لم يكن بمقدوري العيش في الهواء الطّلق بين أحضان البرية فإنه يتعين عليّ إذن إحضار تلك الطبيعة للعيش معي هنا.

- ألهذا السبب قمتِ بشراء أكبر لوحاتي الفنية؟، سألتها على الفور.

- بالضبط فمسألة النظر إليها تجعلني أشعر وكأني أقف مُباشرةً في مواجهة الغابات الداكنة ولو سألت إن كنت أرغب في اختراقها والمضي قُدمًا إلى داخلها، سأقول لكِ بالطبع، أجل!

كانت هذه لتكون إجابتي أنا الأخرى، ولكن الفارق الوحيد بيني وبين فراني إنني ما كنت لأتحمس للذهاب إلى أدغال تلك الغابة إلا إذا علمت أن الفتيات ينتظرن هناك بدورهن خلف صف الأشجار.

كان الغذاء عبارة عن سلطة سمك السالمون المرقط وسلطة الجرجير المنقوعة في نبيذ ريسليهنج المنعش، فقد هدأ الكأس الأول أعصابي ثم ساعدني الكأس الثاني على

التخفيف من حذري بعض الشيء وأجبرني الكأس الثالث على الإجابة بصراحة وشفافية تحديدًا عندما سألتني فراني عن عملي وحياتي الشخصية وعائلتي وحينها أجبتها بكل وضوح إني أكره تلك الحياة فلا زلت عزباء كما تقاعد والداي وذهبا إلى بوكا راتون ثم اختتمت حديثي قائلةً:

- الطعام كله شهي حقًا، قلتها وأنا أنهي طبق حلوى الليمون اللذيذة حتى أنني حاولت أن ألعق الطبق.

- أنا مسرورة للغاية، قالتها فراني ثم واصلت حديثها قائلةً:

- في الواقع لقد أحضرنا سمك السلمون من بحيرة مُنتصف الليل التي تعرفينها.

أربكني ذكر اسم تلك البحيرة للغاية، وحينها لاحظت فراني دهشتي ثم قالت:

- أعتقد أننا نُبالغ في التفكير بعمق في تلك الأماكن التي حدثت فيها أشياء سيئة، فهذا ما أقوم به شخصيًا.

من المفهوم أن تُفكر فراني في ذلك الأمر، وبصرف النظر عما حدث فلا تزال تلك المنطقة تدخل ضمن ملكية عائلتها والتي تمثل حوالي أربعة آلاف فدان من البراري الواسعة في القاعدة الجنوبية لغابات أندريودكس والتي تمكنت فراني من المحافظة عليها بعد أن أمضى جدها عمره يقوم بقطع غابات أرض يصل حجمها خمسة أضعاف هذا المكان، ربما فعلت ذلك تعويضًا عما سبق على الرغم من أن البيئة لا زالت تدفع ثمن فعلته تلك، جدير بالذكر أنه قد تعذر على الجد العثور على قطعة أرض تشتمل على جسم مائي كبير، ومن ثم فقد قرر جد فراني خلق واحد بنفسه وبالفعل قام بإقامة سد فوق أحد الأنهار القريبة كما أنه أغلق الأبواب بضغطة زر واحدة عند حلول منتصف الليل في أحد ليال رأس السنة الممطرة في عام 1902، وخلال أيام تحولت تلك المنطقة التي كانت يومًا واديًا هادئًا إلى بحيرة، ومن هنا نشأت قصة بحيرة مُنتصف الليل، تلك التي تم سردها على مسامع كل وافد ينضم إلى مُخيم نايتنجيل.

- لم يطرأ أي تغيير على المكان، واصلت فراني حديثها ثم قالت:

- لازال النُزل في مكانه كما كان، بعيدًا عن منزلي، لقد

كنت هناك في نهاية الأسبوع الماضي، وحينها تمكنت من الحصول على سمك السلمون، لقد قمت بصيده بنفسي، بصراحة أبنائي يكرهون مسألة ذهابي إلى هذا المكان بشكلٍ متكرر تحديدًا عندما أذهب أنا ولوتي بمفردنا، إن ثيو يقلق كثيرًا بشأن هذا ويتساءل في غضب ماذا إذا هاجمنا شيء ما أو وقع لنا أذى ولم نستطع الحصول على مساعدة أحدهم.

مجرد استماعي لأسماء أبناء فراني يُربكني ويُشعرني بأني تلقيت لتوي صفعةً إضافية، أبناؤها هما ثيودور وتشيستر هاريس وايت! يا لها من أسماء لاذعة ثقيلة غير محتملة، وكوسيلة فعالة للتعامل مع ذلك الأمر يفضلون تمامًا كما والدتهم استخدام الأسماء المستعارة ثيو وتشيت ، الابن الأصغر هو تشيت وهو أيضًا الأكثر ضبابية في ذاكرتي فأنا لم أره منذ أن كان في العاشرة من عمره عندما كنت في مخيم نايتنجيل، جدير بالذكر أنه قد تم تبني تشيت في وقتٍ متأخر، لا يمكنني أن أتذكر أي شيء يتعلق بحديثي معه، على الرغم من أني واثقة أني تحدثت معه بالفعل في وقتٍ سابق، فكل ما أتذكره هي تلك النظرات الخاطفة له أثناء ركضه حافي القدمين ناحية الحديقة الخلفية للنُزل وصولًا إلى حافة البحيرة.

لقد تم تبني ثيو أيضًا قبل تشيت بسنوات، لازلت أتذكر الكثير عنه، سألتها على الفور:

- كيف حالهما؟

ربما ليس لديَ الحق في معرفة الإجابة لكنني تفوهت بتلك الكلمات بغتةً عندما رمقتني فراني بنظرة تَرقُب واضحة والتي توحي بأنها تنتظرني حتى أقوم بالسؤال عنهما.

- إنهما بخير حال، إن ثيو يقضي هذا العام في أفريقيا يعمل مع منظمة أطباء من دون حدود كما أن تشين سيحصل ربيع هذا العام على درجة الماجستير من جامعة يال كما أنه قام بخطبة فتاة جميلة.

توقفت فراني قليلًا حتى تسمح لمعلوماتها تلك بالاستقرار داخل ذهني جيدًا، في تلك الأثناء كان الصمت يغني عن الحديث، فلقد أرادت فراني أن تُخبرني أن عائلتها تحيا ازدهارًا حقيقيًا بصرف النظر عما فعلته لهم

في السابق.

- لقد اعتقدت أنك عرفت تلك الأخبار بالفعل، فلقد سمعت أن شائعات نايتنجيل لا زالت تنتشر بشكلٍ كبير على نطاقٍ واسع.

- في الواقع أنا لست على اتصال بأي شخص من هناك بعد الآن.

لقد اعترفت لها بالحقيقة، فحتى أولئك الفتيات اللواتي عرفتهن خلال فترات التخييم لم يحاولن التواصل معي، وفي تلك الأثناء التي أصبح فيها الفايسبوك الصيحة الأكثر انتشارًا، تلقيت المزيد من طلبات الصداقة من عددٍ كبير من المخيمين السابقين، وقد تجاهلتها جميعًا فلم أر أي جدوى من البقاء على تواصل معهم، فليس لدينا أي نقاط مشتركة أكثر من أننا قمنا بقضاء أسبوعين في نفس المكان في نفس الزمن البائس، ولكن هذا لم يوقفني من أن أكون ضمن مجموعة خريجي مخيم نايتنجيل على موقع الفايسبيبوك.

لقد قمت بكَتم إشعارات منشورات هو المجموعة منذ سنوات.

- ربما يمكننا تغيير ذلك الأمر، قالتها فراني.

- كيف؟

- في الواقع أعتقد أن هذا هو الوقت المناسب لأكشف لك لماذا قمت باستدعائك هنا اليوم، قالتها بلباقة شديدة، وحينها قلت لها على الفور:

- على الرغم من أني أستمتع للغاية بمرافقتك إلا أنني أشعر بالفضول حيال الأمر، كان ردي أشبه بخرق لتصريحات العام.

- سأقوم بإعادة فتح مُخيم نايتنجيل مرة أخرى، أعلنتها فراني بغتةً.

- هل أنت واثقة أنها فكرة جيدة؟، تفوهت بتلك الكلمات بشكلٍ مفاجئ من دون تخطيط وقد كانت نبرتي ساخرة بعض الشيء، كذلك شعرت أنها باردة وقاسية لذا قلت على الفور:

- أعتذر بشدة يا فراني، لم أكن أقصد قول ذلك.

اقتربت فراني حول الطاولة وضغطت برقة على يدي ثم قالت:

- أرجوك لا تشعري بالسوء على الإطلاق، فأنت لست أول شخص يقوم بردة الفعل تلك كما أني أعلم جيدًا أن فكرتي تلك ليست الأكثر منطقية لكني أعتقد أن هذا هو الوقت المناسب، فلقد تم إغلاق المخيم لفترة طويلة كافية.

خمسة عشر عامًا! يا لها من فترة طويلة جدًا! تبدو وكأنها عمر بأكمله قد مضى كما أنها أيضًا تبدو كما لو كانت البارحة، فلقد أغلق المخيم أبوابه في بدايات الصيف بعد مرور أسبوعين من دخول الاباء في فوضى ترتيب جداولهم الزمنية، لم يكن هناك حيلة، فحتى بعد ما حدث لا زلت أذكر كيف تأرجحت مشاعر والداي بين التعاطف والانزعاج عندما جاؤوا لأخذي بعدما رحل الجميع بيوم آخر، لقد كنت آخر من وصل وآخر من غادر، لازلت أتذكر جلوسي داخل سيارتنا ماركة فولفو مُحدّقة في النافذة الخلفية أثناء انحسار المخيم من مجالِ الرؤية، فحتى في سن الثالثة عشرة كنت أعرف أن المخيم لن يفتح أبوابه مرة أخرى.

ربما لو كان مُعسكر مختلف لما كان ليخضع إلى كل هذه الحالة من المراقبة والفحص والتدقيق، ولكن مُخيّم نايتنجيل ليس كأي مُخيّم صيفي آخر، فهو من هذا النوع الذي يقصده أولئك ممن يعيشون في مانهاتن ويمتلكون المزيد من المال، ذلك المكان الذي حرصت أجيال نسائية مُتعاقبة على استهدافه واللواتي كن ينتمين إلى فئة العائلات الثرية ميسورة الحال من أجل قضاء عطلتهن الصيفية هناك من أجل السباحة، والإبحار والثرثرة والقيل والقال، لقد ذهبت أمي إلى هناك وكذلك خالتي، وفي مدرستنا كنا نُطلق عليه اسم «مُخيّم العاهرة الغنية» وكنا نقولها بسخرية وتهكم واضحين لنخفي غيرتنا وإحباطنا لأن آباءنا لم يستطيعوا تحمل دفع تكاليف إرسالنا إلى هِناك باستثناء خالتي لصيف واحد فقط.

ذلك الصيف الذي تحطمت فيه سمعة المُخيّم، فكان من الصعب إبقاء تلك القصة بعيدًا عن صفحات الجرائد لأن أبطالها مشهورون إلى هذا الحد الذي لا يمكن على أثره تجاهل الحادثة خلال بقية الصيف والخريف أيضًا، فقد كانت ناتالي ابنة أحد جراحي العظام الكبار كما أن أليسون كانت طفلة أحد ممثلات برودواي البارزات كما أن فيفان كانت ابنة أحد أعضاء مجلس الشيوخ والتي تم نشر اسمها

على مقربة من كلمة اضطراب، كنت أنا الفتاة الوحيدة التي أهملها الإعلام وذلك لأني كنت ابنة أحد موظفي البنوك المتواضعين وكانت أمي إحدى مدمنات الكحول بشراهة، لقد كنت تلك الفتاة الضخمة ذات الثالثة عشرة التي ماتت جدتها مؤخرًا لتترك لها المال الكافي لتقضي سبعة أسابيع في أحد أغنى معسكرات التخييم الصيفية في البلدة، جدير بالذكر أن فراني هي من تلقت النصيب الأكبر من الازدراء والسخرية من جانب وسائل الإعلام، تلك المرأة فرانسيبيكا هاريس وايت الفتاة الغنية التي حاصرتها الصفحات الاجتماعية في السابق إلا أنها رفضت القيام بتلك اللعبة والتي تزوجت رجلًا في نفس عمر والدها بينما كانت في الحادية والعشرين وكنتيجة لذلك فقد قامت بدفنه قبل أن تصل إلى الثلاثين وقامت بتبني طفلها الأول في الأربعين وطفلها الثاني في الخمسين، لقد كانت التغطية الصحفية في غاية الوحشية، وقد ركزت المقالات على أن مُخيم نايتنجيل لم يكن مكانًا آمنًا تحديدًا بعدما غرق زوجها هناك في العام السابق قبل افتتاح المخيم، وكذلك انتشرت المزاعم والادعاءات أنه لم يكن هناك عمالة كافية وكذلك غاب الإشراف التوجيهي والرقابة عن المشهد، وارتفع صوت تلك النبرة الهجومية تحديدًا عندما وقفت فراني إلى جوار ابنها عندما تم التلويح له بأصابع الشك والاتهام، وقد لمح البعض أيضًا أنه ربما يكون هناك شيء يُنذر بالشؤم يتعلق بمُخيم نايتنجيل وبفراني نفسها وعائلتها، ربما لي علاقة مُباشرة بهذا الأمر، ولكن دعونا ننسى ذلك الأمر، أعلم أنني كنت سببًا أكيدًا في هذا التصور، وعلى الرغم من ذلك فها أنا أرى فراني الآن تجلس أمامي وسط غابتها المزيفة تلك مُتحدثةً عن مُخيم نايتنجيل من دون الكشف عن أي سوء نية.

- لن يكون الأمر كما السابق بالطبع، لا يمكن أن يحدث هذا، وعلى الرغم من ذلك سيظل شبح ما حدث يُلاحق مُخيم نايتنجيل على الدوام، ولهذا السبب تحديدًا أود القيام بالأمور على نحوٍ مختلف، لقد قمت بإنشاء صندوق خيري، فلن تحتاج أي فتاة أن تدفع قرشًا واحدًا للبقاء هناك، فالمخيم بأكمله مجاني وسوف يعتمد أساسًا على الجدارة وسيخدم الفتيات من كافة أرجاء مناطق الولايات الثلاث.

- هذا كرم بالغ منك.

- في الواقع أنا لا أريد الحصول على مال أحد، لست بحاجة إليه على الإطلاق، فكل ما أنا بحاجته حقًا هو أن يمتلئ هذا المكان بالفتيات مجددًا، أريد رؤيتهن ثانيةً تستمتعن بالطبيعة والهواء الطلق، وسوف يسعدني جدًا انضمامك إلينا.

ابتلعت ريقي بصعوبة بالغة. أنا؟ هل تريدني أن أقضي الصيف في معسكر نايتنجيل؟ إن هذا أمر مختلف تمامًا عن مسألة عرض التكليف الخاص الذي توقعت استقباله، إنه لأمر شديد الغرابة حقًا، لقد اعتقدت أني لم أسمع ما قالته بشكلٍ سليم.

- إنها ليست فكرة غريبة يا إيما فأنا أريد أن أقوم بوضع إضافة قوية لعنصر الفنون في المخيم، لا أريد أن تقوم الفتيات بأنشطة السباحة والسير وكافة تلك الأنشطة التقليدية فحسب ولكني أود أيضًا أن أقوم بتعليمهن الكتابة والرسم والتصوير الفوتوغرافي.

- هل تريدين مني أن أعلمهن الرسم؟

- بالطبع! كما أنه سيكون لديك الوقت الكافي للاشتغال على فنك الخاص فما من مصدر إلهامٍ أفضل من الطبيعة.

لا زلت لا أعرف لماذا تريدني فراني في مُخيم نايتنجيل؟ لماذا أنا على وجه التحديد؟ من المفترض أن أكون آخر شخص تدعوه إلى هذا المكان، ها هي فراني تستشعر ترددي فمن السهل التعرف على ذلك فها أنا أجلس مُتصلبةً على الكرسي وأعقد منديلي بكل توتر.

- إني أتفهم خوفك يا إيما، لكني لا ألومك أبدًا على ما حدث، لقد كنت صغيرة ومرتبكة، وكان الموقف مريعًا حقًا بالنسبة للجميع، إنني شديدة الإيمان بتلك المقولة التي تقول «دع الماضي للماضي»، وفي حقيقة الأمر إن أمنيتي الأعظم هي أن يتواجد هنا عدد من المخيمين السابقين، لأوضح للجميع أن المكان آمن وسعيد مُجددًا، وقد وافقت ربيكا شونفيلد على ذلك

إن ربيكا شونفيلد هي مصورة صحفية بارزة، وقد انتشرت صورتها التي تشتمل على وجوه لاجئين سوريين يمسكان بأيدي بعضهما البعض بينما تُغطيهما الدماء وتصدرت الصفحات الأولى للصحف المتنوعة حول العالم،

ولكن الأكثر أهمية بالنسبة لأغراض فراني هي أن ريبيكا كانت إحدى أبرز الفحارىات القدامى في آخر مُخيم صيفي أقيم في نايتنجيل، لم تكن ريبيكا إحدى أولئك الفتيات اللاتي حاولن البحث عني على موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك، ولم أكن أتوقعها أن تقوم بذلك يومًا، لطالما كانت لغزًا مُحيرًا بالنسبة لي، فهي لم تكن تتصرف على طبيعتها، فقد كانت شديدة الهدوء تجلس بمفردها أغلب الوقت كما أنها اعتادت على رؤية العالم عبر عدسات كاميرتها المعلقة حول رقبتها حتى عندما كانت في أعماق البحيرة.

إنني أتخيلها تجلس حول تلك الطاولة بينما تتدلى كاميرتها إلى الأسفل، أتصور فراني تُقنعها بمسألة عودتها إلى مُخيم نايتنجيل بعد أن تقوم بإعلامها أنها أحدثت تغييرًا في الأوضاع ومن ثم تبدو فكرتها أقل حماقة وكأن هناك شيء ما سيحدث بالفعل، وعلى الرغم من ذلك فإن هذا لا ينطلي عليَ.

- إنها مسؤولية كبيرة ومُريعة.

- سيتم تعويضك مادّيًا بالطبع.

- الأمر ليس بتلك الصورة، قلتها وأنا أحاول صناعة عقدة في المنديل حتى بدا يظهر كما لو كان حبلًا.

- في الواقع أنا لست قادرة على العودة إلى هناك مُجددًا تحديدًا بعد ما حدث.

- ربما لهذا السبب على وجه التحديد يتعين عليك العودة إلى هناك، لقد كنت خائفة أنا الأخرى وبذلت قصارى جهدي لتجنُب هذا المكان لمدة عامين، لقد اعتقدت أني لن أجد أي شيء هناك سوى الظلام والذكريات السيئة، لكن الأمر ليس بتلك الصورة، فالمكان جميل جدًا كما عادته بالإضافة إلى ذلك أن الطبيعة تشفي يا إيما، إنني أؤمن بذلك بشدة.

لا أجد أية كلمات لأتفوه بها ردًا على ما قالته، أضفَ إلى ذلك أنه ليس بمقدوري التحدث وعيناها الخضراوان مُثبتة عليّ بتلك الطريقة، ها هي تنظر إليَ بشكلٍ مُثير للتعاطف وتُظهر بوضوح حاجتها الماسة إليَ.

- أخبريني على الأقل أنك ستفكرين في الأمر.

- سأفعل، سأفكر في تلك المسألة.

الفصل الثالث

يمكنني الاعتراف أنني لا أفكر في هذا الأمر فحسب بل أنا مهووسة به حقًا حيث إن عرض فراني قد احتل بدوره أفكاري لبقية اليوم، لكني لم أنظر إلى الأمر بنفس الطريقة التي تمنتها فراني من أعماق قلبها فبدلًا من أن أفكر كم ستكون عودتي إلى مخيم نايتنجيل أمرًا جميلًا مُذهلًا، أخذت أفكر في كل تلك الأسباب التي تحول بيني وبين العودة إلى هناك.

ذلك الشعور المستمر بتأنيب الضمير التي لم أستطع التخلص منه خلال خمسة عشر عامًا، كل هذا التوتر والألم الذي تتطاير عبر أفكاري عندما التقيت مارك لتناول العشاء في مكتبه.

- أعتقد أنه يجدر بك الذهاب، قالها وهو يدفع بأحد أطباق اليخنة نحوي، إن هذا هو طبقي المفضل في العادة، يتم طهيه على البخار ثم تنتشر روائح ثمار الطماطم الناضجة المطبوخة جنبًا إلى جنب مع أعشاب دي بروفانس، إنني أحرص على التهام ذاك الطبق بمجرد رؤيته على الدوام لكن عرض فراني استنزف شهيتي تمامًا.

استشعر مارك ذلك وقام بدفع زجاجة النبيذ إلى جوار طبقي والتي امتلأت حتى الحافة بالنبيذ الأحمر.

- تناولي كأسًا من هذا قد يفيدك قليلًا.

- أعتقد أن طبيبي النفسي كان ليختلف معك.

- أشك في ذلك، إنها حالة مُغلقة.

ربما لم ألتق بشكلٍ مباشر بحالاتٍ مُغلقة في حياتي، لكن الأمر يذكرني بما حدث للفتيات، وخدمات جنائزهن التذكارية التي استمرت ستة أشهر حتى لا يفقد ذويهن الأمل، كانت أليسون هي الأولى وكانت خدماتها تشتمل على الدراما والغناء، وكانت ناتالي في المنتصف وكانت خدماتها عائلية الطابع وكانت فيفان هي الأخيرة، جدير بالذكر أنها الجنازة الوحيدة التي حضرتها في أحد صباحات يناير الباردة، وعلى الرغم من أن والدي أخبروني أنه لا يمكنني الذهاب إلا أنني رحلت بعيدًا حيث كانت المدرسة بالقرب من الكنيسة وذهبت حينها بعيدًا عن مشهد بُكاء والديها، كان هناك الكثير من أعضاء الكونجرس ومجلس الشيوخ الذين ترى وجوههم على قنوات سي

سبان، لم يكن لخطبة الجنازة أي جدوى وحتى مسألة قراءتها على الإنترنت وذلك لأنه لم يكن هناك أية فرصة لأن يكن على قيد الحياة، لم يكن يهم أن ولاية نيويورك قد أعلنت موتهن بشكلٍ رسمي بعد اختفائهن بثلاث سنوات فما داموا لم يعثروا على أجسادهن فما من سبيلٍ لمعرفة ذلك.

- في الواقع ليست مسألة الإغلاق هي المشكلة.

- إذن ما هي المشكلة يا إيما؟

المشكلة تتمثل في المكان الذي تلاشت فيه ثلاثة فتيات من الوجود.

- مفهوم، قالها مارك ثم أضاف:

- لكن هناك شيئاً ما تُخفينه عني، أليس كذلك؟

- حسنًا، قلتها وأنا أتنهد في طبقي، وقد انتشر الدخان حول الطاولة بشكلٍ دائري.

- في الواقع أنا لم أرسم شيئًا على الإطلاق خلال الستة أشهر الماضية.

احتلت الصدمة وجه مارك وكأنه لا يصدقني.

- هل أنتِ جادة؟

- بشدة.

- إذن أنتِ مُصابَة بالحبسة.

- الأمر أكثر من ذلك.

اعترفت له بكل شيء كما أنني شرحت له كيف لا يمكنني رسم أي شيء إلا الفتيات وكيف أقوم بمحو كل أشكالهن في نهاية المطاف مُستبدلةً إياها بأغصان الأشجار وكرمات العنب وكيف أنني أحدق يومًا بعد يوم في لوحتي الضخمة المُعلقة في شقتي لاستدعاء الإرادة لرسم عمل جديد.

- حسنًا أفهم من ذلك أنك مهووسة بالأمر.

- أجل، أقولها وأنا أمد يدي للإمساك بكأس النبيذ لأحتسي رشفةً منه.

- في الواقع لا أريد أن أبدو عديم الإحساس أو أن أستخف بمشاعرك، فأنت تشعرين بأشياء يمكنني تفهمها ولكن الشيء الوحيد الذي ليس بمقدوري استيعابه حقًا هو لماذا بعد كل هذا الوقت الطويل لا زال يُطاردك شبح ما حدث في مخيم نايتنجيل كثيرًا، تحديدًا أن أولئك

الفتيات كن غريبات بالنسبة لك.

لقد قال طبيبي النفسي نفس الشيء كما لو كنت لا أعرف مدى غرابة أن أكون لا زلت متأثرة بأمر قد وقع منذ خمسة عشر عاماً وأركز انتباهي بأسره على فتيات لم أعرفهن إلا لمدة أسبوعين فحسب!

- لقد كانوا صديقاتي، وكل ما في الامر أنني أشعر بالسوء حيال ما حدث لهن.

- هل تشعرين بالسوء أم بالذنب؟

- الأمرين معًا.

لقد كنت آخر شخص يراهم على قيد الحياة، كان بمقدوري منعهن من ذلك الشيء اللعين الذي خططن من أجله، كان باستطاعتي أن أخبر فراني أو أحد الاستشاريين بمجرد مغادرتهن المخيم، ولكن بدلًا من ذلك عدت إلى النوم.

ها أنا الآن لازلت أنصت إلى صوت فيفان يتسلل إلى أحلامي، لازلت أسمعها تُرتِّل كلماتِ الوداع كما أنها تقول لي عبارتها الأكثر ترددًا: أنتِ صغيرة جِدًا على فعل هذا يا إيما.

- ألهذا السبب على وجه التحديد تخافين العودة إلى هناك مُجددًا؟ يسألني مارك، وبدلًا من أن أجيبه أحاول مد يدي جاهدةً من أجل الإمساك بكأس النبيذ وحينها إذا بي ألمح انعكاسي المتذبذب أمامي وتصدمني غرابة مظهري وأسأل نفسي في توتر: هل أبدو حقًا بهذا الحزن؟

بالتأكيد أبدو كذلك لأن مارك قد خفف للتو من حدة صوته وقال:

- حسنًا، من الطبيعي أن تشعري بالخوف يا إيما، فعلى أية حال لقد ماتت صديقاتك.

- لقد تلاشين.

- ولكنهن موتى في نهاية المطاف، هل لديك شك في ذلك؟ لقد حدث الشيء الأكثر سوءًا بالفعل كما تعرفين.

- هناك ما هو أسوأ من الموت.

- تُرى ما هو هذا الشيء إذن؟

- الجهل، ربما لهذا السبب أنا عاجزة عن رسم أي شيء سوى أولئك الفتيات، ولكن لا يمكنني مواصلة فعل هذا يا

مارك فأنا بحاجة لأن أمضي قدمًا.

في الواقع إن المسألة أكبر من ذلك، على الرغم من أنه يعرف أساسيات ما حدث إلا أنه هناك الكثير مما لم أخبر به مارك، ويتضمن ذلك بعض الأمور التي حدثت في مخيم نايتنجيل وأشياء أخرى وقعت لاحقًا. إن السبب الحقيقي وراء ارتدائي المستمر لذلك السوار السحري هو أنه في كل مرة أحرك فيها ذراعي الأيسر يُصدر صوتًا أقرب إلى الصلصلة وهذا يحمل بدوره شيئًا من الحقيقة التي تُعلن عن نفسها صراحةً، ولكني من ناحية أخرى لا أريد مواجهة الحقيقة. قد يظن البعض أنني أكذب على مارك، وقد يظنون أنني أكذب على الجميع، لكني أقسمت بعد تلك الفترة السابقة التي قضيتها في مخيم نايتنجيل ألا أكذب مُجددًا.

ربما كانت استراتيجيتي الوحيدة هي التقصير والتغافل، إنها خطيئة من نوعٍ مختلف تمامًا.

- إن هذا في حد ذاته يعد سببًا إضافيًا للذهاب، قالها مارك بينما مد يده عبر الطاولة مُصافحًا يدي.

كانت راحة يده في غاية الخشونة كما كانت أصابعه مُبطنة بالندوب، تمامًا كأيدي أي طباخ يعمل مدى الحياة.

- ربما يساعدك وجودك هناك على القيام بعمل فني مختلف فكما تعرفين تلك المقولة القديمة التي تقول إن المخرج الوحيد من مأزقٍ ما هو خوضه!

عدت إلى شقتي بعد تناول العشاء ووقفت بدوري أمام إحدى اللوحات ناصعة البياض. أشعر أن فراغها الهائل يتهكم عليّ ويسخر مني تمامًا كما هو الحال منذ أسابيع، ذلك الفراغ الشاسع الذي لا يحفزني أي شيء على ملئه. ها أنا أمسك بلوحة الألوان البالية التي تشتمل على ألوان قوس قزح، وإذا بي أقوم بوضع بعض الطلاء إلى داخل اللوحة ثم غمست طرف الفرشاة بداخله مؤهلةً نفسي لأقوم برسم شيء آخر، إنني أود رسم أي شيء خلاف الفتيات، ها أنا ألمس اللوحة ثم ينزلق اللون ثم أخطو للوراء مُحدقة في ضربة الفرشاة متأملة إياها، إنها صفراء اللون مُنحنية ومقوسة بعض الشيء، في تلك الأثناء وبعد إلقاء نظرةٍ مُتمعنة وجدت أنني قمت لتوي برسم شعر فيفان الأشقر، فما من سبيلٍ لرسم أي شيءٍ آخر.

أمسك بقطعة القماش التي تفوح منها رائحة زيت التربنتين وأقوم بتمريرها فوق الطلاء الأصفر حتى تستحيل إلى بقعة باهتة على سطح اللوحة، تنهمر الدموع من عيني على الفور عندما أدرك أن الشيء الوحيد الذي قمت برسمه خلال أسابيع تلك البقع المشوّهة، الأمر برمته مُثير للشّفقة، أنا نفسي إنسانة مُثيرة للشّفقة! ها أنا أكفكف دمعاتي عندما ألاحظ حركة ما أو ربما وميض أو شيءٍ ما خاطف يحتل المشهد بغتةً بالقرب من النافذة، أتأمله عن قرب وإذا بي أجد فتاة شقراء ذات بشرة شاحبة أمامي. يا إلهي! إنها فيفان! ها أنا أصرخ وأسقط قطعة القماش أرضًا بينما تتشبث أصابع يدي اليمنى بالسوار الملفوف حول يدي اليسرى.

أقوم بلمس السوار بشكلٍ مفاجئ وأشعر وكأن عصافيره الصغيرة تُحلّق بعيدًا جدًا في تلك اللحظة التي أقرر فيها الاستدارة لمواجهتها، لقد اكتشفت لتوي أن ذلك الوجه الذي رأيته مُنعكسًا في زجاج النافذة المُظلم لم يكن لفيفان بل كان لي! إنني أبدو مُرتبكة ومصدومة وضعيفة علاوةً على كل هذا أبدو قَلِقة.

لقد كنت قلقة بشدة لأنني أفكر في شأن أولئك الفتيات على الدوام كما أنني لا أتوقف عن رسمهن في أعمالي الفنية وعلى الرغم من كل هذا إلا أنه ما من معنى أو منطق على الإطلاق، لقد وقع ذلك الحادث منذ خمسة عشر عامًا وأنا لا أعرف أكثر مما عرفته في تلك الليلة التي سبقت مغادرتي المقصورة، ففي الأيام التي تلت الاختفاء جعلت الأشياء أكثر سوءًا تحديدًا بالنسبة لفراني وعائلتها وكذلك بالنسبة لنفسي، يمكنني تغيير ذلك فقط إذا قدمت تلميحًا ما بشكلٍ من شأنه أن يُحدث فارقا، أعرف أن ذلك ليس من شأنه أن يمحو ذنوبي لكن من الممكن أن يجعلها مُحتملة على الأقل، فهناك فرصة ما أمامي الآن، ها أنا أبتعد عن النافذة وأمسك بهاتفي المحمول وأقوم بالاتصال بهذا الرقم الذي تمت طباعة اسمه بأناقة على الورقة التي منحتني إياها فراني في الليلة السابقة.

تذهب المكالمة مُباشرةً إلى البريد الصوتي تاركةً لي رسالة مُسجلة من جانب لوتي أن أترك رسالتي الخاصة، وها أنا أترك لها رسالة صوتية مفادها التالي:

«أنا إيما دايفيس، لقد فكرت مليًا في عرض فراني لقضاء

عطلة الصيف في مخيم نايتنجيل»

توقفت قليلًا وكأني لا أصدق ما سأقوله لاحقًا ثم أضفت:

«وإجابتي هي أجل، سأفعل ذلك».

قلتها وأغلقت الهاتف قبل أن أغير رأيي، ها أنا أفكر مرة ثانية في المكالمة وأود لو بمقدوري إلغاء ما قمت به للتو.

تتوق أصابعي حقًا أن تضغط على الشاشة من أجل تحقيق ذاك الغرض سابق الذكر، لكنني بدل من ذلك أقرر الاتصال بمارك:

- أنا ذاهبة إلى مخيم نايتنجيل، أعلنها قبل أن يقوم مارك لتوه بإلقاء التحية علي عبر الهاتف.

- أنا مسرور حقًا أن حديثي الحماسي هذا قد أتى ثماره، قالها مارك ثم أضاف:

- في الواقع إن مسألة ذهابك إلى هناك ستجعلك تقومين بإغلاق التفكير في تلك المسألة بشكلٍ نهائي يا إيما.

- سأحاول البحث عنهم.

ثمة صمت خيم على مكالمتنا الهاتفية تلك، إنني أتخيل مارك يرمش عدة مرات بارتباك بينما يُمرر يده بين خصلات شعره- فهذا هو رد فعله الطبيعي الذي يقوم به عندما يعجز عن استيعاب وفهم شيءٍ ما- في نهاية المطاف قال مارك:

- أعرف أنني شجعتك على العودة إلى هناك يا إيما لكنها ليست أفضل فكرة.

- سواء أكانت أفضل أو أسوأ فكرة سأذهب إلى هناك على أية حال.

- لكن عليك أن تفكري جيدًا بوضوح في الأمر، فما الذي تتوقعين العثور عليه بشكلٍ عقلاني؟

- لا أعرف، ربما لا شيء

فأنا بالفعل لا أتوقع الكشف عن فيفان وناتالي وأليسون، فالفتيات تلاشين تمامًا في السابق من دون ترك أي أثر يمكن للمرء البحث اعتمادًا عليه، كما أن مساحة المكان الهائلة تُشكل لغزًا آخر في القضية وعلى الرغم من مساحة مخيم نايتنجيل صغيرة إلا أن مساحة الأراضي المحيطة بها شاسعة فهي تمتد لأكثر من ستة أميال مربعة من الغابات، وإذا لم يتمكن مئات الباحثين من إيجاد شيء ما

خلال خمسة عشر عامًا أعرف أني بدوري لن أتمكن من إيجادهم الآن.

- ولكن ماذا لو أن إحداهن قد تركت شيئاً ما خلفها ليكشف أين وجهتهن أو ما الذي كن يخططن من أجل فعله؟

- وما فائدة العثور على شيءٍ كهذا؟ ففي نهاية المطاف لن يتمكن من إعادتهن مُجددًا!، قالها مارك.

- أتفهم ذلك.

- وهذا بدوره يطرح سؤالًا آخر وهو لماذا تشعرين بحاجة ماسة جدًا للقيام بذلك؟

أتوقف عن الحديث لعدة لحظات مُحاولةً التفكير في طريقةٍ ما لشرح تلك الأمور العصية على التفسير، فالأمر ليس سهلًا علي الإطلاق، تحديدًا لأن مارك لا يعرف القصة الكاملة، لكني أقول له:

- هل سبق وندمت على شيءٍ ما بعد حدوثه بأيامٍ؟ أو أسابيع؟ أو حتى سنوات؟

- بالتأكيد، أعتقد أن كل شخص تشتمل حياته على ندمٍ كبير.

- حسنًا إن ندمي هذا يتمثل بدوره فيما حدث منذ خمسة عشر عامًا في مُخيم نايتنجيل، لقد انتظرت طويلًا من أجل ظهور دليلٍ ما، انتظرت أي شيء صغير من شأنه أن يُلمح لما حدث في حياتي، وها أنا الآن أملك الفرصة للعودة إلى هنا لأبحث بنفسي عنه، أعتقد أنها فرصتي الأخيرة وإذا قمت برفض العرض وإضاعتها فإنني سأجد شيئاً آخر لأندم عليه لاحقًا.

يتنهد مارك كإشارة على أنني قمت لتوي بإقناعه تمامًا.

- فقط اقطعي لي وعدًا أنك لن تقومي بفعل أي شِيء أحمق.

- ماذا تقصد بهذا الشيء؟

- أن تقومي بتوريط نفسك في أي خطر ما؟

- هذا مجرد مُخيم صيفي، فأنا لا أخطط لاختراق واحدة من عصابات المافيا، المسألة وما فيها أنني سأذهب إلى هناك ببساطة وسأقوم بطرح القليل من الأسئلة وعندما تنتهي فترة الستة أسابيع ربما تصبح لدي حينها فكرة عما حدث للفتيات من قبل، وحتى إن لم يحدث ذلك فربما

وجودي هناك يساعدني على رسم شيء ما مختلف، فكما قلت بنفسك أحيانًا الطريقة الوحيدة للخروج من مأزق ما مواجهته وخوض غماره.

- حسنًا، قومي بالتخطيط لرحلة التخييم الخاصة بك، حاولي العثور على بعض الإجابات ثم تعالي مُجددًا بشهية مفتوحة لرسم أعمال جديدة.

بمجرد أن ودعنا بعضنا البعض عبر الهاتف ألقيت نظرة على لوحتي الأولى للفتيات، تلك التي لا تكشف إلا عن مشاهد طفيفة غير واضحة لفيفان وناتالي وأليسون، أقترب من العمل الفني باحثةً عن خصلات شعرهن وبقايا ثيابهن حتى أنه ثمة غصن يغطي أعينهن وعلى الرغم من ذلك إلا أني أعرف في أعماق نفسي أنهن يُحدقن في وجهي كما لو كن يعرفن جيدًا أنني سأعود يومًا إلى مخيم نايتنجيل، في الواقع لا يمكنني أن أحكم إن كانت نظرتهن تلك لدفعي للذهاب إلى هناك أو تحذيرًا من العودة مُجددًا.

قبل خمسة عشر عامًا

- هيا استيقظي يا حلوتي.

كان ذلك في تمام الساعة الثامنة عندما تسللت أمي إلى غرفتي وعيناها لامعة من فرط تأثير الكحول الصباحي، رسمت على شفتيها نفس تلك الابتسامة المعتادة التي حرصت على رسمها عندما توشك على القيام بأمرٍ بالغ الخطورة والأهمية، كنت أسميها بابتسامة أمي السنوية، تلك التي لطالما أخافتني وأشعرتني بالتوتر والارتباك، فقد كان هناك هوة سحيقة بين نواياها والنتيجة النهائية، كنت أحرص في الصباح على تكوير نفسي أسفل الغطاء وأتأهب لهذا اللقاء التقليدي بين الأم وابنتها.

- هل أنتِ جاهزة للذهاب؟

- إلى أين؟

حدقت أمي في وجهي ثم قالت وهي تعبث بياقتها الحريرية:

- إلى الفخيم بالطبع.

- أي مُخيّم؟

- الفخيم الصيفي، قالتها أمي وهي تضغط على أحرف الكلمة الأولى لتسمح لي بمعرفة أن الرحلة ستتجاوز أكثر من مجرد يوم أو يومين.

أجلس على الفور مُلقيةً بأغطية الفراش أرضًا.

- أنتِ لم تخبريني من قبل أي شيء عن ذلك الفخيم!

- لقد أخبرتك بالفعل يا إيما منذ أسابيع، أنك ستذهبين إلى نفس المكان الذي ذهبت إليه وكذلك خالتك جولي في السابق، يا إلهي! لا تخبريني أنك نسيت ذلك.

- لم أنس.

أن يتم إخبارك أنه سيتم انتزاعك من أحضان أصدقائك طيلة الصيف بأكمله هو أمر لا يمكن لأحد نسيانه أبدًا لكن أمي تعتقد أنها أخبرتني بتلك المسألة، ففي عالمها يعد التفكير في أمرٍ ما أقرب إلى فعله، وعلى الرغم من ذلك فإن هذا لم يخفف من الشعور بأنه قد تم الإيقاع بي. لقد ذكرني ذلك بتلك التدخلات القصوى المتطرفة التي يقوم بها الآباء محاولين اللجوء إلى مراكز إعادة التأهيل من أجل اختطاف أطفالهم المدمنين.

- ها أنا أخبرك الان، أين حقيبتك؟ فنحن بحاجة ماسة لأن نكون في طريقنا إلى هناك في غضون ساعة واحدة!

- ساعة؟، قلتها شاعرةً بألمٍ في معدتي عندما فكرت في أن كل تلك الخطط الصيفية التي قمت بوضعها بالتعاون مع أصدقائي في حجرة الدراسة ذهبت هباء، فما من جولاتٍ تسكع برفقة هيذر وماريسا وما من رحلاتٍ سرية عبر القطار إلى جزيرة كوني كما اتفقنا في السابق، وما من مغازلاتٍ مع نولان كوبنهاجن في الغرفة المجاورة والذي على الرغم من أنه لم يكن وسيمًا بنفس قدر جاستن تيمبرليك إلا أنه لا يزال يمتلك نفس الثقة والعجرفة الممتزجة بالغرور بالإضافة إلى أنه بدأ يلاحظ وجودي مؤخرًا على الرغم من أن تقويم أسناني قد ظهر لتوه.

- أين نحن ذاهبان؟

- إلى مُخيّم نايتنجيل.

هل تقصد أمي أننا بصدد الذهاب إلى مُخيّم العاهرة الثرية؟ ها هي المفاجآت تتراكم فوق بعضها البعض، لكن الأمور تتغير فمنذ عامين فقط توسلت إلى والديّ حتى يقوموا بإرسالي إلى هناك، وقد قالوا لي: لا. والآن وبعد أن تخليت تمامًا عن هذا الأمل ها أنا أذهب إلى هناك بشكلٍ مُباغت في غضون ساعة واحدة، فهذا ما يُفسّر ابتسامة أمي السنوية المصطنعة هذه المرة، فلقد تم تبرير المسألة مرةً واحدة، لا زلت أرفض أن أكشف لأمي مدى سعادتي، فإذا قمت بذلك سأشجعها على فعل ما تريد وسأخضع نفسي للمزيد من محاولات تعويض الوقت الضائع كأن نذهب لاحتساء الشاي الفاخر في الساحة المفتوحة أو أن نقوم بجولة تسوق في متجر ساكس الشهير، يمكننا القيام بأي شيء حينها حتى تشعر أمي بتحسن نتيجة لعدم اكتراثها بي خلال السنوات الاثنتي عشر الأولى من حياتي.

- لن أذهب إلى هناك، أعلنها ثم أقوم بسحب الغطاء حتى يصل إلى رأسي، ولكن أمي تجاهلت ذلك محاولةً إكمال عملها والتفتيش في خزانتي ثم قالت بصوتٍ مكتوم:

سوف تحبين المكان هناك، سيكون صيفاً مميزاً ستظلين تتذكرينه طيلة حياتك.

تنتابني رجفة استباقية تسري في أوصالي كلها أسفل الغطاء.

أفكر في مخيم نايتنجيل، ستة أسابيع متواصلة من السباحة والقراءة والمشي، ستة أسابيع أبقى فيها بعيدةً تمامًا عن تلك الشقق الفتخمة وعن لامبالاة أمي وحركة عين أبي الحذرة عندما يراها تصب لنفسها كأسا ثالثًا من النبيذ الأخضر. أفكر كم ستشعر صديقاتي هيذر وماريسا بالغيرة الشديدة بعد أن يتظاهرن بالحنق الشديد لأني قمت بهجرهن طيلة الصيف.

- حسنًا، سأذهب إلى هذا المخيم، على الرغم من أني لا أرغب في ذلك على الإطلاق، كانت تلك هي كذبتي الأولى في صيف مليء بالأكاذيب العديدة.

الفصل الرابع

استغرقت رحلة قيادتنا السيارة وصولًا إلى مُخيَّم نايتنجيل معظم فترة الظهيرة تقريبًا، فقد تطلبت خمس ساعات إذا احتسبنا محطات الاستراحات أيضًا، وقد كانت أشبه بطلقة مستقيمة شمالية بحافلة تسير بسرعة 1 إلى 87، لقد نسيت ما يتعلق بطول تلك الرحلة من زيارتي الأولى حيث إنني كنت أجلس في المقعد الخلفي أستجمع شتات نفسي بينما كان والداي يلومان بعضهما البعض على عدم إخباري بمسألة ذهابي إلى مُخيَّم نايتنجيل.

أجلس هذه المرة أيضًا في المقعد الخلفي بالسيارة التي أرسلتها فراني خصيصًا من أجلي، على الرغم من أن السائق لم يتفوه بكلمة ولكن توتري نفسه، ذلك الشعور بالسجن والاختناق وكأنه ثمة فراشات مُحتجزة بداخل صدرك، ربما راودني هذا الإحساس خلال المرة الأولى لأني لم أكن أعرف كيف يبدو ذلك المُخيَّم، لكني الآن أعرف جيدًا إلى أين أنا ذاهبة على وجه التحديد ومن سأراه هناك، جدير بالذكر أنه خلال الأشهر التي سبقت رحيلي لم يكن لديَ الوقت حتى أكون متوترة وذلك لأني استنزفت وقتي كله تقريبًا في التقديم على إجازة مؤقتة من الوكالة الإعلانية وكذلك كنت أبحث عن شخصٍ ما حتى يقوم بتأجير شقتي من الباطن عندما أغادر.

تمت الموافقة على الإجازة كما أني عثرت على فنانة من خلال معارفي وعلاقاتي والتي أرادت البقاء في الشقة، إنها تقوم برسم المناظر النجمية الثلاثية عن طريق استخدامها للشمع المُذاب داخل أواني الألمونيوم، لقد شاهدتها مرة أثناء العمل، فقد كان الإناء المُكتظ بالألوان الساخنة يفور ممتلئًا بالفقاعات تلك الأشبه بقدر الساحرات، أتمنى ألا تقوم بإضرام النار في المكان.

بينما كان كل هذا يحدث، كنت قد تسلمت رسائل أسبوعية عبر البريد الإلكتروني من لوتي والتي طلبت فيها أن أقوم بملء كافة البيانات المطلوبة من أجل إقامتي في المُخيَّم. خططت إدارة المعسكر الصيفي أن تكون أعداد الحضور حوالي خمس وخمسين من المخيمات وخمسة من الاستشاريين وخمسة أخرين من المُعلمين المُختصين من فريق خريجي مُخيَّم نايتنجيل، تمامًا كما كان الحال

في السابق، لم يكن هناك كهرباء داخل المقصورة كما أن إدارة المعسكر كانت تحرص على رصد أية حالات إصابة بفيروس زيكا أو النيل الغربي أو غيرها من الأمراض التي يساهم الناموس والبعوض في نقلها، يتعين عليَ أن أتذكر حزم أمتعتي أولًا، تلك الملاحظة التي أخذها على محمل الجدية منذ أن كنت في الثالثة عشرة من العمر عندما علمت بذهابنا المباغت إلى هناك قبل ساعات، فقد كان هناك عدة عوائق ساهمت في تأخرنا منها مشكلة إيجاد حقيبتي والتي انتهى بها المطاف بالعثور عليها في خزانة الردهة بالقرب من المكنسة الكهربائية، ثم جاءت مشكلة تحضير الأمتعة حيث إنني لم أكن أعرف حينها ما الذي يتوجب عليَ أخذه برفقتي إلى هناك، كما أن افتقاري إلى ذلك يستلزم أن أذهب بدوري إلى المحالَ الرخيصة حتى أقوم بالحصول على الأشياء التي تنقصني، في ذلك الوقت تحمست للذهاب إلى محل للسلع الرياضية وقمت بالحصول على الكثير من المنتجات التي تستخدمها بطلات الأفلام الكوميدية الرومانسية في عربة التسوق، كان الكثير من وجود تلك الأشياء ضروريًا مثل المزيد من السراويل القصيرة والجوارب الثقيلة وأحذية المشي ومصباح يدوي مزود برباط المعصم وبعضها لم تكن مثل الحقيبة المضادة للماء والتي ثلائم جهاز الآيفون الخاص بي والواقي الذكرى.

إذن فهذا هو شأن أبي وأمي، فإنهما مهملان كعادتها عندما كنت صغيرة وبدأت أكبر، أعرف جيدًا أنه لم تكن لتروقهما فكرة عودتي إلى مُخيّم نايتنجيل ومن ثم فلم أقم بإخبارهما، فقد قلت لهم ببساطة أنني سأكون في الخارج لمدة ستة أسابيع وأنه يتعين عليهما الاتصال بمارك إذا كانت هناك حالة طارئة، لم يستمع أبي إلى كلامي كله بينما تمنت لي أمي وقتًا سعيدًا وقالتها لي تمامًا بتلك الطريقة التي يتفوهون بها في حفلات الكوكتيل، لم يتبق لي شيء آخر إلا أن أقوم بتهدئة قلقي وتوتري من خلال تنظيم أفكاري الخاصة لأعرف ما أنا بحاجته حتى أتمكن من المضي قدمًا في رحلة بحثي الخاصة.

لديَ خريطة بحيرة «منتصف الليل» وكذلك الأماكن المحيطة المجاورة بالإضافة إلى صورة القمر الصناعي للمنطقة وكذلك مجموعة خرائط خاصة بموقع جوجل

وأيضًا مجموعة من المقالات الصحفية القديمة حول اختفاء الفتيات قمت بجمعها من المكتبة وطباعتها حتى أنني كذلك أحضرت صورة غلاف موسم مسلسل نانسي درو التشويقي تحديدًا «لغز الكوخ» كشيء محفز على الإلهام.

أتفحص الخرائط وصورة القمر الصناعي أولًا، تبدو البحيرة أقرب إلى هيئة فاصلة ضخمة مقلوبة، فأكثر من ميلين من النهاية إلى النهاية وكذلك يبلغ عرضها من نصف ميل إلى خمسمائة ميل، إن أضيق منطقة هنا هي النقطة الشرقية، ذلك الموقع الخاص بسد بوكانان هاريس الذي أقامه على البحيرة في يوم بارد وممطر في مُنتصف الليل، منذ تلك النقطة تتدفق البحيرة غربًا وتصل إلى حافة الجبل مُتبعةً طريق الوادي الذي حل محله.

يقع مُخيّم نايتنجيل في الجزء الجنوبي عند مُنحنى البحيرة بينما يظهر في الخريطة كمستطيل أسود صغير غير مُصَنَّف وكأن خمسة عشر عامًا من الإهمال لا يستحق أن يتم ذكر اسمها، لقد كشفت صورة القمر الصناعي عن المزيد من التفاصيل مثل لون ظلالها الخضراء الذي يبدو على هيئة حبيبات نتيجة لتأثير طابعة المكتبة والتي تملؤها بقعا بنية اللون، كما أن النُزل كان في غاية الوضوح تمامًا كما المرحاض والمقصورة وغيرها من المباني الأخرى، يمكنني كذلك رؤية المرفأ يُطل على المياه كما أن بقع القوارب البخارية تظهر على أحد الجانبين، كما يوجد خط رمادي يُشير إلى أن المخيم يتواجد في الجنوب على بُعد ميلين من الطريق المتقاطع.

هناك إحدى النظريات الخاصة بحادثة اختفاء الفتيات التي تقول إنهن قد ذهبن إلى الطريق الرئيسي وحاولن ركوب سيارة أجرة للذهاب إلى كندا أو إلى نيو إنجلانِد ثم وصلن إلى طريق يضم عدداً من المقابر غير المميزة التي تخلو من أية شواهد، لقد قيل أيضًا إنهن قد ذهبن برفقة أحد سائقي الشاحنات المختلين عقليًا، ولكن على الرغم من ذلك لم يبلغ أحدهم عن وجود ثلاث فتيات مراهقات على الطريق السريع في مُنتصف الليل حتى بعد أن تصدرت الواقعة صفحات الأخبار المحلية، حتى أنه ما من أحد قد اعترف أنه قام بإيصال الفتيات إلى مكانٍ ما، ليس هناك أي أثر لحمضهن النووي داخل شاحنات السائقين

الذين تم إلقاء القبض عليهم بسبب ارتكابهم جرائم عنف، بالإضافة إلى ذلك فإن كل متعلقاتهم قد تُركت خلفهم وتم دسها بأمانٍ داخل شاحناتهم، الملابس والثياب والهواتف ماركة نوكيا زاهية الألوان، من هذا النوع الذي رفض والداي أن أحملها بسبب تهوري وعدم قدرتي على التحلي بالمسئولية.

من ناحيتي لا أعتقد أنهن كن يخططن للذهاب لفترة طويلة، بالتأكيد لم يكن يرغبن في الابتعاد إلى الأبد.

وضعت الخريطة بعيدًا ثم تصفحت الجريدة ومقالات الإنترنت المطبوعة، لم تعرض أي منها أي شيء جديد، لقد كانت تفاصيل الاختفاء غامضة مبهمة تمامًا كما كانت منذ خمسة عشر عامًا، فقد اختفت فيفان وناتالي وأليسون في ساعات الصباح الباكر من اليوم الخامس من شهر يوليو، لقد تم الإبلاغ عن فقدانهن قبيل الساعة السادسة صباحًا، وحينها بدأت إدارة المعسكر بالتفتيش والبحث على نطاقٍ واسع ولكن لم يسفر ذلك عن أي نتيجة مجدية، وقد اتصلت مديرة الفخيم فرانسيسكا هاريس وايت بقسم الشرطة في ولاية نيويورك وبدأت تحقيقاتهم الرسمية بسبب أوضاع أولياء أمورهن ومكانتهم البارزة في المجتمع تحديدًا والد فيفان وكنتيجة لذلك فقد انضمت الشرطة السرية والمكتب الفيدرالي للمعركة.

بدأ البحث من قبل فرق المباحث الفيدرالية وقوات الشرطة الحكومية والمتطوعين المحليين وشرعوا جميعهم في تمشيط الغابات والتفتيش فيها كما تسلقت الطائرات الهيلكوبتر إلى أعالي وقمم الأشجار حتى أن الكلاب البوليسية أيضًا بدأت رحلتها الخاصة في البحث عن الفتيات عن طريق شم ثيابهن الموجودة ودفعهم حسهم المرهف إلى الذهاب إلى دوائر محبطة جدًا، فلم يتم العثور على شيء، فما من آثار أقدام لتتبعها عبر الغابة وما من وجود لخصلات شعر منتشرة بشكلٍ عشوائي أو معلقة بأفرع الأشجار المنخفضة، وقد توجه فريق أخر من الباحثين إلى المياه رغم أنه قد تميت إعاقتهم من جانب البحيرة نفسها، لقد كانت عميقة جدًا إلى هذا الحد الذي لا يسمح بتجريفها حيث كانت ممتلئة بالأشجار المتساقطة ومخلفات المياه الخاصة بالوادي في السابق، فكل ما كان بمقدورهم فعله هو تمشيط بحيرة منتصف الليل

داخل قوارب إنقاذ تابعة للشرطة للتأكد أنه ما من شيء آخر يحتاج لذلك، فإذا كانت الفتيات داخل المياه، من المؤكد أنه سيتم العثور على جثثهن لكن القوارب عادت خاوية الوفاض كما توقع الجميع، وكان الأثر الوحيد الذي تم العثور عليه خلال رحلة البحث تلك هي كنزة فيفان الصوف على وجه الدقة، تلك التي كانت بيضاء اللون مع كلمة برينستون مطبوعة باللون البرتقالي من جهة الصدر، لقد رأيتها ترتديها أثناء تواجدنا جميعًا حول نار الفخيم قبل بضع ليال من حادثة الاختفاء، وبالتالي فقد كنت قادرة على الإفصاح أن قطعة الثياب تلك تخصها، لقد تم العثور عليها بعد الاختفاء على بُعد ميلين من الغابة أمام بحيرة معسكر نايتنجيل، جدير بالذكر أن الباحث المتطوع الذي عثر عليها كان أحد المتقاعدين المحليين و جدٌ لستة أطفال ولم يكن لديه أي سبب منطقي ليكذب- لقد قال الرجل إنه عثر عليه بعد أن تم طيه بطريقة أنيقة مربعة تمامًا كما تلك السترات التي تراها معروضة لسد فجوة ما، لقد عثر التحليل المعملي لتلك الكنزة على خلايا جلدية تتطابق مع الحمض النووي الخاص بفيفان، ولكن ما لم يتمكنوا من إيجاده هو أية علامات لتشققات أو دموع أو آثار دماء توحي بأنه قد تمت مهاجمتها، لقد تم التخلص من كل هذا ببساطة على يد فيفان خلال توجهها لمواجهة مصيرها المجهول أيًا كان، لكن الجزء الغريب جدًا في القصة أن فيفان لم تكن ترتدي تلك الكنزة عندما رأيتها تُغادر المقصورة، ففي تلك الأثناء التي تلت الاختفاء سألني العديد من المحققين مرارًا وتكرارًا إذا كنت واثقة حقًا من أنها لم تقم بربط تلك الكنزة التي تحمل ماركة برينستون الأصلية حول خصرها أو أنها كانت تُلقي بها على أكتافها، وقد أكدت لهم أنها لم تكن ترتديها، فأنا واثقة من هذا الأمر، وعلى الرغم من ذلك فقد استمرت السلطات الرسمية في تعاملها مع تلك الكنزة باعتبارها نبراسًا مُنيرًا وقد حرصوا على إتباع نوره والاهتداء به وصولًا إلى التلال.

تم إلغاء حملة البحث في البحيرة في تلك اللحظة التي توجه فيها الجميع إلى الغابة، وعلى الرغم من ذلك لم تُسفر رحلة البحث هناك أيضًا عن أية نتائج مجدية، فما من أحد على الإطلاق- تحديدًا أنا- استطاع أن يمتلك ولو لمحة بسيطة حول سبب توجه الفتيات أميالًا بعيدة عن الفخيم،

ولم يكن هناك أي معلومة منطقية تخص مسألة الاختفاء الفباغت، كانت تلك إحدى الحالات النادرة التي تتحدى العقل والمنطق، جدير بالذكر أن الشخص الوحيد المشتبه به هو ابن فراني الأكبر ثيو هاريس وايت، ولكن ما من شيءٍ أوحى بذلك، ما من آثارٍ للكشف عن تحرشه بهيفان على كنزتها الصوفية وكذلك ما من أدلة جنائية بحيازته.

لقد كان لديه دليل براءة حيث إنه قضى ليلته تلك برفقة تشيت ، فقد تبين لاحقًا أنه كان يعلِّم أخاه الأصغر كيفية لعب الشطرنج في الساعات الأولى المبكرة من الصباح، فلم يكن هناك أي دليل على أنه قام بذلك الحادث، وبناءً على ذلك لم يتم اتهام ثيو وعلى الرغم من ذلك فلم تتم تبرئته بشكلٍ رسمي تام فحتى مؤشر البحث جوجل لا زال يظهر حتى الآن ارتباط اسمه بمواقع إلكترونية تخص جرائم حقيقية والتي تُشير إلى أنه قام بقتل الفتيات الثلاث وأفلت بفعلته تلك من العقاب.

لم تستمر مسألة البحث عن الفتيات طويلًا بشكلٍ رسمي حيث إن فرق البحث قد أنهت مهمتها بعد بضعة أسابيع تالية من دون جدوى كذلك بدأت أعدادهم تقل تدريجيًا حتى لم يعد هناك أحد على الإطلاق كما أن التغطية الصحفية الخاصة بقضية الاختفاء مضت قدمًا في اتجاهٍ آخر بعد أن مل المراسلين الصحفيين وتوجهوا للبحث عن قصص إخبارية أخرى أكثر حداثة وحيوية.

إن سد هذا الفراغ يفترض التطرق إلى عددٍ من النظريات السوداوية القاتمة، تلك التي من الممكن أن يعثر عليها المرء في زوايا وأركان مواقع الإثارة مثل موقع ريديت وغيرها من المواقع الإلكترونية التي تفترض وجود نظريات المؤامرة، فلقد انتشرت المزيد من الشائعات حول مقتل الفتيات الثلاث على يد رجل وحشي مجنون يعيش في الغابات، وهناك من قال إنه تم اختطافهن من قبل مجموعة من البشر أو الفضائيين، فهذا يختلف على نوع الموقع الذي تقرأ منه الخبر حتى أن بعض تلك المواقع قد قامت باستدعاء ما هو أكثر خطورة فقد روج بعضها أنه تم قتل الفتيات من قبل إحدى الساحرات أو المستذئبين أو الموت المفاجئ من خلال تحلل الخلايا، ولم يكن المخيمين السابقين بمنأى عن تلك الشائعات، ذلك الشيء الذي أيقنته منذ المرة الأولى التي قمت فيها بفتح موقع

تصفح فيس بوك عبر هاتفي وقمت على الفور بكتم صوت إشعارات الصفحة الخاصة بخريجي مخيم نايتنجيل، إن أول شيء وقعت عيني عليه هناك هي تلك الصورة التي قامت كاسي أندرسون بنشرها بعد ساعة تقريبًا. تلك المرأة ذات الشعر الأحمر القصير التي عملت كمستشارة في مخيم نايتنجيل والتي التقيتها لأول مرة هناك. فقد بدت تمامًا كما الأيام الخوالي، جدير بالذكر أن كاسي من أول من حاولن التواصل معي عبر الفايسبوك لكنني تجاهلت طلب صداقتها شأنها شأن الاخرين على الرغم من أني أحبها.

تلك الصورة التي نشرتها كاسي أندرسون كانت تُظهر بحيرة منتصف الليل تلمع في الخلفية بينما تظهر صورة المقصورات في الأمام، لقد أعجِب بها خمسون شخصًا وقد تلقت الكثير من التعليقات.

إيريكا هاموند: أتمنى لك صيفًا رائعًا!

لينا غالجر : يا للروعة! لقد أعدتِ إليَ الذكريات الجميلة بتلك الصورة!

فيليسيا ويلينغتون: لا أصدّق أنك عدتِ إلى هذا المكان مُجددًا، فإذا عرضت عليَ فراني مليون دولار لن أذهب إلى هناك!

كاسي أندرسون: ربما لهذا السبب على الأرجح لم تطلب منك فراني ذلك! في الواقع أنا سعيدة جدًا لوجودي هناك.

ماجي كولينز: أتفق معك! فهذا المكان يُصيبني بالهلع والفزع على الدوام.

ليفين سميث: أتفق كُليًا مع فيليسيا، إنها فكرة سيئة جدًا.

كاسي أندرسون: لماذا ليفين سميث: لأن الفوضى تملأ هذا المكان بأكمله كما أن بحيرته تلك لا تزال تُشكّل لُغزًا مُحيرًا حتى الآن، فجميعنا نعرف الأسطورة، وجميعنا نعرف أن الأمر يشتمل على جزءٍ من الحقيقة.

لينا غالجر : يا إلهي! إن تلك الأسطورة قد أخافتني كثيرًا في تلك الأيام الماضية.

ليفين سميث: لديك كل الحق بالطبع لتشعري بالخوف.

كاسي أندرسون: في الواقع أنتم جميعًا تتصرفون بسخافة.

ليفين سميث: لقد كنت أنت أكثر واحدة تتحدث عن هذا الأمر يا كاسي في السابق! لا يمكنك الان تسمية كل هذا بالهراء بعد عودتك إلى هذا المكان الان!

فيليسيا ويلينغتون: لا تنسي أننا جميعًا نعرف جيدًا أن ما حدث لفيفان وناتالي وأليسون لم يكن مجرد حادث، أنت بنفسك قلت هذا الكلام في السابق!

بروك تيفاني سامبل: ومن أيضًا سيذهب إلى هناك هذا الصيف؟

كاسي أندرسون: هناك ثلاثة أشخاص تعرفينهم، أنا وبيكا شونفيلد وإيما دافيز.

بروك تيفاني سامبل: إيما؟؟ شحقًا!

ماجي كولينز: هل حقًا ستأتي بعد كل هذا الهراء الذي تفوهت به عن ثيو؟

ليفين سميث: يا للروعة!

لينا غالجر : حسنًا هذا أمر مُثير!

فيليسيا ويلينغتون: في الواقع لديَ فضول لأعرف كيف حدث هذا! حسنًا انتبه لنفسك يا كاسي (أمزح معك).

كاسي أندرسون: كوني لطيفة، في الواقع أنا متحمسة جدًا لرؤيتها.

إيريكا هاموند: من تكون إيما دايفيس؟

قمت بإغلاق صفحة الفايسبوك وكذلك هاتفي، لم أكن قادرة على قراءة أي حرف آخر من نظريات القيل والقال المعتوهة تلك، كما أني لم أكن أعرف أي امرأة أخرى بخلاف كاسي خلال فترة المُخيّم، كذلك لم أستمع من قبل أن البحيرة ملعونة أو مسكونة، فكل ذلك محض هراء، هناك تعليق واحد فقط هو الذي يحمل الحقيقة بداخله وهو أن ما حدث لناتالي وأليسون وفيفان لم يكن مجرد حادث، فأنا أعرف ذلك جيدًا لأنني الوحيدة التي تسببت فيه، على الرغم من أن مصيرهن الحتمي يظل لغزًا حتى الان إلا أنني واثقة أن ما حدث للفتيات كان خطأي بالكامل.

الفصل الخامس

ها أنا أتحرك من مكاني وأعود إلى المقعد الخلفي حيث تلوح قمم غابات أديرونداكس المستديرة في الأفق، جدير بالذكر أن رؤيتها تجعل نبضات قلبي تتسارع من دون هوادة مُحدثةً همهمة داخل صدري، تلك التي أبذل قصارى جهدي مُحاولةً تجاهلها، لقد ازداد الأمر سوءًا عندما أوقف السائق عجلة القيادة وأعلنها قائلًا:

- هذا هو المكان تقريبًا يا أنسة دافيس، وحينها على الفور اصطدمت السيارة بالطريق المُمهّد بالحصى، وقد أدت جوانب الطريق إلى الغابة الكثيفة المُظلمة التي كانت تزداد قتامةً كلما مضينا قُدمًا، امتدت الأطراف المُتشابكة إلى الأعلى وتدلت الأغصان وكأن كل واحدة منها تود لو أن تُصافح الأخرى، وها هي أشجار الصنوبر تتلوى بدورها حاجبةً نور الشمس، كما أن إحدى الشجيرات والتي هي مزيج من الأوراق والأشواك والجذوع المُتشابكة تبدو وكأنها إحدى لوحاتي التي قد عادت لتوها إلى الحياة مُجددًا، سرعان ما اقتربنا من إحدى البوابات الحديدية التي تقود بدورها إلى مُخيّم نايتنجيل، إنها أشبه بدعوة مفتوحة للدخول، على الرغم من أن هيئتها لا تبدو مُحفزةً على فعل ذلك على الإطلاق، ثمة جدران حجرية يصل ارتفاعها لحوالي أربعة أقدام من الغابات كما أن هناك ممرا مُزخرفاً ينحني إلى جوار الطريق ويمنحنا الانطباع أننا على وشك دخول مقبرةٍ ما.

ها هو المُخيّم يكشف عن نفسه على دُفعات تدريجية، وها هي هياكل البناء تتسلل خلسة إلى مجال الرؤية وكأنه قد تم دفعها عن طريق أيدي أحد العاملين في المسرح، فكل شيء هنا يدخل ضمن بقايا ومخلفات الأرض عندما كانت مُنتجعًا خاصًا لآل هاريس، وها هم الآن يقومون بإعادة توظيفها من أجل أغراض المُخيّم كما أن مبنى الفنون والحرف اليدوية يتدلى قليلًا إلى الأسفل ويستخدم كإسطبل للخيول، لقد تم طلاء كل شيء باللون الأبيض وتم استخدام زخارف كعكة الزنجبيل كما يوجد مشتل للزهور في الوجهة الأمامية تتألق فيه نبتة الزعفران المُشرقة والزنبق البري، توجد قاعة الطعام الضخمة في الجوار، والتي تبدو أقل جمالًا وأكثر نفعية كما أنه تم

تحويل أحد مخازن القش القديمة إلى مقهى بالإضافة إلى أحد الأبواب المفتوحة والتي تُظهر حركة العمال في الداخل أثناء نقل الطعام لشاحنة التوصيل، إلى يميني توجد المقصورات، والتي لا أتمكن من رؤيتها جيدًا عبر الأشجار، فما من شيء سوى تلك الطحالب التي تُغطي الأسقف وتلك الشظايا الفضية من أشجار الصنوبر.

ألمح عدداً من الفتيات الجالسات في إحدى الزوايا، أولئك اللواتي يرتدين ثيابًا تكشف عن أقدامهن وأذرعهن بالإضافة إلى خصلات شعرهن اللامعة، للوهلة الأولى أشعر بأن مُخيم نايتنجيل لم يتغير عن السابق قبل أن أغادره بعدة سنوات. يتملكني إحساس غريب حقًا فأنا أشعر بأني أسافر عبر الزمن من خلال رحلاتٍ مكوكية تمكنني من الانتقال إلى الماضي، ها أنا أحس وكأنني أضع قدمًا في الحاضر وأخرى في الماضي، وعلى الرغم من ذلك فهناك خطب ما في هذا المكان فأنا أشعر وكأن جواً من الإهمال يُمسك بتلابيب كل شيء تمامًا كما خيوط العنكبوت، فكلما بقيت هنا لفترةٍ أطول كلما أصبحت أكثر وعيًا بتلك الأشياء التي تغيرت خلال الخمسة عشر عامًا الأخيرة.

جدير بالذكر أن ساحة التنس وميدان الرماية تشهد حالة مُذهلة من الإهمال حاليًا، فالأعشاب الضارة الشائكة تنتشر عبر أسطح الملاعب وتظهر في هيئة خطوطٍ مُتعرجة، إن العشب المنتشر في غرفة ميدان الرماية يصل إلى مستوى الرُكبة كما أن أطرافه مُنقطة بكرات القش المتعفن الذي كان يومًا يُحقق أهدافًا نافعة، في الأعلى بداخل مبنى الفنون والحرف اليدوية البريء من الدَنس كان أحد عمال الصيانة مُعلّق في مستوى السقف يدق بمطرقته لحظة مرور سيارة المدينة، حينها تعرفت عليه، ذلك الرجل ذو الوجه المستدير المُخضّب بالخمرة الذي رأيته خِلال زيارتي الأولى.

أتذكر رؤيته يتجول في أرجاء المُخيَم بينما يستمر في القيام بأعمال الإصلاح، لقد كان أصغر سنًا حينها، وبالطبع كان أكثر وسامة حيث كان يتمتع بذلك المظهر الكئيب الذي يُرهب البعض ويثير فضول البعض الاخر.

- ذات يوم سأحصل على أداته تلك، قالتها فيفيان بينما كنا نتناول الغذاء معًا في إحدى المرات وحينها حدقنا في وجهها بارتياب.

لوحت له بمجرد وصولي املةً أن يتذكرني بعد أن كبرت، لكنه أعاد نظرته إلى عمله وقام بالدق مُجددًا بمطرقته رافقًا إياها قليلًا. في تلك الأثناء استدارت السيارة حتى وصلت إلى النُزل والذي وصفته فراني في السابق بأنه أقرب إلى منزل بعيد عن الديار، أجل أنه يبدو كذلك بالفعل ولا يبدو بالصورة الأخرى التي يدعيها الاخرون، وذلك لأنه تم بناؤه لتحقيق ذلك الغرض منذ البداية عندما قام جدها بإنشائه على شاطئ البحيرة.

ذلك المنزل الصيفي الذي تم شراؤه من أجل عائلة تُفضّل الطبيعة على البقاء في نيوبورت، تمامًا كان شأن النُزل كما بقية هياكل المباني القديمة يتسم بذلك الثُقل والرزانة التقليدية، أجد نفسي أفكر في كل تلك السنوات التي شهدها هذا المكان، كل تلك الفصول والعواصف والأسرار.

- لقد وصلنا، قالها السائق بمجرد أن توقفت السيارة في مُجابهة باب النُزل الأحمر.

سوف أحمل حقائبك من الشاحنة، قالها عندما بادرت بالخروج بأقدامٍ مُتصلبة وألم في الظهر، ها أنا الآن مُحاصَرة كُليًا بالهواء المُنعش، ها هي رائحته التي كنت نسيتها باتت تأكل أنفي مُجددًا تلك التي تفوح منها رائحة الصنوبر النقي والتي تختلف كُليًا عن أبخرة وأدخنة غازات المدينة. تلك التفاصيل البسيطة التي أشعلت مئات الذكريات داخل رأسي والتي كنت قد نسيتها تمامًا ومنها على سبيل المثال المشي عبر الغابات خلف فيفان أو الجلوس بمفردي داخل البحيرة متأملةً كل شيء ولا شيء في وقتٍ واحد، لقد قامت الرائحة بإغرائي ودفعتني إلى المُضي قُدمًا من دون أن يكون لديَ أي فكرة إلى أين أنا ذاهبة.

- سأعود في الحال، قلتها للسائق الذي كان مشغولًا تمامًا في حمل الحقائب وصندوق لوازم الطلاء الخاص بي.

- إنني بحاجة لتحريك قدمي بعض الشيء، أقولها مواصلةً المشي حول النُزل حتى أتوجه إلى المُنحدر العُشبي الموجود خلفه. هناك أجد ما قادني إليه ذلك الهواء الطَلِق إنها بحيرة منتصف الليل، تلك التي بدت أكثر ضخامةً مما كنت أعتقد. ففي ذاكرتي بدت أقرب إلى حجم حديقة السنترال بارك، كنت أعتقد أنها شيء ما يُمكن للمرء التحكُم فيه وفرض سيطرته، ففي الواقع تبدو

المنطقة شاسعة واسعة كما أن التألق يهيمن على كافة المناظر الطبيعية، فالأشجار المتشابكة تُبطّن ضفة البحيرة المجابهة كما أن الأفرع تنحني بالقرب من المياه. ها أنا أسلك منحدر الحديقة حتى أصل إلى أحد الأرصفة المرثّة المطلّة على المياه، هناك حيث تواجد زورقان بخاران، على الشاطئ يوجد رفين تكدست فوقهما القوارب المقلوبة كما الحطب، ها أنا أمشي على الرصيف بينما تكاد أقدامي تنزلق بين شقوق الألواح ثم يتردد صوت صدى المياه في الأرجاء، أقف على الحافة لألقي نظرة بعيدة عن الشاطئ تصف إلى نصف ميل، تبدو الغابات هناك أكثر كثافةً كما أن هناك جداراً كثيفاً من أوراق الشجر التي تتلألا تحت أنوار ضوء الشمس والتي تبدو مُرحّبة ومُحرّمة في آنٍ واحد.

ها أنا لا زلت أحدق في الشاطئ البعيد عندما اقترب شخص ما، وها أنا أسمع صوت حفيف حذائه ينبعث من العُشب والذي تلاه صوت حركة ألواح رصيف المرفأ، قبل أن أتجول بالجوار سمعت صوت زقزقة عصافير يقبض على أنفاس النسيم.

- ها أنت ذا!، خرجت تلك الكلمات من فم فتاة تبدو في العشرينيات من عمرها والتي كانت تركض نحوي بينما كان خلفها شاب في مثل عمرها تقريبًا، كلاهما كان يافعًا ووسيمًا ولائقًا، أعتقد أنها لم يكونا ضمن لاعبي رياضة البولو الرسمية في مُخيّم نايتنجيل فهما ربما أقرب إلى أحد عارضي الأزياء، فهما يمتلكان نفس ذلك البهاء والتوهُج.

- أنت إيما، أليس كذلك؟ يا إلهي إنها أنت إذن!، قالتها المرأة، وحينها قمت بمد يدي أملًا في مصافحتها ولكن انتهى الأمر بجذبها لي ومعانقتي بشدة، لم تقم بذلك على طريقة فراني أثناء لقاء الفتيات الصغيرات.

- من اللطيف حقًا لقاؤك، قالتها بعد أن أنهت العناق بأنفاس لاهثة بعد بذلها كل هذا المجهود.

- أنا ماندي خطيبة تشيت، قالتها الفتاة مشيرةً إلى ذلك الشاب الذي كان يمشي ناحية الشاطىء وقد استغرق مني الأمر حوالي لحظة حتى أدرك أنها كانت تقصد تشيستر ابن فراني الأصغر، لقد نضج وأصبح رجلًا طويل القامة مشدود القوام، إنه طويل جدًا إلى هذا الملحوظ الذي يجعل قامته تتفوق طولًا علينا معًا، ها هو يقف بطريقة تعكس وعيه

بذاته وثقته بنفسه. إن هيأته الآن تختلف تمامًا عن صورة ذلك الطفل القصير الذي كنت أراه يجوب أرجاء مخيم نايتنجيل، على الرغم من أن بعض علامات الصبيانية لا زالت محفورة على وجهه، ويتمثل ذلك أيضًا في شعره الرملي المموج الذي يغطي إحدى عينيه وابتسامته الخجولة التي يرسمها على شفتيه ليهمس قائلًا:

- مرحبًا.

- في الواقع، لقد كنت أحاول إعادة التعارف مع البحيرة من جديد، قلتها رغم أنها لم تكن الحقيقة، فالبحيرة هي من كانت تتعرف عليّ إن أردنا التعبير بشكلٍ أدق.

- أجل بالطبع، قالتها ماندي بطريقة مهذبة مُتجاهلةً طريقتي الغريبة غير الاعتيادية في التجول في الأرجاء حول البحيرة وكأن هناك خطب ما.

- ألا تبدو لطيفة؟ على الرغم من أن الطقس ليس جيدًا على الإطلاق، فهي لم تُمطِر منذ أيام، وتبدو البحيرة بحالة مُزرية.

لم ألحظ ذلك إلا في تلك اللحظة التي لوحت لي فيها ناحية علامات الجفاف الواضحة البارزة حول المياه، كما أن تلك النباتات النامية على ضفتها باتت جذوعًا بُنية اللون- تلك المناطق التي غمرتها المياه يومًا ما. جدير بالذكر أنه قد وقع الجفاف خلال زيارتي الأولى لذلك المكان أيضًا، ففي إحدى المرات لم تُمطر لمدة أسبوعين، لازلت أتذكر كيف تسلقت أحد القوارب تاركةً بصمات حذائي على الأرض المُشمِسة في الطريق الفاصل بين ضفة البحيرة والمياه نفسها، كنت أتطلع كذلك لرؤية نفس رقعة تلك الأرض الظمأى في تلك اللحظة التي أمسكت فيها ماندي بيدي وقادتني للخروج من المرفأ.

- نحن حقًا سعداء لعودتك إلى المخيم ثانيةً يا إيما، تحديدًا فراني أسعدها الأمر، ستكون عطلةً صيفية رائعة، قالتها ماندي.

بالرجوع إلى الشاطئ، يجدر بي القول إني ذهبت لمصافحة تشيت في تلك الأثناء وحينها قلت له:

- إيما دايفيس، ربما أنت لا تتذكرني الآن، قلتها وأنا أرغب في تحقيق تلك الأمنية حقًا لكنه باغتني قائلًا:

- كلا أنا أتذكرك جيدًا.

- قبل أن تمكثي هنا عليك أن تذهبي لرؤية فراني يا إيما، قالتها ماندي بسرعة.

- ولكن لماذا؟ ما الأمر؟

- هناك مشكلة صغيرة تتعلق بمسألة السكن والإقامة، ولكن لا تقلقي ستقوم فراني بحل كل شيء.

تركت ماندي خطيبها تشيت في الخلف شبكت ذراعها بذراعي وأرشدتني إلى المنحدر ثم إلى النُزل، تلك هي المرة الأولى لي بداخل المكان، لقد كنت مندهشة للغاية حيث إن المكان لم يبد كما توقعته، فعندما كنت طفلة كنت أتخيل مثلًا أنه بالداخل يوجد خلاصة الفن المعماري، ذلك النوع من المنازل الريفية التي يلجأ إليها نجوم السينما من أجل قضاء عطلات عيد الميلاد في أسبن.

لم يبد النُزل على هذا النحو، إنه مُتعفن وخافت الإضاءة، سيطرت على الجو الداخلي رائحة المدافئ الخشبية التي تعمل بالحطب كما أن مدخل القاعة قادنا إلى منطقة معيشية كبرى محشوة بالأثاث الفُهتري البالي كما أنه تم تغطية جدران المكان بالقرون الطويلة وجلود الحيوانات ومجموعات متنوعة من الأسلحة العتيقة والبنادق وسكاكين باوي ذات الشفرات السميكة الحادة والرماح.

- كل شيء هنا قديم للغاية، أليس كذلك؟، سألت ماندي ثم أضافت:

- في الواقع أنا أعشق التحف القديمة، لكن بعض الأثاث هنا قديم جدًا، لقد انبهرت بالمكان منذ اللحظة الأولى التي أحضرني فيها تشيت إلى هنا حينها شعرت كأنني أنام في أحد متاحف الفنون، لكن سيتطلب مني الأمر أن أقضي عطلة صيفية بأكملها حتى أحصل على إعجاب والدة زوجي المستقبلية.

إنها حقًا مُتحدثة جيدة، وعلى الرغم من أنها مُرهقة إلا أنها فتاة ذات نفع وفائدة.

أثناء مرورنا إلى اليسار نجد مكتبًا صغيرًا فإذا بي أقف جامدةً في مكاني لأسأل:

- ما الذي يوجد في الداخل؟

- غرفة المكتب.

أحاول جاهدةً رفع رقبتي إلى الأعلى حتى أتمكن من استراق النظر إلى الداخل، وإذا بعيني تقع على عدد كبير

من الصور المؤطرة التي تملأ أحد الجدران بينما يزدحم الجدار الاخر بأحد رفوف الكتب، ألقي نظرة خاطفة على زاوية المكتب لحظة مضينا قدمًا فإذا بي أجد الهاتف الدوار قديم الطراز ومصباح تيفاني التقليدي.

- إنني أستخدم ذلك المنفذ الكهربائي من أجل شحن هاتفي، قالتها ماندي ثم أضافت:

- يمكنك أيضًا القيام بذلك، فقط احذري أن تراك فراني فهي تريدنا جميعًا ألا نتصل بشبكة الإنترنت وعوضًا عن ذلك أن نتواصل بشكلٍ عميق مع الطبيعة.

- كيف حال خدمة الإنترنت هنا؟

- سيئة جدًا وبطيئة بشكلٍ لا يُوصف، قالتها ماندي بصوتٍ مُختنق وواصلت حديثها قائلةً:

- في الواقع لا أعرف كيف ستتأقلم الفتيات بدورهن مع موقفٍ كهذا!

- ألا يمكن للمخيمين استخدام هواتفهم؟

- يمكنهم حتى لحظة نفاذ بطارياتهم ، فما من كهرباء داخل المقصورات، أوامر فراني كما تعرفين.

إلى يميني يوجد درج يؤدي إلى الطابق الثاني، جدير بالذكر أن درجاته في غاية الدقة والصغر كما أنها ضيقة بشكلٍ لا يُحتمل كما أن أسفلها يتواجد باب يمتزج بدوره مع الجدار الأصلي وهناك أيضًا مقبض نحاسي وثقب باب عفا عليه الزمن.

- وما هذا المكان؟

- إنه القبو، قالتها ماندي ثم أضافت:

- في الواقع أنا لم أهبط إلى هنا بالأسفل، من المؤكد أنه ليس أكثر من مجرد أثاث قديم تُغطيه خيوط العنكبوت.

نمضي قُدمًا في طريقنا بينما تلعب ماندي دور المرشد السياحي حيث إنها تمنحنا تعليقًا مُفصلًا حول إرث العائلة المنتشر في الأمكنة.

ثمة لوحة شخصية للسيد بوكانان هاريس والتي أقسم أنه ربما تم رسمها على يد الفنان جون سنغر سارغنت ، ذلك النوع من اللوحات القديمة الذي يجعلك تشعر بالفخامة وتستجيب اليًا قائلًا:

- من المؤكد أنها غالية الثمن جدًا.

ها نحن نعود مُجددًا إلى المرفأ الذي يمتد حول العرض الكامل للنُزل حيث تتواجد الكثير من الصناديق الخشبية المُكتظة بالزهور التي تقوم بتزيين الأفرع الصغيرة كما أنه يوجد عدد من الطاولات الصغيرة المنتشرة حول المرفأ وكراسي أديروندداك التي تم طلاؤها جميعًا باللون الأحمر تمامًا كما واجهة الباب الرئيسي، جلست كلًا من فراني ولوتي على بعض الكراسي كما أنهن حرصن على ارتداء نفس تلك السراويل الخضراء القصيرة الخاصة برحلات التخييم المعتادة والتي بدت تمامًا كتلك الثياب التي ارتداها تشيت وخطيبته ماندي.

تفقدت فراني بحيرة مُنتصف الليل بعينيها من خلال تواجدها عبر أحد زوايا الرؤية المرتفعة في المرفأ، في تلك الأثناء كانت لوتي تنقر على شاشة جهاز الآيباد ثم توقفت عندما وجدتنا نقف سويًا بالخارج.

- إيما!، قالتها لوتي بوجهٍ مُشرق بعد أن جذبتني نحوها بشدة ومنحتني عناقي الخامس خلال هذا اليوم.

- أنت لا تعرفين حقًا مدى سعادتي برؤيتك اليوم!

اتفقت معها فراني في ذلك وقالت على الفور:

حقًا إنه أمر رائع!

على عكس لوتي لم تنهض فراني من مكانها حتى تقوم بإلقاء التحية عليّ، لقد باغتتني الدهشة حتى تلك اللحظة التي أدركت فيها مدى ضعفها وتعبها، كانت تلك هي المرة الأولى التي أراها فيها منذ تناولنا الغداء معًا منذ أشهر عديدة، ولقد كان التغيير مُذهلًا. لقد افترضت أن عودتي مُجددًا إلى بحيرتها الحبيبة سيجعلها أكثر حيوية وحماسًا، ولكن على نقيض ذلك لقد بدت فراني بالمعنى الحرفي للكلمة امرأة عجوز.

قبضت عليّ فراني بينما كنت أُحدق في وجهها بفضول وقالت:

- ثمة قلق واضح في نافذة عينيك يا عزيزتي، لا تظني أنه ليس بمقدوري رؤيته، لكن لا تخافي شيئًا، أنا فقط مُتعبة من تلك الأنشطة الكثيرة التي قمت بها، لقد كنت نسيت مدى إرهاق يوم التخييم الأول، فما من وقت فراغ على الإطلاق، لكنني سأكون بخير في الغد.

- أنت بحاجة إلى الراحة، قالتها لوتي.

- وهذا ما أحاول فعله، ردت عليها فراني بحدة بعض الشيء

أتنحنح قليلًا ثم أقول:

- هل أردت رؤيتي من أجل شيءٍ ما؟

- أجل، في الواقع أخشى أن هناك مشكلة ما، قالتها فراني بعد أن قطبت جبينها قليلًا.

لقد نظرت لي في السابق نفس تلك النظرة عند لحظة وصولي الأولى إلى المخيّم عندما أوصلتني سيارة الفولفو الخاصة بالعائلة إلى النُزل في تمام الساعة الحادية عشر، حينها قامت فراني بإلقاء التحية علينا ثم رسمت على وجهها نفس هذا التعبير الذي أراه لتوي الآن وقالت:

- لم أكن أتوقع قدومك الآن، فعندما لم أجدك برفقة الأخريات أدركت أنك قمت بإلغاء الحجز.

- أية مشكلة؟، سألتها في فزع كان قد جعل صوتي يبدو غليظًا.

- في الواقع إن الأمر يبدو شائكًا بعض الشيء، ربما أكثر تعقيدًا مما كنت أظن

- ما الأمر؟

- المسألة تتعلق بمكان إقامتك، أين سنضعك؟

- أجل، قلتها وأنا أتذكر جيدًا أنها سألتني نفس هذا السؤال منذ خمسة عشر عامًا في السابق.

في تلك الأيام الخوالي الماضية، كان لتأخري عذر في حد ذاته فبعد أن قامت إدارة المخيّم بالفعل بترتيب جلوس الفتيات داخل الغرف تبعًا لعامل السّن خلال ذاك الصباح لم يكن هناك إلا غرفة واحدة فقط فارغة للفتيات اللواتي كن في نفس عمري ومن ثم فقد أجبرت حينها على المكوث مع فتيات أكبر مني سنًا وكنتيجة مباشرة لذلك فقد انتهى بي المطاف حينها في غرفة فيفان وناتالي وأليسون، لقد أرهبتني سنواتهن الحياتية الإضافية وبشرتهن الممتلئة بحبوب الشباب وأجسادهن الممتلئة الناضجة.

ها هي فراني الآن تخبرني بدورها أن العكس هو المشكلة.

- لقد كانت نيتي تتمثل في أن أمنح المدربات بعض الخصوصية، كنت أفكر أن أجعل لكل واحدة منكن غرفة خاصة بها وحدها ولكن حدث بعض الخلط أثناء عملية

التخطيط ذاتها وقد عثرنا على عدد أكبر مما توقعناه من الفتيات اللواتي قدمن لقضاء عطلتهن الصيفية في المخيم.

- هناك خمس عشرة فتاة إضافية!، قالتها لوتي بشكل عفوي.

- وهذا يعني أنه يجدر بالمدربات مشاركة السكن مع بعض المخيمين.

- ولماذا لا يمكن للمدربات المكوث معًا في غرفة واحدة؟

- لقد سألتها نفس السؤال منذ قليل يا إيما، قالتها لوتي.

في الواقع يبدو هذا جيدًا من الناحية النظرية ولكن كل غرفة تسمح بأربعة أشخاص فقط، وعدد المدربات خمسة وكنتيجة لذلك ستضطر إحداكن إلى المكوث مع المخيمين أيضًا، وهذا ليس عادلًا لأن يتم تطبيق ذلك مع مُدربة واحدة.

- ألا يمكننا المكوث إذن في النُزل؟

- هذا المكان مُخصص للعائلة فقط، قالتها ماندي بعدما قفزت من مكانها من إحدى الزوايا التي كانت تُراقب فيها محادثتنا ثم هزت يديها بتباهٍ مُشيرةً إلى إصبعها الذي يُحيط به خاتم الخطبة السمين، على الرغم من أن الرسالة لم تكن دقيقة إلا أنها كانت واضحة جدًا، فهي تريد أن تقول أنها واحدة من أفراد العائلة خلافي بالطبع.

- ما تقصده ماندي أنه على الرغم من سعادتنا لاستضافتكن في النُزل الخاص بالعائلة إلا أنه ما من مساحة كافية، فالمظاهر خداعة، فعلي الرغم من أن هذا المنزل يبدو في غاية الكبر والضخامة من الخارج إلا أنه ما من غرفة إضافية لدينا تحديدًا بالنسبة لخمسة أشخاص وكما تعرفين أنه لا يمكنني أن أقوم بتفضيل بعض الأشخاص لذا أعتذر لك.

- لا مشكلة، قلتها وأنا لا أقصد ما أتفوه به على الإطلاق، فأنا في الثامنة والعشرين من عمري،و أن يتم إجباري على قضاء ستة أسابيع في أحد معسكرات التخييم مع فتيات غريبات في نصف عمري، بالطبع لم أوقِّع من أجل هذا، لكن ما يبدو أنه ما من طريقة للالتفاف حول الأمر.

- في الواقع يا إيما أعرف أن الأمور ليست على ما يُرام بالنسبة لك، فالموقف مُحرج جدًا وأنا اسفة فعلًا

أني وضعتك فيه كما أني لا ألومك إذا قررت العودة إلى السيارة والتوجه مباشرةً إلى الديار.

في الواقع كنت لأفعل ذلك لو كان لي منزل يمكنني العودة عليه، لكن الفنانة التي قامت باستئجار شقتي العلوية الآن تتحرك في كل مكان في كل دقيقة، لقد قامت بالدفع والحجز حتى منتصف شهر أغسطس، فهذا هو الواقع كما اعتاد مارك أن يقول دائمًا.

- حسنًا، هل يمكنني على الأقل أن أقوم باختيار مقصورتي؟

- في الواقع على الرغم من أن الجميع قد استقر في مقصورته بالفعل إلا أنه يمكنني تلبية طلبك، أخبريني ما الذي يخطر ببالك؟

أتحسس بيدي سواري السحري وأقول:

- أرغب في المكوث في المقصورة التي تحمل اسم نبات القرانيا.

تلك المقصورة التي مكثت فيها منذ خمسة عشر عامًا، وعلى الرغم من أن فراني لم تقل شيئًا إلا أنني عرفت جيدًا فيم فكرت. لقد تحول تعبير وجهها بسرعة عندما لمعت أضواء الشمس على صفحة البحيرة كاشفًا نوعاً من الارتباك ثم الفهم ثم الكبرياء.

- هل أنت واثقة حقًا أنك ترغبين في فعل ذلك؟

في الواقع أنا لست واثقة من فعل أي شيء على الإطلاق، على الرغم من ذلك أمنح فراني إيماءة قوية إيجابية لأقنعها وكذلك لأبرهن لنفسي أن تلك هي رغبتي فعلًا، من الواضح أن فراني اقتنعت بالفعل حيث إنها نظرت إلى لوتي وقالت لها:

- من فضلك قومي بترتيب ذلك من أجل إيما واحرِصي على مكوثها في مقصورة القرانيا ثم نظرت إليَ وقالت:

- إما أنك شجاعة جدًا أو حمقاء جدًا يا إيما، في الواقع لا يمكنني أن أقرر أياً منهما .

كذلك أنا لا يمكنني أن أقرر بهذا الشأن، لكني أفترض أني مزيج من الصفتين نظرًا لوجودي هنا الآن.

قبل خمسة عشر عامًا

في تلك اللحظة التي تلاشى فيها صوت سيارة عائلتي الفولفو وسط الليل البهيم تعلمت شيئين، أما الأول فهو أن فرانسيسكا هاريس وايت كانت ثرية جدًا بشكلٍ يتعذر على الكلمات وصفه، والشيء الثاني هو أنها تمتلك نظرة نجمة سينمائية، لا زال الجانب الخاص بالثراء يُربكني فهو مهيب في حد ذاته، فصوره تنعكس في كل شيء في الحي الغربي العلوي، ولكن ماذا عن نظرة فراني؟ تلك التي تجعلني أقف مُتجمدةً في مكاني من فرط الرهبة، عيناها الخضراء العميقة التي تُمسك بي كما لو كانت أنوارا كاشفة، تُنيرني وتدرسني جيدًا، وعلى الرغم من كل ذلك فهي ليست نظرة قاسية، ثمة دفء يسكنها وكرم يُحيط بأحداقها، في الواقع لا يمكنني أن أتذكر آخر مرة نظر لي فيها والداي بتلك الطريقة الحنونة، وهذا بدوره جعلني أقف بهدوء في غاية السعادة أتركها تأخذني بكل انسيابية.

- يتوجب عليَ أن أعترف يا عزيزتي أنه ليس لديَ أية فكرة أين أضعكِ؟، قالتها فراني ثم وجهت نظرتها إلى لوتي وسألتها:

- هل هناك أي غرفة مُتبقية من تلك التي حجزها المخيمون الصغار؟

- في الواقع جميع الغرف مُكتملة، ففي كل واحدة منها حوالي ثلاثة مُخيمين واستشاري واحد، إن المكان الوحيد المتبقي هو مقصورة للكبار، يمكننا إذن أن نرسل أحد الاستشاريين إليها ولكن ربما لا يسير الأمر على نحو جيد إذن لأننا سنترك إحدى مقصورات الصغار من دون إشرافٍ أو توجيه.

- في الواقع أنا مترددة لأن أقوم بذلك، ما هي المقصورة المفتوحة؟

- مقصورة القرانيا.

وجهت فراني نظرتها إليَ مُجددًا مُبتسمةً:

- حسنًا ستذهبين إلى مقصورة القرانيا إذن، من فضلك يا لوتي اذهبي لإحضار ثيو لحمل حقائب إيما دايفيس.

اختفت لوتي نهائيًا بداخل منزل ضخم يقع خلفنا، وبعد دقيقة ظهر شاب يافع يرتدي سروالاً قصيراً وقميصاً ضيقاً، كان لديه ذلك النوع من العيون الناعسة والشعر البني

الأشعث كما أنه كان يرتدي قبقابًا.

- هذه هي ايما دايفيس يا ثيو، ضيفتنا الجديدة في مخيم نايتنجيل، إنها تنوي المكوث في مقصورة القرانيا.

حان دوري الآن لأنظر إليه لأن ثيو لم يكن كأي فتى عادي فهو لم يكن لطيفًا فحسب مثل نولان كوبنهاجن لكنه كان وسيمًا بالمعنى الحرفي للكلمة، فقد كان يمتلك عينين بنيتين واسعتين وأنفاً بارزاً وابتسامة معقوفة والتي ارتسمت على شفتيه عندما قال:

- مرحبًا أيتها المنضمة حديثًا، أهلًا بك في معسكر نايتنجيل، دعينا نذهب الآن إلى مقصورتك.

تمنت لي فراني قضاء ليلة سعيدة عندما توجهت برفقة ثيو إلى المخيَّم، كانت نبضات قلبي تتسارع بشدة لدرجة أني خشيت أن يسمع صوتها، أعرف أن جزءًا من ذلك يعود إلى قلقي الشديد من وجودي في مكانٍ مجهول مع أشخاصٍ غير معروفين بالنسبة إليَ، ولكن ثمة سبب آخر وراء خفقان قلبي بتلك السرعة الجنونية وهو وجود ثيو نفسه. لم أكن قادرة على إشاحة نظري بعيدةً عنه عندما مشى بضع خطوات أمامي، لقد تأملته تمامًا بنفس تلك الطريقة التي تأملتني بها فراني.

علقت عيني جيدًا على قامته الطويلة وخطواته الواسعة العريضة الثابتة وتابعت انسيابية أكتافه وحركة ثيابه الرثة بفوضوية، كانت عضلات جسده تبرز بوضوح أثناء حمله الحقائب، فأنا أعرف جيدًا أنه ما من ولد في مثل سنه يمتلك ذراعين قويتين هكذا مثله، لم يُزعجني أيضًا كونه ودودًا للغاية معي حيث إنه كان يسألني من أين أنا، وما هو نوع موسيقاي المفضلة وإن كنت قد ذهبت في السابق إلى أحد معسكرات التخييم؟

كانت إجاباتي ضعيفة غير مسموعة وسط صوت نبضات قلبي المتسارعة المهتاجة، لقد كشفت عن توتري وقلقي بكل وضوح وقد تبين ذلك فعندما وصلنا إلى المقصورة استدار ثيو وقال:

- أرجوك لا تشعري بالتوتر، ستحبين المكان هنا.

طرق ثيو على باب الغرفة وحينها جاء صوت من الداخل يقول:

- من هناك؟

- أنا ثيو، هل أنت مستيقظة ومهذبة؟

أجاب نفس الصوت:

- مستيقظة أجل، لكني لست مهذبة على الإطلاق.

أعطاني ثيو الحقائب وأومأ لي من أجل تشجيعي على الدخول:

- هيا ادخلي وتذكري أن نباحهن أسوأ من لدغتهن!، قالها ومضى بعيدًا بينما استمر ذاك القبقاب الذي كان يرتديه يحدث صوتًا مسموعًا أثناء سيره، عندما أمسكت بمقبض الباب وتوجهت إلى الداخل لم أتمكن من رؤية الكثير من الأشياء داخل المقصورة حيث إنها كانت قاتمة غير مضاءة إلا عن طريق أحد المصابيح اليدوية التي تم وضعه بجوار أحد النوافذ المجابهة للباب. في ضوء ذلك النور الذهبي الخافت رأيت تلك الأسِرّة ذات الطابقين المُحتلّة من قبل الفتيات الثلاثة.

- أنا فيفان، قالتها الفتاة التي كانت تتمدد على الفراش الأعلى ناحية اليمين ثم أشارت على الفور ناحية الفراش المجابه لها وقالت:

- وهذه أليسون وبالأسفل ناتالي.

- مرحبًا، قلتها مُمسكةً بحقائبي على عتبة المقصورة شاعرةً بالخوف الشديد من الدخول أكثر من ذلك.

- خزانتك بالقرب من الباب، قالتها الفتاة ذات الخدود العريضة والذقن الهائلة التي تُدعى ناتالي ثم أضافت:

- يمكنك وضع ثيابك هنا.

- شكرًا لك.

قمت بفتح الخزانة الخشبية وبدأت على الفور في نقل كافة الثياب التي قمت بشرائها إليها، وضعت كل شيء باستثناء ثوبي الداخلي والذي احتفظت به قبل أن أقوم بدفع الحقيبة أسفل الفراش، تسللت فيفان من فراشها العلوي مرتديةً قميصاً قصيراً وزوجين من السراويل الداخلية، جدير بالذكر أن ثيابها المكشوفة تلك جعلتني أتحفظ عن خلع ثيابي بحرص مستعينةً بثوب النوم الخاص بي.

- أعتقد أنك أصغر سنًا، هل أنت واثقة أنه يفترض بك التواجد هنا معنا؟، قالتها ثم أعادت نظرتها إلى الأخريات اللواتي لا يزلن مختبئات داخل أسرتهن.

- أليس هناك مقصورة خاصة بالرُّضع حيث بإمكاننا إرسالها إليها؟

- أنا في الثالثة عشرة من عمري، لست طفلة، قلتها.

- لست طفلة؟!، قالتها فيفان بلهجة استهجان جعلتني أشعر بالخوف والذهول على حدّ سواء.

لقد أخافتني هيئتهن جميعًا بالفعل، إن ثلاثتهن يبدين كنساء ناضجات بينما أبدو أنا مجرد فتاة صغيرة حيث إنني كنت نحيلة ذات صدر مُسطّح.

- هل هذه ليلتك الأولى التي تتغيبين فيها عن المنزل؟، سألتني أليسون والتي كانت رشيقة وجميلة ذات شعر عسلي اللون.

- لا.

قلت ذلك لأني كنت أبيت في منازل أصدقائي والتي كانت تبعد بضع بنايات فقط عن منزلنا، أعرف جيدًا أن الأمر ليس نفسه.

- هل أنتِ واثقة أنك لن تقومي بالبكاء الليلة؟ فكل المبتدئين يبكون في ليلتهم الأولى! هذا أمر لعين يمكن التنبؤ به بسهولة، قالتها فيفان.

أخافني استخدامها لكلمة «اللعين»، جعلني أتجمد في مكاني، لقد كانت طريقة نطقها لتلك الكلمة مختلفة تمامًا عن تلك الطريقة التي كانت تستخدمها كُلًّا من هيذر وماريسا صديقاتي أثناء محاولاتهن المستميتة لإثبات أنهن ناضجات ورائعات، تلك الطريقة التي انزلقت بها الكلمة على لسان فيفان توحي بأنها تستخدمها كثيرًا في الواقع، لقد أدركت منذ تلك اللحظة أن أولئك الفتيات أكثر قوة وحكمة وقسوة ومن ثم فإذا كنت أود أن أنجو يتعين عليَ إذن أن أبدو مثلهن، فما من خيارٍ آخر على الإطلاق، قمت بإغلاق غطاء خزانتي ثم ذهبت لمواجهة فيفان وقلتَ:

- إذا كنت سأبكي فهذا لأنني مكثت برفقتكن أيتها السافلات.

مرت دقيقة من دون أن تتفوه إحداهن بحرف، ولم أكن أعرف. تُرى هل كانت ردة الفعل تلك كناية عن إعجابهن أم غضبهن، رغم أنني كنت أتوق داخليًا حقًا للبكاء منذ تلك اللحظة التي غادر فيها والداي بسيارتهم تاركين خلفهم غلالة من الغبار تتطاير أعلى الطريق الممهد بالحصى.

لاحظت رؤيتهن أسفل أغطيتهن محاولات إخفاء ضحكاتهن.

رسمت فيفان ابتسامة عريضة على وجهها وهزت رأسها كما لو كنت لتنوي قلت لهن إطراء:

- أحسنت اللعب يا طفلتي.

- لا تُنادني بطفلتي، قلتها مُحاولةً التظاهر بالقسوة على الرغم من أنني أرغب حقًا في البكاء، ولكني شعرت حينها بالراحة قليلًا وقلت:

- اسمي ايما.

صافحتني فيفان وعبثت بخصلات شعري قائلةً:

- حسنًا يا إيم، أهلًا بك في معسكر نايتنجيل، والآن هل أنتِ جاهزة لتستعدينا على إدارة هذا المكان؟

- بالطبع، قلتها وأنا لست واثقة من أن هناك شخصاً رائعاً حقًا يمنحني بعض الاهتمام على هذا النحو.

ففي المدرسة قضيت أيامي أختلط فقط بهيذرا وماريسا وتم تجاهلي تمامًا من قبل الفتيات الأكبر سنًا، ولكن ها هي فيفان تُحدّق في وجهي الآن وتطلب مني الانضمام إلى جماعتها الخاصة.

- رائع! لأننا في الغد سنقوم بعملٍ خطير.

الفصل السادس

من الخارج بدت مقصورة القرانيا تمامًا كما غادرتها، نفس تلك الجدران البنية الخشنة، وذلك السقف الأخضر المعلّق المرقّط بأكوام الصنوبر، لا زالت نفس تلك اللافتة المرثّبة تُعلن اسمها مُجددًا، في الحقيقة لم أتكن أتوقع وجودها بنفس الهيئة، لقد اعتقدت أني سأراها قديمة وبالية ومُتهالكة، كان ذلك بمثابة تذكير قوي أنني ابتعدت خمسة عشر عامًا عن صورة وعالم تلك الطفلة الباكية التي كانت هنا ذات يوم، ثمة أمر غريب، إنني أشعر أنه ما من وقتٍ قد مضى على الإطلاق ليفصل بين اللحظة الماضية والآنية، وكأن ذلك العقد الماضي والنصف من حياتي لم يكن أكثر من مجرد حلم، إنه شعور مُربك حقًّا مخيف بعض الشيء لكنني أواصل التحديق في المقصورة فهناك شيء ما بخلاف الخوف يجذبني إليها. أجل، إنه الفضول، ذلك الشعور الأكثر متانة وحِدة، إنني أرغب في الولوج إلى الداخل، أود أن أنظر في الأرجاء وأن أرى كل تلك الذكريات التي تسكن المكان، لهذا السبب أنا هنا الآن وعلى الرغم من أنني قمت بالإمساك بمقبض الباب وفتحه إلا أن يدي ترتعشان، لا أعرف ما الذي أتوقع إيجاده بالداخل، ربما يكون هناك أشباح، ولكن بدلًا من ذلك إنني أرى ثلاث فتيات مختلفات مفعمات بالنشاط والحيوية، أتأملهن جيدًا لحظة تمددهن على أسرتهن. ها هن ينظرن إليّ مأخوذات باقتحامي المباغت

- مرحبًا، أقولها بصوتٍ وديع أشبه بالاعتذار وكأنني آسفة على غزو مساحتهن الخاصة. أقوم بجر حقيبتي خلفي فأنا لم أكن برفقة مجموعة من المراهقات منذ أن كنت في مُخيم نايتنجيل للمرّة الأولى، فبعد كل ما حدث هنا انجذبت بدوري نحو صداقة الفتيان، تحديدًا الخجولين والمهووسين بالدراسة منهم مثل أولئك المولعين بالمسائل الرياضية أو الخيال العلمي أو أعضاء نادي الدراما تحديدًا المتخرجين حديثًا، لقد أصبح هؤلاء أعضاء قبيلتي ولازالوا في نفس مكانتهم، فأنا أشعر بالراحة في وجودهم، أعرف أن الأولاد بمقدورهم كسر قلبك وخيانتك لكنهم لا يفعلون ذلك بنفس الطريقة اللاذعة التي تقوم بها الفتيات، أتنحنح قليلًا وأقول:

- أنا أيما.

- مرحبًا أيما، أنا ساشا، قالتها أصغر الفتيات سنًا والتي كانت في الثالثة عشرة من عمرها أثناء مكوثها مُتمددة على قمة فراشها ناحية اليسار بينما كانت أقدامها النحيلة تتدلى إلى الأسفل، كانت ساشي تمتلك وجهًا ودودًا مألوفًا وابتسامة عريضة ووجنات مُستديرة وعيوناً لامعة مُشرقة والتي برز لونها أكثر عندما ارتدت نظارات ذات إطار أحمر اللون، وجدت نفسي أشعر بالراحة في وجودها، على الأقل إحداهن تبدو لطيفة.

سعدت بلقائك يا ساشا، أنا كريستال، قالتها الفتاة الماكثة في الفراش الموجود أسفلها، كانت تختبأ داخل سترة كبيرة الحجم وسراويل قصيرة وجوارب بيضاء مُزودة بأشرطة زرقاء تُحيط بها وتصل إلى أعلى الرُكبة، وإلى جوارها كان تتواجد دُمية دب رثة مهترئة كما أنها كانت تحتضن كتاب القصص الهزلية المصور «كابتن أمريكا».

أستدير مُتجهةً إلى الفتاة الأخرى الماكثة في الغرفة والتي كانت ترقد مُمددةً على أحد جانبيها في الفراش العلوي ثانيةً مُثبتةً رأسها إلى الأمام، لقد قامت بتقييمي في صمت، فعيناها اللوزيتان كانتا تحملان بداخلهما وميضًا من الازدراء والفضول كما أنه ثمة ماسة مرصعة قامت بتزيين أنفها بها، لقد بدت تمامًا كما رفيقاتها اللواتي في السادسة عشرة من العمر غير راضية عن أي شيء على الإطلاق من حولها.

- اسمي ميرندا ، هل تمانعين إن أخذت الفراش العلوي؟

- لا مشكلة، الفراش السُفلي جيد بالنسبة إليّ، أقولها وأنا أقوم برفع حقيبتي فوق الفراش وأشعر وكأن المرتبة تتأوه من فرط ثقل وزنها، ها هي ميرندا تتسلق إلى الأسفل كاشفةً عن ذراعها وساقها النحيلة كما أنها عقدت قميصها البولو حول حجابها الحاجز وكشفت عن بطنها المشدودة كما أن هناك ماسة أخرى مرصعة تستقر في سُرّة بطنها.

لا زالت ميرندا تتمدد على فراشها، لقد أدركت المغزى من ذلك على الفور، فالأمر ببساطة لا يقتصر على إعلانها شيئًا ما بشكلٍ صامت فهي امرأة متسلطة قوية تقوم بتحديد منطقتها الخاصة وتحاول أن تبدو بالنسبة للجميع بصورة الفتاة الأكثر إثارة، ها هي تستخدم إحدى حيل فيفان

القديمة، إنني أشعر تمامًا كما أول مرة دخلت فيها إلى المقصورة، فقد داهمني حينها شعور بالارتجاف والجبن، لم أكن أعلم ما الذي يتعين عليّ فعله لاحقًا عندما حدقت الفتيات في وجهي بطريقة متوقعة. حسنًا على الرغم من أن ساشا وكريستال رحبن بي إلا أن ميرندا لازالت تمارس تمددها على الفراش مطلقةً تنهيدة درامية.

- هل أخبروكم في السابق أنني سأمكث هنا معكن؟

- لقد أخبرونا أن شخصًا ما آخر سيكون هنا، قالتها كريستال.

- لكنهم لم يقولوا إن هذا الشخص سيكون في نفس عمرك! قالتها ميرندا.

- آسفة لإحباطك.

- هل تعملين استشارية؟ سألت ساشا.

- الأمر أشبه بوجود جليسة أطفال!، أضافت كريستال.

- الأمر أقرب إلى وجود سجان!، أصابت ميرندا التعبير.

- في الواقع أنا رسامة، لقد جئت إلى هنا حتى أقوم بتدريس الرسم وكيفيته.

- وماذا لو لم نكن نود أن نتعلم الرسم؟، سألت ساشا.

- أنتن لستن مضطرات لذلك، أنا هنا من أجل من تريد فقط.

- أنا أحب أن أرسم، قالتها كريستال، ومدت يدها لمحاولة الإمساك بعددٍ من المفكرات ودفاتر الملاحظات الموجودة بالأسفل، وقد قامت بالتقاط أحدها من الكومة ثم فتحته وقالت:

- أترين ؟

قامت كريستال برسم صورة لامرأة تبدو كبطلة خارقة، امتلكت المرأة عضلات مُنتفخة نتيجة لحمل أوزان من الحديد كما أن عينيها تتوهجان بالجرأة وثوبها أزرق داكن مُزود بجمجمة خضراء تبرز من ناحية الصدر كما أن عيون الجمجمة تتوهج احمرارًا.

- هل حقًا قمت برسم هذه؟، سألتها بعد أن ظهرت على وجهي علامات الإعجاب.

- إنها رائعة جدًا.

لقد كانت رسمتها مدهشة فعلًا، فوجه البطلة الخارقة

كان مثاليًا بالإضافة إلى أنها استخدمت ضربات الفرشاة الخاصة بها في إتقان ذقنها المربّعة وأنفها البارزة وعينيها المليئتان بالتحدي كما أن شعرها شهد تفرعات واضحة، لقد تمكنت كريستال حقًا عبر القلم الرصاص أن تنقل جرأة وجسارة وشجاعة تلك المرأة بشكلٍ ملموس.

- لقد أسميتها «ساحقة الجماجم» فبمقدورها قتل أي رجل بيديها فقط.

- إنها رائعة فعلًا، وبما أنك فنانة بالفعل سأسمح لك بالرسم بينما أقوم بتدريب الأخريات.

وافقت كريستال على عرضي مُبتسمةً وتفوهت: رائع جدًا، واستمرت في تحديقها لي وكذلك ساشا وكأنهما ترغبان في أن أكمِل حديثي، لقد شعرن بالحرج الشديد ومن ثم سألتهن على الفور:

- إذن لماذا جئتن إلى المُخيَم؟

- اقترحت علي مستشارة التوجيه الخاصة بي ذلك الأمر، قالت إنها ستكون تجربة تعليمية جيدة بالنسبة لي بما أنه لديَ فضول وحب استطلاع

- حقًا؟ حيال ماذا؟

- في الواقع لديَ حب استطلاع إزاء كل شيء أراه، قالتها ساشا.

بينما قالت كريستال:

- أرادني والدي أن آتي، فقال لي بالحرف الواحد إما إن تتوجهي إلى المُخيم أو أن تقومي بتحضير النقانق في مكانٍ آخر.

- أعتقد أنك قمت بالخيار الصحيح.- لم أكن أرغب في المجيء، قالتها ميرندا ثم واصلت حديثها قائلةً:

- لقد أجبرتني جدتي على فعل ذلك، وقالت إما إن أذهب إلى المُخيّم أو أن أتورط في متاعب المنازل.

- ألا تحبين المكان هنا حقًا؟، سألتها.

هزت ميرندا أكتافها في لامبالاة وحينها قلت على الفور:

في حقيقة الأمر، هناك شيء ما أرغب في أن أكون واضحة حياله، أنا لست هنا حتى ألعب دور الأم البديلة أو جليسة الأطفال أو السجان، قلتها وأنا أنظر إلى ميرندا فأنا لا أرغب أن أقف في سبيل حريتكن.

تذمر الجميع.

- أليس هذا هو الكلام ذاته الذي يتفوه به الجميع مع الأطفال؟ نحن لسنا أطفالًا بعد.

- بالطبع لا، شددت كريستال على قولها.

- حسنًا بغض النظر عن مدى تطابق ذلك أو تشابهه مع ما يُقال في الغالب فأنا هنا على أية حال من أجل مساعدتكن على تعلم الرسم إذا أردتن ذلك أو حتى مجرد الحديث معكن، من فضلكن تعاملن معي كأختكن الكبرى التي تقضي برفقتكن إجازة الصيف، أريدكن فقط أن تستمتعن بعطلتكن.

- لديَ سؤال هل حقًا توجد دببةٌ في هذا المكان؟

- أعتقد ذلك، قلت لها.

- لكني سمعت أنها تخاف مِنا أكثر من خوفنا منها.

- لقد قمت ببعض البحث في المنزل قبل المغادرة وقرأت أن هذا غير صحيح.

- ربما لا، قلتها.

ولكن من اللطيف حقًا أن نتخيل ذلك، أليس كذلك؟ ماذا عن الأفاعي؟ ماذا تعرفين عنها؟ كم عدد الأفاعي السامة بينها؟، أنظر إلى ساشا، تلك الفتاة المذهلة التي يملؤها الفضول وحب الاستطلاع، يا لها من فتاة غريبة مُبهجة ترتدي نظارات سميكة مصقولة تغطي نصف أنفها النحيلة كما أن عينيها تتسع في براءة وظهر خلف تلك العدسات.

- في الواقع لا أعرف ولكن أعتقد أنه يتوجب علينا أن نقلق كثيرًا بشأن الأفاعي على وجه التحديد.

- إذن علينا الانتباه إلى الفتحات، لقد قرأت أنه منذ مئات آلاف السنين كانت تلك المنطقة بأكملها مغطاة بالأنهار الجليدية وقد تخلل الثلج إلى أعماق الأرض والتهم بدِوره الحجر الرملي والكهوف العميقة، وفي بعض الأحيان تنهار بعض الكهوف بغتةً من دون سابق إنذار تاركةً وراءها فوهات ضخمة، لقد قرأت أنه بإمكانها ابتلاعك فجأة وحينها لا يمكن لأي أحد العثور عليك مُجددًا.

توقفت ساشا فجأة لتلتقط أنفاسها اللاهثة وحينها قلت لها:

- أعتقد أننا سنكون بخير.

- أعتقد أن الشيء الوحيد الذي يتوجب عليك القلق بشأنه هو اللبلاب السام والضياع في الغابة الشاسعة، قالتها ساشا مُضيفةً:

- طبقًا للويكيبيديا مسألة اختفاء الناس في الغابات تحدث طيلة الوقت.

أومأ برأسي، فتلك هي الحقيقة الوحيدة التي يمكنني أن أؤكدها كما أنه ليس بمقدوري أبدًا أن أنساها.

الفصل السابع

عندما حان وقت العشاء، بقيت في الخلف مُتذرعةً بحجة أني أود إفراغ حقائبي وتغيير ثيابي لأرتدي سراويل التخييم وقمصان البولو الرياضية مثل الجميع، لكن الحقيقة هي أنني أردت بشدة أن أجلس بمفردي داخل مقصورة القرانيا ولو للحظة على الأقل. ها أنا أقف في منتصف المقصورة، أدور ببطء مُحاولةً امتصاص كل شيء من حولي، يبدو الأمر مختلفًا عن خمسة عشر عامًا مضت، فالمكان يبدو أصغر حجمًا وأكثر ضيقًا تمامًا كما عربة النوم بالقطار الأحمر التي قضيت فيها ليلة برفقة مارك من باريس إلى نيس، لكن أوجه الاختلاف بينهما تتفوق على أوجه التشابه، لديها نفس الرائحة تلك التي تفوح من الصنوبر والأرض المتعفنة وكذلك القليل من رائحة الخشب المحروق، لا زال لوح الطابق الثالث يُحدث صريرًا كما أن الزخرفة المُحيطة بالنافذة الوحيدة لازال طلاؤها الأزرق يبدو باهتًا، هناك لمسة من الغرابة لاحظتها منذ المرة الأولى لزيارتي هذا المكان.

أتذكر أصوات الفتيات الثلاث تمامًا كما لو كانت مجرد أصداء قادمة من بعيد، تلك اللقطات العشوائية التي كنت نسيتها كُليًا حتى هذه اللحظة، ها أنا أسمع صوت غناء أليسون «أشعر أنني جميلة» بينما تجوب الأرجاء راقصةً مرتدية قميص البولو الواسع الخاص بها، ها هي ناتالي تجلس على حافة فراشها السُفلي مُتباهيةً بوضع بلسم الكالامين المُرطب على ساقيها ثم تقول:

إن هذا البعوض مهووس بي حقًا، ثمة شيءٍ ما في دمي يجذبه إليّ.

- لا أعتقد أن الأمر هكذا، أقولها لها مُقاطعةً إياها.

- ولكن لماذا إذن يقوم بلدغي وحدي ولا يقترب منَ أي واحدة منكن؟!

- بسبب عرقك! فالبعوض يحب رائحة العرق كثيرًا وينجذب إليها! عذرًا يا فتيات على التحلي بتلك الروح المراهقة.

ها هو هاتفي يرن فجأة ومن دون مقدمات عميقًا داخل جيبي، وها أنا أمسك به بعد أن أخرجني من تلك الخاصة التي انغمست فيها كُليًا في ذكريات أذهب إليها عامدةً من

أجل الشعور ببعض الراحة، أنظر في شاشة هاتفي وأرى أن مارك يحاول التواصل معي عبر تطبيق الفايس تايم، لا أعلم إن كانت مكالمتنا سوف تكتمل أم لا نظرًا لرداءة الإنترنت هنا.

- مرحبًا فيرونيكا مارس، كيف حال عمليات التجسس؟، قالها مارك مازحًا.

- أنا لا زلت في البداية، قلتها بينما كنت أحاول الجلوس على حافة الفراش واضعةً يدي أسفل وجهي ثم قلت له:

- بالمناسبة لن تطول مكالمتنا لأن الإشارة هنا مريعة جدًا.

يعبس مارك مُعبرًا عن ذلك بنبرته المعتادة أنه يتحرك في مطبخ حانته الآن، فصوت صرير باب الثلاجة المقاوم للصدأ يصل إلى أذني.

- كيف حال مُخيم بحيرة كريستال؟

- خالٍ من القتلة المُلثَّمِين.

حسنًا ، هذه ميزة إضافية.

- لكنني أقيم في غرفة واحدة مع ثلاثة فتيات مراهقات.

- لسن في مجال عملك بالتأكيد، كيف تبدو هيئتهن؟

- في الواقع يمكنني أن أصفهن بأنهن وقحات إذا كان لا يزال من الممكن استخدام تلك الكلمة التي عفا عليها الزمن.

- كلمة «وقح» ليست قديمة الطراز أبدًا، إنها أشبه بالجينز الأزرق أو الفودكا، هل هناك أسرّة ذات الطابقين داخل المُخيّم؟

- أجل!

تغير تعبير وجه مارك من العبوس إلى الذُعر.

- أوه يا عزيزتي! أنا آسف حقًا أني أقنعتك بالعودة إلى هناك مُجددًا.

- أنت لم تقنعني بذلك، كل ما فعلته هو أنك جعلتني أواجه نفسي عن قُرب

- لكني لم أكن أعرف أن الوضع مُزر إلى هذا الحد إلى درجة الأسرة ذات الطابقين.

بدأت صورة مارك تتلاشى أمامي على الشاشة وعندما حرك رأسه إلى الجانب الاخر اختفت الصورة تدريجيًا:

- أعتقد أن الاتصال ينقطع من جانبك، قلتها ولكن يبدو

أن هذا بسبب رداءة الإشارة في المكان الذي أتواجد فيه الآن.

ها هو وجه مارك يتجمد أمامي على الشاشة، فما من شيء سوى بقعة ضبابية، وعلى الرغم من أني لا زلت أسمع صوته في أذني إلا أن ثمة انقطاعات داخلية وخارجية تُعيق المكالمة والتي لا تسمح لي بالإنصات جيدًا لكل كلمة يقولها، فلم أسمع سوى هل تشعرين...؟ هل... على ما يرام؟، تلك الكلمات المتقطعة غير المتجانسة، لم أكن أعرف ما الذي يقصده بذلك، ها هو هاتفي يتخلى بغتةً عن تلك الصورة الشبحية وها هو الاتصال ينقطع تمامًا، تستحيل شاشتي بغتةً فارغة تمامًا، وها هو انعكاس وجهي يحل محل وجه مارك. أطيل التحديق فيه مصدومةً كما أبدو مُتعبة أو أكثر من ذلك. لا عجب أن ميرندا قد استطاعت بالفعل ربط ذلك بعمري، فأنا أبدو بالفعل كبيرة في السّنّ مقارنةً بهن، يدفعني الأمر للتساؤل كيف كانت لتبدو صورة بقية فتيات مقصورة القرانيا في يومنا الحالي؟ بالتأكيد كانت أليسون لتبدو لطيفة وجميلة تمامًا كما أمها التي قد رأيتها منذ عدة سنوات في حفل إعادة إحياء مقطوعة سويدني تود. لقد قضيت العرض كله أتساءل كم مرة تفكر تلك السيدة في ابنتها، تساءلت لو كان هناك صورة لأليسون في غرفة ملابسها الخاصة وما إذا كانت رؤيتها تجعلها تشعر بالحزن، أعتقد أنه لو كانت ناتالي ظلت على قيد الحياة حتى الآن ما كانت لتظل ضخمة الحجم ويرجع الفضل في ذلك إلى الألعاب الرياضية التي تقوم بها الفتيات في الجامعة، ولكن ماذا عن فيفان؟ أنا واثقة أنها كانت لتبقى كما كانت من قبل، نحيلة تتماشى مع الموضة، تمتلك ذلك النوع من الجمال الذي يحمل الكثير من العجرفة، أتخيلها ترمقني بنظرة واحدة ثم تقول:

- أعتقد أننا بحاجة لنتحدث عن شعرك قليلًا، وكذلك خزانة ثيابك.

أدفع بالهاتف مرة أخرى داخل جيبي وأفتح حقيبتي، وأقوم بتغيير ملابسي على وجه السرعة ثم أرتدي زوجين من السراويل القصيرة وقميص البولو الرسمي الذي وصل عبر البريد خلال أسبوعين، وكذلك قمت بوضع بقية الملابس داخل خزانتي بالقرب من الباب، إنها نفس

خزانتي السابقة منذ المرة الأولى يمكنني أن أعرف ذلك بعد أن أقوم بإلقاء نظرة على تلك البقعة الرمادية التي تُلطّخ البطانة الحريرية، أغلق الخزانة ثم أمرر يدي على الغطاء حتى أشعر بنتوآت وانحرافات تلك الأسماء جميعها التي تم حفرها على الخشب، هناك ذكرى أخرى تحتل رأسي الآن، ها أنا أرى نفسي عند صباح اليوم الأول من زيارتي لمخيم نايتنجيل أركع على ركبتي أمام صندوق الخزانة مُمسكةً بسكين جيب باهتة اللون في يدي.

هيا احفري اسمك، قالتها أليسون.

- أجل، إن كل فتاة تقوم بذلك، أومأت ناتالي، هذا تقليد شائع هنا.

اتبعت التقليد وقمت بحفر اسمي على الخشب، حرفين باللونِ الأبيض في مُجابهة خشب قاتم.

إيما

تقف فيفان ورائي أثناء قيامي بحفر اسمي. صوتها الناعم المُحفّز يتردد صداه في أذني. هيا افعليها. اتركي علامتك الخاصة. دع الأجيال القادمة تعرف أنك كنت هنا يومًا. أنظر إلى الجانب الآخر من المقصورة. أتأمل الخزانتين المجاورتين للباب. صناديق ناتالي وأليسون في السابق. لقد تلاشت أسماؤهن مع مرور الوقت، يمكن تمييزهما بالكاد عن باقي الصناديق المحيطة بهم. ها أنا أنتقل إلى الخزانة القريبة مني، تلك التي كانت تخص فيفان، لقد حفرت اسمها على منتصف الغطاء، وقد بدا أكبر من الآخرين.

فيفان

أقوم بفتح خزانتها على الرغم من أني أعرف أنها قد باتت تخص ميرندا الآن، وبأن الأشياء الموجودة بالداخل ليست ثياب فيفان وليست تلك الأدوات والإزاجات التي أقسمت في الماضي أنها تُغطي رائحة مبيد الحشرات. ها هي ثياب ميرندا توجد بدلًا منها- تلك التشكيلة المتنوعة من السراويل القصيرة الضيقة وحمالات الصدر المزركشة والثياب الداخلية التي لا تُناسب أبدًا أجواء التخييم، في إحدى الزوايا تتواجد أكوام مكدسة من الكتب مثل الفتاة المفقودة، طفل روزماري، وقصص أخرى للكاتبة أجاثا كريستي.

جدير بالذكر أن البطانة الداخلية نفس الشيء فهي مصنوعة كذلك من الساتان الخمري تمامًا مثل خزانتي الخاصة، الفارق الوحيد بخلاف البقعة الرمادية هو وجود قطع يصل طوله إلى ست إنشات، يوجد إلى يسار الحواف المصنوعة من الريش. كان ذلك المكان هو موقع فيفان السّرّيَ الذي تضع فيه القلائد بعد خلعها أثناء نومها، كان هناك قلادة على شكل قلب تتدلى منه، كذلك تواجدت قطعة ذهبية مطعّمة بالزمرد في المنتصف، لقد عرفت مكانها السّرّيَ هذا لأني شاهدتها تستخدمه خلال يوم التخييم الأول، لقد كنت أفتش في خزانتي بحثًا عن فرشاة الأسنان وحينها رأيتها تركع أمام خزانتها الخاصة وقد قامت بخلع العقد ووضعته لبعض الوقت بين يديها المضمومتين.

إنها جميلة جدًا حقًا يا فيفان، هل هي إرث؟

- إنها تخص أختي.

- عفوًا؟

- لقد ماتت.

- أنا آسفة جدًا يا فيفان.

رفرف القلق داخل صدري كما الطائر الحبيس، فأنا لم ألتق من قبل بشخص ماتت شقيقه عنه، ومن ثم فلم أكن أعرف كيف يتعين عليَ أن أتصرف. لم أكن أقصد إثارة هذا الموضوع، قلتها لفيفان وحينها قالت لي إنها تتفهم موقفي كلّيًا، لكنني فعلت على أية حال ومن الصحي أن أتحدث حول تلك المسألة الآن كما أخبرني طبيبي النفسي، ها أنا أشعر برجفة أخرى، ربما حدث ذلك بعد أن تحدثت عن شقيقتها الميتة وأزمة العلاج النفسي؟ في تلك اللحظة شعرت أن فيفان هي أغرب مخلوقة التقيتها في حياتي بأسرها على الإطلاق! لا زلت أتذكر عندما سألتها: وكيف ماتت؟ وحينها أجابتني على الفور: لقد غرقت.

- يا إلهي، قلتها بعد أن كبلتني الصدمة فلم أكن أعرف ما الذي يتعين عليَ قوله لاحقًا. لم تقل فيفان شيئًا آخر. لقد مررت أصابعها ببساطة داخل قطع البطانة الحريرية وسمحت للعقد بالانزلاق إلى الداخل بعيدًا عن الأنظار. ها أنا الآن أحدق في القماش وأتحسس بيدي تلك القطعة من المجوهرات الخاصة بي، فعلى نقيض فيفان لم أقم بخلع

سواري الشخري يومًا في حياتي حتى أثناء النوم وكذلك أثناء الاستحمام وحتى عندما أقوم بالرسم لذلك تنشأ آثار التآكل نتيجة لكثرة الاستخدام، جدير بالذكر أن كل تلك من تلك الطيور يخدش برأسه إلى الخارج ويبرز كما الندوب، تجدر الإشارة أيضًا إلى أن الكثير من نقاط الطلاء المجفف تُلطخ رؤوس الطيور الدقيقة. ها أنا أبعد يدي اليمنى عن السوار وأقوم بغمسها داخل قطع البطانة.

يدغدغ النسيج معصمي عندما أمد أصابعي لتحسس الغطاء، أنا لا أتوقع العثور على شيءٍ ما، من المؤكد أنني لن أجد القلادة التي كانت فيفان ترتديها في آخر مرة غادرت فيها المقصورة للمرة الأخيرة، لكنني أتعمد فعل ذلك حتى أتيقن أنه ما من أثرٍ قد تبقى لفيفان بعد، فالشيء الوحيد الموجود داخل الغطاء مُستقر بالقاع محشور بين الخشب والقماش هو قطعة من الورق مقسومة نصفين، أمرر أصبعي على طولها. ها أنا أضغط على الحافة بين سبابتي وإبهامي وأقوم بتمريرها بين البطانة، لقد أكسبها الزمن لونًا أصفر، ظِل باهت يُذكرني بصفار البيض المجفف. أسمع صوت خشخشة الورقة يحتل أذني عندما أقوم بفتحها- وإذا بها تكشف عن صورة فوتوغرافية لشخص أكبر سنًا . ها أنا أتأمل الصورة جيدًا وأدرسها، إنها أقرب لتلك الصور التي ربما يمكن العثور عليها في متحف أكثر من مسألة العثور عليها في معسكر تخييم. إنها قديمة عتيقة بُنية اللون وبالية مهترئة عند الحواف. إنها تصور امرأة شابة ترتدي ثوبًا بسيطًا والتي تجلس في مُجابهة جدار مكشوف مُستديرة ناحية إحدى الزوايا التي تكشف شعرا طويلا قاتما ينساب على ظهرها ويبدو وكأنه يبرز من الإطار، تُمسك المرأة بين يديها بفرشاة فضية وترفعها ناحية صدرها في اعتزاز وكأنها أغلى شيء تملكه. من ناحيتي أرى إيماءة المرأة مألوفة مُحببة للنفس على الرغم من أنه ربما يرى أحدهم إمساكها بالفرشاة بذلك الإحكام الشديد ما هو إلا إيحاء بغطرستها، فقد يتصور بعضهم أنها تقضي يومها تُدلك فروة رأسها وتُداعب خصلاتها وتعبث بضفائرها فحسب لكن تعبير المرأة الذي عكسته الصورة أكد لي أن الأمر ليس كذلك.

على الرغم من أنها ساكنة إلا أن وجهها لا يوحي أبدًا أنها تنعم بالسلام والسكينة فشفتاها مضغوطتان معًا

مكونة خطاً مسطحاً، وجهها تملؤه الكدمات وعيناها داكنة جامحة يسكنها الحزن والوحدة وشيء أخر، ذلك الشعور الذي أعرفه جيدًا وهو المعاناة والضيق، أحدق في عينيها وأجدها مألوفة جدًا، لقد رأيت هذا التعبير من قبل في عيني ليس بعد أن غادرت مُخيم نايتنجيل ولكن في المرة الأخيرة، ها أنا أقلب الصورة وأجد أحد الأسماء المطبوعة فوقها بالحبر الباهت، لقد كُتب فوقها اسم «إلينور أوبرون».

أشعر بثقل المزيد والمزيد من الأسئلة التي تُرهق كاهلي، من تلك المرأة؟ متى تم أخذ تلك الصورة لها؟ وفوق كل هذا من أين حصلت فيفان عليها؟ ولماذا قامت بإخفائها هنا في صندوق خزانتها الخاص؟ في الواقع إن محتويات الصفحة بعد قلبها لم تتمكن من تزويدي بأية معلومات وها أنا بدلًا من ذلك أرى بعض الخطوط المرسومة على ورقة تبدو وكأنه تم انتزاعها من أحد دفاتر الملاحظات، جدير بالذكر أن النقطة المركزية للرسم أشبه بالفقاعة كما أن هناك مئات الأشكال الظلامية القاتمة غير الواضحة، بمجرد أن تأملت تلك الطريقة التي تم رسمها بها شعرت تِلقائيًا بأن يدي التي أرسم بها تؤلمني للغاية ، فأسفلها يتواجد المزيد من الأشكال الفوضوية، لا تبدو كما الدوائر بالضبط ولا كما المربعات وهناك ناحية اليسار دائرة أو مربع من تلك الأشكال الغريبة غير المحددة والتي تبدو أكبر حجمًا من الأشكال الأخرى، عندما أتأملها أدرك جيدًا شيئاً ما وأشهق في ذعر.

لعدة أسباب أدركت أن فيفان لم تقم برسم مُخيم نايتنجيل لكنها قامت برسم بحيرة منتصف الليل والتي كانت تستحوذ على النصيب الأكبر من المشهد وتسترعي الانتباه كما أنها رسمت عددا من الخطوط المائلة والتي كانت رؤية تجريدية للغابات المحيطة بها، كما أنه قد تلا ذلك رسمها لسلسلة من الأشكال التي تمثل المقصورات، لقد تمكنت من عد عشرين واحدة منها تمامًا كما هو الوضع في الواقع وتلك البقعة الضخمة كانت بالطبع تُمثل النُزل الذي يقود الشاطئ الجنوبي للبحيرة. قامت فيفان برسم مقصورة أخرى ذات حجم مماثل على الجانب الاخر من البحيرة والتي تؤدي مباشرةً إلى المُخيم، لقد وضعتها إلى جانب المياه بمعزل عن كل شيء، ولم يكن هناك أية هياكل بناء في هذا الجانب وربما أنا لست مدركة لذلك.

تماما كما أمر الصورة الفوتوغرافية كانت اللوحة عصية على التفسير، حاولت أن أفكر في سبب منطقي دفع فيفان لرسم تلك اللوحة لكني لم أتمكن. لقد سبق وجاءت إلى هنا ثلاث عطلات صيفية على التوالي وبالتالي فهي ليست بحاجة لأن تقوم برسم خريطة حتى لا تضل طريقها، لكن هذا ما يبدو عليه الأمر فالخريطة لم تكن للمخيم فقط ولكن للبحيرة بأكملها، لقد ذكرتني بصورة القمر الصناعي التي أخذت أدرسها خلال رحلتي عبر السيارة قدومًا إلى هنا، فها هي البحيرة بأكملها في صورة واحدة سهلة الاستخدام، أحاول تقريب اللوحة إلى وجهي لأركز بدوري على تلك المنطقة التي تقع على الجانب الآخر من المُخيّم بدلًا من تركيزي على ملامح المعسكر ذاته، أتأمل تلك المسافة القصيرة خلف ذلك البناء الغامض والتي يمكن تمييزها بالكاد عن الغابات المحيطة به.

أرى وجود علامة خطأ بالأعلى، تم رسمها بخط صغير لكنه ملحوظ، إنها قريبة من مجموعة من المثلثات الخشنة التي تشبه جبالا صغيرة تم رسمها على يد أحد طلاب روضة الأطفال. استخدمت فيفان قوة إضافية لرسمها. ها هي الخطوط تندفع بسلاسة إلى الورق لتخلق انبعاجاتٍ مُتقاطعة، هذا يعني مدى أهمية ذلك بالنسبة إليها، فهناك شيء على قدر من الأهمية تم وضعه هناك. قمت بطي الصورة داخل الخريطة ثم حاولت تأمينها جيدًا داخل صندوق خزانتي الخاص. ما أقلقني أن فيفان بذلت كل هذا الاهتمام من أجل إخفائها لذلك يتعين عليّ القيام بنفس الشيء إذن، فهذا على أي حال سِرها، وأنا بالفعل ماهرة للغاية في الحفاظ على تلك الأسرار.

قبل خمسة عشر عامًا

- هناك شيء واحد يتوجب عليك معرفته جيدًا بخصوص هذا المكان، قالتها فيفان ثم واصلت لتوها:

- يتعين عليك ألا تصلي أبدًا في الموعد المحدد، فإما أن تكوني الأولى أو الأخيرة.

- هل هذا يتعلق بمواعيد الوجبات أيضًا؟

- تحديدًا مواعيد الوجبات، فأنت لا تعرفين مدى هوس وجنون أولئك العاهرات حول مسألة الطعام تلك.

كان ذلك صباحي الأول في مُخيّم نايتنجيل، وقد خرجت برفقة فيفان من المرحاض ثم توجهنا معًا إلى قاعة الطعام الضخمة، وعلى الرغم من أن جرس تناول الوجبات قد رن متأخرًا بعد مرور خمس عشرة دقيقة إضافية إلا أن فيفان لم تُظهِر أية إشارة على عجلتها فقد حرصت على خفض سرعتها بشكلٍ ملحوظ مُشبّكة ذراعها بذراعي حتى وصلنا معًا إلى قاعة الطعام الكبيرة وحينها حاولت إجباري على إبطاء حركتي. جدير بالذكر أننا عندما وقفنا بالخارج لاحظنا وجود فتاة ذات شعر مُجعّد تقف خارج مبنى الفنون والحرف اليدوية ممسكةً بكاميرا تتدلى حول عنقها. لقد لاحظتنا أيضًا لأنه ثمة وميض انبعث من عينيها بدوره، ربما كان هذا إيحاءً بمعرفتنا أو ربما كان علامةً على شعورها بالقلق المُباغِت، على أية حال لم يستمر ذلك طويلًا فسرعان ما قامت برفع الكاميرا الخاصة بها قليلًا وتصويبها في طريقنا، لقد لاحقتنا عدساتها الزرقاء الداكنة منذ لحظة دخولنا إلى قاعة الطعام.

- من تلك الفتاة التي تقوم بالتقاط صورة لنا؟، سألتها.

- إنها بيكا، ردت فيفان مُضيفةً:

- لا تُعيريها انتباهًا، فهي عديمة الفائدة والأهمية.

أمسكت فيفان بيدي ودفعتني إلى الجزء الأمامي من الغرفة، هناك حيث تتواجد حفنة من عاملات المطبخ اللواتي يرتدين مشابك الشعر قبالة أواني الطعام التي يفوح منها البخار لأننا كنا ضمن تلك المجموعة التي وصلت متأخرًا، فلم يكن هناك داعٍ للانتظار، لقد كانت فيفان مُحقّة بهذا الشأن، وهذا لا يعني أنني شككت يومًا في قدراتها.

تجدر الإشارة أن الشخص الوحيد الذي جاء متأخرًا بعدنا هي فتاة صهباء تعمل استشارية وتُدعى كاسي والتي

كانت ترتدي قميص بولو الخاص بمعسكرات التخييم كما أنها كانت قصيرة- في نفس طولي تقريبًا- كما أنه ثمة إطار على شكل لؤلؤة كان يؤطر لباسها وقد أبرزته جيوب سروالها كبيرة الحجم.

- حسنًا، ألم تخبريني يا أنسة فيفان هوثورن الصيف الماضي أنك قد اكتفيت من هذا المكان، إذن لماذا لم تختاري البقاء بعيدًا؟ ولماذا لم تقومي بتقوية هذه العطلة الصيفية الآن؟

- ما من سبيل لذلك، في الواقع أعتقد أنني ربما أستمتع بتلك العطلة بسهولة أكبر هذه المرة، قالتها فيفان أثناء إمساكها بإصبعين من ثمرة الموز حيث قامت بوضع إحداهما في الإناء الخاص بي.

رمقتني المستشارة بنظرة تقييمية وبدت الدهشة جليةً على وجهها- ناهيك عن القليل من الارتباك الواضح- لتراني أقف إلى جانب فيفان.

- أنت فتاة جديدة، أليس كذلك؟

قامت فيفان بطلب طبقين من عصيدة الشوفان ثم منحتني طبقًا مرة أخرى ثم قالت:

- هذه هي كاسي يا إيما، أحد أعضاء مُخيّم نايتنجيل في السابق وقد أصبحت الآن مستشارة لديهم كما أن وجودي يُشكّل مصدر إزعاج لها على الدوام، هيا رحبي بها يا عزيزتي

قمت برفع صينية الطعام الخاصة بي إلى الأعلى والأسفل كمحاولة تلويح ضعيفة وقلت:

- سررت بلقائك.

- هذه تلميذتي، قالتها فيفان.

- يا إلهي! إنها حقًا فكرة مُخيفة!

استدارت كاسي ونظرت إلي مُجددًا ثم وضعت يدها على كتفي وقالت:

من فضلك تعالي لرؤيتي إذا حاولت إتلافك أكثر فأنا أمكث في مقصورة شجرة البتولا.

مضت كاسي في طريقها ثم ذهبت لصب كوب من القهوة والحصول على بعض الكعك من أحد تلك الأطباق الكبيرة، قبيل مغادرة صف الطعام قمت أنا الأخرى بطلب ما أريده حقًا لوجبة الإفطار حيث إنني كنت أريد الحصول على

الخبز المحمص وطبق من اللحم المقدد، وحينها نظرت فيفان جيدًا إلى أطباقي الجانبية ولم تقل شيئًا ثم مضينا في طريقنا إلى حيث أولئك الفتيات اللواتي كن يجتمعن حول طاولاتهن ويلتهمن طعامهن بطريقة مألوفة قد رأيتها سابقًا في مقصفنا المدرسي.

كانت الفتيات الصغيرات يجلسن بجانب بعضهن البعض في أحد الجوانب بينما كانت الفتيات الأكبر سنًا يجلسن في الجانب الاخر، وفي تلك الأثناء لم أكن ملتزمة أن أبدو مقبولة من الناحية الاجتماعية، فبعض الفتيات في نفس عمري قد لاحظن ذلك وراقبن بغيرة شديدة لحظة قيادة فيفان لي وجلوسي برفقتها حول تلك الطاولة المأهولة بالفتيات الأكبر سنًا، وقد لوحت للبعض وتجاهلت الأخريات قبل أن تُجلسني مع أليسون وناتالي.

استيقظت عندما غادرت كلتاهما المقصورة متوجهات إلى مرحاض المُخيّم، وعلى الرغم من دعوتهن لي إلا أنني قررت البقاء في الغرفة من أجل انتظار لحظة استيقاظ فيفان، فهي الفتاة الوحيدة التي كنت أوافق أن تعلمني كيفية تولي زمام الأمور، رغم أن كُلًا من أليسون وناتالي فتيات لطيفات إلا أنهن كن يذكرنني بصديقات المدرسة هيذر وماريسا، لقد كن فقط يبدين كنسخ أكبر سنًا منهن بينما كانت فيفان مختلفة جدًا، فأنا لم ألتق في حياتي فتاة مثلها، وقد كانت اهتمامها دافئًا مُشرقًا مُشجعًا تمامًا كما أضواء أشعة الشمس بالنسبة لفتاة خجولة مثلي.

- صباح الخير يا عاهرات، قالتها فيفان للأخريات.

- هل نمتن جيدًا؟

- كما المعتاد، ردت أليسون بينما أمسكت بطبق الفاكهة.

- وأنتِ يا إيما؟

- نمت بعمق، قلتها بينما كانت تلك مجرد كذبة، فالمقصورة كانت خانقة للغاية وهادئة بشدة، لقد افتقدت كثيرًا مُكيف الهواء وأصوات مقاطعة مانهاتن- كل أبواق السيارات المزعجة وعويل الصافرات عن بُعد، أما في مُخيّم نايتنجيل لم يكن هناك سوى أصوات ضجيج الحشرات وكذلك أمواج البحيرة المتلاطمة على الشاطئ، لقد اعتقدت أنني كنت سأعتاد على كل هذا.

- شكرًا للرب أنك لا تشخرين أثناء النوم يا ايما ، قالتها

فيفان ثم أضافت:

- لقد كانت إحداهن تُشخّر بالأمس كان صوتها أشبه ببقرة تحتضرا

- لم يكن الصوت سيئا إلى هذه الدرجة، قالتها ناتالي حيث إنها كانت تلتهم طبقين من لحم الخنزير المقدد بالإضافة إلى بقايا الفطائر المحلاة فقد كانت تقضمها وتمضغ الطعام وتتحدث في آنٍ واحد.

- أنت فقط تتصرفين بلؤم لأنك لم تعودي مُعجبةً بها بعد الآن.

لقد لاحظت بالفعل تلك الحركة الديناميكية الغريبة بين ثلاثتهن، فقد كانت فيفان أشبه بقائد تلك الحركة بينما كانت ناتالي ذلك الرياضي الذي يتصرف بخشونة بعض الشيء وكأنها أحد المعارضين أو أبطال المقاومة بينما كانت أليسون الجميلة الهزيلة تلعب دور واحد من قوات حفظ السلام، لقد برزت في الاضطلاع بدورها ذاك تحديدًا في هذا اليوم.

- حدثينا عن نفسك يا ايما ، قالتها مُضيفةً:

- ألا تذهبين إلى مدرستنا؟

- أجل بالطبع إنها لا تذهب إلي هناك وإلا لكنا عرفنا على الفور فنصف طالبات مدرستنا يأتين إلى هنا.

- إنني أذهب إلى أكاديمية دوغلاس.

قامت أليسون بتقسيم ثمرة البطيخ ثم رفعتها إلى مستوى شفتيها وأعادت ما تقوم به.

- هل يُعجبك المكان هناك؟

- أعتقد أنها مدرسة لطيفة فهي مُخصصة للفتيات فقط.

مدرستنا أيضًا كذلك، قالتها فيفان.

- لكنني في الواقع أشتاق فعلًا لقضاء عطلة صيفية بعيدًا عن أولئك الساقطات.

- لماذا؟، سألتني ناتالي مُكملةً:

- ألم تتظاهري أن نصفهن غير متواجدات هنا معنا؟

- تمامًا كما أتظاهر أنا الأخرى الآن لماذا لا تحاولين حشو وجهك بالمزيد من لحم الخنزير المقددا، قالتها فيفان مُدافعةً عني ثم أضافت:

- إذا واصلت تناول الطعام على هذا النحو ستكونين

الفتاة الأكثر بدانة في المخيم الصيف القادم.

تنهدت ناتالي ثم أسقطت نصف شريحتها في طبقها وقالت:

- هل تريدين البعض يا أليسون؟

هزت الأخيرة رأسها ودفعت بطبق الفاكهة الذي لم تأكل منه الكثير جانبًا.

- لقد شبعت، قالتها ناتالي.

- لقد كنت أمزح يا نات، أنا أسفة حقًا، في الواقع أنت تبدين بحالٍ جيدة، قالتها فيفان بينما كانت علامات الندم تبدو جليةً على وجهها.

ابتسمت حينها لكنني شعرت بأن كلمتها ظلت عالقة تمامًا كما الإهانة، وبناءً عليه فقد حرصت طيلة المساء على إبقاء عيني على طبق فيفان، فكنت أقلدها في كل شيء فإذا تناولت القليل من عصيدة الشوفان، كنت أتناولها أيضًا، حتى إنني حاولت أن تكون أجزاء وبقايا طعامي مُتطابقةً معها، فأنا على سبيل المثال لم ألمس ثمرة الموز خاصتي حتى لمست فيفان ثمرتها أولًا، وعندما قامت بإبقاء نصف الثمرة في صينية طعامها فعلت ذلك بدوري على الفور كما أنني لم ألمس خبزي المحمص وكذلك حصتي من اللحم المقدد، وقد قلت لنفسي إن الأمر يستحق العناء.

غادرت كل من فيفان وناتالي وأليسون قاعة الطعام أولًا وذلك حتى يتأهبن لدرس الرماية الخاص بهن، كان ذلك مُخصّصًا للمخيمين الأكبر سِنًا فقط، في تلك الأثناء كان من المقرر أن أقوم بعدة أنشطة مع عدد من الفتيات في مثل سني، لقد افترضت حينها كونهن فتياتٍ مملات، فهذا نتاج قضائي يومًا واحدًا في مقصورة القرانيا.

خلال طريقي إلى هناك التقيت تلك الفتاة التي تحمل الكاميرا والتي انحرفت نحوي وأوقفتني وحينها قلتَ لها:

- ما الذي تفعلينه؟

- إنني أحذرك من فيفان.

- ما الذي تقصدينه بذلك؟

- لا تكوني حمقاء، إنها ستنقلب عليك في نهاية المطاف.

أتخذ خطوة إلى الأمام لأحاول أن أطابق تلك الصلابة التي قمت باستدعائها بالأمس ثم سألتها:

- وكيف ذلك؟

على الرغم من أن الفتاة قد ابتسمت إلا أنه لم يكن هناك أي حس للدعابة وإنما امتزجت ابتسامتها تلك بالمرارة اللاذعة ووقفت على أعتاب السخرية قائلةً:

- ستكتشفين ذلك بنفسك!

الفصل الثامن

أصل إلى قاعة الطعام من أجل تناول وجبة العشاء ثم أجد فراني تترأس الغرفة بالفعل وها هي تصل بدورها إلى منتصف كلمتها الترحيبية المعتادة. إنها تبدو أكثر قوة من ذي قبل. فمن الواضح أنها تعشق الحديث عن تلك الحياة المفعمة بالطبيعة والمدعمة بالهواء الطّلق قبل أن تقوم بوضع الفتيات داخل غرفهن الخاصة كما أنها تحب أن تحدثهن عن فضائل حياة التخييم وفوائدها. ها أنا أراها تُمشّط المكان بعينيها بينما تتحدث وتقوم بعمل اتصال مؤقت مع كل فتاة بين الحضور وكأنها تُرحّب بكل واحدة منهن سرّا ، وفي تلك اللحظة التي وقعت فيها عيناها عليَ رأيت تجعيدة بارزة حول عينيها والتي تبدو أقرب إلى غمزة. لقد بدت كلمتها الترحيبية تمامًا كتلك التي سمعتها منذ خمسة عشر عامًا، فكل ما أعرفه جيدًا يؤكد أنها نفس الكلمة تقريبًا، لقد قامت فراني باستدعائها كاملةً من الذاكرة بعد مرور كل تلك السنوات، ها هي تتلو ذلك الجزء الخاص بكيفية تكوين تلك البحيرة على يد جدها الراحل في إحدى أمسيات رأس السنة منذ وقتٍ طويل كما أنها تخوض لاحقًا بشكلٍ تفصيلي فيما يخص تاريخ المُخيّم نفسه.

- لقد كانت تلك الأرض مُنتجعًا خاصًا لعائلتي منذ وقتٍ طويل، عندما كنت طفلة صغيرة اعتدت على قضاء كل عطلة صيفية هنا- وكذلك كنت أقضي بعد الأوقات في فصول الشتاء والربيع والخريف- أستكشف آلاف الأفدنة التي امتلكتها عائلتي، وعندما مات والداي، تُركت لي تلك المساحة الهائلة ولذلك قررت في عام 1973 أن أقوم بتحويل مُنتجع عائلة هاريس إلى مُخيّم للفتيات، وقمت بافتتاح معسكر نايتنجيل في العام اللاحق حيث يقوم باستقبال أجيال جديدة من الفتيات الشابات.

توقفت فراني قليلًا حتى إنها استغرقت وقتًا طويلًا أكثر مما يتطلبه الأمر لالتقاط الأنفاس، لكن يمكن اعتبار ذلك الصمت الموجز ما هو إلا إشارة واضحة لذلك التاريخ المحذوف الذي لم تتفوه به والذي يخص صديقاتي ووصمة العار الخاصة بالمعسكر وظروف إغلاقه لأعوامٍ طويلة.

- ها نحن اليوم نرحب بكن جميعًا في مخيم نايتنجيل، قالتها فراني مضيفةً:

- جدير بالذكر أن المخيم لا يرحب بالتعصب ولا مسابقات الجمال ولا الشعور بالاستعلاء والفوقية، يهتم المعسكر بكن فقط ويمنح كل واحدة منكن فرصتها الكاملة في الاستمتاع بتجربة فريدة لتشعرها بالبهجة بعد انقضاء فترة التخييم وتحفزها على المضي قدمًا بعد انتهاء عطلة الصيف، وبناءً على ذلك إذا احتاجت إحداكن أي شيء لا تترددن في سؤال لوتي أو أبنائي أو ماندي أحد أفراد عائلتنا الأكثر حداثة، قالتها فراني ثم لوحت ناحية اليسار حيث كان ابنها تشيت يجلس بمحاذاة الحائط متظاهرًا بعدم ملاحظة كل نظرات العشق والوله التي تحاصره من جانب نصف فتيات الغرفة، وبالقرب منه كانت ماندي ترسم ابتسامة إحدى ملكات الجمال على وجهها أثناء تتويجها في نهاية المسابقة. ها أنا أتفحص الغرفة جيدًا باحثةً عن ثيو، لم يكن هناك أي أثر له، هذا الأمر الذي جعلني أشعر بالخيبة والراحة في آنٍ واحد، في نهاية المطاف تُشبك فراني يديها معًا ثم تنحني قليلًا معلنةً بذلك أن خطابها قد انتهى، لكنني أعرف جيدًا أنه لم ينته بعد، فهناك جزء واحد متبق لم تتحدث عنه على الإطلاق، والذي تم كتابته كاملًا لكن تمت تأديته على طريقة السياسيين.

- عذرًا، هناك شيء واحد أخير أرغب في إضافته، قالتها فراني متظاهرةً أنها لم تفكر في هذا الأمر إلا الآن.

- لا أرغب أبدًا أن أسمع أي فتاةً منكن تُناديني بالسيدة هاريس وايت، من فضلكن اسمي فراني، أنا أُصر حقًا على ذلك، فهنا في أحضان الطبيعة والهواء الطلق جميعنا متساوون.

صفقت ماندي وكذلك تشيت والذي بدا مترددًا بعض الشيء وسرعان ما امتلأت الغرفة بالهتافات لفراني تلك السيدة المحسنة المتبرعة التي سرعان ما انحنت للجمهور ثم خرجت من أحد الأبواب الجانبية التي فتحتها لها لوتي.

توجهت في طريقي إلى المطبخ، وهناك وجدت عددًا من الطهاة الذين حرصوا على ارتداء الزي الرسمي الأبيض والذين كانوا يصنعون شطائر اللحم الدسمة والبطاطا المقلية وسلطة الكرنب وذلك السائل الحليبي الذي تدفق منها ليحتل أسفل الطبق الشهي.

بدلًا من الانضمام إلى ساشا، وكريستال وميريندا اللواتي كن محاطات بفتيات أخريات من جميع الاتجاهات توجهت إلى طاولة بالقرب من الباب يجلس حولها ثماني نساء، خمس منهن كن شابات وثلاث كن في سن الجامعة وكذلك مستشاري المخيم وقد تراوحت أعمارهن بين منتصف الثلاثينيات والستينات، لم أكن أعرف أحدًا من زملائي المدربات خلاف ريبيكا شونفيلد إلا واحدة فقط وهي كاسي أندرسون والتي لم يطرأ عليها الكثير من التغيير منذ آخر مرة رأيتها فيها، لا زالت أيضًا تضع تلك اللؤلؤة المؤطرة بالإضافة إلى شعرها الأحمر الذي كان ينساب على كتفيها عندما مالت برأسها قليلًا في تعاطف عندما رأتني مُجددًا حتى أنها عانقتني وقالت:

- من الرائع حقًا رؤيتك مُجددًا يا ايما!

أومأت بقية المدربات أيضًا وألقين التحية، بينما لم تُحدق إحدى مستشارات المُخيّم في وجهي، فأنا أعلم تمام العلم أن جميعهن تعرف جيدًا مَن أكون وماذا حدث هنا عندما كنت متواجدة في المرة السابقة. قامت كاسي بتقديمي إلى المدربات الأخريات فإذا بي أتعرف إلى روبرتا رايت سميث مدرسة الكتابة الإبداعية التي حضرت مُخيّم نايتنجيل خلال ثلاث عطلات صيفية وقد بدأت عملها منذ الموسم الافتتاحي، إنها امرأة بدينة ممتلئة تنظر إليّ عبر نظارتها الجاثمة على أنفها، كما أنه تم تقديمي إلى بيج ماك أدمز التي انضمت إلى المُخيّم منذ أواخر الثمانينيات، انها امرأة ذات شعر رمادي وجسد رشيق وأصابع نحيلة أمسكت بيدي بقوة عندما صافحتني، إنها هنا من أجل تعليم صناعة الفخار وهذا في حد ذاته يفسر سر قبضتها تلك كما أخبرتني كاسي أنه تم تعيينها للعمل الدائم في مبنى الفنون والحرف، فهي تعمل مدرسة لغة إنجليزية للصف الثامن خلال العام الدراسي ومتاحة أيضًا للمساعدة الآن خلال فترة الصيف لأن طفليها قد ذهبا معًا من أجل التخييم في معسكرهما الخاص وكان هذا صيفها الأول منذ أن انفصلت عن زوجها، إن الطلاق هو السمة الغالبة المهيمنة هنا بين المدربات الأخريات. جدير بالذكر أيضًا أن كاسي قالت إنها أرادت الهرب بعيدًا لقضاء ستة أسابيع بمفردها في منزل فارغ.

احتاجت بيج الذهاب إلى مكان ما لتمنح بعض الوقت

لطليقها المستقبلي بالرحيل من شقتهما في بروكلين كما أن روبرتا مدرسة الكتابة الإبداعية في سيراكيوس أرادت الذهاب إلى منطقةٍ بعيدة حتى يمكنها تجاوز مسألة انفصال حبيبتها الشاعرة عنها. ها أنا أجد نفسي الوحيدة التي لا تملك زوجًا سابقًا ولا شريكاً حتى يُمكنني إلقاء اللوم عليه لوجودي هنا، في الواقع أنا لست واثقة إن كان تحرّزًا أم أمرا مثيرا للشفقة؟ أفترض أن هناك الكثير من السمات المشتركة بيني وبين مستشارات المُخيّم، أما فتيات الجامعة فأولئك لم يتأثرن بعض بإحباطات الحياة، فكلهن جميلات خفيفات ويسهل تبديلهن بسرعة حتى أنهن يمتلكن نفس الهيئة الشكلية فجميعهن يقمن بتدليل خصلات شعرهن وشدها إلى الوراء على شكل ذيل حصان ويضعن أحمر الشفاه الوردي كما أن وجوههن المقشرة تلمع على الدوام، أعرف جيدًا أنهن ينتمين إلى هذا النوع من الفتيات اللواتي كن ليترددن على مُعسكر نايتنجيل خلال مرحلة المراهقة.

- من أيضًا يشعر بالحماس من أجل قضاء تلك العطلة الصيفية هنا؟، قالتها إحداهن، ربما كانت تدعى كيم وربما اسمها دانيكا ، في الواقع لقد غادرت أسماؤهن ذاكرتي بعد خمس ثوان فقط من تعارفنا.

بالطبع أنا، ولكن ألا تعتقدن أن هذا الأمر غريب بعض الشيء، أعترف أنني سعيدة بوجودي هنا الآن ولكن لا يمكنني أن أتفهم قرار فراني لإعادة فتح المُخيّم ثانيةً بعد مرور تلك السنوات؟- لا أعتقد أن الأمر غريب، ربما هو مفاجئ فحسب، قلتها بشكلٍ عفوي- لكني أعتقد أنه أمر غريب فعلًا، قالتها بيج مُضيفةً:- ما أعنيه هو لماذا الآن؟- ولماذا ليس الآن؟، جاء صوت ماندي من ورائنا حيث باغتتنا بانضمامها من دون أن يُلاحظها أحد مُشبكةً ذراعيها ببعضهما البعض، وعلى الرغم من أنه لم يكن واضحًا ذلك الكم الذي استمعت إليه إلا أن ابتسامتها الواسعة المصطنعة كانت كافية لتوحي أنها سمعت الكثير- هل تحتاج فراني إلى سبب ما حتى تقوم بعمل خيري جيد؟، قالتها موجهةً تعليقها إلى روبرتا وبيج وكاسي وأنا.- في الواقع لم أكن أعرف أنه من الخطأ أن تقوم فراني بتكرار تجربتكن مع الأجيال الجديدة من الفتيات في مُخيّم نايتنجيل، فلو فعلت ذلك ستكون فشلت فشلا

ذريعًا، فعلى الرغم من أن خطابها تمت صياغته وكتابته مسبقًا إلا أن ثمة مشاعر حقيقية خلفه، وأنتن تعرفن جيدًا مدى صدق كل كلمة قالتها فراني.

اختلفت نبرة ماندي قليلًا، لقد بدت أكثر نفاقًا حينها قلت على الفور:

- إنني لا أتمنى أن يمر أي أحد بتجربتي هنا.

هزت ماندي رأسها بحزنٍ بالغ، لقد خيبت ظنها بوضوح ثم وضعت يدها على قلبها وقالت:

- إنني أتوقع منك أكثر من ذلك يا ايما فقد أظهرت فراني قدرًا كبيرًا من الشجاعة عندما قامت بدعوتك مُجددًا إلى هنا.

- كما أن ايما أيضًا أظهرت القدر ذاته من الشجاعة عندما وافقت على المجيء، قالتها كاسي مُدافعةً عني.

- أجل، هذا صحيح، ربما لهذا السبب اعتقدت أنها ستظهر بعض الروح الحماسية لمخيم نايتنجيل.

- حقًا؟، أسألها وأنا أحاول تحريك عيني داخل مقلتها بصعوبة نظرًا لأنها كانت تؤلمني بعض الشيء.

حسنًا ، قالتها ماندي ثم قفزت إلى أحد الكراسي الفارغة مُتنهدةً مُذكرةً إياي بحفيف الهواء الذي يهب فجأة من ثُقب أحد الإطارات.

- لقد تم إخباري من قبل لوتي إننا بحاجة لأن نقوم بتفتيش للمقصورات ومن ثم يتعين علينا وضع جدول زمني لإتمام تلك المهمة.

أجل! لا زلت أتذكر ذلك التفتيش الليلي الذي كانت تقوم به مستشارات المُخيَّم للتأكد من وجود جميع الفتيات داخل غرفهن وأنهن لا يقمن بإثارة أية متاعب، لقد كان ذلك هو الحدث الأبرز في السابق في حياة فيفان.

ها هي ماندي تُكمل حديثها قائلةً:

- نحن بحاجة إلى تفتيش المقصورات كل ليلة تحديدًا تلك التي لا يتواجد بها أي مستشارين أو مدربين، هيا أخبروني من تُريد أن تتطوع أولًا؟ وأين هي ربيكا ؟

- إنها نائمة، لقد قالت لي في الصباح الباكر إنها ترغب في الاسترخاء قليلًا وإلا سيقتلها عناء السفر، لقد جاءت توًا من مهمة في لندن وتوجهت من المطار مُباشرةً إلى هنا.

- أعتقد أنه سيتعين علينا إخبارها بذلك لاحقًا، قالتها ماندي وأضافت:

- حسنًا، من تريد أن تتطوع للعمل الليلة؟

في تلك الأثناء التي كان فيها الجميع يناقش مسألة ذلك الجدول الزمني، نظرت إلى تلك الأبواب المزدوجة الخاصة بقاعة المطبخ وراقبت ريبيكا شونفيلد تدخل والتي كانت على عكس كاسي تمامًا تغيرت بعض الشيء، فها هي قد تخلت عن تقويم الأسنان كما أن علامات فترة المراهقة قد تلاشت بدورها، لقد باتت أكثر صلابة الآن كما أن شعرها الذي كان يومًا عبارة عن كتلة مجعدة ها هو يبدو قصيرًا أنيقًا، ولقد حرصت على ارتداء قميص البولو الرسمي والسروال القصير الخاص بالمخيم بالتناغم مع أحد الأوشحة الملونة الزاهية، وكانت الكاميرا الخاصة بها تتدلى إلى الأسفل كما هي عادتها، لكن حركتها تغيرت أيضًا فلم تعد تظهر بصورة تلك الفتاة المضطربة المراهقة ولكنها مشت بدقة وسرعة متوازنة- كما لو كانت امرأة تقوم بمهمة ما- لقد عبرت الطريق من قاعة الطعام إلى المطبخ ثم أحضرت تفاحة وقضمتها أثناء سيرها ثم توقفت لتوها فقط بعد أن لمحتني في الجانب الآخر من الغرفة.

في الواقع ليس بمقدوري فهم نظرتها تلك، فأنا لا أعرف حقًا إن كانت مصدومة أم سعيدة أم مرتبكة نظرًا لوجودي المباغت، بعد أن قضمت تفاحتها بعنفٍ للمرة الثانية استدارت وخرجت من قاعة الطعام.

- إنني أود الذهاب الآن، قلتها على الفور.

- وماذا عن جدول تفتيش المقصورات؟، سألتني ماندي مُطلقةً تنهيدة أخرى عميقة.

- سجلي اسمي في أي موعد لا مشكلة، قلتها وغادرت الطاولة تاركةً صينية الطعام الخاصة بي وأطباقي التي لم ألمسها.

حاولت البحث خارج صالة الطعام مرارًا وتكرارًا بحثًا عن بيكا، لم أعثر لها على أي أثر حتى إن المنطقة المجابهة لقاعة الطعام ومبنى الفنون والحرف اليدوية كانت فارغة أيضًا، رأيت كذلك فراني على بُعد تتوجه إلى النُزل برفقة لوتي، وفي الخلف كانت توجد رقعة عشب تقود إلى البحيرة، هناك أيضًا رأيت رجل الصيانة الذي كان يُصلح

السقف في تلك اللحظة التي وصلت فيها إلى هنا، كان يدفع بعربة يدوية ناحية مخزن أدوات تم وضعه بأحد زوايا الأرض العشبية، كن هناك الكثير من الأنشطة لكني أيضًا لم ألمح بيكا.

أحاول العودة مرة أخرى إلى جهة المقصورة فإذا بصوت أحدهم يباغتني قائلًا:

- ايما ؟

أتجمد في مكاني بلا حراك، إنني أعرف هوية صاحب ذلك الصوت جيدًا، إنه ثيو هاريس وايت! إن صوته قادم من الباب المفتوح المؤدي إلى مبنى الفنون والحرف اليدوية، تمامًا كما خطاب فراني الذي لم يطرأ عليه أي جديد، لم يتغير صوت ثيو، جدير بالذكر أن سماع صوته الآن يُعيد إليّ العديد من الذكريات القديمة، إنها تؤلمني حقًا تمامًا كمجموعة من السهام المصوبة ناحية المعدة.

إن رؤية ثيو للمرة الأولى عندما قام بمصافحتي على استحياء جعلتني أحاول تجاهل كيف يبدو يبرز قميص مُنتفخ صدره، كل هذا جعلني أجهل سبب شعوري بالدفء بمجرد رؤيته، تلك التفاصيل الخاصة بخصره العميق وبشرته البرونزية المتألقة وتخيله يأخذني بين أحضانه ويسبح برفقتي في البحيرة حيث يرفعني بيديه القويتين إلى السطح لأطفو، كل هذا أيضًا يُذكرني عندما لفتت نظري فيفان إلى هذا الشق الموجود في الجدار الخارجي للمرحاض، تلك الفتحة التي كشفت عن صورة ثيو بينما يستحم وهو يُدندن بإحدى الأغنيات المُبهجة، لا زلت أسمع صوت فيفان وهي تقول لي: هيا! تعالي ! ألقي نظرة فهو لن يعرف بذلك أبدًا.

- أيما، قالها مُجددًا، هذه المرة بنبرة استقصائية حاسمة، إنه يعرفني، ها أنا أستدير لأنظر إليه، لا أعرف ما الذي سأجده إلا أن جزءً مني يتمنى بقوة أن أجده أصلعًا متورد الوجه، تلك المسيرة المعتاد للوصول إلى منتصف العمر وأن يكون قد اكتسب بعض الصلابة ناحية الخصر بينما يرغب الجزء الاخر بداخلي في رؤيته كما كان تمامًا أول مرة، وفي الواقع لقد وجدته مزيجًا بين الأمرين، لقد كبر بالطبع، لم يعد بصورة ذلك الفتى الضخم ذو التسعة عشر عامًا الذي أتذكره على الدوام، لقد انطفأ ذلك الوهج الشبابي الذي كان يسكن عينيه وحلت محله

قتامة واضحة كثيفة، يبدو أنه كبر بالفعل، للأمانة يبدو هذا بوضوحٍ على ملامحه، على الرغم من ذلك فهو لا زال يمتلك الكثير من العضلات كما أن هناك بعض الخصلات الرمادية في شعره الداكن وبدأت أيضًا عوامل التعرية تزحف إلى وجهه فعندما ابتسم إلي لاحظت وجود القليل من التجاعيد الخفيفة حول عينيه وفمه، ما أكرهه حيال هذا أن كل تلك التفاصيل جعلته يبدو أكثر جاذبيةً بالنسبة لي!

- مرحبًا.

رغم أنها ليست بالتحية الكبيرة إلا أنها الكلمة الوحيدة التي كنت قادرة على التفوه بها عند رؤيته فجأة تحديدًا عندما تذكرت لتوي إحدى ذكرياتي السيئة معه، تلك التي تنتمي إلى هذا النوع من الذكريات الذي من شأنه أن يحجب رؤية الآخرين حينها كان ثيو مُتعبًا مُرهقًا من البحث طيلة اليوم في الغابات الشاسعة وإذا به يجلس أمام النُزل ثم اندفعت راكضةً نحوه وأنا أبكي وأضرب بيدي صدره وأقول له: أين الفتيات؟ قل لي ما الذي فعلته بهن؟ كان ذلك آخر ما قلته له حتى يومنا هذا، وها هو أمامي الآن مُجددًا في نفس المكان. أتوقع أن ينفجر غضبًا في وجهي أو تبدو المرارة جليةً عليه لما سببته له طيلة تلك السنوات، جعلني الأمر أرغب في الهرب والركض بعيدًا فورًا بنفس الطريقة التي فعلتها بيكا عندما غادرت قاعة الطعام لكنني أظل ساكنةً كُليًا وإذا بنيو يتقدم خطوتين إلى الأمام ويستدير نحوي ويقوم بفعانقتينِ على نحوٍ مفاجئ لكني لم أطل لمسه خوفًا من أن يستدعي ذلك الكثير من الذكريات، ها هو يعود إلى الخلف هازًا رأسه قائلًا:

- في الواقع يا ايما لا زلت لا أصدق وجودك هنا، فعندما أخبرتني أمي بقدومك لم أكن أعتقد أن هذا قد يحدث.

- ها أنا هنا الان.

- كما يبدو أيضًا أنك تمضين قُدمًا في حياتك فأنت تبدين مذهلة.

لا بد أنه كان يحاول أن يبدو لطيفًا، لقد رأيت انعكاسي في شاشة هاتفي منذ قليل وأعرف بالفعل كيف أبدو.

وأنت أيضًا، قلتها.

- لقد سمعت أنك أصبحت رسامة الان، أخبرتني أمي أنها قامت بشراء إحدى لوحاتك. في الواقع لم يكن لديَ فرصة لأراها في السابق فلقد عدت لتوي من أفريقيا منذ يومين فقط.

- لقد ذكرت فراني ذلك، هل أنت طبيب؟

هز ثيو أكتافه قليلًا ثم عبث بلحيته قائلًا:

- أجل، أنا طبيب أطفال، لقد قضيت العام الماضي أعمل مع منظمة أطباء بلا حدود، لكني مضطر لمدة ستة أسابيع أن أعمل كممرض لهذا الفخيّم!

- أعتقد أن هذا بدوره يجعلني رسامة هذا الفخيّم أيضًا، قلتها.

- بالحديث عن ذلك، لقد كنت أعمل على استديو الرسم الخاص بك في المعسكر، قالها ثيو ثم هز رأسه مشيرًا ناحية مبنى الفنون والحرف اليدوية

- هل أنتِ مهتمة لإلقاء نظرة؟

- الآن؟، قلتها بنبرة تحتلها الدهشة وتُفاجئهُ بإصراره على أن نكون بمفردنا.

- ليس هناك وقت أفضل من الآن، قالها ثيو بعد أن بدا مزيج من الفضول والارتباك على وجهه.

أدركت الأمر بسرعة، فهذه هي نفس النظرة التي منحتني إياها فراني عند مدخل النُزل.

- بالطبع، هيا بنا أرشدني إلى الطريق.

لحقت بثيو إلى الداخل ووجدت نفسي بغتةً بمنتصف غرفة مفتوحة جيدة التهوية، تم طلاء جدرانها باللون الأزرق المُبهج كما أن السجادة ولوح القاعدة سيطر عليهما الأخضر العشبي والدعائم الثلاثة الأخرى التي ارتفعت من الأرض لتصل إلى السقف بدت تمامًا كما الأشجار الحقيقية كما أنه ثمة أفرع أشجار مُزيفة ملأت تلك المنطقة، كان الأمر أشبه بالتجول داخل صفحات كتاب مُصوّر مُشرق وسعيد، إلى جهة اليسار يوجد استديو تصوير صغير من أجل بيكا والذي تم تزويده بالكاميرات الحديثة ومحطات الشحن ومجموعة من أجهزة الكمبيوتر الملساء الأنيقة التي يتم استخدامها من أجل معالجة الصور.

تحولت منطقة مُنتصف الغرفة إلى مجموعة من الطاولات المُستديرة، والخزانات والشرائط والورق

والأقمشة والخرز بمختلف الألوان، لقد رأيت لتوي الكثير من أجهزة الحواسيب الخاصة بورش الكتابة التي تُديرها روبرتا بالإضافة إلى زوجين من العجلات الفخارية من أجل بيع.

- في الواقع أنا مُنبهرة جدًا بالمكان، لقد بذلت فراني جهدًا أكبر من أجل إصلاحه وتطويره.

- في الواقع هذا كله جهد ماندي الخاص، لقد بذلت الكثير من أجل إعادة فتح الفخيِم ثانيةً، قالها ثيو.

- أنا لست متفاجئة على الإطلاق فهي فتاة...

- مُتحمسة؟

- في الواقع كنت أود أن أقول «ساحقة»، ولكن كلمتك تفي بالغرض أيضًا.

يقودني ثيو إلى نهاية الغرفة، هناك حيث يوجد حامل على شكل نصف دائرة، وعلى امتداد أحد الجدران يتواجد أحد الرفوف والذي يحمل مجموعة من الطلاءات والألوان والأنابيب والتي تم وضعها في كؤوس كبيرة كما أن هناك لوحات بيضاء معلقة بالقرب من النافذة وتسمح بدخول الضوء الطبيعي. ها أنا أجوب المنطقة، أتحسس بأصابعي اللوحة القماشية البيضاء التي تميل ناحية الحامل، هناك أيضًا في أحد الأرفف مجموعة من الألوان المختلفة التي تم ترتيبها حسب الدرجة المحددة. ها هو اللون الأرجواني واللون الأخضر المصفر ولون الكرز الأحمر وكذلك الأزرق الملكي.

- لقد وضعت إمداداتك الخاصة هناك، قالها ثيو مُشيرًا إلى الصندوق الذي أحضرته معي.

- أعتقد أنك ربما تودين إفراغ حقيبتك بنفسك، قالها ثيو، ولكن في واقع الأمر لم يكن هناك حاجة أبدًا لإفراغها فكل شيء أنا بحاجته أمامي الآن، على الرغم من ذلك ها أنا أذهب ناحية الصندوق وأفتحه وأبدأ في إفراغ أدواتي الشخصية فما من شيء مفيد سوى تلك الفرشاة البالية والأنابيب المتهالكة واللوحة الملطخة بالبقع والتي تُشبه لوحة بولكو ، وقف ثيو على الجانب الاخر من الصندوق يراقبني وأنا أقوم بإفراغ الإمدادات، وإذا بظل قادم من الخارج ينعكس على وجهه ليكشف كم يبدو مختلفًا عن ملامحه التي رأيتها منذ خمسة عشر عامًا، ثمة شيء ما لم

ألاحظه من قبل. إنها ندبة تحتل خده الأيسر ويبلغ طولها إنشًا واحدًا كما أنها تميل قليلًا ناحية فمه. إن الندبة أفتح بعض الشيء من لون بشرته ككل، ربما لهذا السبب على وجه التحديد لم أتمكن من رؤيتها في السابق لكنها بارزة بقوة الآن، لا يمكنني التوقف عن النظر إليها، وها أنا على وشك أن أسأل ثيو عن سبب إصابته تلك في نفس الوقت الذي ينظر فيه إلى ساعة يده ثم يقول:

- إنني بحاجة لالتقاء أخي تشتيت الآن من أجل بحث مسألة نار الفخيم، هل سأراك هناك؟

- بالطبع، قلتها بشكلٍ عفوي فأنا لم أكن لأخطط لتفويت تلك الفرصة.

- حسنًا، إذن أنت آتية، قالها ثيو بنبرةٍ مترددة ثم خطا ببطء نحو الباب وعندما وصل إلى هناك استدار وقال:

- ايما ...

أخذت أبحث عن امداداتي لكن نبرته الفباغتة الجادة تلك أشعرتني بالقلق واعتقدت أنه سوف يتحدث بدوره عن آخر مرة التقينا فيها بعضنا البعض، من المؤكد إنه يفكر في ذلك الأمر، إن التوتر الموجود بيننا ثقيل جدًا كحبل مُحكم على وشك أن يخنق أحدنا، فتح ثيو فمه تأهبًا للحديث ثم فكر قليلًا فيما سيقوله وأغلقه مرةً أخرى، وعندما تحدث مُجددًا قال بتوترٍ واضح:

- أنا مسرور أنك هنا، أعرف أن الأمر لم يكن سهلًا لكن هذا يعني الكثير بالنسبة لأمي وكذلك بالنسبة لي ثم رحل وتركني وحدي لأتساءل ما الذي يعنيه بذلك؟ هل قصد بذلك أن قدومي أسعد فراني؟ أم أنه أراد أن يقول إن تواجدي ذكره بأوقاتنا السعيدة معًا قبل أن تنهار سمعة الفخيم بسبب ما حدث؟ بشكلٍ عام إنني أعتقد أنه لم يقصد أيًا من الأمرين، لكن ربما قصد بذلك أنه يسامحني على ما فعلته، والآن فإن كل ما أريده حقًا هو أن أسامح نفسي.

الفصل التاسع

لم يكن لديَ فكرة عن القرار الذي اتخذته ماندي بالأمس حيال الجدول الزمني الخاص بتفتيش المقصورات إلا أنني وجدت نفسي بغتةً ذاهبةً لفحص غرف الفتيات تلك الليلة بعد أن أنهينا فترة الجلوس معًا حول نار المُخيّم، وعلى الرغم من أني لم أكن متحمسة للغاية للقيام بذلك الدور إلا أنني كنت مسرورة أن كاسي كانت برفقتي. ها نحن نذهب معًا من غرفة إلى غرفة، نقوم باختلاس النظر والاطمئنان على الفتيان وإحصاء عددهن، ها نحن نسألهن إن كانت إحداهن تحتاج إلى شيءٍ ما. إن الأمر غريب حقًا فها أنا أختبر الجانب الآخر من الأشياء تحديدًا من خلال العمل مع كاسي حيث إنها كانت تعمل هنا أيضًا عندما كنت أنا أحد المُخيمين وقد اعتادت على طرق الباب مرةً واحدة قبل أن تقوم بفتحه على مصراعيه مُحاولةً الإمساك بنا ونحن نقوم بسلوكٍ مُشين غير لائق. لقد اعتدنا على مواجهتها بعيونٍ واسعة تسكنها البراءة كما أننا كنا نرمش كثيرًا بأهدابنا في توتر لحظة دخولها المكان، ها أنا الآن أقف في نفس موقفها السابق وأجد الفتيات يوجهن نظراتهن تلك إليّ- ذلك التحول السريالي للأحداث الذي يجعلني أشعر داخليًا أن جزءًا مني يشعر بالغيرة من عبثهن الشبابي هذا وجزء آخر يشعر بالغضب نتيجة لتصرفاتهن الطائشة تلك.

لقد عثرنا في إحدى الغرف على فتيات يفترشن أسرتهن ويبكين بخرقةٍ نتيجة شعورهن بالحنين إلى الديار، على الرغم من أن فيفان كانت مخطئة عندما قالت إن جميع الوافدات الصغيرات السن يبكين في ليلتهن الأولى خارج المنزل إلا أن هناك عدداً قليلاً منهن يقوم بذلك فعلًا على أرض الواقع. ها أنا أقضي بضع دقائق مع كلٍّ منهن لأخبرها أن المُخيّم قد يبدو مُخيفًا الآن إلا أنهن سيشعرن بالمتعة فيه حتى أنهن لن يرغبن في العودة إلى منازلهن لاحقًا، كم أتمنى أن تكون تلك هي الحقيقة، فأنا شخصيًا لم أحصل على تلك الفرصة.

بعد أن قمنا بتفتيش وفحص كل الغرف توجهت برفقة كاسي إلى مرحاض المُخيّم، لقد كان مُظلمًا كئيبًا حتى أن الغابة جعلته يبدو أكثر قتامة في ظل وجود الأشجار

وظلالها ولم يكسر ذلك الجو قليلًا إلا وجود اليرقات الفضيئة التي كانت ترقص بين أوراق الأشجار.

إن ذلك الضوء الخافت الذي انعكس على إحدى زوايا المرحاض كشف عن وجود حشود من البعوض.

قامت كاسي بإخراج سيجارة من داخل علبة صغير مُكوّمة داخل جيوب سروالها الواسع ثم قامت بإشعالها وقالت:

- يا إلهي! لا يمكنني أن أصدق أنني أقوم بتهريب السجائر الآن! أشعر كما لو كنت لا زلت في الرابعة عشرة من عمري مُجددًا! ولكن هذا أفضل بكثير من رؤية وجهة ماندي العابس، هل تودين أن أخبرك سرًا؟ إن اسمها الحقيقي هو ميليندا لكنها استخدمت اسم «ماندي» حتى تبدو مثل فراني! في الواقع لديَ شعور أن فراني لا تحبها، إنها من هذا النوع من الفتيات اللواتي كنت أحاول تجنبهن في المدرسة، قالتها كاسي ونفثت دخانها في الهواء حين ساد نسيم الليل.

- في الواقع من الأفضل أنها هنا، فلو لم تكن موجودة لسقط تشيت المسكين فريسة أولئك الفتيات، حينها كان بمقدورهن أن يأكلنه حيًا!

- لكنهن فتيات صغيرات.

- صدقيني من خلال وظيفتي كمعلمة فأنا أعرف جيدًا أن الفتيات في هذا السن يمتلكن المزيد من الهرمونات الهائجة حيال الأولاد، هل تتذكرين عندما كنت مثلهن؟ لقد كنت تنظرين إلى ثيو بافتتانٍ واضح وأنا لا ألومك على ذلك فلقد كان حقًا صبياً حسن المظهر، هل رأيته الآن؟ يا إلهي لماذا يبدو الرجال وحدهم بصورة أفضل كلما تقدموا في العمر؟ إن هذا غير عادل!

- لكنه لا زال يتعامل معي بشكلٍ ودود، في الواقع لمَ أكن أتوقع ذلك.

- هل يرجع ذلك بسبب ما قلته له أخر مرة؟

- وبسبب ما يقوله الناس في الوقت الحالي كذلك، لقد قرأت العديد من التعليقات على منشورك على موقع فيس بوك، لقد كانت ردودًا وحشية للغاية.

- تجاهليهن جميعًا، قالتها كاسي وهي تُلوّح بيدها لإزالة الدخان المنبعث من سيجارتها مُضيفةً:

- إن أولئك النساء ما هن إلا مجرد نسخ ناضجة من مجموعة مراهقات عاهرات كن يقضين عطلتهن الصيفية في مُخيّم نايتنجيل يومًا.

- لقد ذكرت بعضهن أن هذا المكان أشعرهن بالخوف في السابق وقد تحدثن عن شيء يخص أسطورة ما. قلتها.

الأمر لا يتعلق سوى بحكاية سخيفة من حكايات مُخيّمات النار.

- إذن هل سمعت تلك الحكاية من قبل؟

- لقد تم إخباري بها، لهذا السبب لا أعتقد أنها قصة حقيقية، في الواقع لا أصدق أنك لم تسمعي بها في السابق.

- لم أمكث طويلًا هنا.

نظرت إليّ كاسي مليًا ثم نفثت دخان سيجارتها في الهواء مُجددًا وقالت:

- الحكاية هي أنه كان هناك قرية في هذا المكان قبل إنشاء البحيرة، وسيقول البعض إن هذا المكان كان يخص مجموعة من الأشخاص الصُم، لقد سمعت أنه كان هناك أيضًا مستعمرة خاصة بمرضى الجذام.

- مرضى الجذام؟، هل تتحدثين بجدية؟ إن الأمر أقرب إلى تلك القصص الهندية المُكررة التي تخص المقابر الجماعية.

- أنا لم أختلق تلك القصة، والآن هل تريدين أن أكملها لك أم لا؟

أريد ذلك مهما بدت سخيفة ومُكررة وبناءً عليه فإني أومأ لها برأسي على الفور وتواصل كاسي سرد قصتها قائلةً:

- كانت هناك قرية للصُم وإلى جانبها مستعمرة لمرضى الجذام، وحينها رأى جد فراني تلك القرية وقرر في الحال أن يقوم بخلق البحيرة في هذا المكان، ولكن كانت هناك مشكلة وحيدة وهي أن القرية تلك كانت تقف في طريق البحيرة وتُعيق فكرته فهي في المنتصف وبناءً على ذلك اقترب بوكانان هاريس من القرويين وعرض عليهم أن يقوم بشراء أرضهم لكنهم رفضوا، لقد كان أقرب إلى مجتمع صغير ضيق منبوذ من قبل العالم بأسره، وكان هذا المكان وطنهم الذي لا يرغبون في بيعه، وهذا أثار غضب

السيد هاريس، لقد كان من هذا النوع من الرجال الذي يحصل على كل ما يريده في الحال.

قام السيد هاريس لاحقًا برفع عرضه إلا أنهم رفضوا مجددًا وكنتيجة لذلك فقد قام بشراء كل هذه الأراضي المحيطة بهم عوضًا عن ذلك وبالتالي شرع في بناء السد الخاص به وقد غمرت المياه الوادي في منتصف الليل وقد علم السيد هاريس بالطبع أن المياه بإمكانها إغراق القرية وأهلها.

خفضت كاسي صوتها قليلًا وتحدثت ببطء تمامًا كما لو كانت ساردة حكايات محترفة وقالت:

- لاتزال تلك القرية هناك أسفل بحيرة منتصف الليل، وأولئك الذين غرقوا لايزالون يسكنون الغابات والبحيرة، انهم يظهرون في منتصف الليل يصعدون من المياه ويجوبون الغابات، وحدهم الأشخاص الأقل حظًا هم من يصادفونهم حتى يقوموا بسحبهم إلى البحيرة حيث الأعماق ثم يُبادرون بإغراقهم، وبالتالي يصبحون أشباحًا مثلهم وتنتشر اللعنة عبر تلك الغابات بحثًا عن ضحايا جُدد.

لقد رمقتها بنظر شك وسألتها:

- وهل هذا ما حدث لفيفان وناتالي وأليسون؟

- في الواقع لا أحد يُصدق ذلك، قالتها كاسي ثم أضافت:

- لكن هناك العديد من الأمور السيئة التي وقعت هنا من دون أي تفسير، فعلى سبيل المثال كان زوج فراني سباحًا ماهرًا حتى أنه وصل إلى الأولمبياد ومع ذلك فقد مات غرقًا في تلك البحيرة كما أن جدة فراني والتي كانت الزوجة الأولى للسيد بوكانان هاريس غرقت هنا كذلك، وبناءً عليه عندما اختفت فيفان وناتالي وأليسون قال الناس إن أشباح البحيرة هم من قاموا بذلك، وربما منَ قام بذلك هم الناجون!

الناجون؟

- أجل، لقد قيل إن هناك عدداً من القرويين الذي تمكنوا من النجاة عند ارتفاع منسوب المياه وأنهم قد فروا إلى أعالي التلال، وقرروا العيش هناك بعيدًا عن أرضهم ليقوموا بإعادة بناء قريتهم من جديد في منطقة منعزلة من الغابات حيث ليس بمقدور أي شخص العثور عليهم،

لقد كانت هناك ضغينة وحقد تملأ قلوبهم إزاء ال هاريس وقد نقلوا ذلك إلى أبنائهم، وهناك من يقول إن أولئك الناجين لازالوا يعيشون هناك في الغابات ويخرجون ليلًا بمجرد أن يكتمل القمر ويتوجهون إلى تلك الأرض التي كانت ملكهم يومًا ويشرعون في تنفيذ انتقامهم، لقد كانت كُلًا من فيفان وناتالي وأليسون ثلاثة من ضحاياهم.

لقد تبين أن كاسي خبيرة ماهرة في سرد الحكايات حيث إنها بمجرد أن أنهت قصتها الخيالية تلك شعرت بالبرودة تمسك بتلابيب الهواء كما أن تلك الإضاءة الخافتة المرتعشة جعلتني أشعر وكأني على وشك رؤية أحدهم عبر تلك الغابات، لقد كنت أتوقع أن أجد شبحاً أو مسخاً يتجول خلف صف الأشجار.

- ما الذي تعتقدين أنه وقع لهم حقًا؟، سألتها.

- أعتقد أنهن قد فقدن طريقهن في الغابات، لقد كانت فيفان تعشق التجول هنا وهناك.

أسقطت كاسي سيجارتها أرضًا ودهستها بكعب حذائها وقالت:

ربما لهذا السبب أشعر بجزء من المسؤولية إزاء ما حدث لأنني كنت حينها مُستشارة بالمُخيم، لقد كانت وظيفتي أن أجعلكن آمنات، وبناءً على ذلك فأنا أندم على عدم منحكن الكثير من الاهتمام لأكون على علم بما يجري في غرفتكن حينها.

أحدق في وجهها بينما تبدو الدهشة جليةً عليَ ثم أسألها:

- هل هناك شيءٍ ما لا أعلمه حول ذلك الخصوص؟

- لا فكرة لديَ، ربما، ولكن شيء مثل ماذا؟، سألت كاسي وهي تعبث بيديها داخل جيوب سروالها لتُخرج سيجارة أخرى.

- لقد كنت صديقة لفيفان ومن المؤكد أنك لاحظتِ شيئاً ما، أليس كذلك؟

- في الواقع لا يمكنني القول إننا كنا صديقتين مقربتين، لقد كنت ضمن المُخيمين الأكبر سنًا خلال الصيف الأول ثم عملت كمستشارة في العامين التاليين بعد ذلك، لقد كانت فيفان دائمًا صانعة للمشاكل لكنها كانت فتاة ساحرة إلى هذا الحد الذي يجعلها تُفلت من العقاب.

أجل إنني أعرف ذلك جيدًا فقد كانت فيفان اسرة تمتلك

أكبر صفتين ساحرتين، الأولى هي الكذب والثانية هي البهاء.

- لكن هناك شيئاً ما اختلف في شخصيتها خلال تلك العطلة الصيفية الأخيرة، لم يكن بالشيء الجلل لكنه كان ملحوظًا لأي شخص يعرفها جيدًا، إنها لم تكن على طبيعتها أبدًا، لقد بدت مُشتتة.

- بماذا؟، أقولها وأنا أفكر بتلك الخريطة الغريبة التي عثرت عليها في خزانتها بالإضافة إلى رسمتها المفبكة وصورة تلك المرأة الغامضة ذات الشعر الطويل.

نفثت كاسي دخانها في الهواء وقالت:

- كما قلت لك يا ايما أنا لا أعرف بالضبط ماذا حدث.

- لكنك من المؤكد لاحظت بدورك أشياء.

في الواقع لم ألحظ إلا أشياء صغيرة، قالتها كاسي ثم أضافت:

- لقد كانت تمشي بمفردها كثيرًا حول المُخيَم، وهذا لم يحدث خلال الصيف الماضي، فقد كانت فيفان مُحاطَة بالناس طيلة الوقت وربما أرادت أن تفكر بمفردها أو ربما...

- ربما ماذا؟

- ربما كانت على وشك أن تقوم بشيءٍ سيء ، فخلال اليوم الثاني للتخييم عثرت عليها تتسلل خلسة إلى النُزل وقد كانت تتسكع عند الجزء الخلفي للمرفأ متأهبة للقفز إلى الداخل، لقد قالت إنها كانت تبحث عن فراني، لكنني لم أقتنع بما قالته.

- لماذا تفكر في التسلل إلى داخل النُزل خلسة؟، سألتها لكن كاسي هزت أكتافها ثانيةً وبدا عليها الانزعاج قليلًا.

وكأنها لم تكن تتمنى إثارة موضوع فيفان من جديد.

- أعتقد أن تخمينك جيد تمامًا مثلي، قالتها ثم توقفنا للمرة الأخيرة عند مقصورة القرانيا هذه المرة حيث تأكدنا من أن الفتيات الثلاثة نائمات في فراشهن برفقة هواتفهن غارقات في النظر إلى ذلك الضوء الأزرق الجليدي المنبعث من شاشات أجهزتهن المحمولة. كانت ساشا بالفعل مُتدثرة أسفل الغطاء بينما ظلت نظارتها جاثمة على أنفها بينما كانت مُنهمكة في لعبة «كاندي كراش» أو لعبة أخرى مُحبطة شبيهة بها- والتي تم تخصيصها من أجل إهدار الوقت.

- لقد انبعث صوت ضجيج عبارة عن مزيج من مجموعة من الأصوات المتنافرة التي تجمع بين الصفير وزقزقة العصافير من هاتفها كما قامت كريستال بتغيير ثيابها أسفل الفراش ثم ارتدت سراويل طويلة واسعة بينما كانت دمية الدب الملطّخة الخاصة بها تستقر بين انحناءات ذراعها أثناء مشاهدتها لفيلم «مارفل». كان صوت الموسيقى التصويرية يتسلل من سماعات الأذن الخاصة بها والذي بدا أقرب إلى الصراخ والأصوات المشوّشة، بمقدوري سماع صوت إطلاق النيران وكذلك يد أحدهم أثناء قيامها بتحطيم جمجمة ما، في الجانب الآخر من المقصورة كانت ميرندا تتوكأ على فراشها العلوي مرتديةً قميصاً ضيقاً مرسوم عليه صورة دبابة حربية وسراويل قصيرة جدًا بالكاد ما ثلائمها ثم أمسكت بهاتفها ووضعته بالقرب من وجهها ثم رسمت نظرة عبوس مزيفة أثناء التقطاها لعددٍ كثير من الصور.

- من المفترض ألا تستخدمن هواتفكن، قلتها لهن على الرغم من أني ارتكبت نفس الإثم صباح هذا اليوم ثم واصلت حديثي قائلةً:

- حاولن الحفاظ على بطاريات هواتفكن.

- وما هي الأشياء الأخرى التي بمقدورنا القيام بها إذن؟، سألتني كريستال بعد أن قامت بخلع سماعات الأذن الخاصة بها.

- باستطاعتنا أن نتحدث سويًا، ربما لا تصدقين ذلك ولكن الناس بالفعل يفعلون ذلك قبل البدء في تمضية وقتهم بالكامل يُحدقون في شاشات هواتفهم.

- لقد رأيتك تتحدثين إلى ثيو بعد تناول العشاء، قالتها ميرندا بينما ارتعش صوتها متأرجحًا بين البراءة والاتهام ثم واصلت أسئلتها:

- هل ثيو صديقك الحميم؟

- لا، إنه ...

في الواقع لم أكن أعرف بم يمكنني مناداته، فالكثير من الألقاب تُناسبه، هل هو صديقي؟ ليس بالضرورة. لكن ربما يكون أول شخص أعجبت به على أرض الواقع كما أنه هو ذلك الشخص الذي اتهمته بالقيام بشيء مريع لفيفان وناتالي وأليسون، ربما يمكنني تعريفه بذلك أيضًا؟ أجل،

بالطبع.

- انه أحد المعارف.

- هل لديك حبيب؟، سألتني ساشا.

- ليس لديَ في الوقت الحالي.

في الواقع لديَ الكثير من الأصدقاء الرجال إما من أولئك الشواذ جنسيًا أو أولئك الذين يشعرون بالانطوائية الشديدة ومن ثم يتعذر عليَ إقامة علاقة رومانسية حقيقية مع أي منهم، يمكنني القول بصراحة إن مواعدتي لأحدهم لا تستمر طويلًا، فالكثير من الرجال يحبون فكرة أن يكونوا على علاقة بفنانة ولكن القليل منهم قادر على اعتياد حقيقة الموقف ويرجع ذلك إلى ساعات العمل الإضافية، والشعور المستمر بالشك في القدرات الذاتية، والأيدي الملطخة التي تفوح منها رائحة طلاء الزيت في معظم الأحيان، إن آخر شخص قمت بمواعدته على سبيل المثال كان محاسباً وسيماً غبياً في إحدى شركات الدعاية المنافِسة والذي بذل قصارى جهده لتحمل الوضع لمدة أربعة أشهر قبل الانفصال، يجدر بي الإشارة أن حياتي العاطفية باتت مؤخرًا تتألف من مغازلاتٍ ومداعباتٍ عاطفية من جانب أحد النحاتين الفرنسين والذي التقيته صدفة في المدينة نظرًا لقيامه ببعض الأعمال.

لقد التقينا ببعضنا من أجل احتساء النبيذ والتحدث كما أن ممارسة الحب قد جعلتنا أكثر شغفًا بتلك العلاقة.

- إذن كيف تعرفت إلى تيو؟، سألتني كريستال.

- منذ أن كنت أحد المخيمين هنا.

التصقت ميرندا بتلك المعلومة الجديدة تمامًا كما تعض سمكة القرش الكبيرة قنفذ البحر الصغير وقد رسمت على وجهها ابتسامة عريضة خبيثة أضاءت عينيها، لقد ذكرتني كثيرًا بفيفان مما جعلني أشعر لتوي بألمٍ مُبالغ يعصر قلبي.

- إذن هل كنت في معسكر نايتنجيل؟ أعتقد أن هذا كان منذ فترة طويلة جدًا!!

بدلًا من أن أشعر بالإهانة، ابتسمت معجبةً بمهارتها وقدرتها الواضحة المتمثلة في التهكم على الاخرين، إنها فتاة خبيثة حقًا، كانت فيفان لتحبها.

- أجل بالفعل.

- هل أعجبك المكان هنا؟، سألتني ساشا بعد أن تسلل صوت الموسيقى الطنانة من خارج هاتفها والتي أوحت بتحطم قطع الحلوى، تلك اللعبة التي حرصت على القيام بها والتي انعكست صورتها عبر عدسات نظارتها.

- في الواقع لم يعجبني المكان كثيرًا في البداية.

- لماذا عدتِ إلى المُخيّم مُجددًا؟، سألتني كريستال.

- لأتأكد أنكن أيتها الفتيات تقضين وقتًا مُمتعًا أكثر منا.

- ما الذي حدث؟، سألت ميرندا ثم أضافت:

- هل حدث أمر مُريع؟، قالتها ثم انحنت إلى الأمام مُتجاهلةً هاتفها مؤقتًا بينما تنتظر إجابتي على هذا السؤال، وحينها عثرت على فكرةٍ ما ثم قلت على الفور:

- أغلقن الهواتف!

لقد قصدت ما قلته حرفيًا، وكنتيجة لذلك تذمرت الفتيات وكانت ميرندا هي الأكثر إثارة للضوضاء بين الجميع ولكن على الرغم من ذلك فقد قامت بإغلاق هاتفها.

جلست القرفصاء على الأرض وأعطيت ظهري لحافة الفراش ثم حرصت على الاقتراب منهن وقد فعلت الفتيات الأمر ذاته.

- ما الذي سنفعله؟، سألتني ساشا.

سنلعب لعبة تدعى حقيقتين وكذبة، فأنت مُطالبة أن تقولي عن نفسك ثلاثة أشياء، من بينها شيئان صحيحان بينما سيكون هناك شيء واحد خاطئ ونحن مثلاً يتعين علينا تخمين تلك الكذبة من بين تلك الأشياء التي تفوهت بها.

لقد قمنا بتلك اللعبة خلال إقامتي الوجيزة في مقصورة القرانيا عدة مرات بدءًا من تلك الليلة التي وصلت فيها إلى المعسكر، لقد جلسنا نحن الأربعة على أسرتنا وسط الظلام نستمع إلى أنغام الضفادع والصراصير القادمة من خارج النافذة وحينها قالت فيفان بغتةً:

- حقيقتان وكذبة أيتها الفتيات! سأبدأ أنا، قالتها ثم تفوهت بثلاثة عبارات من دون أن تعرف إن كان لدينا فكرة عن تلك اللعبة أم لا.

واحد: لقد التقيت الرئيس وقد كان كف يده متعرقًا ، اثنان: كان أبي وأمي ينويان الانفصال إلا أنهما تراجعا عن قرارهما بعد انتخاب أبي، ثلاثة: ذات مرة وبينما

كنت أقضي عطلتي في أستراليا قمت بالتغوط على أحد حيوانات الكوالا.

- لقد قلت النقطة رقم ثلاثة تلك خلال إجازتنا العام الماضي، قالتها ناتالي.

- لا لم أفعل.

بلى لقد فعلت، لكنك قلت حينها إن حيوان الكوالا هو من تغوط عليك، قالتها أليسون.

هكذا كانت تسير الأمور كل ليلة حيث كنا نحرص خلال الليل على مُشاركة تلك الأسرار التي لا نجرؤ على الإفصاح عنها خلال النهار، فقد كنا نقوم بتشييد كذباتنا بطريقة مُنمقة تجعلها تبدو حقيقية، وعلى هذا النحو عرفت أن ناتالي قد حاولت تقبيل أحد رفاقها في حفلة الهوكي وأن أليسون حاولت تخريب إحدى الحفلات النهارية لعرض مسرحية البؤساء عن طريق سكب عصير العنب على فستان أمها قبل رفع الستار بخمس دقائق، كانت تلك اللعبة إحدى ألعاب فيفان المفضلة، لقد قالت إنه باستطاعة المرء أن يعرف أكاذيب شخصٍ ما أكثر من حقائقه من خلالها، لم أكن أصدقها حينها إلا أنني صدقتها كُليًا الآن.

- سأبدأ، قالتها ميرندا مواصلةً حديثها:

واحد: لقد مارست الحب ذات مرة مع فتى المذبح على كرسي الاعتراف خلال قداس عيد الميلاد، اثنان: إنني أقرأ مائة كتاب خلال العام الواحد تحديدًا كتب الغموض والإثارة. ثلاثة: لقد تقيأت ذات مرة بعد وقوع الإعصار في جزيرة كوني.

- الكذبة هي النقطة الثانية، قالتها كريستال.

- أجل، بالطبع، أضافت ساشا.

تظاهرت ميرندا أنها مُنزعجة على الرغم من أن هيئتها توحي أنها راضية عن نفسها بشكلٍ سري.

- هل لأنني فتاة جميلة تظنون أنني غير مثقفة؟ حسنًا لمعلوماتكم، إن الفتيات المُثيرات يقرأن!

- ما هي الكذبة إذن؟، سألتها ساشي.

- لن أقول، قالتها ميرندا راسمةً ابتسامة عريضة على وجهها.

- لنقل إذن إنني لم أذهب من قبل إلى جزيرة كوني لكنني أتوجه باستمرار إلى القداس.

مضت كريستال قدمًا وقالت إن بطلها الخارق المفضل هو الرجل العنكبوت كما أن اسمها الأوسط هو كريستال أيضًا كما أنها أيضًا تتقيأ بعد الإعصار.

- الكذبة هي النقطة الثانية، قلناها جميعًا في انسجامٍ واضح.

- هل هذا أمر واضح للغاية؟، سألتنا.

- أنا أسفة حقًا ولكن إذا كان اسمك فعلًا كريستال كريستال لكان ذلك قسوة من جانب والديك فكلمة واحدة تكفي.

عندما جاء دورها قامت ساشا برفع نظارتها قليلًا إلى أنفها ثم قطبت جبينها بعض الشيء محاولةً التركيز، كان جليًا عليها أنها لم تعتد على الكذب.

- حسنًا، طعامي المفضل هو البيتزا، هذه هي النقطة الأولى أما الثانية هي أن حيواني المفضل هو فرس النهر، والنقطة الثالثة هي أنني لا أحب فعل ذلك فالكذب حقًا أمر سيء ، أليس كذلك يا فتيات؟

- لا عليكِ، ما من مشكلة هناك، فصدقك هذا أمر نبيل جِدًا، قلتها بشكلٍ عفوي.

- إنها تكذب، قالتها ميرندا.

- أليس كذلك يا ساشا؟، فالنقطة الثالثة هي الكذبة، صحيح؟

تهكمت ساشا متظاهرةً بالبراءة قائلةً:

- لا أعرف، سيكون علينا الانتظار لنرى ذلك.

- والآن حان دورك يا أيما، قالتها كريستال.

- حقيقتان وكذبة، أقولها بعد أن آخذ نفسًا عميقًا محاولةً المماطلة، فعلى الرغم من علمي أن دوري قادم لا محالة إلا أنه لم يكن بمقدوري التفكير في أشياء مناسبة، فهناك الكثير من الأمور التي لا يعرفها الاخرون عني لكنني لا أريد إلا الكشف عن قليلٍ منها لذا قلت:

- واحد: لوني المفضل هو الأزرق، اثنان: لقد ذهبت إلى متحف اللوفر.

- لازلت بحاجة إلى نقطة ثالثة، قالتها ميرندا.

ها أنا أقوم بالمماطلة قليلًا باحثةً في رأسي عن الاحتمالات ثم أجد نفسي أستقر على شيءٍ بين الخيال

والواقع:

- ثلاثة: خلال صيف عامي الثالثة عشرة قمت بشيءٍ مُريع للغاية.

- الكذبة بكل تأكيد هي النقطة الثالثة، قالتها ميرندا ثم أومأت لتحظى بقبول الآخرين والحصول على موافقتهم لرأيها.

- ما أقصده إن كنت فعلًا قد قمت بشي مُريع فأنت لن تعترفي بذلك خلال لعبة ما.

أبتسم لهن مُتظاهرةً أنهن على صواب، فلا تعرف أي واحدة منهن أن تلك اللعبة تم تصميمها خصيصًا لخداع الآخرين بكذبة ما، إن هدفها هو جعلهن يعتقدن أن تلك هي الحقيقة.

قبل خمسة عشر عامًا

كانت ليلتي الثانية في مخيّم نايتنجيل مؤرقة تمامًا كما الأولى، وربما كانت أكثر سوءًا، فلم يكن هناك كهرباء في المقصورة وكذلك لم يكن هناك مُكيف هواء ولا مروحة، وما من شيءٍ يمكننا استخدامه كدرع للحماية من حرارة شهر يونيو الشديدة، لقد استيقظت قبل بزوغ الفجر متفرّقة وكذلك كنت لا أشعر بالراحة، أضف إلى ذلك أن شعوري بالرطوبة تُبلل ساقي، وعندما قمت بغمس اصبع سبابتي أسفل ملابسي الداخلية للتحقق من الأمر وجدتها تعود إليَ مُلطخة بالدماء، لقد استولى عليَ الألم في تلك اللحظة ولم أكن أعرف ما الذي يتعين عليَ فعله، لقد كنت أعرف بشأن «فترة الحيض» فلقد تم التحدث مع الفتيات في نفس صفي في هذا الأمر في العام السابق، وكان هذا بدوره يُشكل راحة كبيرة لأمي التي نجت من ذلك الحرج، جدير بالذكر أنه قد تم إخبارنا بسبب حدوثه وكيف يحدث إلا أن معلمة التربية الرياضية خاصتي السيدة باكستر البلهاء قد تجاهلت إخبارنا ما الذي نفعله حين يحدث ذلك، لقد شعرت بالخوف والجهل وزحفت على الفور إلى خارج فراشي في ذعر مُتسلقةً السلم المؤدي إلى الفراش العلوي خائفةً من التحرك أكثر واعتمدت على قدمٍ واحدة وحاولت الصعود على هذا النحو مُمسكة بجوانب الدرج وحاولت القفز بسرعة بطريقة مرتعشة وعندما وصلت إلى القمة كانت فيفان نصف مستيقظة بالفعل ورفرفت عيناها أسفل خصلات شعرها الأشقر التي غطت وجهها كما لو كانت حجابا ثم قالت:

- ما الذي تفعلينه بحق الجحيم؟

- إنني أنزف، قلتها هامسة.

- ماذا؟

إنني أنزف، قلتها مرةً ثانيةً ضاغطةً على الكلمة الثانية قدر استطاعتي.

- حسنًا، اذهبي للحصول على حقيبة الإسعافات الأولية.

- إنها بين قدمي.

بدت عيون فيفان مُتمثلة في تلك اللحظة التي أزاحت فيها خصلات شعرها عن وجهها.

- هل تقصدين أن هذه مرتك الأولى؟

- أجل.

- اللعنة!، قالتها بنبرة تحمل جزءًا من الانزعاج وجزءًا من الشفقة.

- حسنًا، تعالي فهناك سدادات قطنية في المرحاض.

لحقت بفيفان كما لو كنت بطةً تمشي على طريقٍ يغطيه المهاد.

نظرت لي فيفان بغتةً ثم قالت:

- توقفي عن المشي ببطء على هذا النحو فأنت تبدين كما لو كنت فتاةً حمقاء.

قامت بالضغط على زر الإضاءة ثم قادتني إلى أقرب مرحاض ثم التقطت لي فوطة صحية من موزع الحائط، لاحقًا شرعت فيفان في إعطائي تعليمات من الجانب الآخر للمرحاض

- هل فعلتها بشكلٍ جيد؟

- في الواقع لست واثقة.

- على أية حال سوف تعرفين ذلك بمفردك.

بقيت داخل كشك المرحاض، كنت أشعر بالخجل والخزي، ها أنا أصبحت امرأة الآن بشكلٍ رسمي، لا أعرف كيف يتوجب عليَ أن أشعر في تلك الحالة، لكن تلك الفكرة ملأتني بالحزن والخوف وبدأت على الفور في البكاء وذرف كل تلك الدموع التي كنت أحبسها منذ الليلة السابقة، لم يكن بيدي حيلة.

سمعتني فيفان بالطبع وقالت:

- هل تبكين؟

- لا.

- أنت تبكين بالفعل، أنا قادمة إلى الداخل.

قبل أن أتمكن من الاعتراض على ذلك دخلت فيفان وقامت بإغلاق الباب خلفها ثم دفعتني قليلًا وجلست إلى جواري على مقعد المرحاض وقالت:

- بربك! الأمر ليس بهذا السوء.

- ولكن كيف لك أن تعرفي ذلك فأنت أكبر مني بثلاثة سنوات فقط؟!

- وهذا في حد ذاته عمر زمني كافٍ جدًا، صدقيني، فقط اسألي أختك الكبيرة.

- أنا طفلة وحيدة.

- هذا أمر مؤسف حقًا، فالأخوات الكبيرات رائعات، على الأقل لقد كانت لديَ واحدة.

- لطالما تمنيت أن تكون لي أخت، قلتها ثم أضفت:

- تلك التي بإمكانها أن تعلمني الكثير من الأشياء.

- مثل كيف ترتدين السدادات القطنية وقت الحيض؟

ضحكت من أعماق قلبي حقًا، ورحل ذلك الشعور بالخوف وعدم الراحة، لقد نسيت كلا الأمرين.

هذا أفضل، لا بكاء بعد اليوم، أنا أرفضه ومنذ تلك اللحظة التي أتيت فيها معك إلى هنا لألبي نداء الواجب فإنني أيضًا أعرض خدماتي أن ألعب دور الأخت الكبرى البديلة في حياتك لمدة ستة أسابيع، باستطاعتك إذن التحدث معي في أي شيء لعين تودين التكلم عنه.

- هل بمقدورنا التحدث عن الأولاد؟

- حسنًا، يمكنك فلديَ الكثير من الخبرة في تلك المنطقة، لكن صدقيني يا أيما إنهم أكثر إثارة للمتاعب مما تظنين.

- ما مدى خبرتك؟

- إذا كنتِ تسألين إن كنت مارست الحب أم لا، فإن إجابتي هي أجل.

ابتعدت عنها قليلًا في تلك اللحظة، فأنا لم ألتق في السابق أي فتاة قامت بذلك من قبل.

- تبدو الصدمة جلية على ملامحك!، قالتها فيفان.

- لكنك في السادسة عشرة من عمرك فقط.

- هذا يجعلني كبيرة بما يكفي.

- هل أعجبك ذلك؟

رسمت فيفان ابتسامة عريضة على وجهها وقالت:

- أجل أعجبني.

- وهل وقعت في حب ذلك الشخص؟

في بعض الأحيان لا يدور الأمر حول الوقوع في الحب لكنه يتعلق فحسب برؤية شخص ما والرغبة في التواجد معه.

فكرت في ثيو في تلك اللحظة، كم كان وسيمًا مفتول العضلات جذابًا، وكيف أن رؤيته تجعلني أشعر بحالة من عدم التوازن المحبب للنفس، فقط في تلك الأثناء

التي جلست فيها برفقة فيفان أدركت أنني قد اختبرت شرارة الرغبة الأولى من قبل، وقد جعلني ذلك الإدراك أبكي مجددًا، إلا أنني توقفت فور الإنصات إلى صوت صرير باب المرحاض المفاجئ والذي تبعه صوت خطوات أحدهم، استرقت فيفان النظر عبر فتحة باب المرحاض ثم استدارت بدورها نحوي بعينين متسعتين وقالت:

- اللعنة! من هذا؟

أجبتها على الفور وحينها رددت إجابتي مرة ثانيةً:

- ثيو؟

وصل صوت تدفق المياه في حوض الاستحمام في الخارج إلى آذاننا والذي كان قادمًا من أحد أكشاك الاستحمام البعيدة داخل المبنى، بدأت أشعر بالدوار فقد كان عقلي ممتلئا بتلك المشاعر التي داهمتني خلال ليلة أمس من دفء وسعادة وخزي، ها أنا أقف في نفس الغرفة الذي يستحم بها الصبي الذي أعجبت به منذ اللحظة الأولى! لا، إنه ليس صَبِيًا لكنه رجل! كلا، إنه ثيو هاريس وايت.

- ما الذي سنفعله الآن؟، همست إلى فيفان لكنها لم تُجب وبدلًا من ذلك تقدمت بضع خطوات إلى الأمام خارج المرحاض نحو الباب وقامت بجري إلى هناك، شعر كلانا بالعجز عن التراجع الصامت فقد قهقهت فيفان بجنون وحينها تعثرت واصطدم كتفي بحامل المناديل الورقية.

- توقفوا!، قالها ثيو من داخل كشك الاستحمام ثم أردف:

- مَن هناك؟

تبدلت أنا وفيفان النظرات لبعض الوقت وشعرت بالذُعر الشديد بينما بدا الابتهاج على وجهها وقالت برزانة وهي تضغط على حروف اسمها بشكلٍ ملحوظ:

- أنا فيفان.

مرحبًا يا فيف، قالها ثيو وحينها شعرت بنيران الغيرة تتوهج بداخل صدري، كم كانت فيفان محظوظة. فأن تكون معروفة بالنسبة لثيو وأن يقوم بالترحيب بها بتلك الألفة والبساطة، لاحظت فيفان الحقد الظاهر في عيني وقالت:

- إيما هنا أيضًا.

- من هي ايما ؟

- أيما دايفيس، إنها فتاة جديدة.

- أوه! أجل، إنها ايما ، الفتاة التي وصلت المخيم متأخرة.

لقد شعرت بالصدمة والسعادة لأن ثيو يعرف من أكون. انتابني ذلك الشعور لأنه يتذكر أنه قادني خلال تلك الليلة المظلمة إلى مقصورة القرانيا.

غمرتني البهجة لأنه انتبه إليّ ولاحظ وجودي.

لكزتني فيفان وأجبرتني بذلك على الرد السريع قائلةً:

- مرحبًا يا ثيو.

- لماذا استيقظتم باكرًا جدًا هكذا؟

وقفت في مكاني ثابتة كدت أتجمد من الخوف وكنت أمسك بمعصم فيفان وتوسلت إليها سرًا ألا تخبره شيئًا عن هذا الأمر، لم أكن واثقة إن كان بمقدور فتاة في الثالثة عشرة من العمر أن تموت من شدة الحرج والارتباك أم لا.

- أردنا الذهاب إلى المرحاض، ولكن السؤال الأهم الآن هو لماذا أنت هنا أليس هناك مرحاض في النُزل؟

- أجل، لكن في الواقع ضغط المياه مُزر جدًا هناك، فتلك الأنابيب قديمة جدًا ولهذا السبب على وجه التحديد زحفت خارج الفراش في هذه الساعة الصباحية المبكرة جدًا قبل أن تستيقظ إحداكن يا فتيات.

لقد كنا هنا أولًا، قالتها فيفان.

- حسنًا، سأكون ممتنًا جدًا إذا غادرتم المكان حتى يمكنني أن أستحم بسلام.

ضحكت فيفان وغمزت لي وتعالت ضحكاتي أنا الأخرى بوقاحة وبشكلٍ غير لائق، من المؤكد أن ثيو قد استمع إلى ذلك.

- هيا يا فتيات لا يمكنني البقاء هنا طيلة اليوم.

- حسنًا، نحن ذاهبتان.

مضينا قدمًا خارج المرحاض في جوّ من الضحكات العالية بينما كنت لا أزال أمسك بمعصم فيفان، وقد دار كلانا حول بعضنا البعض وبقينا نتحدث ونضحك حتى شعرت بأن كل شيء حولي يدور ورأيت المخيم والمرحاض ووجه فيفان ملطخة بألوان السعادة الضبابية كعلامة على رغبتي في النوم.

الفصل العاشر

استغرق الأمر عدة ساعات حتى أسقط في النوم، فذلك الصمت الذي لا يحتمل لم تكن تعتاده أذناي التي ألفت بدورها فقط ضوضاء مدينة مانهاتن، وفي تلك اللحظة التي حاولت فيها الانجراف إليه اختبرت مجموعة من الكوابيس التي عصفت بنومي، كان أكثر تلك الأحلام وضوحًا هو أنني أرى وجه تلك المرأة ذات الشعر الطويل التي رأيتها في تلك الصورة التي كانت فيفان تحتفظ بها في خزانتها، ولكن عندما تأملت عينيها المحبطتين عن قرب تيقنت أني أنظر إلى المرأة! لقد كنت أنا تلك المرأة الغامضة الموجودة في الصورة، وهذا هو شعري السخيف العبثي الذي يتدلى ويزحف أرضًا، وهذه هي عيني السوداء التي تُحدق في عبر المرأة، جعلني ذلك الشعور أستيقظ من نومي على الفور، جلست في مكاني حاملةً ثقل أنفاسي المتعبة وكل هذا العرق الذي كان يتصبب على جسدي، لقد صعقتني أيضًا رغبتي المفاجئة في التبول والتي جذبتني خارج فراشي، وحرصت ألا أوقظ الآخرين ثم تعثرت في الظلام محاولةً الإهداء بضوء وميض الهاتف الخاص بي باحثةً كذلك عن زوجي حذائي الجديد الذي قمت بشرائه مؤخرًا حتى أتوجه إلى الخارج، ظل وميض الهاتف مطفأً حتى قمت بغمس نفسي وسط ذلك الظلام الذي يلف العراء بينما كنت النجوم تُرصّع صفحة السماء، لقد كنت نسيت مدى الاختلاف الذي يشهده ذلك المكان، فالليل هنا يعد أكثر وضوحًا منه في المدينة، فالسماء لا يشوبها التلوث الضوئي والمكان غير متأثر بحركة المرور الجوي، وها هي السماء تمتد كلوحة ضخمة مظلِمَة بلون منتصف الليل الأزرق بينما ينخفض القمر قليلًا من الأرض ويبدو نوره منغمسًا في تلك الغابات الغربية، إنه مشهد جميل حقًا يُشعرني بالتحفيز لأقوم برسمه، توجهت إلى المرحاض على الفور وقمت بالضغط على زر الإضاءة المجاور للباب بينما كانت المصابيح الفلورية تُطلق همهماتها العلوية أثناء توجهي إلى أقرب كشك لقضاء حاجتي، هناك حيث قادني فيفان من قبل خلال تلك الليلة الفريعة المخيفة.

لقد أدهشني في ذلك اليوم كيف دخلت المرحاض شاعرةً بشيءٍ ما ثم خرجت منه بشعورٍ مُناقض تمامًا لما كنت

أحس به، مضيت إلى الداخل بينما أرعبتني طرق خداع جسدي لي، لقد غادرت هذا المكان في نوبةٍ من الضحك ممسكةً بمعصم فيفان، لا زلت أتذكر كم كنت سعيدة في تلك اللحظة وكم شعرت بأنني حقًا على قيد الحياة، جعلتني تلك الذكرى أتنهد لحظة تأهبي لمغادرة المرحاض، أوقفني صوت صرير أحد الأبواب من جديد، ظننت أنه ربما يكون هذا هو ثيو أيضًا، مجرد فكرة حزينة سخيفة، لكنها أيضًا ليست خارج الاحتمالات ممكنة الحدوث فها نحن بعد مضي كل تلك السنوات نعود مرةً أخرى إلى هذا المكان.

ها أنا أحاول استراق النظر عبر فتحة جدار المرحاض، فإذا بي أجد فتاة طويلة شقراء ترتدي ثيابًا مكشوفة، إنها تقف في صف الأحواض بمحاذاة الحائط تتفقد ملامحها في المرآة المجابهة لنا، أتأملها وأحاول النظر بتمعن إلى انعكاسها، ها أنا ألمح عينين داكنتين وأنفاً صغيراً وذقناً دقيقة، ثمة شهقة تُمسك بتلابيب حلقي في تلك اللحظة التي أدفع بها باب المرحاض لأناديها باسمها:

- فيفان؟

أعرف أنني مخطئة حتى قبل أن تستدير الفتاة التي كانت تقف أمام الحوض، لم يكن شعرها أشقرًا إلى هذه الدرجة التي كنت أقصدها، وكذلك لم تكن بشرتها أكثر سُمرة، وعندما واجهتني رأيت الحلق الماسي المُعلّق في أنفها وحينها اقتربت مني وقالت:

- مَن هي فيفان تلك بحق الجحيم؟، سألتني ميرندا.

- لا أحد، قلتها ثم حاولت أن أتوقف عن الكذب فقلت:

- إنها فتاة كنت التقيتها هنا في المُخيّم.

- حسنًا، في الواقع لقد أشعرتني بالخوف الشديد.

ليس لديَ شك في ذلك، لقد أخفت نفسي أيضًا، وعندما أنظر إلى يدي أجدني أمسك بالسوار السّحريَ، وهاَ هي رؤوس طيوره الصغيرة تُصدر صوتاً أقرب إلى الصلصلة.

- أنا آسفة، أقولها لمريندا .

- في الواقع لقد كنت مُرتبكة ومتعبة.

- ألا يُمكنك النوم؟

وأنت؟

- نفس الشيء، قالتها بقليلٍ من اللامبالاة مما جعلني أشعر في الحال أنها مجرد كذبة، فأنا ماهرة جدًا في معرفة

أمر كهذا. لقد تم تدريبي على يد الأشخاص الأفضل فيما يتعلق بالكذب.

- هل كل شيء على ما يرام؟، أومأت لي ميرندا وسرعان ما استحالت حركتها تلك إلى هزة رأس متأنية. لقد أبرزت تلك الحركة احمرار عينيها وتلك الخطوط الحمراء اللامعة التي تحتل وجنتيها كما أنه قد تبين كذلك أنها قامت للتو بتجفيف دموعها.

- ما الذي حدث؟

- لقد انفصل أحدهم عني للتو، وهذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها ذلك. فلقد اعتدت بدوري عن هجرهم أولًا وليس العكس.

توجهت إلى الحوض لأقف إلى جوارها وقمت بفتح صنبور المياه. كانت المياه شديدة البرودة. قمت بإضافة بعض الماء على منديلٍ ورقي ثم بدأت بمسح وجنتي ورقبتي، لقد كان شعورًا لذيذًا رائعًا حقًا. فها هي المياه الباردة تُداعب بشرة أجهدتها الحرارة المرتفعة وكادت أن تتبخر تحت تأثير حدتها. تلك القطرات المتلاشية التي تترك نتوءات أشبه بوخز الإبرة خلال ملامستها للجلد.

تُراقبني ميرندا وتبدو كمن يحاول البحث عن الراحةِ سِرًا. لقد شعرت وكأن هذا جزءًا من وظيفتي، على الرغم من أنني لست مؤهلة للقيام به. لقد عرفت الآن ما تعنيه حسرة القلب.

- هل تريدين أن نتحدث عن ذلك؟

- لا، قالتها ميرندا ثم أضافت:

- في الواقع نحن لم نكن جادين في تلك العلاقة. نحن فقط قمنا بمواعدة بعضنا البعض لمدة شهر. أستطيع تفهم ذلك جيدًا. فها أنا الآن هنا لمدة ستة أسابيع وصديقي يريد أن يحظى هو الآخر بمتعته خلال تلك العطلة الصيفية. لكن ما يؤلمني حقًا أنه انفصل عني عن طريق إرسال رسالة نصية! أتساءل إلى أي نوع من الأوغاد ينتمي؟

- إنه لا يستحقك ببساطة. قلتها بينما تدفقت دموعها على وجنتيها لكنها رفضت ذلك وقامت بتجفيفها بقبضة يدها على الفور ثم قالت:

لكنني أعجبت به. على الرغم من أن هذا لا يحدث عادةً. ففي معظم الأحيان هم من يعجبون بي وليس أنا. ولكنه

شخص مختلف، ربما تظنين أنني أتصرف كما لو كنت طفلة.

- أعرف أنك مجروحة، لكنك ستشعرين بتحسن في القريب، فأنت تعتقدين أنه بمجرد عودتك من الفخيم سوف تجدينه برفقة إحدى...

- العاهرات، قالتها ميرندا.

- أجل، بالضبط، ستجدينه حينها برفقة إحدى العاهرات وسوف تتساءلين حينها كيف لك أن تُعجبي بشخصٍ مثله في المقام الأول؟

- وحينها سيندم أيضًا على قرار هجره لي، قالتها ميرندا وهي تتأمل انعكاسها في المرآة بينما تبتسم لما تراه لتوها ثم أضافت:

- لأنني سأحرص على أن أبدو أكثر إثارة خلال إقامتي هنا!

- هذه هي الروح المطلوبة، والآن عودي إلى المقصورة، وسأكون هناك في غضون لحظات.

توجهت ميرندا إلى الباب ولوحت لي، وعندما خرجت بقيت في مكاني أواصل رش بعض الماء البارد على وجهي لأقوم بتهيئة نفسي، في الواقع لا أصدق أنني ظننتها فيفان منذ قليل، فأنا لا أرغب في سلك ذلك الطريق مجددًا، لقد ولت تلك الأيام، ولا شكر لهذا المكان وذكرياته التي لا تزال تعود من جديد كما لو كانت عادة سيئة، عندما خرجت من المرحاض تأملت السماء وعلى الرغم من أنها تبدو مألوفة إلا أنني رأيت ذلك الظل الرمادي الذي اعتدت على استخدامه في لوحاتي والذي كان صامتًا وكئيبًا ولا يشتمل على أي ذرة أمل، كان ذلك نفس اللون الذي شاهدته برفقة فيفان خلال ساعات الصباح الباكرة في نهاية تلك الليلة سالفة الذكر فقد غادرنا بنوبة من الضحكات المتعالية بينما كانت بقية فتيات الفخيم نائمات يخيم السكون على غرفهن، لقد شعرت حينها أنه ما من أحد سوانا على كوكب الأرض إلا أنه كان هناك شخص ثالث مستيقظ أيضًا سرعان ما ذكرتني به فيفان.

- تعالي إلى هنا، همست فيفان إلي لأجلس برفقتها على كرسي المرحاض وقد اتكأت بذراعها على جداره المصنوع من أشجار الأرز، هناك شيء ما أعرف أنك تودين رؤيته،

قالتها وأشارت ناحية لوحين من الخشب ناحية الجدار الخارجي، أحد تلك الألواح كشفت عن تصدع كبير يكفي لدخول الضوء إلى داخله، في بعض الأحيان يومض الضوء لمدة دقيقة وقد يتم حجبه على يد شخص أخر من الجانب الاخر للجدار، ذلك الشخص هذه المرة كان ثيو والذي ظل في كشك الاستحمام، ها أنا أسمع صوت تدفق المياه ودندنته لإحدى الأغنيات القديمة المبهجة.

- كيف عرفت عن هذا؟، سألتها.

رسمت فيفان ابتسامة عريضة على وجهها ثم قالت:

- لقد عثرت عليه العام الماضي، لا أحد يعرف بشأن ذلك سواي.

- هل تريدينني أن أتجسس على ثيو؟

- لا، قالتها فيفان ثم أضافت:

- لكني أتحداكِ أن تقومي بفعل ذلك.

- لكن هذا أمر خاطئ.

- هيا امض قُدمًا، ألق نظرة، إنه لن يعرف أبدًا بشأن ذلك.

ابتلعت ريقي بصعوبة وشعرت بجفاف حلقي ثم اقتربت للغاية من الجدار من أجل إلقاء نظرة بشكلٍ أوضح وشعرت بالخجل والخزي لكوني أرغب في ذلك، ربما يعود السبب الأكبر في ذلك الشعور إلى رغبتي الشديدة في إرضاء فيفان.

- الأمور على ما يُرام، فعندما تُتاح لكِ الفرصة للنظر ستكونين حمقاء جدًا لتفويتها.

نظرت في الحال عبر فتحة جدار المرحاض، على الرغم من يقيني أن ما أقوم به هو شيء خاطئ، انحنيت قليلًا ودفنت عيني داخل تصدع الجدار، للوهلة الأولى لم أر إلا بخار المياه المتصاعد في حوض الاستحمام ثم ظهر ثيو لاحقًا والذي بدا شابا قوي العضلات ذا بنية رائعة كما أنه يمتلك بشرة ملساء لامعة، كان هذا هو المشهد الأكثر جمالًا وإرباكاً الذي رأيته في حياتي بأسرها، في الواقع لم أراقبه لوقتٍ طويل فبعد مرور عدة ثوان استشعرت مدى الخطأ الذي نقترفه خلال ذلك الموقف وابتعدت عن الفتحة بوجهٍ أحمر وشعورٍ أقرب إلى الدوار، وحينها وقف فيفان خلفي تهز رأسها بطريقة توحي أنها لا تعرف إن كنت قد نظرت بما فيه الكفاية أم أنني استغرقت وقتًا أطول وسألتني: كيف

يبدو؟ يبدو مقرفا، أجبتها بينما نعود مجددًا إلى مقصورتنا. أجل إنه في غاية القرف. ركلت فيفان ساقي.

ها أنا في منتصف طريقي للوصول إلى المقصورة بينما يجذب انتباهي بغتةً صوت ضوضاء غريب، إنه أشبه بصوت حفيف الأشجار تمامًا كما لو أن شخصاً ما يسير على العشب ناحية اليسار.

فكرت على الفور فيما قالته كاسي حول قصة ضحايا منتصف الليل، في تلك اللحظة التي رأيت فيها شيئاً ما اعتقدت لجزء من الثانية أن أحد هذه الأشباح يتأهب لسحبي إلى قبرٍ مائي أو أن أحد أحفاد أولئك الناجين الهائمين يلوّح لي بالفأس من بعيد، قمت بتوجيه وميض هاتفي ناحية ذلك الضجيج المجهول، وقد تبين لاحقًا أنه ثمة ثعلب ما يتسلل إلى الغابة- كان هناك شيءٍ ما بداخل فمه، لقد بدا وكأنه حيوان ميت مجهول الهوية، كل ما أستطيع رؤيته هو فراء تسيل منه الدماء، توقف الثعلب لبعض الوقت عندما انعكس الوميض على وجهه.

يظهر جسده مُكوَرًا بينما يُحدق في وجهي بنظرته التي يمتزج فيها اللون الأبيض بالأخضر، يبدو وكأنه يفكر إن كنت أشكّل بدوري خطراً عليه لكنه يمضي قُدمًا فحتى هذا الثعلب لا يراني هكذا، ها هو يتقدم إلى الأمام ممسكًا بأحد الحيوانات ويتوجه إلى غمق الغابة بينما تتدلى الجثة من فمه، ها أنا أستأنف المشي مرة أخرى شاعرةً بالقليل من الخوف والحمق، سيطر عليّ ذلك المزاج عندما وصلت إلى مقصورة القرانيا وحينها رأيت شيئًا غير عادي عندما أوشكت على الإمساك بمقبض الباب، ثمة ضوء صغير أحمر يتوهج كما قمة السيجارة، إنه ينبعث من الجدار الخلفي للمقصورة المجابهة لنا، ربما مقصورة «البلاط الأحمر» وربما تلك المعروفة بمقصورة «شجرة الجميز»، أقوم بتوجيه وميض هاتفي ناحيتها لأرى مستطيلًا أسود اللون في إحدى الزوايا حيث تجمع بجانبي السقف، هناك أيضًا حبل صغير يتدلى إلى الأسفل، يوجد أيضًا كاميرا للمراقبة، من هذا النوع الذي تجده في أنحاء والمتاجر والمحال. أقوم بإطفاء الوميض وأحدق في عدسات الكاميرا التي تتلألا بخفة عبر الظلام الحالك. ها أنا أقف جامدةً لا أحرّك ساكنًا وفجأة ينطفئ الضوء الأحمر، أنتظر خمس دقائق ثم أمسك بالمصباح اليدوي خاصتي وأرفعه لمستوى

رأسي، ها هو اللون الأحمر يتوهج مرة أخرى، أعتقد أنه يقوم بذلك في كل مرة يدخل فيها شخص ما أو يخرج من المقصورة، في الواقع لا أعرف لكم من الوقت ستفعل الكاميرا ذلك أو حتى سبب وجودها هنا أو إن كان هناك مخيمان آخران هنا في تلك المنطقة، كل ما أعرفه أن فراني أو ثيو أو أي شخص آخر له علاقة بمخيم نايتنجيل قرروا أنها فكرة جيدة فعلًا إذا واصلوا مراقبة المقصورة.

إن المفارقة في هذه الحالة تثير أعصابي، فمنذ خمسة عشر عامًا، كنت أنا الشخص الوحيد الذي يخضع للمراقبة.

الفصل الحادي عشر

عندما عدت إلى المقصورة، لم أكن قادرة على النوم لذلك قمت على الفور بتغيير ثيابي وارتديت ملابس السباحة، كنت قد أحضرت ثوبًا زاهيًا مُشرقًا قمت بشرائه خلال رحلتي الطويلة إلى كوزوميل، أمسكت بالمنشفة التي أخرجتها من صندوق خزانتي الخاص ثم تسللت بخفة إلى خارج الغرفة، خلال طريقي إلى هناك التقيت تلك الكاميرا الخاصة بالمراقبة مرةً أخرى. لم أرغب في النظر إلى هذا النور الأحمر، فلم أكن أود أن أبدو مُتطفلةً على العدسات، مضيت قُدمًا بسرعة مُحاولة تجاهلها حتى لا أبدو مهتمة بالأمر في حالة إن كان أحدهم يُراقبني، عندما توجهت إلى البحيرة ألقيت نظرة على مباني المقصورات الأخرى لأرى إن كانت هناك كاميرات مراقبة خاصة بهم أيضًا لكنني لم أجد أي واحدة منها كذلك لم أعثر على أية مصابيح أو أعمدة الإنارة خافتة اللون ولم يتم تعليق أي منها على الأشجار، حاولت ألا أصب تركيزي على هذا الأمر حتى لا يتسبب في إثارة قلقي.

قمت بوضع المنشفة على حافة بحيرة منتصف الليل بالقرب من تصدعات الشاطئ الممتلئة بالقذارة والأوساخ ثم أسقطت الحبل لتوي وخطوت بحذرٍ بالغ إلى أعماق المياه. كانت المياه باردة مُنعشة، لم تكن كحمامات السباحة الساخنة التي اعتدت على الاستحمام بها في النوادي المحلية كل صباح، جدير بالذكر أيضًا أن بحيرة منتصف الليل كانت أكثر ضبابية وقتامة، وعلى الرغم من أن المياه لم تصل إلا إلى ركبتي فقط إلا أن أقدامي العارية قد بدت ضبابية مُلطخة باللونِ الأخضر.

عندما حاولت غُرف بعضاً من تلك المياه بين يديّ المضمومتين وجدت دوامات ظاهرة من تلك الطحالب الريشية ، حاولت أن أمد نفسي ببعض القوة فإذا بي آخذ نفسًا عميقًا وأغوص إلى الأسفل راكلةً أقدامي بكل قوة مادةً ذراعي إلى الأمام. تحركت فقط عندما بدأ صدري يضيق، اندفعت عندما استشعرت تورم رئتي، في تلك الأثناء وحدها قمت بقطع طريقي عبر البحيرة، ثمة دواماتٍ من الضباب كانت تحوم أعلى السطح لكنها سرعان ما افترقت عندما اندفعت خلالها.

ها هو سمك البحيرة الاصفر يقترب مني في تلك الأثناء التي أحاول فيها الهرب عبر طريقي مرتبكة، أجدني أتوقف عند منتصف البحيرة على بُعد ربع ميل من الشاطئ، في الواقع ليس لديّ أدنى فكرة عن مدى عُمق المياه هناك، ربما يبلغ ثلاثين قدما وربما مائة، أفكر في أن كل شيء موجود أسفل قدمي كان ذات يوم مجرد أرض جافة، تلك القرية المليئة بالأشجار والصخور والحيوانات، ها هي كافة تلك الأشياء تقع أسفل قدمي السابحتين الان، لقد تعفنت الأشجار بفعل المياه بينما احتلت الطحالب الأحجار وقد خدشت الأسماك جلود الحيوانات ولحومها والان لم يتبق منها شيء سوى العظام، لا أشعر بالراحة عندما أفكر على هذا النحو، أتذكر تلك القصة التي أخبرتني بها كاسي، هذه القرية التي لا تزال في قاع البحيرة وتلك الهياكل العظمية لسكانها الموتى، الأمر لا يبعث على الارتياح على الإطلاق، ها أنا أواصل تجديفي في هذا المكان ثم أعود ثانيةً إلى المُخيّم، يُخيم السكون على المنطقة في تلك الساعة، ها هو اللون الوردي يلوح في الأفق ويغسل كل شيء من حوله ليمنح الشمس المرتفعة فرصة الصعود إلى أعالي الجبال من ناحية الشرق، إنني لا أرى سوى شخص واحد يجلس على حافة الرصيف الآن، ثمة أحد يُراقبني، يمكنني القول إن هذا الشخص هو بيكا شونفيلد يمكنني ببساطة أن أعرف ذلك حتى عبر تلك المسافة، فها أنا أرى وشاحها الفزركش الزاهي تؤطر رقبتها بينما أحاول أن ألقي نظرة على تلك الكاميرا التي تحملها إلى مستوى وجهها، تظل بيكا على الرصيف عندما أقرر السباحة عائدةً إلى الشاطئ بينما تضع بيكا الكاميرا الخاصة بها في وضعية استعدادها.

لا أحاول أن أبدو مرتبكة من خلال ذلك الظهور المُتقطع عبر المياه، وبدلًا من ذلك أحاول السباحة بصعوبة وأَزيد من ضرباتي فلو كانت بيكا تشاهدني حقًا يتعين عليّ أن أمنحها إذن شيئاً يستحق المشاهدة.

ها أنا بصدد تعلم درس اخر أثناء وجودي في تلك البحيرة فإذا بي أقف بغتةً على أقدامي على بُعد عدة أمتار من الشاطئ ثم أكمل بقية الطريق سيرًا، غادرت بيكا مكانها وها هي تتوجه نحوي مُباشرةً وتُشير إلي لأتوقف، ها أنا أجاريها وإذا بها تلتقط عدة صور لي أثناء تواجدي

في المياه.

- أنا أسفة، في الواقع كان الضوء رائعًا اليوم، ولم أستطع مقاومة مشهد جميل كهذا.

أمسكت الكاميرا الخاصة بها أمامي بينما كنت أقوم بتجفيف جسدي وقامت بتصفح الصور عبر الشاشة ثم قالت:

- هذه صورة الحارس.

أبدو في الصورة كامرأة صعدت لتوها من البحيرة، كانت المياه تنهمر من جسدي كما كانت هناك صورة لشروق الشمس في الخلفية، أعتقد أن بيكا تنوي استخدام تلك الصورة في شيء قوي جسور ربما يخص تمكين المرأة، ربما ستظهرها كامرأة نجحت في مواجهة الأمواج ببسالة وها هي تتجه الآن لغزو الأرض، ولكن بدلًا من تلك النظرة الجريئة التي من المفترض أن تظهر على وجهي ظهرت كأني ضائعة تمامًا كما لو كنت قد استيقظت لتوي في المياه متسائلة ما الذي جاء بي إلى هنا؟ جعلني ذلك أشعر بالتوتر والارتباك لذا حاولت الإمساك بمعطفي وقمت بربطه بإحكام حول خصري وقلت لها:

من فضلك قومي بحذف تلك الصورة.

- لكنها تبدو رائعة.

- أرجوك اقطعي لي وعدًا أنه لن ينتهي المطاف بصورتي تلك كغلاف لمجلة ناشونال جيوجرافيك.

جلسنا معًا على العشب نُراقب في صمت ذلك الانعكاس الوردي لصفحة المياه، فمن الصعب حقًا وصفه، لقد كانت بيكا محقة بشأن هذا، فشروق الشمس جميل حقًا.

إذن أنت فنانة، لقد قرأت عن معرضك الفني.

- كذلك أنا قمت بمطالعة صورك الفوتوغرافية.

تحدثنا معًا في تلك الأمور البديهية ثم خيم الصمت المربك على المكان وتظاهرت لتوي أنني أقوم بتعديل أكمام قميصي بينما كانت بيكا تعبث بشريط الكاميرا الخاصة بها وحاولت كلتانا أن تُبقي عينيها على مشهد الشروق الذي سيطر عليه اللون الذهبي.

- في الواقع لا أصدق أنني عدت إلى هنا مجددًا كذلك لا أصدق وجودك هنا أنت الأخرى في مخيم نايتنجيل، قالتها بيكا ثم واصلت حديثها:

- أنصتي إليَ أنا اسفة جدًا لأني تصرفت بغرابة في الأمس، لقد رأيتك بينما كنت واقفة في قاعة الطعام ثم شعرت بالخوف بغتةً من دون سبب.

- أعرف ذلك، ربما جعلت رؤيتك لي تتذكرين مئات الذكريات السيئة التي لم تكن لديك القدرة على مواجهتها بعد.

- بالضبط.

- هذا يحدث لي طيلة الوقت تقريبًا، فعندما أنظر إلى أي مكان أو أي شخص أجد ذكرى ما تُحاول التربص بي.

- أعتقد أن فراني قامت بدعوتك أيضًا للمجيء إلى هنا.

أومأ لها على الرغم من ذلك هذا ليست الحقيقة كاملة.

- لقد تطوعت، قالتها بيكا ثم أضافت:

- في الواقع، أعرف أن فراني كانت تنوي أن تطلب مني الانضمام إليها، لقد حاولت بطريقة ما أن تدعوني إلى تناول العشاء أثناء وجودي في نيويورك وحينها بدأت تتحدث مُجددًا عن مُخيّم نايتنجيل، إنني أعلم أنها قد خططت لذلك ومن ثم فقد حرصت على عدم إضاعة الفرصة كما أني اقتنعت بفعل ذلك كنوع من التغيير، فلمدة ثلاث سنوات كنت أعيش حياة مُتنقلة مُصطحبةً حقيبتي إلى كل مكان، فمسألة أن أبقى في مكانٍ واحد لمدة ستة أسابيع أمر جيد بالنسبة لي في الفترة الراهنة كما أن تجربة أن أقوم بتعليم بعض المراهقات فن التصوير تستحق هذا العناء، ربما أيضًا تكون عطلة فعليه بعيدًا عن هذا الهلع الذي صادفناه هنا في السابق، قالتها ثم خفضت ذقنها قليلًا وأغلقت عينيها، وفي تلك الأثناء لاحظت أن بيكا أيضًا مسكونة بذلك المجهول وأن الاختلاف الوحيد هو أنها عادت إلى مُخيّم نايتنجيل لتنسى أم أنا فقد جئت إلى هنا لأتذكر.

- في الواقع لقد ناديتك بالأمس عندما رأيتك في قاعة الطعام لأنني كنت أرغب أن أسألك عن شيءٍ ما، هل لازلت تتذكرين...؟

- هل تودين سؤالي عما حدث خلال الصيف الأخير؟

- أجل.

- هل تود السؤال عن الصيف فحسب أم عن...؟

لم تُنه بيكا جملتها، بدا الأمر كما لو كانت خائفة من

التفوه بتلك الكلمة الأخيرة، لكني لست خائفة من ذلك فإذا بي أقولها نيابةً عنها:

- الاختفاء! هل لاحظت أي شيء غريب حدث في الليلة التي سبقت ذلك الحادث؟ أو ربما صباح اليوم الذي اختفت فيه الفتيات؟

ها أنا أستحضر لتوي تلك الذكرى السيئة عندما جلست برفقة فراني عند البحيرة لأخبرها أن الفتيات قد تلاشين وحينها اجتمع حولنا بقية المخيمين، كانت بيكا تقف وسط الحشد تُراقب ما يحدث عبر التقاط الصور من خلال كاميرتها الخاصة.

- إنني أتذكرك لقد كنت خائفة ومذعورة.

- بخلاف ذلك ألا تتذكرين شيئًا آخر غير عادي حدث في ذلك اليوم؟

- لا، لا أتذكر أي شيء على الإطلاق، قالتها بيكا بسرعة جِدًا.

ما مدى معرفتك بالفتيات الثلاث أليسون وناتالي وفيفان؟ أعتقد أنكن قمتن بقضاء إجازة الصيف التي سبقت ذلك العام سويًا، أتوقع أنك كنت على علاقة جيدة بهن، أليس كذلك؟

- لا، على الإطلاق.

- هل ينطبق هذا على علاقتك بفيفان أيضًا؟

أفكر في تحذير بيكا لي خلال صباح اليوم الأول في المُخيّم، حينها قالت لي بالحرفِ الواحد:

- لا تسمحي لها بخداعك واعلمي أنها ستنقلب عليك في نهاية المطاف.

- اعتقدت أنكما صديقتان!

- في الواقع أعرف فيفان كما يعرفها الجميع، فكل شخص هنا كان لديه رأي ما في شخصيتها في السابق.

وما هو الرأي الشائع إذن؟

- بصراحة؟ لقد كانت فيفان تبدو كعاهرة عديمة الأخلاق نوعًا ما.

لقد أفزعتني نبرتها القاسية تلك، تجمدت في مكاني لأني وجدت أن ردة فعلها غير مُلائمة على الإطلاق لما حدث، ولقد راقبتني بيكا جيدًا وأدركت ذلك وإذا بها تقول:

أنا اسفة، أعتقد أن ما قلته للتو كان قاسيًا.

- أجل، قلتها بصوتٍ خفيض.

كنت أتوقع أن تتراجع بيكا قليلًا أو ربما أن تقوم بتقديم اعتذارٍ ما، فبدلًا من ذلك ضاعفت من حدتها ورفعت أكتافها قليلًا ثم رمقتني بنظرة فاحصة ثم قالت:

- بربك يا إيما، أنت لست بحاجة للتظاهر أمامي على هذا النحو فجميعنا نعرف أن فيفان لن تصبح إنسانة جيدة بين عشيةٍ وضحاها فقط بسبب ما حدث لها! أقصد بذلك إنك تحديدًا من بين كل هؤلاء الناس تعرفين ذلك.

نهضت بيكا على قدميها ثم قامت بإزالة الأوساخ من سراويلها ومشت ببطء وبكل هدوء، أظل كما أنا مُتجمدةً في مكاني أتأمل تلك الحقائق التي كشفتها لتوها، أما الأولى فقد كانت مُحِقَّة بشأنها حيث إن فيفان بالفعل لم تكن إنسانة جيدة ولن تجعلها مسألة اختفائها المُباغِت تبدو كذلك فجأة، والأمر الثاني الذي تبين لي لاحقًا هو أن بيكا تتذكر الكثير من الأمور التي لا ترغب في الاعتراف بها.

قبل خمسة عشر عامًا

بدا شاطئ مُخيّم نايتنجيل كمزيج من الرمال والحصى المنتشرة على امتداد بحيرة منتصف الليل منذ عقودٍ مضت، ذلك المشهد الذي لا يجعل المرء يشعر أبدًا بالارتياح حتى أن تغطية تلك الحجارة كاملةً بالمناشف المكدسة فوق بعضها البعض لن يُخفّف من حدة منظرها. لا زلت أرسم تلك الابتسامة العريضة على وجهي باذلةً قصارى جهدي أن أتحمل كل ذلك في تلك الأثناء التي لمحت فيها أمواجًا من المخيمين الذين يمشون على رؤوس أصابعهم متجهين إلى داخل المياه، وعلى الرغم من أننا نحن الأربعة كنا نرتدي ملابس السباحة إلا أنه لم يتوجه إلى البحيرة سوى ناتالي وأليسون فقط، لقد سبحت ناتالي كما لو كانت رياضية طبيعية واستخدمت ضرباتها القوية الواثقة حتى يمكنها الوصول بكل سهولة إلى تلك المنطقة الخاصة بعوامات رغاوي المياه التي لا يُسمح لأحدٍ على الإطلاق من السباحة فيها، من جانبها لقد كانت أليسون أكثر حركةً وتأرجحًا داخل المياه تمامًا كما لو كانت راقصة باليه مائي مُحترفة بينما بقيت على الشاطئ متوترةً بشدة نتيجة ارتدائي ملابس سباحة متواضعة، وقد كانت فيفان تجلس ورائي وتدهن مرهم البشرة على أكتافي العريضة، جدير بالذكر أن رائحة جوز الهند المُقززة كانت تفوح منه بشكلٍ ملحوظ.

- يا إلهي! كم أنت جميلة!، قالتها فيفان.

في الواقع لا أرى نفسي جميلة على الإطلاق.

- لكنك جميلة، ألم تخبرك أمك بذلك؟

- إن أمي لا تعيرني أي اهتمام وكذلك الأمر نفسه مع أبي.

استحوذت الشفقة على وجه فيفان ثم قالت:

- الأمر ذاته مع أبي وأمي أيضًا، في الواقع أنا متفاجئة جدًا أنني لم أمت بسبب الإهمال عندما كنت طفلة حديثة الولادة، لكن أنا وأختي تعلمنا جيدًا أن نُدافع عن أنفسنا، لقد كانت شقيقتي هي من جعلتني أدرك كم أنا جميلة! وها أنا الآن سأفعل نفس الشيء من أجلك أيضًا.

أنا أبعد ما أكون عن الجمال!

- أنت جميلة، قالتها فيفان بإصرار ثم واصلت حديثها:

- أنا واثقة أنك ستصبحين فائقة الجمال كذلك خلال عام

أو عامين، هل لديك حبيب في الديار؟
أهز رأسي لأنني أعرف جيدًا كيف أبدو غير مرئية بالنسبة للأولاد في الحي، لقد كنت بمثابة آخر الأزهار المتفتحة كما أنني كنت مسطحة تمامًا كما الورق المقوى، ولكن ما من أحد ينتبه إلى الورق المقوى!
- سوف يتغير هذا كله في القريب، قالتها فيفان وأردفت:
- ستحصلين على فتى مثير تمامًا مثل ثيو، قالتها وأشارت نحو منصة الإنقاذ على بعد القليل من الأمتار حيث كان ثيو يجلس مرتديًا زي سباحة أحمر ويعلّق صافرته حول عنقه، جدير بالذكر أنه في كل مرة كنت أنظر فيها إليه كنت أشعر بالرغبة، لقد كنت أود مراقبته طيلة الوقت حتى أنني لم أستطع التوقف عن النظر إليه بينما كنت أحاول خلال ذلك الصباح ألا أفعل ذلك
- لماذا لم تتوجهن إلى السباحة في الماء؟، سألنا ثيو.
- لا حاجة لذلك، قالتها فيفان.
- في الواقع لا أعرف كيف يمكنني ذلك.
ابتسم ثيو ثم قال:
- أعتقد أن هذه مصادفة سعيدة لأنني كنت أبحث عن شخصٍ ما حتى أقوم بتعليمه السباحة.
قفز ثيو من منصة الإنقاذ وأمسك بيدي ثم قادني إلى المياه، توقفت لتوي عندما لمست أقدامي تلك الصخور المغطاة بالطحالب عند حافة البحيرة والتي جعلتني أخشى الانزلاق أو الغرق. لا زلت أذكر كيف أن ذلك المشهد القذر للمياه زاد من قلقي وتوتري، كان هناك الكثير من الأشياء البنية غير المحددة التي طفت فوق السطح مباشرةً. عندما لامستني بعض تلك الأشياء تراجعت قليلًا وحينها أحكم ثيو على الفور قبضته حول يدي.
حاولي الاسترخاء يا أيما، فالقليل من الطحالب لن يضرك في شيء.
أرشدني ثيو إلى الداخل بشكلٍ أعمق، وحينها قد ارتفع مستوى المياه بالنسبة لي على دفعات، وصلت إلى ركبتي ثم ارتفعت أكثر تدريجيًا ثم غطت خصري، تركتني برودة المياه غير قادرة على التقاط أنفاسي لبعض الوقت، ربما لم يكن السبب في ذلك هو مياه البحيرة وإنما كان الدافع الحقيقي وراء ارتباكي هو رؤية ذلك اللون الذي تتوهج

به أكتاف ثيو العريضة تحت تأثير شمس يونيو، وربما كان السبب هو تلك الطريقة الجذابة التي ابتسم فيها ثيو عندما مضيت قُدمًا نحو أعماق المياه.

رائع يا ايما ، أنت تبلين حسنًا، لكنك بحاجة إلى الاسترخاء أكثر، فالمياه صديقتك دعيها تحملك.

من دون سابق إنذار تسلل ثيو خلفي وقام باحتضاني بذراعيه، إحداهما كانت تُحيط بظهري والأخرى أحاطت بركبتي، في تلك الأثناء لامست بشرتي بشرته لأول مرة وحينها فقط شعرت كما لو أن تياراً من الكهرباء يسري في جسدي.

- قومي بإغلاق عينيك، قالها ثيو عندما قام بخفض جسدي تذريجيًا بالنسبة للبحيرة، حينها فقط لم يكن بمقدوري التمييز بين ذراعيه والماء، عندما فتحت عيني ثانيةً رأيته يقف إلى جواري بأذرع مكتوفة، كنت حينها أسبح بمفردي ورأيته ابتسامته تتألق على وجهه وتُطِل من زوايا عينيه.

- لقد قمتِ بها يا عزيزتي! ها أنتِ تسبحين الآن.

في تلك اللحظة سمعنا صوت ضوضاء وضجيجاً قادماً من الخلف، فقد شرعت بعض الفتيات في الصراخ بينما كانت أذرعهن ترفرف على صفحة المياه تمامًا كما البط البري، بدا الأمر كما لو كن في مأزق وأنهن غير قادرات على الخروج من الماء، نظرت خلفهن وحينها رأيت أيدي إحداهن تُلوح في لهفة، كانت تهبط وترتفع عن صفحة المياه، حاولت تأمل وجهها جيدًا وحينها أدركت أنها فيفان!

غادرني ثيو بغتةً واندفع لتوه مُتوجهًا نحوها.

من دون أن يكون ثيو إلى جواري غرقت إلى داخل المياه، استمر ذلك حتى اصطدمت بقاع البحيرة وبدأت أن أجدّف بقدمي مُهتديةً بالشعور الغريزي أكثر من أي شيء آخر، وبدأت معركتي مع المياه حتى أنني واصلت الركل والتجديف حتى اصطدم فمي وأنفي بالسطح ولكني لم أتوقف عن فعل ذلك حتى تمكنت في النهاية من فعلها! وها أنا أتمكن أخيرًا من السباحة! راقبت فيفان عبر المياه كما أنني نظرت إلى وجوه ناتالي وأليسون الشاحبة، لقد كن يراقبن حركة ثيو بعد أن قام بإنقاذ فيفان ثم أحاط خصرها بيديه وسبح برفقتها حتى وصل إلى الشاطئ،

وفي تلك اللحظة التي لامست فيها أجسادهم أرض الشاطئ المغطاة بالحصى سعلت فيفان وخرجت من حلقها فقاعة من المياه كم أن دموعها قد انهمرت على وجنتيها المتوردتين.

- لا أعرف ما الذي حدث، قالتها فيفان بأنفاس لاهثة.

- لقد قررت الدخول إلى المياه لكني لم أستطع الخروج، لقد اعتقدت أنني سأموت.

- كان هذا ليحدث بالفعل إن لم أكن موجودًا هنا، قالها ثيو بينما كان الغضب يطل من نبرة صوته الفرهقة ثم أضاف:

- يا إلهي يا فيف! لقد اعتقدت أنك تجيدين السباحة!

جلست فيفان ثم هزت رأسها وقالت:

- لقد اعتقدت أنه بمقدوري ذلك تحديدًا بعدما رأيتك تقوم بتعليم إيما فاعتقدت حينها أنها مسألة بسيطة ويمكنني فعلها.

على بعد أمتار قليلة كانت بيكا تجلس في الجوار بينما تدلت الكاميرا الخاصة بها من رقبتها كما المعتاد على الرغم من أنها كانت ترتدي ثوب سباحة، قامت بالتقاط عدة صور لفيفان أثناء تمددها على الشاطئ ثم استدارت ناحية البحيرة والتقطتني تحديدًا من بين كل هؤلاء المخيمين المتواجدين على الشاطئ ثم ابتسمت وتفوهت بعدة كلمات بدت صامتة لكن لا تُخطئها العين «لقد أخبرتك بذلك».

الفصل الثاني عشر

بقيت على الشاطئ حتى سمعت صوت نداء الاستيقاظ المنبعث من قاعة الطعام، ها هي نغمات الموسيقى تتجاوزني وتصل إلى البحيرة، إن صوتها يبدو كما لو كان أحدهم يحاول كشط صفحات الماء حتى الجانب الاخر من الشاطئ، ها هو اليوم الأول لي في المخيّم قد بدأ لتوه، وها أنا أقرر الذهاب إلى قاعة الطعام بدلًا من التشاجر مع مجموعة من الفتيات المراهقات على إفساح مجال لي في المرحاض الخاص بهن، أسرع متوجهةً إلى القاعة مُرتديةً ثوبي المبلل والقبقاب الخاص بي. أعتقد أن المكان فارغ تقريبًا فما من أحد سواي وعمال المطبخ، على الرغم من أني أجد أحد هؤلاء العمال ينظر إليّ والذي يبدو شابًا ذا شعر أسود ولحية قصيرة لجزء من الثانية إلا أنني أشيح بوجهي بعيدةً عنه وأذهب للحصول على كعكة وثمرة موز وكوب من القهوة، تناولت ثمرة الموز بكل سهولة لكن عليّ أن أعترف أن تناول الكعك المحلي لم يسر بنفس السلاسة وذلك لأنني مع كل قضمة كنت أتذكر نظرات فيفان وحركة شفتيها واستيائها الدائم، أجلس في إحدى الزوايا مُمسكةً بالكعكة ثم أتنهد أثناء مضغها وبلعها بالإضافة إلى أخذ رشفة من القهوة فها أنا أعود إلى مواجهة نفسي، ذلك الأمر الذي سررت بالقيام به بعد أن تأخرت خمسة عشر عامًا.

جدير بالذكر أنني قضيت رحلة عودتي إلى مقصورة القرانيا في السباحة في اتجاه مُعاكس لموجة من المخيمين الجُدد الذين قد حاولوا شق طريقهم إلى قاعة الطعام، لقد كانوا مُرتبين مُنمقين بشكلٍ ملحوظ، فهم من هذا النوع الذي يترك روائح العطور بعد مغادرته المكان، تلك الروائح الممتزجة ببودرة الأطفال وكريم البشرة والشامبو الذي تفوح منه رائحة الفراولة، تمكنت روائحنا من اختراق بعضنا البعض، تلك الرائحة المزهرة المنعشة العميقة التي لا تُشبه العطور القديمة. كانت فيفان مهووسة بتلك الرائحة حيث إنها حرصت على رشها حول عنقها ومعصمها مرتين يوميًا، مرة في الصباح والأخرى خلال فترة الظهيرة، كانت رائحة العطر تملأ أرجاء المقصورة وتظل هناك لفترة طويل بعد مغادرتها، ها أنا أحظى بنفس الشعور، إنني أشعر أن فيفان هنا وبأنها قد تركت رائحة

عطرها وراءها، أدور حول الفتيات باحثةً عنها وسط تلك الحشود المغادرة، وعلى الرغم من معرفتي إنها ليست هنا إلا أنني أواصل البحث.

أتحسس بيدي سواري وأتشبث برؤوس طيوره الصغيرة الدقيقة، فقط من باب الاحتياط. أرى الفتيات هناك يندفعن نحوي بينما تسافر رائحة العطر معهن تاركات نوعًا من الانتعاش الممتزج بالرطوبة أسفل رقبتي، يجعلني هذا أرتجف لوهلة بينما أمشي في طريقي إلى مقصورة القرانيا من أجل جلب ملابس اليوم إلا أنني أحاول استنشاق رائحة العطر لأفتش عن فيفان لكن ما من شيءٍ لأجده فبدلًا من ذلك تمكنت من شم رائحة أحد مزيلات العرق المعطرة الأخرى لتي تضعها إحداهن، وقعت عيني على ميرندا وكريستال وساشا أمام الحوض بداخل المرحاض برفقة الأخريات، كانت ميرندا تُحدق في المرآة المُجابهة لها، بالقرب منها ساشا التي أطالت النظر إليها ثم قالت:

- هل بمقدورنا الذهاب الآن؟ إنني أتضور جوعًا.

- انتظري فقط ثانية واحدة، قالتها ميرندا أثناء مداعبتها لخصلات شعرها ثم قالت:

- حسنًا الآن يمكننا الذهاب.

ها أنا ألوح لهن ناحية أكشاك الاستحمام، كانت هناك غرفة واحدة فارغة في آخر الصف وكذلك كانت تتكون كما بقية الغرف من جدران أشجار الأرز وباب من الزجاج المُدخّن وزاوية صغيرة يدخل منها الضوء عبر تشققات الجدار الخشبي.

ها هو القلق يرفرف بداخل صدري كما الطائر لحبيس ثم يهدأ لاحقًا بعد أن أعرف حقيقة ما يجري، إن ذلك الضوء هو ضوء الشمس المنبعث من أحد تشققات جدار الاستحمام، ذلك الصدع نفسه الذي كنت أتجسسَ من خلاله على ثيو منذ خمسة عشر عامًا، ها أنا أتنفس بعمق شاعرةً بالحمق لأنني لم أدرك هذا باكرًا كما أن الراحة تغمرني كذلك لأني لم أعثر على شيء أكثر سوءًا، فكان من الممكن مثلًا أن أجد كاميرا مراقبة أخرى، فأحد الأمرين يكفي جدًا لإصابتي بالشك والذُعر إلى هذا الحد الذي جعلني أفكر في الانتظار لحين الدخول إلى كشك استحمام أخرى لأتمكن من فتحه، لكني تراجعت عن قراري

هذا لسبب بسيط وهو أنني بالفعل داخل أحد أكشاك الاستحمام الآن مُستخدمةً المياه كما أنه بفضل الاستخدام الكثيف لا تصبح أكثر دفئًا.

علاوةً على ذلك فقد كانت فيفان الشخص الوحيد الذي يعرف بشأن ذلك الصّدع، لقد أخبرتني بذلك بنفسها، وبناءً عليه فها أنا أقف هنا لأستحم بسرعة وأرش على خصلات شعري بضع قطراتٍ من الشامبو وأقوم بتجفيفه على وجه السرعة ثم أغلق عيني وإذا بالماء الممتزج بالصابون ينهمر على وجنتي. إنني أستمتع بتلك اللحظة من العمى المؤقت، إنها تسمح لي بالتظاهر ولو لدقيقة أنني في الثالثة عشرة من عمري مُجددًا لأختبر تجربة مُخيّم نايتنجيل من جديد للمرة الأولى، ها أنا أحس وكأن فيفان وناتالي وأليسون بأمانٍ لأنهن داخل حدود نايتنجيل، ها أن أشعر أن تلك الأحداث المُريعة التي وقعت منذ خمسة عشر عاماً لم تحدث بَعد. إنه شعور رائع حقًا، أود فعلًا أن أبقى هنا طيلة الوقت ولكن المياه تزداد برودة وها هي تستحيل من درجة فتور إلى درجة برودة شديدة وفي غضون دقيقة أو دقيقتين سوف تصبح تمامًا بنفس درجة برودة بحيرة منتصف الليل، ها أنا أنهي تجفيف شعري وأفتح عيني بغتةً وإذا بي لا أجد ذلك الضوء الذي كان يظهر من خلال الباب، أدور على غير هدى لأتفقد جدار الاستحمام الموجود خلفي لكنني لا ألمح الضوء القادم من الصّدع يبدو أنه ثمة شيءٍ ما يحجبه. لا، ليس شيئًا ما لكنه شخص ما.

أجل! ثمة شخص يُراقبني عبر الجانب الأيمن من الجدار المُواجه لي مُباشرةً! أصرخ وأركض نحو الباب باحثةً عن منشفتي وثوب الاستحمام الخاص بي، مع مرور الوقت وبينما أدفع بنفسي خارج كشك الاستحمام فإذا بالضوء يعود مرة أخرى، قمت على الفور بفتح الباب على مصراعيه، فبغض النظر عن ذلك الشخص الذي كان يتلصص عليّ، لم يعد له وجود الآن على الإطلاق لكن هذا لم يمنعني من سحب ثوب الاستحمام وارتدائه وإحكام ربطه جيدًا حول الخصر ثم هرعت إلى المرحاض الفارغ وقمت بفتح الباب على أمل الإمساك بذلك الشخص الذي كان يراقبني، لم يكن هناك أحد في الخارج، لقد تم هجر المنطقة بأكملها.

كل ما يمكنني رؤيته هو عدد من المخيمات اللواتي

يمشين بسرعة كبيرة على بعد عدة أمتار، لقد تأخرن على تناول وجبة الإفطار، وها أنا أراهن يركضن في عجلة إلى قاعة الطعام بينما تتمايل خصلات شعرهن يمينًا ويسارًا، أنا الفتاة الوحيدة هنا، أحرص على الدوران بحرص حول المبنى لكني لا أرى شيئًا ثم أعود مع مرور الوقت إلى باب المرحاض وأبدأ بالتساؤل إن كان أحدهم قد انحنى جهة المبنى ومن ثم قام بتغطية تلك الفتحة وحجبها، ولكني أحس فجأة أن التفسير غير منطقي، فإذا كان الأمر غير متعمد فلماذا إذن غادر ذلك الشخص بسرعة لحظة خروجي؟ أفكر مُجددًا ثم أضع مجموعة من الافتراضات، فربما يكون أحد الطيور من فعل ذلك أثناء انخفاضه إلى الأسفل خلال عملية التحليق وربما من أحدث ذلك إحدى أولئك الفتيات اللواتي كن يركضن في عجلة مُتجهات إلى قاعة الطعام بدورهن. رغم كل ذلك إلا أنه ربما يكون هذا كله محض خيال فحسب، فأنا أحاول جيدًا أن أتذكر طول تلك المدة التي تم حجب الضوء خلالها، فإذا بي أتذكر أنها لم تستغرق إلا أقل من الثانية، لقد كنت أغلِق عيني لفترةٍ طويلة ثم فتحتها مرةً أخرى ربما يكون الأمر قد استغرق ثانية أو اثنتين لأعتاد تلك العتمة داخل كشك الاستحمام، ربما كان هذا حقًا مجرد خداع بصري، ها أنا أبدأ في تفسير الأمر على هذا النحو مُحاولةً اللحاق بالواقع، بعد قليل عدت إلى مقصورة القرانيا بعد أن اقتنعت بذلك التحليل الذي بدا معقولًا بالنسبة لي. أجل إنها مجرد خدعة ضوئية. ها أنا أكذب على نفسي، فتلك هي الكذبة الوحيدة التي أسمح بتمريرها.

ها هي لوحتي الفنية الأولى مُعلّقة بالخارج بعيدًا عن مبنى الفنون والحرف اليدوية، وعلى الرغم من قيامي بطمأنة نفسي أن هذا لن يحدث إلا أنني بقيت متأثرة بشدة بتجربتي في كشك الاستحمام، فها هو القلق يُمسك بتلابيب جسدي كما العرق البارد ويجعلني مُفرطة الانتباه إزاء أبسط النظرات.

عندما اقترحت ساشا أن نقوم برسم البحيرة وافقت فكرتها على الفور، فقد ساهم ذلك في تهدئة أعصابي لفترةٍ مؤقتة حيث بمقدوري أن أمنح عشرات الفتيات فرصة رسم منظر كهذا بدلًا من مشاهد الطبيعة الصامتة التقليدية التي كنت أخطط لرسمها معهن، ها هن الآن

يجلسن برفقة الحوامل الخاصة بهن والتي تم وضعها على العشب خلف النُزل في مواجهة البحيرة. إنهن يمسكن بلوحاتهن ويتأملن مساحتها البيضاء بقليلٍ من التوتر بينما تعبث أياديهن بالفرشاة التي قمن بإخراجها للتو من جيوب سراويلهن.

أعترف أنني أيضًا أشعر بالتوتر الشديد ولا يرجع ذلك فحسب إلى غرابة الموقف الذي حدث معي في الصباح، وإنما يعود ذلك إلى تلك الطريقة التي ينظر بها إليَ أولئك الفتيات الآن يلتمسن التوجيه. كان مارك مُحقًا، إنهن لسن مهتمات بمجالي بكل تأكيد ربما هذا فقط من شأنه أن يساعد كريستال التي تجلس مُمسكةً بدفتر الرسم الخاص بها ومجموعة من أقلامها الرصاص، تنظر الفتيات بطريقة مألوفة تظهر ثقة هائلة بالنفس.

إن مهمة اليوم هي أن ترسم ما تراه أمامك، أعلنها ثم أواصل حديثي:

- فقط قوموا برسم تلك البحيرة الموجودة أمامكم، استخدم أية ألوان ترغب بها واحرص أيضًا على استخدام الآليات التي تريدها، هذه ليست مدرسة لذلك فإن الشخص الوحيد الذي يتعين عليك إسعاده هو نفسك.

تجولت بين الفتيات عندما شرعن في الرسم وبدأت في تفقد تلك العملية، وقد ساهم ذلك بدوره في تهدئتي، فالبعض كن يمتلكن موهبة خفية- مثل ساشا- والتي ظهرت على سبيل المثال في كيفية قيامها برسم خطوطٍ نظيفة بينما حرصت الأخريات على التحدي مُستخدمات ضربات الفرشاة القوية ذات اللون الأزرق، ورغم عدم دقتهن إلا أنهم على الأقل يجدن الرسم بعض الشيء، فها هن يرسمن أشياء مختلفة والتي يتفوق عددها بالطبع على ما رسمته خلال الستة أشهر الماضية.

عندما وصلت إلى كريستال وجدتها ترسم صورة بطلة خارقة ترتدي كنزة ضيقة وقبعة أنيقة تجلس أمام حامل الرسم الخاص بها، كانت تحمل وجهي لكن بالطبع جسدها العضلي ذاك لم يكن يُشبه جسدي.

- أعتقد أنني سوف أسميها مونيه، قالتها كريستال مُضيفةً:

- إنها تعمل رسامة نهارًا ومُحاربة جرائم ليلًا.

ما هي قدراتها الخارقة؟

- لم أقرر بعد.

- أنا واثقة أنك ستعثرين على شيءٍ ما.

انتهى الدرس بمجرد أن رن الجرس القادم من قاعة الطعام مُعلنًا وقت الغذاء، وضعت الفتيات أدوات الرسم أرضًا ثم ركضن مُغادرات مواقعهن.

بقيت بمفردي برفقة الحوامل واللوحات، قمت لاحقًا بنقل اللوحات أولًا ثم عدت بها إلى مبنى الفنون والحرف لكني حرصت على حمل لوحتين في كل مرة حتى لا أقوم بتلطيخ الطلاء الرّطب، تمكنت بعد ذلك من العودة إلى حيث توجد الحوامل ووجدتها بالفعل في مرحلة التجميع حيث كان رجل الصيانة الذي قام بإصلاح السقف هو من يقوم بذلك لحظة وصولي.

كان الرجل قد عاد لتوه من مخزن الأدوات القائم على حافة العشب بعد أن قام بفتحه وأخرج منشارًا وعددًا من سلاسل الجدار.

- في الواقع اعتقدت أنك ربما تحتاجين لبعض المساعدة، قالها بنبرة خشنة تظهر من خلالها لهجة سكان ماين.

- شكرًا لك، قلتها مادةً يدي لمصافحته.

- اسمي أيما.

بدلًا من مصافحة يدي أومأ الرجل وقال:

- أجل، أعرف.

لكنه لم يخبرني كيف عرف الاسم؟ لم يكن بحاجة إلى ذلك، لقد كان هنا منذ خمسة عشر عامًا، لقد كان على علم بالنتيجة.

- لقد كنت هنا من قبل، أليس كذلك؟، أعتقد أني تعرفت عليك في تلك اللحظة التي رأيتك فيها.

- أجل.

- ما الذي كنت تفعله عندما كان المُخيّم مُغلقًا؟، سألته.

- في الواقع أنا لا أعمل لدى المُخيّم فحسب إنني أعمل لحساب عائلة هاريس لذلك لا يهمني إن كان المعسكر مغلقًا أم لا، لا زلت هنا على أية حال.

- فهمت.

لم أكن أرغب في أن أبدو عديمة الفائدة لذلك حملت الحر

حامل قد تبقى وأعطيته له على الفور، وقد أضافه بدوره إلى كومة الحوامل المكدسة ثم حمل ستة منها بذراع واحد، أخذت أراقبه وأنا أفكر أنه لم يكن بمقدوري إلا حمل حاملين فقط ثم قلت له:

- هل بإمكاني مساعدتك في حمل البقية؟

- سأتولى الأمر، قالها ثم ابتعدت عن طريقه كاشفةً المزيد من الطلاء المنسكب على العشب والذي قام بتلطيخه لتوه حيث كان هناك مزيج من الألوان البيضاء واللازوردية والنقاط القرمزية التي بدت تُشبه إلى حدٍّ كبير قطرات الدماء.

نظر رجل الصيانة باستياء وعبر عن سخطه ثم قال:

- قامت فتياتك بإحداث فوضى عارمة.

- يحدث هذا دائمًا عندما تبدأ بالرسم، يتعين عليك إذن رؤية الاستديو الخاص بي.

ابتسمت لرجل الصيانة آملةً أن يُساهم ذلك في إرضائه وتهدئته قليلًا إلا أن هذا لم يحدث، قمت بإزالة تلك الخرقة التي تتدلى من جيبي الخلفي وقمت بمسح العشب.

- أنا واثقة أن هذا الأمر سيفي بالغرض، قلتها على الرغم من أن ما حدث هو العكس حيث انتشر الطلاء على مساحاتٍ أوسع، تذمر الرجل مُجددًا وعبس ثم قال:

إن السيدة هاريس وايت لا تحب إثارة الفوضى على الإطلاق.

خرج الرجل فور التفوّه بتلك الكلمات وقام برفع الحوامل كما لو أنه لا قيمة لوزنها أبدًا بينما بقيت في مكاني أحاول القيام بعدة محاولات لا جدوى من ورائها في مسح العشب ثم قررت نتف شفراته من فوق تلك الأرض القاحلة الجرداء وألقيتها في الهواء، لقد راقبتها تسافر عبر النسيم ثم تتحرك بشكلٍ دائري في اتجاه الريح حتى وصلت إلى البحيرة لتوها.

الفصل الثالث عشر

قبل التوجه إلى قاعة الطعام من أجل تناول الغذاء عدت مرة ثانية إلى مبنى الفنون والحرف اليدوية من أجل التفتيش في مقتنيات كاسي إلا أنني في الواقع لم أجد ما كنت أبحث عنه بين صناديق الغراء والأقلام الملونة ومن ثم فقد ذهبت بدوري إلى محطة صناعة الفخار الخاصة تلك التي تملكها بيج حيث كانت توجد قطعة كبيرة من الطين الرّطب تستوي على عجلات الأواني الفخارية، كان ذلك الشيء مثاليًا لما خططت له.

- ألا يُفترض بك التواجد الآن في قاعة الطعام من أجل تناول وجبة الغذاء؟

استدرت لأرى ماندي تقف عند مدخل الباب بيديها المضمومتين ورأسها المائل إلى الأمام قليلًا، لقد رسمت تلك الابتسامة العريضة على وجهها مُتظاهرةً بالود والصداقة وقد منحتها أنا الأخرى نفس تلك النظرة وقلت:

- في الواقع لديَ بعض الأمور التي يتعين عليَ إنهاؤها هنا.

- هل تقومين بصناعة الفخار أيضًا؟

- لقد كنت فقط أبدي إعجابي بما قمت به في هذا المكان، قلتها مُحاولةً إحاطة أصابعي بقطعة الطين لأتمكن من إخفائها بشكلٍ جيد، أعترف أنه لا يتوجب عليَ الاعتراف لماندي بما أنوي فعله هنا، لقد كان يغمرها الشك والارتياب منذ البداية بقدرٍ كافٍ.

- يبدو رائعًا حقًا.

أومأت ماندي مُعبرةً عن خالص شكرها.

لقد تطلب الأمر الكثير من الجهد والمال.

- هذا يبدو جليًا فعلًا، قلتها حيث نجحت مجاملتي الإضافية حقًا في تحقيق غرضها فقد تحولت ابتسامة ماندي المصطنعة تلك إلى أحد تلك التعابير البشرية المألوفة وقالت:

- شكرًا لك، في الواقع أود أيضًا أن أعتذر عن كوني مُرتابة قليلًا ربما يرجع ذلك بدوره إلى تأهبي الشديد خلال الفترة الراهنة فأمور المخيم على قدمٍ وساق.

- لا داعي للقلق، يمكنني أن أتفهم ذلك بالطبع.

- إن كل شيء بحاجة إلى السير بسلاسة قدر الإمكان، أضافتها ماندي ثم واصلت حديثها قائلةً:

- لهذا السبب على وجه التحديد يتوجب عليك الذهاب إلى قاعة الطعام الان، فإذا لم ترك الفتيات المخيمات هناك سيفكرن لاحقًا في مسألة تجاوز موعد وجبة الغذاء، فنحن قدوة يحتذى بها يا ايما !

ها أنا أتلقى تحذيرًا للمرة الثانية بينما كان الأول قادمًا من قبل حارس المعسكر فإذا بالثاني يأتي من جانب ماندي، فما من شك أن كلماتها تلك كانت تحمل تهديدًا ضمنيًا، يفترض بي أن أمضي بخفة وألا أتسبب في إثارة الفوضى، أي أنه يجذر بي القيام بنقيض تلك الأفعال التي كنت أفعلها في أخرة مرة كنت فيها هنا.

- بالطبع، سوف أتوجه إلى هناك الان، قلتها وأنا أعرف جيدًا في صميم نفسي أن تلك ما هي إلا مجرد كذبة لكنها كانت كذبة مبررة فبدلًا من التوجه إلى قاعة الطعام ها أنا أذهب إلى المرحاض، وبمجرد أن وصلت إلى هناك رأيت مجموعة من الفتيات المتأخرات اللواتي كن يقفن عند الباب الأمامي في انتظار صديقاتهن من أجل اصطحابهن لتناول الغذاء، وبعد أن غادرن جميعًا توجهت لتوي إلى الجانب الاخر من البناء باحثةً عن ذلك الصّدع المتواجد في الجدار الخارجي، وبمجرد أن عثرت عليه قمت بحشوه بالقليل من الطين تحديدًا بين الألواح الخشبية حتى تمكنت من تغطيته تمامًا إلا أن المفارقة هنا لم تُغادرني فمنذ خمسة عشر عامًا كنت أنظر خلسة عبر فتحة الجدار من أجل التلصص على ثيو من دون علمه أو موافقته وعلى الرغم من أنه بمقدوري إلقاء اللوم ببساطة على صغر السّنّ والسذاجة إلا أنني أعلم جيدًا أنني كنت في الثالثة عشرة من عمري، فقد كنت كبيرة بما يكفي لأعرف أن ما أقوم به أمر خاطئ، وعلى الرغم من ذلك فقد قمت به.

لا أحد ينظر من الداخل الان، أشعر وكأن ما أفعله هو محاولة بسيطة للتكفير عن الذنب، أو لكن دقيقة بما يكفي أعتقد أنها بمثابة محاولة متواضعة لمحو الكثير من الذنوب.

عندما وصلت أخيرًا إلى قاعة الطعام وجدت ثيو واقفًا هناك في انتظاري بينما كان هناك سلة ألياف نسيجية تتواجد عند مستوى قدميه. كان هذا مشهدًا غير متوقع

حتى أنه أرغمني على التفكير بشكلٍ غير عقلاني حيال تصرفي العدواني السابق معه، وظننت أنه قد علم بعد كل تلك السنوات الطويلة بطريقةٍ ما أنني كنت أراقبه، كنتيجة لذلك وقفت على بُعد خطوات منه متأهبةً للمواجهة، وفي الأثناء أعلن ثيو قائلًا:

- أنا ذاهب في نزهة، وقد اعتقدت أنك ربما تودين القدوم برفقتي.

- ما هي المناسبة؟

أشار إلى باب قاعة الطعام ثم قال:

- هل يحتاج المرء إلى مناسبة خاصة حتى يتمكن من الهرب بعيدًا عن أهوال تلك الأطباق المُقدّمة هناك؟

لقد تفوه بتلك الكلمات مُقطبًا جبينه بشكلٍ ساخر، وعلى الرغم من ذلك إلا أني لا زلت أستشعر نفس هذا التوتر الذي سببته الأيام الماضية، إنه يبدو كما لو كان حاضرًا حتى يومنا هذا، جدير بالذكر أن ثيو يشعر بذلك أيضًا، يمكنني رؤية تلك الارتعاشات القلقة التي تُمسك بتلابيب زوايا ابتسامته، أحس بالكثير من الذنب يعتصر صدري، لكني أتيقن بدوري أنه ما من مجالٍ للشك أن ثيو قد سامحني، ما لا أفهمه حقًا هو لماذا؟ لا تزال فكرة نزهة الغذاء تلك تبدو مُغرية جدًا بالنسبة لي ربما يعزى ذلك تحديدًا إلى أن ما ندي ما كانت لتتقبلها أبدًا.

- حسنًا موافقة، وإني أشكرك جِدًا بالنيابة عن حاسة التذوق لديّ.

حمل ثيو السلة وقادني بعيدًا عن باب قاعة الطعام، وبدلًا من التوجه نحو مُنحدر الحديقة العُشبي خلف النُزل، هناك حيث افترضت أنها وجهتنا المنشودة، قادني ثيو إلى عُمق الغابات وقد تجاوزنا مكان المقصورات وموقع المرحاض أيضًا خلال سيرنا معًا.

- إلى أين تأخذني؟

ابتسم ثيو قبيل دخول الغابة ثم قال:

إلى مكانٍ مُميّز.

على الرغم من أنه لم يكن هناك طريق ما لنهتدي به ونسير طبقًا لدربه إلا أن ثيو مشى بثقة كما لو كان يعرف تحديدًا إلى أين سيتوجه، مشيت خلفه داهسةً بأقدامي تلك الأفرع المتساقطة أرضًا، يجدر بي الإشارة إلى أن

فكرة سيري في الغابات برفقة ثيو كانت لتبهج قلب ايما دايفيس ابنة الثالثة عشرة كثيرًا، وعلى الرغم من أن نبضات قلبي تتسارع الان كذلك كلما فكرت في أن ثيو ربما يكون مهتمًا بي إلا أنني أصبحت أملك الكثير من الشكوك في هذا الأمر، تحديدًا بعد كل ما قمت به.

ها نحن الان نتسكع في الغابات، وإذا بنا نصل إلى مساحة خالية تجعلني أجبر نفسي على إغلاق عيني وفتحها مرة ثانية لأتأكد إن كان هذا المشهد حقيقيًا! فالمنطقة أشبه بدائرة صغيرة شهدت إزالة لكافة أوراق الأشجار الميتة كما أنه توجد بها رقعة من العشب الناعم المحاطة بالزهور البرية في بعض الأماكن كما أن هالة ضوء الشمس سكبت أنوارها في فجوات الأشجار حاملةً أيضًا حبوب اللقاح عبر الهواء، ذلك المشهد الذي بدا كما لو كانت لحظة سقوط الثلج الخفيف، أضف إلى ذلك تلك الطاولة المستديرة التي كانت تتوسط تلك المساحة الخالية والتي بدت أقرب إلى تلك المنضدة التي تناولت حولها الغذاء برفقة فراني في منزلها الزجاجي الخيالي وتمامًا كما حدث منذ أشهر عندما تناولنا الطعام معًا كانت فراني حاضرة جالسةً حول الطاولة محتضنةً منديلًا أنيقًا.

- ها أنتِ ذا!، قالتها فراني راسمةً ابتسامة عريضة على وجهها مضيفةً:

كما أنتِ أتيتِ في الوقت المناسب أيضًا، فأنا أتضور جوعًا!

- مرحبًا، أقولها محاولةً ألا تبدو الصدمة جليةً على ملامح وجهي أكثر، فقد انبعثت الحرارة من داخل وجنتي نظرًا لشعوري بمزيجٍ من الإحباط نظرًا أن تلك النُزهة لم تكن تحمل إشارة رومانسية كما كنت أعتقد في البداية والحرج لأني فكرت في ذلك الأمر أصلًا. إني أشعر بشيءٍ ما أيضًا، ذلك الذي يقترب من الشعور بالخوف والقلق، ويعزى ذلك إلى أن ظهور فراني المفاجئ قد أخبرني بطريقةٍ ما أن تلك النُزهة ليست ارتجالية على الإطلاق، فهناك خطب ما كما أن وضعية الستة تماثيل المصنوعة من الرخام تلك لا تخفف أبدًا من وطأة الموقف، فهي تنتشر بشكلٍ منظم في أرجاء المكان كما أنها تبدو كما لو تم حشرها بقلب الأشجار كما الشهود الصامتين . يظهر كل تمثال شكل امرأة بديعة ترتدي نصف فستان كما

أنهن يقفن في حالة جمود بوضعيات متكلفة غير طبيعية فأذرعهن مرفوعة إلى الأعلى كما أن أيديهن مفتوحة كما لو كن ينتظرن لحظة وصول الطيور الصغيرة لتجثم فوق أصابعهن الدقيقة الحساسة، بينما ظهرت التماثيل الأخرى في هيئة ناء يحملن سلالًا ممتلئة بحبات العنب وثمار التفاح الناضجة والقمح.

- مرحبًا بك في حديقة النحت، قالتها فراني ثم أردفت: كانت تلك إحدى أفكار جدي الخيالية.

- انها رائعة، قلتها على الرغم من أني أقصد عكس ذلك، فعلى الرغم من أن جمال التماثيل يبرز من على مسافة بعيدة إلا أنه قد تسلل الشعور بالخوف إلى نفسي في تلك اللحظة التي جلست فيها بقلب المنطقة، تبدو التماثيل وكأنها تحمل ندوب الأعوام المنقضية كما أن ثنايا ملابس النساء الفضفاضة تحتلها القذارة والأوساخ بالإضافة إلى أن التصدعات تنتشر على جوانبها وكذلك تبرز التشققات في بشرتها الخالية من العيوب، يجدر الإشارة كذلك إلى أن وجه إحدى المنحوتات ملطخ بالطحالب كما أن جميعهن عمياوات كما لو كانت تمت معاقبتهن على رؤية شيءٍ ما لم يكن يجدر بهن رؤيته!

- بربكِ! لستِ بحاجة لأن تكوني مهذبة جدًا، في الواقع إن هذا المكان مخيف بشدة، لقد كنت أخشى القدوم إلى هنا عندما كنت طفلًا صغيرًا، يمكنني الاعتراف بصراحة أنه لا يناسِب ذوق الجميع، قالها ثيو بينما كان يضع سلة الطعام على المنضدة ثم بدأ بفتحها واستخراج محتوياتها.

- لكن جدي كان فخورًا به وسيظل كذلك، قالتها فراني ثم هزت أكتافها في قلة حيلة محاولةً لفت انتباهي إلى أحد التماثيل الموجودة خلفها، لقد كان وجهه فائق الروعة واتسم بملامح النحت الممتازة كما أنه تم إتقان الذقن بشكلٍ أنيق، إضافةً إلى ذلك أن من قام بنحته أضاف إليه طبقة أخرى من المشاعر، فتلك العيون الهامدة البائسة بدت أكثر اتساعًا من الصورة التي ينبغي أن تكون عليها كما أن الحواجب ظهرت بشكلٍ أكثر درامية كما أن الشفتين كشفت عن أحد الشعورين إما النشوة أو الدهشة، أعتقد أنها تُعبر عن الشعور الأخير، يبدو التمثال مرتبكًا إن حاولنا وصف ملامحه بدقة أكبر.

الغذاء جاهز، قالها ثيو مُحاولًا لفت انتباهي من التمثال إلى الطاولة حيث أطباق شطائر سمك السلمون المُدخن المغطاة بالكريمة الكثيفة ونبات القبار والشِّبت، من المؤكد أن ذلك الطبق يختلف كلّيًا عن الأطباق التي يتم تحضيرها داخل قاعة الطعام، عندما قام ثيو بسكب كوب من البروسيكو المُثلّج لي، أخذت رشفة طويلة مُحاولةً تهدئة أعصابي بعض الشيء.

- ها نحن الآن قد حصلنا على بعض الراحة، قالتها فراني ثم أكملت حديثها قائلةً:

- أعتقد أنه قد آن الأوان لأكشف لك الآن يا ايما لماذا تم إحضارك إلى هنا؟ لقد جئتِ في ظروفٍ غامضة، اعتقدت أنه أمر جيد حقًا أن تحظى محادثتنا تلك ببعض الخصوصية.

- مُحادثتنا؟

- أجل، قالتها فراني.

- هناك أمر مهم أرغب أنا وثيو في مناقشته معك.

- حقًا؟، قلتها وأنا أتناول شطيرتي على الرغم من أن الخوف يمسك بتلابيب نفسي إلا أنني حاولت التظاهر بالهدوء ثم قلت:

- ما الأمر؟

- المسألة تتعلق بتلك الكاميرا الموجودة خارج مقصورتك، قالتها فراني وحينها تجمدت في مكاني بينما كنت أضع ملعقة ممتلئة من سمك السلمون المدخن إلى داخل فمي.

- إننا نعرف جيدًا أنك رأيتها، قالها ثيو مُكمّلاً :

لقد شاهدنا اللقطات عبر كاميرا المراقبة هذا الصباح.

- حتى نكون صرحاء معك يا ايما ، لقد كنا نتمنى حقًا ألا يُلاحظ أحد وجود تلك الكاميرا، أضافت فراني.

- لكن أتمنى أن تسمحي لنا بإخبارك عن سبب وجودها هناك.

وضعت ملعقتي فوق الطبق، فلم تعد لديَ أية شهية بعد الآن وقلت:

- بالطبع سأقدر ذلك فأنا لم أر أية كاميرا مراقبة أخرى في الجوار.

فراني.

- ومنذ متى تم وضعها؟

منذ عشية المساء الماضي، قالها ثيو مضيفًا:

- لقد قام بين بوضعها خلال إقامة نار المُخيّم.

لم يبد الاسم مألوفًا لي في بادئ الأمر لكني لاحقًا تذكرت أن هذا هو اسم حارس المُخيّم، فما من عجب على الإطلاق أنه كان يتصرف بغرابة أثناء جمع حوامل الرسم.

- لماذا قام بوضع كاميرا المراقبة هناك؟

- حتى يُراقب مقصورة القرانيا بالطبع!، قالتها فراني.

عندما تطرقت لتوها للحديث عن مسألة المراقبة تلك شعرت بالرغبة الشديدة في إخبارها أنه ثمة شخص ما كان يُراقبني أثناء وجودي داخل كُشك الاستحمام هذا الصباح، لم يكن بمقدوري الإفصاح عن ذلك الأمر لأنني لم أكن واثقة أنه قد كان هناك أحد بالفعل كما أنه قد يتطلب ذلك أن أكشف كيف عرفت تلك المسألة، وما هي قصة فتحة جدار المرحاض، تلك المحادثة التي تأهبت جيدًا لتفاديها تمامًا مهما كلفني الأمر، وبدلًا من التطرق إليها قلت على الفور:

- هذه ليست إجابة على سؤالي.

في الواقع تفوهت بذلك على الرغم من معرفتي الجيدة أن تلك كانت إجابة مُحددة على سؤالي السابق، فهي تبدو غير مُعلنة بعض الشيء إلا أن الجميع يعرفها، وقد بدا الأمر وكأنهم تركوا لي الاستنتاج من تلقاء ذاتي، فلقد تم وضع كاميرا المراقبة فوق مقصورة القرانيا فقط كما أنه حدث ذلك مساء الأمس بعد أن عرفوا بمكان إقامتي، نظرت لي فراني عبر الطاولة وكان القلق واضحًا على ملامحها ثم قالت:

- تبدين مُضطربة يا ايما كما أنك تشعرين بالإهانة! نحن لا نلومك على هذا كما أوضحت لك مُسبقًا.

شعرت بإرهاصات صداع الرأس تضغط على جسدي بأكمله وجعلني ذلك أشعر بالمزيد من الارتباك ثم ابتلعت القليل من النبيذ على معدة فارغة. لقد كانت فراني مُحقّة فأنا بالفعل أشعر بالارتباك والإهانة.

- لكنك لازلت لم تخبريني لماذا توجد كاميرا المراقبة في

مقصورتنا فقط؟ هل تحاولين التّجسّس عليّ؟

كان هذا الرد قاسيًا بعض الشيء.

- أتجسس؟، قالتها فراني بقليلٍ من الامتعاض والاستياء كما لو أن مجرد تفوهها بتلك الكلمة قد أفسد لسانها.

ارتشفت بعضًا من النبيذ ثم قالت:

- في الواقع لقد قمنا بوضع كاميرا مراقبة في مقصورتك من أجل حمايتك.

- من ماذا؟

- من نفسك!، قالها ثيو.

باغتني ما قاله للتو لكن سرعان ما قالت فراني برقة تتجاوز بها ما قاله ابنها:

- في الواقع يا ايما عندما قررنا إعادة فتح هذا المُخيّم من جديد قمنا بعمل فحص لمعلومات وخلفيات كل أولئك الذين مكثوا هنا خلال ذلك الصيف، وعلى الرغم من أني لم أر ضرورةً لذلك إلا أن طاقم المحامين الخاص بي أصر على ذلك، لقد فتشنا عن كل ما يتعلق بالمدربين وعمال المطبخ وحتى الفتيات المخيمات، لم نجد أي شيء يستحق القلق فيما عداكِ.

- لا أفهم ذلك، قلتها وكنت فعليًا أقصد كل حرفٍ أتفوه به، لكني كنت أعرف ما ستقوله لاحقًا.

رسمت فراني تعبيرًا مُبالغًا فيه على وجهها وقد شعرت حقًا بعدم صدقه في تلك اللحظة، لقد فهمت أنها ترغب في إخباري مدى ألمها إزاء التفوه بتلك الكلمات التي أوشكت على الإعلان عنها.

- نحن نعرف يا ايما ما حدث لك بعد مغادرة مُخيّم نايتنجيل.

الفصل الرابع عشر

لم أتحدث عن ذلك الامر مع أي أحد، وكذلك لم أتطرق إليه مع مارك، فالأشخاص الوحيدون الذين كانوا يعرفون ما حدث هم عائلتي، أبي وأمي والذين كانوا سعداء للغاية لتجنب التحدث عن تلك الأهوال التي وقعت لمدة ستة أشهر عندما كنت في الرابعة عشرة. كنت لا زلت في المدرسة حينها، لازلت أذكر أنني كنت تلك الفتاة الضخمة التي تحاول بكل يأس أن تتأقلم مع زميلاتها من فتيات المدرسة الإعدادية، لم يكن الأمر سهلًا على الإطلاق، تحديدًا بعد ما حدث خلال الصيف الماضي، فالجميع كان يعرف حول مسألة الاختفاء التي وقعت في مُخيّم نايتنجيل كما أن ذلك قد أضر بسمعتي وشرعت زميلاتي في الابتعاد عني نِهائيًا حتى هيذرا وماريسا، باتت حياتي أقرب إلى أحد أنواع الحبس الانفرادي، فقد كنت أقضي العطلات الأسبوعية في غرفتي وكنت أتناول وجبات الطعام في المقصف المدرسي بمفردي، وفي تلك اللحظة التي بدا لي فيها أن الأمور لن تصبح أكثر سوءًا من ذلك رأيت أن الفتيات وكل شيء يخصهن قد ذهب بلا رجعة، كان ذلك خلال رحلة المدرسة إلى متحف متروبوليتان للفنون حيث اجتمعت العديد من الفتيات المُتعجرفات من أصحاب التنورات المُقلّمة وحينها انفصلت عن مجموعتي مُتجهةً إلى قسم اللوحات الفنية الخاصة بالقرن التاسع عشر وأخذت أتجول في صالات العرض مبهورةً بلوحات غوغان، ورينوار، وسيزان وقد كانت إحدى الصالات فارغة لا يقف فيها إلا ثلاث فتيات أمام أحد أعمال جوستاف كوربيه متأملات لوحته «سيدات القرية الصغيرات».

كانت إحدى تلك لوحات المناظر الطبيعية المُخضبة باللونين الأخضر والذهبي والمسكونة من قبل أربع نساء، ثلاثة منهن كن في أواخر سن المراهقة واللواتي كن يحملن اسم اللوحة وقد تأنقن بأزيائهن وقبعاتهن ومظلاتهن الجميلة، بينما كانت الفتاة الأخرى هي الأصغر سنًا والتي بدت كفتاة قروية تقف حافية القدمين وتضع منديلًا على رأسها ومئزراً حول خصرها، أخذت أحدق مليًا، في الواقع لم أكن أنظر إلى اللوحة بل كنت أتأمل أولئك الفتيات اللواتي كنت يقفن أمامها، أطلت النظر إلى ثيابهن البيضاء

حيث كن يقفن منتصبات الظهر في حالة سكونٍ وجمودٍ تام تمامًا كما لو كن يقلدن الفتيات الصغيرات اللواتي رسمهن كوربيه في لوحته، لقد بدا المشهد وكأنهن قد خرجن من اللوحة نفسها للتو وأردن إلقاء نظرة عليها من دونهن من الخارج.

إنها جميلة، قالتها إحدى الفتيات مُكملةً:

- ألا تعتقدين ذلك يا إيم؟

لم تستدر إلى الخلف، فهي لم تكن بحاجة إلى ذلك أبدًا، لقد كنت أعرف جيدًا أنها فيفان تمامًا كما كنت أعرف في قرارة نفسي أن الفتاتين الأخيرتين هما ناتالي وأليسون، في الواقع لم يكن يهمني على الإطلاق إن كنت أراهن فعلًا بشكل حقيقي أم أنهن مجرد أشباح أو من نسج خيالي الخاص! لقد أخافني وجودهن بالقدر الكافي.

- تبدين متفاجئة ! أعتقد أنك لم تكوني تعرفين أننا من محبي الفنون.

لم تكن لديَ الجرأة لأرد عليها، أخرسني الخوف، وتطلب الأمر كل قوتي حتى أخطو إلى الخلف محاولةً إبقاء مسافة كافية بيننا، وعندما حاولت بالفعل القيام بخطوتي الأولى لحقت بي الأخريات في تتابع سريع، أخرجتني قدمي من صالة العرض بينما كانت أحذيتي الجلدية تُحدث صوتًا صاخبًا أثناء سيري على الأرضية الخشبية، وبمجرد أن أصبحت في الخارج وشعرت بالأمان بعض الشيء حاولت إلقاء نظرة إلى الخلف.

لا زالت فيفان تقف هناك برفقة ناتالي وأليسون، لازلن ينظرن إليَ من الجهة المقابلة، وقبيل أن أمضي تمامًا غمزت لي فيفان بعينيها وقالت:

- أراك في القريب، ولقد حدث ذلك بالفعل.

بعد مرور عدة أيام وبينما سحبتني أمي برفقتها لمشاهدة إحدى الأمسيات الخاصة بعرض فرقة بويز جونز في إحدى لحظات اهتمامها النادرة بينما غادرت للحظات لتأمين مكانٍ لها في حانة المسرح الصغيرة فإذا بفيفان تأخذ مكانها وسرعان ما تمت إضاءة أنوار المنزل وهنا جلست بثوبها الأبيض وقالت:

- هذا العرض شيء جدًا.

لم أجرؤ على النظر إليها، جلست متجمدةً في مكاني

مُثبتةً عيني على خشبة المسرح الموجودة أمامي، بقيت فيفان حيث كانت، بينما أرى لونًا ضبابيًا أبيض يحتل مشهد رؤيتي فإذا بي أغمغم قائلةً: أنت لست حقيقية، كان مستوى صوتي منخفضاً إلى هذا الحد الذي لا يمكن لأحد سماعه. أنت لست موجودة.

بربك يا ايم! كفاكِ! فكلنا يعرف أنه لا يمكننا تصديق ذلك. لماذا تفعلين ذلك؟

- أفعل ماذا؟

- لماذا تُلاحقينني هكذا؟

- أنت تعرفين السبب جيدًا.

لم تبد فيفان غاضبة عندما قالت ذلك، لم يكن هناك أية نبرة اتهام في صوتها، لكنها بدت حزينة. حزينة جِدًا إلى هذا الحد الذي جعلني أختنق بالبُكاء.

عبرت عن ألمي بأصابع مُرتعشة ودموع مُنهمرة على وجنتي.

- كفاكِ نحيبًا، قالتها فيفان.

كلتانا تعرف أن هذا كله غير حقيقي ومن ثم فقد غادرت فيفان فجأة وقد تطلب الأمر مني حوالي خمس دقائق حتى يمكنني ترك مقعدي والتوجه إلى غرفة السيدات حيث قضيت الفصل الثاني مُختبئةً داخل الحجرة، وبعد العرض أخبرت أمي أنني أشعر بالتوعك، ومن جانبها فقد تناولت الكثير من النبيذ الذي لا يسمح لها باكتشاف كذبتي تلك. بدأت الفتيات بالظهور لاحقًا، فقد رأيت ناتالي تقف في الجهة المقابلة للشارع المؤدي إلى المدرسة بينما كانت أليسون تُحدق في وجهي عبر طاولة المقصف المدرسي طيلة الغذاء كما أن ثلاثتهن تجولن في قسم الملابس الداخلية في مبنى ميسي عندما حاولت التقاط حمالة صدر ما لاستيعاب قوامي المزدهر المباغت. لم أتفوه بحرف بشأن هذا لأي شخص. لقد خشيت حقًا أنه ما من أحدٍ ليصدقني، كان هذا ليمضي قُدمًا إذا لم أستيقظ ذات ليلة لأجد فيفان تجلس بجواري على حافة فراشي.

- في الواقع إني أتساءل حقًا يا ايم، هل تظنين أنه بمقدورك الإفلات هكذا بفعلتك تلك؟

صرخت وقد أيقظ صوت صراخي والدي، وقد هرعا لتوهما إلى غرفتي وحينها عثرا على مكورة أسفل الأغطية

حيث كنت أنتحب بمفردي وقضيت بقية الليلة أشرح لهما أنني أرى الفتيات الثلاث وأنني أخشى حقًا أن يلحقن الأذى بي.

أخذت أتحدث لساعاتٍ طويلة، حتى بدا معظم ما قلته غير منسجم ومبهم بالنسبة لي شخصيًا، وقد رفض أبي وأمي تصديق تلك الفكرة مبررين أن ذلك محض حلم سيئ ، لكني كنت أعرف جيدًا أن الأمر ليس كذلك، بعد ذلك رفضت مغادرة المنزل وتخطيت مسألة الذهاب إلى المدرسة متظاهرةً بالمرض، وقد قضيت ثلاثة أيام محبوسة داخل غرفتي من دون أن أسمح لنفسي بالاستحمام أو حتى أقوم بترك الفرشاة تلامس أسناني ، لم يكن لدى أبي وأمي أي خيارٍ آخر سوى أخذي إلى الإخصائي النفسي، ذلك الذي أقر بصراحة شديدة أنني أعاني من الاضطراب الفصامي الشكل والذي يعد قريبا جدًا من اضطراب فصام الشخصية الشهير كما أنه أكد أن كل ما أراه فيما يخص الفتيات الثلاث ما هو إلا محض هلاوس، وقد أكد الطبيب أن ما حدث في مُخيَم نايتنجيل لم يكن سبباً في إصابتي بذلك المرض، فأنا أعاني منذ فترة من خلل كيميائي في أعماق الدماغ، فقد حرر ذلك قصة اختفاء الفتيات تمامًا كما تنفجر الحمم البركانية من داخل بركان خامل لفترةٍ طويلة، وقد شدد الطبيب أيضًا أن ذلك الاضطراب مؤقت، وقال إن أولئك الذين يعانون منه يصبحون أفضل بعد حصولهم على العلاج المناسب ولهذا السبب ذهبت على الفور إلى إحدى تلك المصحات العقلية لمدة ستة أشهر لأتلقى العلاج مع فتيات في فتراتِ المراهقة، كان المكان نظيفًا مُريحًا كما أن التعامل كان احترافيًا فلم يسر الأمر كما كان في فيلم «فتاة مُشوّشة» الشهير، لم يكن هناك سوى مجموعة من الفتيات في نفس عمري يحاولن أن يصبحن بحالٍ أفضل، وقد فعلت ذلك أنا الأخرى بفضل العلاج والدواء وصبري قديم الطراز.

بدأت الرسم لأول مرة أثناء وجودي في تلك المستشفى، كان الأمر أشبه بالعلاج بالفن كما يُسمى، لقد طلبوا مني الجلوس أمام لوحات بيضاء مُمسكة بفرشاة في يدي وطلبوا مني التعبير عن مشاعري، قمت بسكب اللون الأزرق بقوة والذي تسبب في تمزيق اللوحة وحينها قامت المدربة والتي كانت امرأة لطيفة ذات شعر رمادي بأخذ

اللوحة بعيدًا ووضعت لوحة أخرى محلها وقالت:

- هيا قومي برسم ما ترينه يا ايما !

رسمت الفتيات الثلاث بنفس الترتيب فيفان ثم ناتالي ثم أليسون، وقد كانت تلك اللوحة تختلف كُليًا عن جهودي اللاحقة، فقد بدت علامات الوحشية والخشونة والقسوة جليةً على وجوههن، فلم يكن هناك ثمة تشابه بين الفتيات في لوحتي تلك وشكل الفتيات في الحقيقة.

لقد قمت برسمهن على هيئة خطوط سوداء مائلة تنبعث من ثياب مستطيلة الشكل، على الرغم من أن وجوههن لم تكن واضحة إلا أنني كنت أعرف هويتهن جيدًا، ذلك الأمر الذي ساعدني كثيرًا على الشفاء، فبعد ستة أشهر أخرى تم إطلاق سراحي نهائيًا، على الرغم من ذلك كنت لا أزال أتناول دواء الذهان والحصول على جلسة علاجية مرة في الأسبوع ثم استمر تناول الأدوية خمس سنوات لاحقًا، وقد استمرت جلساتي مع الاختصاصي النفسي حتى اليوم، إنها تساعد فعلًا لكن ليس بنفس هذا القدر الذي حصلت عليه في مستشفى الأمراض العقلية من جانب الدكتور تشيفلي الصبور جدًا.

قدمت لي طبيبتي ذلك السوار السّخريَ الذي تتدلى منه رؤوس الطيور الدقيقة وطلبت مني أن أعتبرها تميمة حظ وقامت بوضعه حول معصمي. لا تستهن أبدًا بقوة التفكير الإيجابي، فإذا اختبرت يومًا الهلاوس من ذلك النوع كل ما أنصحك به هو لمس هذا السوار وأن تُخبر نفسك أن ما تراه الآن ليس حقيقيًا وحينها فقد ستفقد سيطرتها عليك وستشعر أنك أكثر قوة مما يعتقد الآخرين. بدلًا من العودة إلى مدرستي الإعدادية القديمة، أرسلني أبي وأمي إلى أقرب مدرسة حكومية، وهناك تمكنت من إقامة الصداقات وأصبحت جادةً حيال الفن، ولم أر الفتيات مُجددًا منذ ذلك اليوم إلا في لوحاتي الفنية، لقد ظننت أن المعلومة سرية، كان هذا سري الذي أحمله، لكن فراني قد تمكنت من العثور على تلك المعلومة، وأنا لست متفاجئة فمالها قادر على فتح كافة الأبواب المغلقة، ها هي الآن تُحدق في وجهي وكذلك ثيو، فالفضول يطل من نافذة أعينهم تمامًا كما لو كانوا يتساءلون إن كنت على وشك الصراخ.

- كان ذلك منذ فترة طويلة جدًا، قلتها.

- أجل، بالطبع، قالها ثيو.

- في الواقع نحن لا نريدك أن تشعري أنك منبوذة أو مُعاقَبة على الإطلاق ولهذا السبب كان يتعين علينا إخبارك في المقام الأول بشأن كاميرا المراقبة.

ليس لديّ أدنى فكرة ما الذي يريدون أن أقوله لهم بالضبط، هل يُريدون مني أن أطلب منهم الصّفح والغفران مثلًا؟ هل يرغبون أن أتقبل مسألة تجسسهم عليّ نظرًا لتعرضي لتجربةٍ ما خلال فترة دراستي في المدرسة الثانوية؟

- إنني أتفهم ذلك، قلتها بصوتٍ مُتقطّع.

- من الأفضل أن نتخذ الاحتياطات المطلوبة بدلًا من أن نندم لاحقًا، فنحن جميعًا لا نرغب في إثارة فوضى أخرى على أيدينا، أليس كذلك؟

أطلب منهم السماح لي بالمغادرة وألوذ بالفرار بين التماثيل، تلك التي تبدو وكأنها تُحدق في وجهي عند رحيلي، وعلى الرغم من أن أعينهم الفارغة لا ترى شيئًا إلا أنها تبدو وكأنها تعرف كل شيء، يلحق بي ثيو إلى غمق الغابات. تُحدث خطوات أقدامه صوتًا صاخبًا أسفل الشجيرات خلفي وتبدو وكأنها أسرع من خطواتي وأكثر اعتيادًا وألفة للتضاريس. أقوم بإسراع خطوتي على الرغم من علمي أنه سيلحق بي، أنا فقط أريد أن أجبره على فعلها. أنحرف إلى اليسار من دون سابق إنذار مُحاولةً مناورته حتى تقاطعت خطواتي مع أرضية الغابة الكثيفة، عندها لحق بي ثيو أيضًا على غِرار مُماثل، وقد قمت بذلك مُجددًا من جانبي، في هذه المرة حاولت الإسراع من إيقاع خطواتي أكثر وتوجهت ناحية اليسار، شرع ثيو في النداء عليّ قائلًا:

- أيما! لا تغضبي أرجوك!

قمت بانحراف آخر ثم هرعت إلى اتجاهٍ جديد، في هذه المرة التصقت قدمي بجذع شجرةٍ ما، قفزت وحاولت المضي قُدمًا وحاولت تحسين أدائي قبل أن أسقط مرةً أخرى إلا أن ما حدث هذه المرة جرح كبريائي فحسب فقد هبطت علي يديّ وركبتي باذلةً قصارى جهدي من أجل السير بين تلك الأوراق التي تغطي الأرض وكذلك الطحالب التي تنمو فوقها. عندما وقفت على قدمي كنت

في مكانٍ آخر فسيح والذي كان مُرتباً جدًا تمامًا كما حديقة النحت، لكنه كان أشد قتامة واتساعًا وكان على أعتاب التقاطع مع غابةٍ أخرى. شرعت في الدوران ببطء ثم نظرت حولي مُحاولةً تحديد الاتجاهات.

كان ذلك عندما لاحظت تلك الساعة الشمسية للمرة الأولى والتي تتواجد في منتصف تلك المنطقة الخالية من الناس وهي عبارة عن شكل دائري نحاسي أعلى أحد الأعمدة المائلة، لقد حول الزمن لونها النحاسي ذاك إلى لون أزرق فاتح والذي جعل الأرقام الرومانية والبوصلة تنحرف باتجاه السطح أكثر من ذي قبل، وكان مركز الساعة يحمل شعارًا مكتوباً باللغة اللاتينية، إنني أعرف تلك العبارة المحفورة هناك جيدًا، لم يكن الفضل في ذلك يعود إلى براعتي في تلك اللغة منذ أن كنت طالبة في المدرسة وإنما يرجع ذلك إلى أنني لا يمكن أبدًا أن أنسى ذلك الشعور بالرجفة والهلع الذي اجتاحني لحظة معرفتي معناها، تلك العبارة التي تقول: كل الساعات تجرح، وحدها الساعة الأخيرة تقتل! قمت بلمس الساعة ومررت أصابعي على الكلمات حتى لحق بي ثيو أخيرًا.

تحرك بسرعة بين الأشجار لاهثًا بينما بدا مظهر شعره فوضويًا من أثر المطاردة.

- لا أرغب في التحدّث معك، قلتها على الفور.

أنصتي إليّ يا ايما أعرف أن لديك كل الحق لتشعري بالغضب لذا كان يتوجب علينا إخبارك أولًا، لقد قمنا بإدارة الأمر برمته بشكلٍ خاطئ.

هذا ما يمكننا الاتفاق بشأنه.

- أردت فقط التأكد أنك أصبحت أفضل بصفتي صديق.

- أنا بخير بنسبة مائة في المائة.

- حسنًا، أنا آسف إذن وكذلك أعتذر نيابةً عن أمي.

جاء الاعتذار بصورة تبدو إجبارية أكثر منها صادقة وأدى ذلك إلى إغضابي من جديد.

- إذا لم تكونوا تثقون بي فلماذا إذن قمتم بدعوتي إلى هنا مُجددًا؟

- لأن أمي أرادتك هنا، قالها ثيو ثم واصل حديثه:

- في الواقع لم نكن نتوقع ما الذي نحن بصدد رؤيته هذه المرة، فقد مرت خمسة عشر عامًا، والناس تتغير يا ايما !

ولم يكن لدينا أي فكرة عن الصورة التي أصبحت عليها اليوم، ففي ظل ما حدث هنا آخر مرة كنت فيها في مخيم نايتنجيل فإن ما قمنا به يتعلق بالأمان وليس الثقة.

- الأمان؟ ما الذي كنتم تظنون أني سأفعله مع أولئك الفتيات.

- ربما نفس الشيء الذي قلت في السابق أنني قد فعلته لفيفان وناتالي وأليسون.

ها أنا أتعثر في طريقي إلى الخلف مُمسكةً بالساعة الشمسية من أجل دعم نفسي، تُباغتني برودة النحاس ومدى انزلاقه أسفل أصابع يدي.

- ألهذا السبب قمت بذلك؟ هل قمت بوضع الكاميرا والتفتيش في سجلاتي الصحية بسبب أني قمت باتهامك بإلحاق الأذى بهن خلال كل تلك السنوات؟

عبث ثيو بشعره ثم قال في استياء واضح:

هذا ليس ببعيد عن حقيقة الأمر، وبما أنك ذكرت ذلك عليك أن تعرفي أنه كان شيئاً خبيثاً حقًا ما قمت به حينها.

- أجل، لقد كان كذلك، اعترفت في الحال مُكملةً:

- لكني قضيت سنوات حياتي أؤنب نفسي على ما حدث، لقد كنت صغيرة ومرتبكة وخائفة.

- هل تظنين أني لم أكن كذلك؟، قالها ثيو بنبرة هجومية.

- كان من المفترض أن تري كيف قامت قوات الشرطة بتعذيبي حينها! لقد جاء مكتب التحقيقات الفيدرالية إلى النُزل ليطالبني بقول الحقيقة كاملةً، لقد أجبروني على إجراء اختبار كشف الكذب وكذلك أرغموا تشيت أيضًا على القيام به. هل يُمكنك تخيل ذلك؟ طفل في العاشرة من عمره يتم توصيله بجهاز كشف الكذب؟ لقد ظل يبكي طيلة أسبوع كامل لاحقًا، كان كل ذلك بسبب اتهامك السابق لي بالقيام بذلك!

توهج وجهه خمرةً وحينها برزت تلك الندبة الموجودة على أحد وجنتيه، ها هو يتحدث بنبرة تحمل الكثير من الغضب ليعبر لي عن مدى ذلك الخطأ الذي اقترفته في حقه.

- لم أكن على دراية بكل هذا، قلتها.

- لكن هناك ما هو أكثر من ذلك، لماذا قمت باتهامي إذن يا ايم حينها بإلحاق الأذى بهن على الرغم من أني كنت

صديقك؟

ها أنا أحدق في وجهه بكل ذهول، في حقيقة الأمر إن سؤاله ذلك أدى إلى مضاعفة شعوري بالقلق، فعلى الرغم من أنه لا علاقة له بمسألة اختفاء فيفان وبقية الفتيات لكنه أيضًا لم يكن بريئًا تمامًا، لم يكن أي منا كذلك.

أنت تعرف جيدًا لماذا! قلتها ثم انطلقت مغادرة ثيو بمفرده في تلك المنطقة الشاسعة، وبعد أن قمت بعدة محاولات إزاء المنعطفات الخاطئة كدت أن أتعثر مُجددًا أثناء السير عن طريق أحد جذوع الأشجار المكشوفة ثم عدت إلى المُخيّم في نهاية المطاف ومشيت حتى وصلت إلى المقصورة، لقد كنت غاضبة أثناء وجودي مع فراني وأصبحت أكثر غضبًا بعد التقائي ثيو وها أنا الآن بعد تزايد غضبي أقنع نفسي بأن عودتي إلى هنا كانت فكرة جيدة.

عندما عدت إلى المقصورة قمت بفتح الباب على مصراعيه، ثمة شيءٍ ما قد سقط على الأرض مُباشرة وحلق في أرجاء الغرفة من دون توقف، رأيت لتوي أشكالًا سوداء داكنة عند النافذة ثم سمعت صوت رفرفة الأجنحة. إنها طيور تحديدًا مجموعة من الغربان، يمكنني معرفة ذلك عن طريق رؤية ريشها الأسود، ها هي تصطدم بالحائط مُطلقةً صرخاتٍ عالية، لقد توجهت إحداها نحوي وكشطت بمخالبها شعري ثم مضت قُدمًا ناحية وجهي، عندما رفعت رأسي للأعلى وجدتها تُحدق بعيونها السوداء الداكنة، وقعت على الأرض وحاولت تغطية رأسي بيدي، استمرت رفرفة الطيور مواصلةً صراخها ورحلتها بين جدران المقصورة.

أزحف على الأرض باذلةً قصارى جهدي من أجل الوصول إلى الباب ثم قمت بفتحه على مصراعيه، تلك الحركة التي أرسلت الطيور في الاتجاه المعاكس ناحية النافذة حيث اصطدمت مجموعة الغربان بالألواح الزجاجية، توجهت نحوهم بينما كنت أضع يدي فوق عيني واليد الأخرى ألوح بها في الهواء لأريهم الطريق، تأرجح سواري السحري يمينًا يسارًا وإلى الأعلى والأسفل، أظن أن هذا يفي بالغرض، ها هو الغراب الأول يقترب من الباب المفتوح ويتلصص على المشهد أولًا ثم يخرج ويلحق به غراب آخر لتوه ثم ينعق الغراب الأخير مُطلقًا صيحاته العالية ويقوم بإجراء عملية تمشيط لجدران المقصورة ثم يخرج أيضًا. أبقى كما

أنا على الارض أحاول التقاط أنفاسي وتهدئة نفسي وأظل في مكاني لأتأكد أولًا أنه لم يعد هناك أي غراب أخر في المكان حتى يقوم بالهجوم، فما أدركه جيدًا أن الغربان لا تقوم بالهجوم من أجل ذلك في حد ذاته ولكنها تفعل ذلك لأنها مُحاصرة ومذعورة، أعتقد أن تلك الأسراب دخلت عبر النافذة جائعة وعندما دخلت إلى هنا لم يكن بمقدورهم الخروج مرةً أخرى لذلك دخلت في نوبة من الهلع، هذا يبدو منطقيًا آخر، فأنا الاخرى قد مررت بنفس الموقف لكني كلما تذكرت أصوات نعيقها كلما تملكني الخوف والرهبة، وقفت ثم نظرت إلى النافذة لأتفقدها، لقد كانت مُغلقة طيلة الوقت.

الفصل الخامس عشر

استغرق الأمر مني عشر دقائق حتى أقوم بجمع كل هذا الريش الذي خلفته الغربان خلفها، كان هناك أكثر من اثنتي عشرة ريشة متناثرة على الأرضيات، بالإضافة إلى العشرات التي تبعثرت في أرجاء أسرّة ميرندا وساشا ، على الأقل لم يكن هناك فضلات طيور برفقة كل هذا الكم من الريش. إنني أعتبر هذا انتصارًا في حد ذاته. أثناء قيامي بعملية التنظيف، كنت أفكر في طرق دخول الطيور إلى الدخل على الرغم من أن باب النافذة كان مغلقًا. هناك احتمالان، الأول هو أن تلك الغربان قد دخلت عبر ثقب في السقف، أحد تلك الثقوب غير المرئية الموجودة في إحدى الزوايا التي يصعب إيجادها، أما الثاني وهو الأكثر منطقية بالطبع وهو أن إحدى الفتيات غادرت تاركةً باب الغرفة مفتوحًا خلفها، وربما جاء شخص ما وقام بإغلاق الباب غير مدرك أنه تم حبس الطيور داخل مقصورة القرانيا، ولكن عندما أمسكت لتوي بحفنة الريش راودني احتمال ثالث وهو أن هناك شخصاً ما أمسك بهذه الطيور ووضعها بالداخل لغرضٍ ما، لقد كانت ثلاثة! وهذا ربما يُشبه عدد رؤوس تلك الطيور الدقيقة المزودة بسواري السّخريَ وربما يكون هذا يحمل دلالة رمزية. قمت بهز رأسي أثناء بعثرة الريش، لا، هذا لن يكون السبب المنطقي لذلك. إن الأمر أقرب إلى ذلك التفكير التشاؤمي الذي يغمرني لحظة ظني أن هناك أحدا يُراقبني أثناء وجودي في كشك الاستحمام، بالإضافة إلى ذلك من بمقدوره فعل شيءٍ كهذا؟ ولماذا؟ تمامًا كما كنت داخل المرحاض، لقد أخبرت نفسي أن التفسير الأكثر براءة هو الأكثر منطقية، على الرغم من ذلك فإنه منذ لحظة دخولي المقصورة لم يكن بمقدوري التخلص من فكرة أنه ثمة خطب ما هناك.

فكل تلك الأمور التي اختبرها بدءًا من الظل الذي باغت فتحة جدار الاستحمام وأمر ذلك الضّدع في حد ذاته إضافةً إلى مسألة حبس الطيور داخل مقصورة القرانيا، لقد كنت على حافة الهاوية طيلة اليوم ومن ثم فإني لم أكن أرغب في مغادرة الغرفة إلا خلال القليل من الوقت، ربما لأتجول سيرًا على الأقدام، فبعض التمارين ربما تبعد تلك الأفكار الغريبة عن رأسي، قمت على الفور بفتح

صندوق خزانتي الخشبي وبدأت في البحث عن أحذية السير، جدير بالذكر أن أول شيء وقعت عيني عليه هو قطعة الورق المطوية التي قامت فيفان بإخفائها داخل صندوق خزانتها الخاص، ارتعشت يدي عندما قمت بالتقاطها، وقلت لنفسي إن هذا مجرد إجهاد نتيجة ما حدث خلال هذا اليوم، لكني أعرف الحقيقة لقد جعلتني تلك الصفحة أشعر بالتوتر، تمامًا كما هو الحال مع الصورة الفوتوغرافية التي انفتحت مُجددًا ها أنا أرى نفسي أحدق إلى المرأة شاعرةً بإحساسٍ بالألفة نتيجة التقاء عينيها، لقد جعلني الأمر أفكر فيما كانت تلك المرأة التي تُدعى إلينور أوبرون تفكر عندما تم التقاط تلك الصورة؟ هل كانت خائفة من أن تفقد عقلها مثلًا؟ هل كانت ترى شيئًا ما لا وجود له على أرض الواقع؟ ها أنا أضع الصورة جانبًا ثم أتفقد الخريطة التي قامت فيفان برسمها، ها أنا أتفقد الصفحة بأكملها متأملةً المُخيّم والبحيرة والغابة المرسومة بفظاظة على امتداد الشاطئ البعيد. ها أنا أتأمل الآن علامة الخطأ التي قامت برسمها بالقرب من الأخاديد العميقة، لقد قامت فيفان بذلك لسببٍ ما، فهذا يعني أنه ثمة شيء ما يوجد هنا.

لا يوجد أي طريقة لمعرفة ذلك إلا إذا ذهبت إلى هناك بنفسي، وهذا تحديدًا ما أنوي فعله. إن التقدم نحو البحيرة سيخرجني من المقصورة كما أنه سيجعلني أشرع في البحث من أجل الحصول على المزيد من المعلومات بشكلٍ جدي، فحينها سأكون كمن يقتل عصفورين بحجرٍ واحد، لكني سرعان ما أدرك أن ذلك مجرد تعبير مجازي خاطئ عندما أجد ريشة ما تنظر خلسةً من صندوق خزانتي، أبدأ في جمع اللوازم والإمدادات ووضعها في حقيبة الظهر الخاصة بي، وأضع أيضًا واقي الشمس ومُعقّم اليدين وهاتفي وزجاجة مياه كما أدس خريطتي بداخلها وأغلق الحقيبة وأغادر المقصورة وخلال طريقي أرمي كاميرا المراقبة بنظرة تحد آملةً أن يشاهدها كل من فراني وثيو في شريط اللقطات لاحقًا.

قبيل مُغادرة المُخيّم توقفت إلى جوار قاعة الطعام لملء زجاجة المياه الخاصة بي وللحصول على ثمرة موز وشوكولاتة في حالة شعوري بالجوع، كان هناك امرأتان ورجل بالخارج، فعمال المطبخ يقضون أوقاتهم الهادئة

تلك في استنشاق روائح الغذاء والعشاء التي تنتشر في كافة أرجاء ذلك السقف الضخم المغلق. لوحت لي إحدى النساء بغير اكتراث. جدير بالذكر أن ذلك الرجل الذي كان يقف إلى جوارها كان هو نفس الرجل الذي رأيته يُحدق في وجهي هذا الصباح صاحب اللحية القصيرة. هناك علامة تؤطر مئزره مكتوب فوقها اسم «مارفين»، إذن لا زال مارفن يُحدق في وجهي الآن، وها هو موعد دروس السباحة قد حان، كانت المياه مكتظة بالكثير من النساء اللواتي كن يرتدين ملابس السباحة بدرجاتٍ متفاوتة. لقد قبض عليَ وأنا أنظر إليه بغتةً ثم رسم ابتسامة عريضة على شفتيه وجعلني ذلك أرغب في مد يدي بحثًا عن المعقّم الخاص بي في حقيبة الظهر، وحينها قال مازحًا: إن النظر ليس ممنوعًا!، ما قاله مارفن للتو جعله يقفز إلى رأس قائمة مُختلسي النظر المشتبه بهم، في حقيقة الأمر لقد كان المُشتبه به الوحيد على الرغم من أن هناك نقطة ضعف في المسألة فعندما ذهبت إلى كشك الاستحمام كان مارفن لا يزال يعمل في قاعة الطعام، وربما كانت هناك فرصة ليلحق بي، لكنني أشك أن باستطاعته فعلها من دون أن يُلاحظه أي شخص آخر بالإضافة إلى هذا ربما لا يكون هناك شخص يُراقبني أصلًا. ربما.

- ربما يكون النظر ليس ممنوعًا يا مارفن!، قلتها وأنا أضغط على مخارج حروف اسمه لأجعله يتأكد أني أعرف ما يفعله ثم واصلت حديثي:

- لكن أولئك الفتيات صغيرات جدًا في مثل عمر بناتك!

أطفأ مارفن سيجارته ثم نهض مُسرعًا إلى الداخل بينما قهقهت إحدى عاملات المطبخ وأومأت لي الأخرى بالإيجاب وحينها شكرتها بشكلٍ سري. أكملت طريقي إلى البحيرة بينما كانت حقيبتي تتدلى على أكتافي، ولاحظت ميرندا تجلس في مركز الإنقاذ مُرتدية زي سباحة يكشف أغلب مناطق الجسد ومع ذلك يظل «شزعيًا»، كان تشيت هو حارس فترة الظهيرة وقد أوضح ذلك سبب وجود ميرندا هنا، فهو يبدو في غاية الوسامة أثناء جلوسه على مقعده مرتدياً نظاراته الشمسية مُمسكًا بصافرته. ها هي ميرندا تُحدق في وجهه ثم تضحك بصوت عال على شيءٍ قاله مُستخدمةً يديها في العبث بخصلات شعرها بينما ترسم بإصبع قدمها الكبير دائرة في الرمال. من الواضح

أنها تجاوزت قصة حبيبها الذي فطر قلبها عن طريق المراسلة، إنها فقط تتمنى ألا تراها ماندي، أعتقد أنها سترى تحديدًا أن مغازلة إحداهن لتشيت على وجه التحديد ليس من القواعد التي يجب التحلي بها أثناء التواجد في مخيم نايتنجيل، في الجوار تتشارك كلًا من ساشي وكريستال أحد تلك الأغطية الشاطئية الضخمة، إنهن يتمددن فوقها مرتديات السراويل القصيرة وقمصان البولو كتلك التي يراها المرء في الكتب المصوّرة، ذهبت إليهن وانعكس ظلي على هذا الغطاء الكبير وسألتهن على الفور:

- هل قامت واحدة منكن بترك باب الغرفة مفتوحًا؟

- لا، إنه يسمح بدخول البعوض الذي يسبب نقل الأمراض، قالتها ساشا.

- ولا حتى لبعض الوقت؟

- لا، لم نقم بذلك، ردت كريستال.

- لماذا؟

لم أر داعيًا لإخبارهن بمسألة الطيور بما أني قد قمت بتنظيف الغرفة والتخلص من الريش بنفسي، ربما قد يُقلق الأمر ساشا فحسب لذا اخترت أن أقوم بتغيير الموضوع فسألتهن:

- ألن تسبحن؟

- لا نرغب في ذلك، قالتها كريستال.

- لا نعرف كيف ذلك، قالتها ساشا.

- يمكنني أن أعلمكن كيفية السباحة إذا كنتن ترغبن في ذلك.

حركت ساشا نظارتها إلى الأعلى والأسفل ثم قالت:

- في هذه المياه القذرة؟ لا شكرًا لك!

- إلى أين أنت ذاهبة؟، سألت كريستال بينما كانت تنظر إلى حقيبة الظهر الخاصة بي.

- سأقوم برحلة عبر القارب.

- بمفردك؟، قالت ساشا.

- هذه هي الخطة.

هل أنت واثقة أنها فكرة جيدة؟ ففي كل عام يموت متوسط حوالي سبعة وثمانون شخصًا عبر حوادث القوارب!، لقد بحثت عن ذلك.

- لكنني سباحة ماهرة، أعتقد أنني سأكون بخير.
- ربما من الامن أن يكون معك شخص ما.

قامت كريستال بإغلاق كتابها المصور بغتةً، وقالت:

- ما الذي تريدين قوله يا سيدة المعارف المتنقلة؟ هل تودين اقتراح قدومنا معها؟

نحن نشعر بالملل كما أنه لم يسبق لنا ركوب قارب من قبل.

- أجل، هذا ما أقصده، قالتها ساشا.

هذه ليست فكرة جيدة كما أنها سوف تستغرق الكثير من الوقت بالإضافة إلى أننا سنضطر إلى المشي سيرًا على الأقدام لمسافة طويلة.

- نحن لم نقم بالمشي لمسافات كهذه من قبل أيضًا، قالتها كريستال.

- هل يمكننا القدوم من فضلك؟ قالتها ساشا بينما رفرفت رموش عينيها بقوة خلف زجاج نظارتها.

- أرجوك!

لقد كانت خطتي أن أعبر البحيرة ثم أجد تلك المنطقة التي تم تحديدها في خريطة فيفان، وأن أشرع في الانطلاق من هناك لكن وجود كريستال وساشا برفقتي قد يُبطئ من حركتي، ومع ذلك أشعر أن الإحساس بالواجب يُحاصرني، فقد قالت فراني أن الغرض من إعادة فتح مُخيّم نايتنجيل مُجددًا هو أن نمنح الفتيات المُشاركات في المعسكر تجارب جديدة، في الواقع يظل هذا صحيحًا حتى وإن كنت لا زلت غاضبة من تصرف فراني السابق.

- حسنًا، عليكن ارتداء سترات النجاة أولًا ثم مساعدتي في إحضار القارب.

نفذت الفتيات ما طلبته منهن وقمن على الفور بسحب سترات النجاة المُلطخة بالأوساخ والقذارة التي تتدلى من رفوف القارب، قاموا بارتدائها أولًا ثم ساعدوني لاحقًا في رفع الزورق بعيدًا عن الأرفف، جدير بالذكر أن القارب قد بدا أكبر مما يبدو عليه كما أننا لم نتمكن من السيطرة عليه منذ الوهلة الأولى حيث كدنا أن نسقطه مرارًا وتكرارًا، لقد كان مشهدنا مُزريًا جدًا نظرًا لاضطرارنا لحمل القارب على هذا النحو الغريب حتى وصلنا إلى حافة البحيرة حيث قامت كريستال بالإمساك بالواجهة الأمامية بينما أمسكت

بدوري بالجزء الخلفي وكانت ساشا في المنتصف اختبأ أسفل القارب المقلوب، لم يظهر منها سوى زوجان من الأقدام المتعرجة التي تقدمت لتوها في اضطراب نحو المياه.

كانت معاناتنا واضحة بما يكفي لتجذب انتباه ميرندا بعيدًا عن تشيت ، لقد هرولت باتجاهنا وقالت:

- إلى أين ستذهبون؟

- سوف نقوم برحلة بحرية عبر القارب، قالتها ساشا.

- وسوف نمشي سيرًا على الأقدام أيضًا، قلتها آملةً أنه ربما يتراجعن عن قرارهن بالمجيء عندما يتأكدن أن تلك الرحلة تتعلق بما هو أكثر من مجرد التجديف عبر البحيرة، وبدلًا من ذلك قطبت ميرندا جبهتها وقالت:

- من دوني؟

- هل ترغبين في القدوم معنا؟

- ليس حقًا ولكن...

على الرغم من أن عبارتها لم تكتمل إلا أن معناها كان واضحًا للغاية، فهي لا ترغب أن تكون الشخص الوحيد المتبقي، فأنا أعرف ذلك الشعور جيدًا.

- هيا اذهبي إذن لتغيير ملابسك، أخبرتها ثم أضفت:

- سوف ننتظرك.

إن مسألة وجود شخص آخر تعني أنه يتوجب علينا التوجه إلى قارب آخر، وكنتيجة لذلك ذهبت ميرندا مرة ثانية إلى المقصورة لإحضار السراويل القصيرة وزوجين من الأحذية الرياضية بينما قمت أنا وكريستال وساشا بمحاولة سحب قارب آخر إلى حافة البحيرة.

في تلك اللحظة التي عادت فيها ميرندا، صعدنا معًا، كنت أنا وساشا في أحد القوارب بينما كانت ميرندا وكريستال في القارب الاخر، كما أننا قمنا باستخدام المجاديف وشرعنا في الدفع ثم انجرفنا تدريجيًا إلى داخل البحيرة، جدير بالذكر أن الجزء الاكبر من التجديف كان يقع على عاتقي حيث إنني جلست في الخلف وبدأت في التجديف في جوانب مختلفة من القارب بينما جلست ساشا في الجهة الأمامية وكان مجدافها يتقاطع عبر البحيرة حيث بقي منغمسًا في الماء كلما احتجت القيام بتصحيح الأمور وتسويتها من آن إلى اخر.

- ما هو مدى غمق تلك البحيرة في اعتقادك؟، قالتها.
إنها عميقة جدًا في بعض الأجزاء.
- مائة قدم؟
- ربما.
اتسعت عيون ساشا خلف عدسات نظارتها كلما أمسكت يدها الخزة بسترة النجاة الخاصة بها بشكلٍ لاواعي .
أنت سباحة ماهرة، أليس كذلك؟
- أجل، قلتها مُضيفةً:
- على الرغم من أنني لست جيدة بهذا الحد الذي وصل إليه مستوى أشخاص أعرفهم في هذا الشأن.
استغرق منا الأمر حوالي نصف ساعة لعبور البحيرة، لقد شرعنا في الإبطاء تدريجيًا عندما أظلم سطح المياه بعد انعكاس أشجار الصنوبر الشاهقة المُنتشرة على امتداد الشاطئ، تلك التي بدا انعكاسها موحشًا وغير مقبول، أسفل ذلك السطح مباشرةً توجد بقايا ومخلفات الأشجار الغارقة بعد أن غمر الفيضان القرية. تجدر الإشارة أن تلك الأشجار كانت قد تجردت من أوراقها ولونها الأبيض مع مرور الوقت كما أن أغصانها بدت كما لو كانت تبحث بلهفة عن الهواء النقي، ذلك الأخير الذي لا يمكنها أبدًا الوصول إليه.
إنه مشهد مُحبط مُخيب للآمال حقًا فكل تلك الأجزاء من الأشجار التي تغير لونها تتشابك معًا بينما تتسلل بينها تلك الأسماك ذات اللون البني الطيني، ونظرًا لأنه قد انخفض في السابق منسوب مياه البحيرة بسبب تعرضها للجفاف فإن تلك الأغصان العميقة تخدش قاع القوارب تمامًا كما لو كان أحد الموتى قد خدشها بأظافره من أجل الخروج من التابوت! أضف إلى ذلك وجود المزيد من الأشجار الماكثة في الجهة الأمامية لنا، ربما علينا أيضًا أن نتحرى الدقة في تسميتها بالأشجار، فهي تبدو كأشباح أشجار وليست أشجارًا حقيقية، تلك العارية تمامًا والتي ابيضّ لونها نتيجة لكثرة تعرضها لأشعة الشمس والتي تمت مُحاصرتها كذلك في برزخٍ بين الماء والأرض، ها هي الآن تبدو من دون لحاء أو أوراق أو جذوع، لقد تقلصت جدًا حتى باتت مجرد عصيٍ بائسة هشة متواضعة، بعد أن مررنا بمقابر تلك الأشجار توجهنا إلى الشاطئ ذاته وحينها باغتتنا

رؤية ذلك الشكل المسطّح الهائل الذي تم تشييد مُخيّم نايتنجيل فوقه والذي جعل تضاريس المكان تبرز بقوة، ذلك الصعود الذي يقود بدوره إلى تلك القمم المستديرة التي تلوح على مسافة بعيدة.

ترتفع الأشجار المتواجدة في تلك المنطقة أعلى المياه تحديدًا أشجار الصنوبر، فها هي جذوعها تتصل معًا وتقوم بتكوين جدار أخضر يظهر في هيئة هبات النسيم الطفيفة المنبعثة من البحيرة، من جهة اليمين تحيط بنا كومة من الأحجار والصخور التي تقف بانعزالية خارج المياه، إنها تبدو كما لو كانت غريبة لا تنتمي إلى هذا المكان تمامًا كما لو كانت تدحرجت من أسفل الجبل حتى وصلت إلى هنا الواحدة تلو الأخرى، في الخلف يوجد مُنحدر حيث تم تشويه الأرض المُحيطة به بفعل عوامل الطقس، أضف إلى ذلك عناقيد العنب الصغيرة العنيدة التي تتشبث بجدار المنحَدر وتلك الرواسب المعدنية التي تغطي الصخور المكشوفة كما أن الأشجار تصطف حتى تصل إلى قمة المنحدر، بعضها يميل إلى الأمام كما لو كان على وشك القفز.

- إنني أرى شيئًا ما، قالتها ميرندا مُشيرةً إلى مبنى مُتهالك يتواجد عند نهاية أسفل الشاطئ.

لقد رأيته أيضًا، إنه شرفة مُراقبة قديمة، أو ربما كانت كذلك في السابق، ها هي الآن تبدو كمبنى مُتداع كما أن شظاياه الخشبية باتت مُختلّة بفعل الأعشاب الضارة، جدير بالذكر أن ألواح أرضياته قد ترهلت كما أن سقفه يبدو مُنحرفًا غير مُرتب، وعلى الرغم من أني لست مُتيقنة جدًا من ذلك إلا أنه ربما تكون تلك هي المقصورة التي قامت فيفان بتحديدها في خريطتها، عندما أدركت ذلك توجهت إلى هناك على الفور وقد لحقت بي ميرندا ِ فقد خرجنا من القوارب ووضعنا مجاديفنا وخلعنا سترات الإنقاذ ثم سحبنا الزوارق بعيدًا عن المياه حتى لا يتم جرفها إلى هناك من دوننا، وقمت بحمل حقيبة ظهري الخاصة وأخرجت الخريطة.

- ما هذا؟، سألت ساشا.

- إنها خريطة.

- ما الذي تؤدي إليه؟

- في الواقع لا زلت لا أعرف.

قطبت جبيني ناظرةً إلى تلك الغابات الموجودة أمامنا، إنها كثيفة ومظلمة يغطيها السكون والظِّلال، ها نحن الآن في الجانب الآخر من البحيرة، وليس لديَ أدنى فكرة كيف يمكننا المضي قُدمًا! لقد كانت خريطة فيفان تفتقر إلى التفاصيل كما إن دقّة ما قامت برسمه أمر مشكوك فيه في أحسن الأحوال. أحرّك أصبعي على موقع تلك المنطقة المحددة التي ربما لا تكون أكثر من مجرد شرفة مراقبة انتهى بها المطاف إلى عدد من المثلثات المتهالكة المجاورة، أعتقد أنها مجموعة من الصخور وهذا يعني أننا سنضطر إلى التوجه شمال شرقي المنطقة حتى نصل إليها، لاحقًا تمكنت من تحديد تلك المنطقة الأخرى التي وضعت فيفان إلى جوارها علامة الخطأ، وقد تبين أننا لم نمش إلا مسافة قصيرة حتى وصلنا إلى المنطقة الشمالية الشرقية وقد قمت حينها بفتح تطبيق البوصلة الذي قمت بتحميله على هاتفي هذا الصباح قبل أن أغادر المُخيّم، تلك التي واصلت الدوران حتى أشارت نحو الشمال الشرقي، لاحقًا قمت بقطف مجموعة من الزهور البرية واصطحبت ميرندا وساشا وكريستال إلى الغابة.

قبل خمسة عشر عامًا

- هيا بنا لنذهب، قالتها فيفان

- إلى أين؟، سألتها بينما كنت ممددة على فراشي أقرأ إحدى النسخ القديمة من كتاب «العظام الجميلة» الذي أحضرته برفقتي إلى المخيم، عندما اختلست النظر من خلف الكتاب رأيت فيفان تقف إلى جوار باب المقصورة، لقد قامت بربط منديلها حول رقبتها وارتدت قبعة أليسون المصنوعة من القش فوق رأسها.

- سنذهب في مغامرةٍ ما! من أجل البحث عن كنزٍ مفقود!

أغلقت كتابي وزحفت خارج الفراش وكأنه ما من شك في هذا، ففي خلال الفترة الوجيزة التي قضيتها في مخيّم نايتنجيل تبين لي أن فيفان تحصل على كل ما تريده.

- سوف تحتاج أليسون قبعتها، فأنت تعرفين مدى حساسيتها تجاه الأشعة فوق البنفسجية.

- أليسون لن تأتي وكذلك الحال مع ناتالي، نحن فقط من سنذهب سَوِيًا يا طفلتي.

لم تُرهق نفسها في إخباري إلى أين نحن ذاهبتان بالضبط، لكننا على أية حال قد مضينا قُدمًا، جدير بالذكر أنني بدوري قد سمحت لفيفان بتولي زمام القيادة عبر الطريق، فقد توجهنا أولًا إلى القوارب بالقرب من رصيف الميناء ثم عبر بحيرة منتصف الليل نفسها، بينما كنت أكافح طيلة الطريق مع المجاديف الخاصة بي.

- يمكنني أن أخمن أن تلك هي المرة الأولى التي تركبين فيها قارب الكانو؟، قالتها فيفان.

- في الواقع لقد ركبت مرة قارب تجديف عادي، هل هذا يُحتسب؟

- هذا يتوقف إن كان ذلك داخل إحدى البحيرات أم لا؟

- أجل، كان ذلك في بحيرة السنترال بارك، لقد ذهبت إلى هناك ذات مرة برفقة هيذر وماريسا.

لقد أخبرتها كذلك كيف كنا نُزاحم بعضنا على متن الزورق حتى أن هيذر قد سقطت في البحيرة، لكني حينها تذكرت على الفور بشأن شقيقة فيفان وكيف غرقت في السابق؟ لم تخبرني فيفان أبدًا كيف حدث ذلك أو أين أو متى؟، ومن جانبي أيضًا لم أكن أرغب في إثارة هذا الموضوع

حتى لو كان ذلك عبر سؤالٍ بريء غير مباشر. بقيت هادئة حتى وصلنا إلى الشاطئ الممتد على طول منطقة عشبية تتوهج بزهرات السوسن، وقد قامت فيفان بقطف العديد منها وتمكنت من تكوين باقة من الزهور ثم بدأت في نتف بتلاتها بمجرد دخولنا إلى الغابات وقامت بإسقاطها أرضًا وقالت:

- احرصي دائمًا على ترك أثر خلفك، هل تعرفين إذن بهذه المناسبة كيف تجدين طريقك للعودة؟ لقد علمتني فراني ذلك عندما جئت إلى هنا خلال الصيف الماضي للمرة الأولى، أعتقد أنها كانت تخشى أن أضل طريقي.

- لماذا؟

- لأنني كنت أتجول في الأرجاء كثيرًا.

في الواقع لم يفاجئني هذا لأن شخصية فيفان كانت أكبر من أن تُلائم حدود حياة المعسكرات المنظمة تلك، وكذلك دروس التنس وحصص تعليم الحِرف اليدوية، فقد بدأت ألاحظ كيف كانت تقوم بتحية كل فتاة بتنهيدة يتخللها الضجر، أسقطت فيفان بتلة إضافية ثم استدرت في تلك اللحظة حتى أنظر إلى هذا الخط الطويل جدًا من البتلات الذي تركناه خلفنا خلال تقدمنا في الطريق، لقد كان مشهدًا باعثًا على الراحة بالنسبة إليّ، لقد بدا كما لو كانت تلك الزهور آثار أقدام بلون ثمار اليوسفي والتي تركناها خلفنا أملًا في إرشادنا إلى طريق العودة.

- حقيقتان وكذبة، قالتها فيفان أثناء قيامها بنتف بتلة جديدة ثم سمحت لها بالسقوط أرضًا ثم واصلت:

سأبدأ أولًا، واحد: هناك شاب تحرش بي في عربة مترو الأنفاق. اثنان: لديّ زجاجة ويسكي قمت بإخفائها أسفل الفراش، ثلاثة: لا أعرف كيف يمكنني السباحة.

- رقم اثنان، كنت لأعرف إن كنتِ تتناولين النبيذ سرًا.

فكرت حينها في أمي وكيف كانت تفوح منها تلك الرائحة عندما كانت تُلقي التحية عليّ بعد المدرسة، أعرف جيدًا أن علكة النعناع التي حرصت على تناولها دائمًا كانت تُخفي القليل من رائحة أنفاسها الممتزجة بالنبيذ، حتى لو حدث ذلك لكنت أنتبه لرؤية ذلك الإعتام الخفيف المنعكس في عينيها كلما احتست النبيذ بشراهة.

ألستِ أنت الفتاة المجدة التي تُلاحظ كل شيء؟ حسنًا

لهذا السبب فكرت أنك ربما ستحبين رؤية هذا، قالتها فيفان ثم توجهنا ناحية شجرة ضخمة ذات فروع هائلة تُحيط بالأرض من حولها، عند لحاء تلك الشجرة كانت علامة الخطأ سابقة الذكر منحوتة بنفس الطريقة التي حاولت فيفان إبرازها على الورق الذي قامت برسمه والذي عثرت عليه بدوري في صندوق خزانتها الخشبي في مقصورة القرانيا، كان هناك عدد كبير من الأوراق المُكدسة أسفل الشجرة والتي قامت فيفان بدفعها إلى خارج الطريق لتكشف عن صندوق خشبي مُتعفن، لقد بدا مُتداعيًا مع مرور الزمن كما أن عوامل الطقس وكذلك تعرضه المستمر للشمس والمياه أتلفته وقام بتلطيخ الصندوق في بعض المناطق وغير لونه في أماكن أخرى، وكنتيجة لذلك أصبح الصندوق أقرب إلى رقعة من الألوان.

- أليس جميلًا؟، سألتني فيفان.

- إنه يبدو أثريًا، قلتها ثم مررت إصبعي على الغطاء، في بداية المطاف ظننت أن تلك النقوش البارزة على سطحه فما هي إلا نتائج لعوامل الزمن والمناخ ولكن عندما اقتربت أكثر لاحظت حرفين باهتين تم نحتهما داخل الخشب ولكن تعذر عليّ التعرف عليهما وعندما انحنيت قليلًا بشكلٍ أقرب استنشقت رائحة عفن الخشب، فقد ملأت لتوها خياشيمي.

- أين عثرتِ على هذا الشيء؟

- لقد وجدته مجروفًا على الشاطىء في الصيف الماضي.

- عندما كنتِ تتجولين في الأرجاء؟

ابتسمت فيفان مُتباهيةً بنفسها ثم قالت:

أجل بالطبع فالرب وحده يعلم كم مضى من الوقت على وجوده هنا، لقد أحضرته إلى هذا المكان من أجل الحماية والأمان، اذهبي إلى هناك وقومي بفتحه، هيا قمت بَرفع الغطاء، كان الخشب ناعمًا جدًا مُبللًا بالماء لقد خشيت حقًا أن يَلطخ يدي بينما كان الصندوق من الداخل مغطى بالحرير الذي كان يومًا مُخمليًا أخضر اللون، لم يكن بمقدوري أن أعرف لأنه كان مُمزقًا بعض الشيء كما أن الصندوق من الداخل كان يكتظ بتلك الشرائط الجلدية الداكنة وكذلك كان هناك زوجان من المقصات القديمة جدًا التي تكاد تكون أثرية بالإضافة إلى الزخارف دائرية الشكل

المناسبة لفتحات الأصابع والشفرات الحادة النحيلة. كنت أظن في بادئ الأمر أن تلك المقصات مصنوعة من الفضة إلا أني اكتشفت لاحقًا أنه تم دهنها بأحد ألوان الوقود الزيتية كما أن تلك الروافع التي كانت تحملها بدت صدئة بشكلٍ واضح، في تلك اللحظة التي التقطت فيها زوجا المقصات وحاولت جاهدةً فتحهما لم يتحرك أي منهما، يبدو أن عوامل الزمن وقلة الاستخدام جعلها عديمة النفع.

إلى من تعود ملكية تلك المقصات في رأيك؟

- ربما تعود إلى أحد المستشفيات، فهناك اسم في الأسفل.

أمسكت فيفان بالصندوق مغلقًا وعندما قامت بتحريكه أصدرت المقصات صوتًا أشبه بالصلصلة، لقد بدا كما الزجاج المكسور.

- أترين تلك العبارة المنحوتة في أسفل الصندوق؟

كان هناك فقط عدة كلمات تقول «ملكية القرية المُسالِمَة».

- إنني أتساءل حقًا، كيف وصل ذلك الصندوق إلى هنا؟

هزت فيفان أكتافها وقالت:

- ربما تم إلقاؤه في البحيرة على الأرجح منذ عقودٍ طويلة.

- هل سألت فراني عن ذلك الأمر؟

- لا بالطبع، أريد أن أبقي ذلك سرًا، فما من أحدِ آخر يعرف شيئًا عن ذلك الصندوق إلا أنا وأنتِ فقط.

- لماذا إذن أخبرتني بشأنه؟

قلتها وأنا أنظر إلى الصندوق بالأسفل بينما كانت إحدى خصلات شعري تتدلى على وجهي.

مالت فيفان نحوي قليلًا ثم وضعت خصلة شعري خلف أذني وقالت:

ألا تذكرين أني ألعب دور أختك الكبيرة خلال عطلتنا الصيفية تلك؟ وهذا ما تقوم به الشقيقات الكبيرات، إنهن يتشاركن الأشياء معًا، تلك الأشياء التي لا يعرف عنها الآخرون أي شيء.

الفصل السادس عشر

أتولى زمام القيادة خلال توجهنا إلى طريق الغابة، أحاول جاهدةً أن نسير في اتجاهٍ مُباشر مع تثبيت عيني على اتجاهاتِ البوصلة من أجل الاهتداء بها خلال رحلتنا تلك عبر التطبيق الذي قمت في السابق بتحميله عبر هاتفي، ها أنا أيضًا أدرس المناطق المحيطة جيدًا مُحاولةً كذلك البحث عن أماكن يمكن لأحدهم الاختباء بها، على الرغم من أننا قطعنا مسافة بعيدة جدًا عن المعسكر إلا أن الشعور بأن أحدهم يُراقبني لا زال يسكنني، ففي كل ثانية وخلال تجولنا بين تلك الأدغال السميكة أشتبه في نظرة أحدهم خلسةً. ها أنا أيضًا لا أشعر بالأمان إزاء كل ظل نلتقيه في طريقنا كما أنني أفقد الثقة في السير بشكلٍ صحيح عبر أرضية الغابة وكلما سمعت صوت نعيق أحد تلك الطيور الجارحة تأهبت للزحف أرضًا . أطلب من نفسي التماسُك قليلًا ثم تراودني تلك الفكرة إننا نحن الأربعة بمفردنا تمامًا هنا في تلك المنطقة الموحشة، لا أعرف إن كان هذا الأمر يجعلني أشعر بالسوء أم بالتحسن إلا أنني أخبر نفسي بأنه إذا لاحظت الفتيات ارتباكي سوف يتوقفن نهائيًا عن الحديث خلال وجودنا هنا. ها هن يمشين خلفي مُباشرةً، تبدأ ساشا بترديد أسماء الأشجار التي تعرفها بصوتٍ عالٍ، فها هي تُتمتم قائلةً: أشجار النخيل، والصنوبر الأبيض والخوخ «وفي الخلف توجد ميرندا والتي تقوم بنتف تلك البتلات من الزهور ثم تُسقطها أرضًا بشكلٍ مُنظم.

- لماذا يتعين علي القيام بذلك؟، سألتني.

- احرصي دائمًا على ترك أثر خلفك، سوف يساعدنا ذلك في إيجاد طريق عودتنا، أخبرتها.

- ما هي وجهتنا؟، قالت كريستال.

- سأعرفها عندما أراها.

تجعدت قشرة الأرض أسفل أقدامنا المتسارعة كما اجتمعت أوراق الخريف الماضي وافترشت الأمكنة، لم ندرك صعوبة السير على أرضية الغابة إلا بعد أن تورمت أقدامنا وشعرنا بثقل أنفاسنا اللاهثة، ولكن سرعان ما برزت تضاريس المكان والتي باتت أكثر حدة وخشونة بدورها، مضينا قُدمًا بأكتاف مُنحنية وسيقانٍ ملتوية، حاولنا الإمساك ببعض أغصان الأشجار المقابلة لنا كمحاولة

بائسة للحصول على الدعم.

أرغب في العودة، قالتها كريستال باستياءٍ واضح.

- وأنا أيضًا، أضافت ساشا.

- لقد أخبرتكن أننا سنضطر إلى المشي لمسافاتٍ طويلة، قلتها مُحاولةً تذكيرهن بذلك.

- هل من الممكن أن نلعب لعبة أخرى بخلاف كذبتين وحقيقة، دعينا فقط نقول الحقيقة، ما الذي تودين مثلًا القيام بفعله بعد عشرين عامًا من الآن؟

أنظر إلى ساشا ثم أقول:

- حسنًا، أخبرينا أنتِ أولًا، هل لديكِ أية أفكار عما تريدين فعله حينها؟

- لديَّ الكثير من الأفكار، قالتها بعد أن عدلت وضعية نظارتها ثم أضافت:

- أود أن أكون أستاذة جامعية أو عالمة أو رائدة فضاء إلا إذا قرر الجميع استعمار كوكب المريخ ففي هذه الحالة سأفكر في خياراتٍ أخرى.

- ماذا عنكِ يا كريستال؟

لم تكن بحاجة لأن تفكر بشأن هذا، فقد كانت الإجابة واضحة جدًا.

- في الواقع أتمنى أن أعمل في شركة مارفل، أحلم حقًا أن أقوم برسم سلسلة أبطالي الخارقين، أنا واثقة أنني سأصل إلى فكرة شخصيةٍ ما.

- لماذا تحبين الكتب المصورة إلى هذا الحد، سألتها ساشا.

- لا أعرف، أعتقد لأن معظم الأبطال الخارقين يبدوون كما كافة الأشخاص العاديين ويتصرفون بغرابة وبسذاجة كما الجميع.

-من فضلك- تحدثي عن نفسك.

-أقصد يتصرفون كما الجميع باستثنائك، قالتها كريستال مُحاولةً إرضاءها ثم واصلت:

- لكن هناك شيء ما يحدث لأولئك الأشخاص العاديين يجعلهم يدركون أنهم أكثر قوة مما يظنون، وحينها فقط يشرعون في الإيمان أن باستطاعتهم فعل أي شيء، كما أنهم يختارون مساعدة الناس.

- في الواقع أنا أفضل الكتب العادية، تلك التي تخلو من الصور.

تجاوزت ميرندا كلًا من كريستال وساشا ثم توجهت إلى الطريق المؤدي إلى المنحدر بعد أن وقفت إلى جواري، فهي الفتاة الوحيدة بيننا التي لم تكن لتمانع الصعود إلى الأعلى.

- هل فكرت من قبل في أن تصبحي كاتبة؟ بما أنك تقرأين كثيرًا.

- سوف أصبح محققة لدى الشرطة مثل عمي، فلماذا أكتب عن الجرائم بينما يمكنني حلها على أرض الواقع؟

- هذا ما نُسميه بالبطل الخارق!، قالتها كريستال بالقليل من الرضا.

تقدمت ميرندا بضع خطوات لصعود المنحدر من دون أن تنتظرنا، وبمجرد أن وصلنا جميعًا إلى هناك لاحقًا توقفنا من أجل التقاط أنفاسنا والاستمتاع بجمال المشهد الطبيعي من حولنا. تأملنا شظايا السماء الزرقاء التي تسللت خفية من بين الأشجار، تحركت على الفور نحوها بشكلٍ تلقائي مُتتبعةً الضوء ثم انتقلت من منطقة الأشجار إلى أرضٍ صخرية، بعدها انخفضت الأرض تدريجيًا وشعرت لوهلة حينها أنني سوف أسقط معها إلا أنني مددت ذراعي وقمت بلفه حول أحد الأشجار القريبة مُحاولةً تهدئة نفسي بينما ثبتت عيني على أقدامي بالأسفل لأتأكد إن كنت أقف على أرضٍ صلبة ثابتة، عندما وصلت الفتيات إلى موقعي أطلقت إحداهن صوت الصافرة- أعتقد أنها كانت ميرندا- وحينها هتفت كريستال بدورها أيضًا قائلةً: يا للروعة! ضاغطةً على مخارج حروفها، لقد بدت مبهورة مُندهشة.

أرفع عيني إلى الأعلى حتى أرى ما يرونه للتو، أدرك حينها أننا قد وصلنا بالفعل إلى قمة ذلك التل التي كنت أتأملها منذ أن قمنا بخوض رحلتنا البحرية على متن القارب، يبدو المشهد رائعًا مُذهلًا، فها هي بحيرة منتصف الليل تنتشر بالأسفل، تلك المياه التي تنغمس بها أشعة الشمس الذهبية، يمكنني من هذا الارتفاع أيضًا رؤية الشكل الكامل للشاطئ وتعرجاته البديعة كما أن مُخيم نايتنجيل يلوح في الأفق في الاتجاه المقابل لنا، إنه يبدو

صغيرًا جدًا من هنا، ثمة شيء عند منتصف خطة السكك الحديدية النموذجي أيضًا، ها أنا أخرج الخريطة من جيبي وألقي عليها نظرة سريعة فلم ترسم فيفان أي شيء من أجل الإشارة إلى هذا المنحدر الذي نقف فوقه الآن.

ما يمكنني أن أفهمه من خلال رسومات فيفان الفحمية تلك وعلاماتها المبهمة أننا على مشارف الاقتراب من الصخور مستطيلة الشكل، أتيقن من هذا للغاية عندما أعطي ظهري لاتجاه المياه وأتوجه شمالًا لألقي نظرة على الصخور خلال الغابة الكثيفة، ها أنا أقترب أكثر بشكلٍ تدريجي، من دون أن أعرف إلى أين؟ تلك الصخور الموجودة في خريطة فيفان تختلف بشدة عن تلك الموجودة بشكلٍ شخصي، فهناك صخور ضخمة هائلة، العشرات منها التي تصبح أكثر حجمًا كلما اقتربنا منها، جدير بالذكر أن أحجامها لا توصف كما أنها ثقيلة جدّا فما من شيء يمكنه إزاحتها. يجدر الإشارة أن تلك الصخور تصطف بشكلٍ مُرتَب في طريق صعودنا إلى المنحدر، انتشرت الفتيات حولها وبدأن اللعب تمامًا كما الأطفال في الملعب.

- أراهن أن تلك الصخور كانت جزءًا من قمة الجبل، قالتها ساشا وهي تصعد فوق إحدى تلك الصخور الهائلة والتي يتماثل ارتفاعها مع طول قامتها ثم واصلت الحديث:

لقد تجمدت ثم انفصلت عن بقية أجزاء الجبل وعندما جاء الجليد جرفها إلى التل ومن ثم أصبحت هنا الآن.

في الواقع إن رؤية تلك الصخور الكبيرة يُربكني بشدة، إنها تجعلني أفكر في أولئك الناجين الذي يهيمون على وجوههم في تلك المنطقة الخاصة ببحيرة منتصف الليل، إنني أتخيلهم يزحفون ليلًا بعد اكتمال القمر، أتصورهم يمشون خلسة خلف تلك الصخور الهائلة الحجم باحثين عن ضحايا جدد، حتى أتخلص من ذلك الشعور المفاجئ بالتوتر أتفقد كلًا من البوصلة والخريطة لأتيقن أين من المفترض أن تكون؟

- يا فتيات! يتوجب علينا المضي قُدمًا، قلتها بينما حشرت نفسي بين صخرتين وحافة تُحيط بهما، في تلك اللحظة فقط تمكنت من رؤية صخرة أخرى والتي تتواجد عند نهاية المنحدر. لقد كانت أكبر من الصخور المتبقية. إنها كتلة صخرية متجانسة متراصة. فقط كانت مكوّنة

من طابقين أكثر طولًا، إنها تبدو كما لو كانت مقبرة هائلة. بدا الجانب الواقع في مواجهتي مُسطحًا جدًا، وكذلك كان هناك جدار حجري، ثمة شجرة كبيرة بداخل ذلك التصدع الصخري والتي كانت تُلقي بأغصانها وأفرعها وفي قلبها بالداخل كانت ساشا كما أن كريستال اعتلت الجزء العلوي أيضًا والتي توجهت نحو حافة الصخرة ونظرت إلى الأسفل قائلةً:

ما الذي تفعلينه هنا بالأعلى؟

- الاستكشاف، قالتها ساشا.

في الواقع من الأفضل أن تقومي بهذا الاستكشاف على الأرض، أين ميرندا؟، قلتها.

- أنا هنا.

كان صوتها قادمًا من الناحية الشمالية الغربية لموقع الصخرة الهائلة، لقد بدا أقرب إلى صوت الصدى الذي يتردد في الأرجاء. ها أنا أتبعه بينما حاولت كلًا من ساشا وكريستال تجاوز الصخور المُبعثرة هنا وهناك في الطريق في الجهة المقابلة، وصلت إلى هناك بمفردي ثم لحظة وجود تصدع ضخم في الصخرة بشكلٍ مستقيم والذي كان يتسع بالأسفل وكان به فتحة كبيرة تسمح لأي شخص بالزحف من الداخل أو إلى الخارج كما فعلت ميرندا، لقد انحنت وقفزت إلى الداخل وخرجت إلينا بينما كانت البقع تؤطر ركبتيها ومرفقيها.

- لقد أردت أن أعرف ما الذي يوجد بالداخل.

- ربما دببةٌ أو ثعابين، قالتها ساشا.

- بالضبط، قلتها ثم أضفت:

لا يتعين عليكن القيام بالمزيد من هذا النوع من الاستكشاف، اتفقنا؟

- حسنًا يا سيدتي، قالتها كريستال.

- أجل نحن نتفهم ذلك، أضافت ساشا.

ثبتت ميرندا يدها حول وركها ثم بدا عليها علامات الانزعاج جليةً وقالت:

- ألسنا هنا من أجل هذا السبب؟

لم أتفوه بحرف، في الواقع لقد كنت مشغولة جدًا بما أنظر إليه، حاولت النظر بإمعانٍ في الأرجاء بكل فضول

خلال تلك المسافة البعيدة التي تبين لاحقًا أنها تحمل مجموعة من الأطلال والبقايا، تمكنت من النظر إلى الجدار الحجري المتهالك وإحدى تلك العوارض الخشبية التي كانت تُشير ناحية السماء، بدأت أزحف نحوها بينما كانت بقية الفتيات خلفي، لقد علمت أنه ربما يكون هذا المكان بقايا حظيرة أو مزرعة. باتت الجدران الآن أكوامًا مُكدسة من الصخور لكنها كانت كافية للكشف عن إطار البناء السابق لهذا المبنى، في الداخل يوجد المزيد من الألواح الصنوبرية التي تبقت من السقف والأرضيات، في حقيقة الأمر وإذا أردنا وصفًا دقيقًا للمشهد فلم يكن هناك سقف متكامل بل كان هناك رقعة من الأرض، في المنتصف كان يوجد باب خشبي والذي بدت عليه علامات الصدأ.

- يبدو مُخيفًا، قالتها ساشا.

بل يبدو رائعًا، قالتها ميرندا.

- يبدو رائعًا ومُخيفًا في آن، قالتها كريستال ثم أضافت:

- إنه يبدو كأحد مشاهد فيلم مملكة الخواتم.

لكني على نقيض ذلك كنت أفكر في حكاية مشؤومة أخرى، تلك التي تخص القرية التي أغرقها الفيضان وأولئك الناجون الذين يختبئون بدورهم في قلب الغابات، أولئك الذين يسكنهم إحساس غريزي بالانتقام، ربما هناك بذرة من الحقيقة تستقر في أعماق تلك الحكاية الأسطورية التي سردتها لي كاسي، فهناك شخص ما يعيش في تلك التلال، فالبناء والأسقف تجعل الأمر يبدو واضحًا قليلًا، وعلى الرغم من أنه ليس هناك دليل على أن ذلك الشخص ينتمي إلى أولئك السكان أبطال قصة كاسي إلا أني أشعر برعشة تكتنف جسدي فجأة، ها هي تسري كما الكهرباء في أوصالي.

- يتوجب علينا...

أعتقد أنه يتوجب علينا الذهاب، فهذا ما أود أن أقوله لكن ها أنا أقف جامدةً في مكاني بعد رؤية شجرة البلوط الضخمة على بُعد خمسين ياردة، إنها شجرة ضخمة هائلة كما أن فروعها الكثيفة تنتشر على نطاقٍ واسع، هناك علامة خطأ منحوتة أعلى الجذع، وعلى الرغم من أني أعرف في قرارة نفسي أن تلك ليست الشجرة التي قادتني إليها فيفان منذ خمسة عشر عامًا إلا أنني لا زلت أتذكر المبنى

الفتداعي الفخيف الخاص بها وأشعر كما لو كانت اليد التي نحتت علامة الخطأ في الشجرة الأولى هي نفسها تلك اليد التي نحتتها بجذع تلك الشجرة أيضًا.

ابقين هنا، سأعود على الفور، قلتها.

- هل بمقدورنا إلقاء نظرة على ذلك المنزل؟، سألتني ميرندا.

- لا، لا تذهبن إلى أي مكان.

شرعت الفتيات في التجول حول البناء الفتهالك بينما توجهت على الفور بدوري إلى موقع الشجرة وبدأت البحث حول جذعها، ثم أخذت خطوة للوراء فقد كان هناك شيءٍ ما بالأسفل يحدث صوتًا مكتومًا أثناء سيري فوقه، أنحنى على ركبتي وأبدأ في إزالة الطين والأوساخ عن تلك الألواح الخشبية التي تراكمت فوقها الأعشاب الضارة والأوراق الميتة ثم أنفض الأتربة عن يدي، وأمسك بيدي إحدى الألواح الصنوبرية التي تم صبغها باللون البني منذ عقدٍ مضى، أعمل على إزالة تلك الطبقات القذرة بعيدًا عن أصابعي ثم أتحسس غمق التربة الموجودة بالأسفل محاولة رفع اللوح الخشبي، جدير بالذكر أن القاع مُغطى بالعفن والطين والحشرات التي سرعان ما أنفض يدي حتى تهرع بعيدًا في الحال، يوجد أسفل اللوح حفرة بحجم صندوق أحذية، وبداخلها تمكث إحدى حقائب البقالة الصفراء والتي تم استخدمها لإخفاء شيءٍ ما بالداخل، أمد يدي داخل الحقيبة ثم أشعر أني أمسكت بشيءٍ بلاستيكي الفلمس، إنها حقيبة تجميد، من ذلك النوع الذي يمكن إغلاقه بسهولة، عبر الكيس البلاستيكي ها أنا أرى وميضًا أخضر وحواف صفحات جافة بفعل عوامل الزمن وكذلك كانت مزودة بطبقات للحماية، ربما يكون كتاب؟، أسترق النظر داخل الحقيبة الصفراء .أملةً أن أعثر على أي دليل، ها أنا أجد حقيبة تجميد ثانية، تلك التي كانت فارغة ومجعدة كما أنه يوجد أيضًا خصلة شعر، أضعها على الأرض وأفتح الحقيبة الثانية بحذرٍ بالغ، فإذا بالكتاب ينزلق بين أيدي لتوه، عندما تأملت خط اليد أدركته على الفور أنه خط فيفان.

- ما الذي تفعلينه هناك؟، سألتني ميرندا.

أغلقت الكتاب على الفور ووضعته داخل حقيبة ظهري

املةً أن يتمكن جسدي من إخفاء أفعالي بعيدًا عن الفتيات.

- لا شيء، قلت لها وواصلت حديثي:

- هذا المكان ليس ما أبحث عنه، دعونا نعود الان.

أضع الحقيبة التي باتت فارغة الان داخل الحفرة وأغطيها باللوح الخشبي وأضع الكثير من الطين والخشب في الأعلى احترامًا لسر فيفان فأنا أرغب حقًا في الحفاظ عليه، لأنه بغض النظر عن طبيعة محتويات هذا الكتاب أعتقد أنه على قدرٍ من الأهمية لأنها قامت بإخفائه هنا على الجانب الاخر من البحيرة بعيدًا عن الأعين المتطفلة ومعسكر نايتنجيل.

- حقيقتان وكذبة، قالتها فيفان بعد أن عدنا إلى المخيم.

غمست مجدافي في مياه البحيرة وحاولت جاهدةً مقاومة المياه العنيدة، فلم تكن فيفان فقط أكبر مني سنًا إلا أنها كذلك كانت أكثر قوة مني، فكل ضربة تقوم به أثناء التجديف كنت مضطرة أن أقوم بضربة مماثلة لها حتى يمكنني ملاحقتها بدوري، وفي حقيقة الأمر لم يكن باستطاعتي فعل ذلك، فقاربنا كان يتمايل قليلًا بسبب عدم التوازن الناتج عن عدم مساواة القوتين بدلًا من أن يسير في اتجاهٍ مستقيم عبر البحيرة.

- هل يتعين علينا القيام بذلك الآن؟، سألتها بأنفاسٍ لاهثة.

- نحن لسنا مضطرين للقيام بذلك ولكن في هذه الحالة سأخبر ناتالي وأليسون بجبنك اليوم وتقاعسك عن اللعب!

- لقد صدقتها ومن ثم اضطررت إلى اللعب، على الرغم من أنه لم يكن يهمني ما ستفكر به ناتالي وأليسون بشأني فكل ما كان يعنيني هو رأي فيفان فقط، فلم أكن أود أن تظن أني جبانة بالطبع.

- واحد: تناولت أمي الخمر بشراهة يومًا إلى هذا الحد الذي جعلها تفقد الوعي داخل مصعد المبنى، اثنان: قبلت ولدًا ذات مرة. ثلاثة: أعتقد أن ثيو هو أوسم رجل رأيته في حياتي.

- أنت تغشين، قالتها فيفان.

- ليست هناك أية كذبة هنا، فكل ما تفوهت به صحيح.

لقد كانت مُحقّة.

لقد فقدت أمي الوعي بالفعل في مصعد المبنى، وقد وجدتها مغشيًا عليها في المدخل وكانت تُشخر بصوتٍ مسموع كما أنه قد خرجت مادة سائلة من لعابها على الأرض.

- حسنًا سأمرر ذلك هذه المرة فقط لأنك لم تستطيعي اختيار التخمين الصحيح أثناء دوري.

- لا أعتقد ذلك، فأنت لا تملكين زجاجة نبيذ بالإضافة إلى ذلك فأنت لا يمكنك السباحة.

-حسنًا خمني مجددًا، قالتها فيفان ثم وقفت بغتةً وبينما كانت تقوم بخلع ثيابها لم تكن ترتدي ثوب استحمام

بالأسفل لكنها ارتدت بدلًا منه سروالاً قصيراً وحمالة صدر على شكل لؤلؤة وقبل أن أتفوه بحرف اعتراضًا على ما ستوشك على فعله قفزت فيفان إلى المياه وجعلت القارب يتحرك يمينًا ويسارًا حتى اعتقدت أنني على وشك الوقوع منه، صرخت محاولةً الإمساك بجوانب الزورق منتظرة لحظة أن يتوقف عن الحركة، كان ذلك عندما لاحظت فيفان تسبح في المياه بمنتهى السهولة والسلاسة، كانت ضرباتها قوية جدًا ومتناغمة كما أن لون شعرها بدا كما الكريمة الغارقة في كوبٍ من القهوة. لقد بدت كما لو كانت حورية من البحر، عندما نهضت كانت على بُعد عشر أقدام فقط من القارب.

- مهلًا، هل حقًا بمقدورك السباحة؟

رسمت فيفان تلك الابتسامة العريضة على وجهها كما تألقت شفتاها بلون الطلاء الوردي المصقول.

- أحسنتِ!

- ولكن ماذا عن ذلك اليوم...

توقفت عن الحديث في تلك اللحظة التي انحنت فيها فيفان أسفل السطح وقامت بتناول جرعة من الماء.

- لكنك أخبرت ثيو في ذلك اليوم أنك لا تجيدين السباحة.

- لا يمكنك تصديق كل شيء أقوله لك يا أيما.

أخذت أتذكر تلك المأساة التي حدثت نهار ذلك اليوم على امتداد الشاطئ، ذلك الهلع وعيون فيفان المتسعة التي يسكنها الرعب، تذكرت أيضًا بيكا عندما كانت تُمسك بالكاميرا الخاصة بها وتتوجه نحوي بشكلٍ متعمد.

كنت أعتقد أنك ستغرقين فعلًا، لقد اعتقد الجميع ذلك، فلماذا تكذبين في أمرٍ كهذا؟

- ولماذا لا أكذب؟

- لأن هذه ليست إحدى ألعابك الغبية.

تنهدت فيفان وبدأت في السباحة عائدةً إلى القارب.

- كل شيء هو لعبة يا ايما ، سواء كنت تعرفين ذلك أم لا وهذا يعني أنه في بعض الأحيان تكون الكذبة أكثر من شكلها المجرد، ففي بعض الأحيان تكون الكذبة هي الطريقة الوحيدة للفوز.

الفصل السابع عشر

كانت ساعة تناول العشاء مدعاةً للتعذيب، لم يكن ذلك بسبب الطعام فحسب فهو سيئ للغاية كما العادة، لقد كانت الوجبة عبارة عن شرائح اللحم والبطاطا المقلية، وعلى الرغم من أني لم أتناول شيئًا على الإطلاق طيلة اليوم إلا أنه لم يكن باستطاعتي إلا تناول البطاطا الممتلئة بالدهون والشحوم، ولكن قلقي الحالي يتمثل في أن أعود إلى المقصورة لأعلم ما الذي يوجد بداخل كتاب فيفان المدفون هناك، وقد تطلب ذلك قدرًا من الخصوصية، ذلك الأمر غير المتاح بالطبع وكنتيجة لذلك فكرت في أن مسألة تجاوز وجبة العشاء والذهاب إلى الغرفة للاطلاع على الكتاب سوف يسمح للفتيات الثلاث بالشعور بالمزيد من الشك والارتياب أكثر، فلقد قمن بالفعل بطرح العديد من الأسئلة عليّ أثناء رحلة عودتنا عبر البحيرة، فقد سألوني عن الخريطة والصخور وهدفنا من التجول سيرًا على الأقدام لفترةٍ طويلة، ولم تكن همهماتي الغامضة قادرة على إقناعهم لذا أجبرت نفسي على المعاناة وتأخير موعد مُطالعة الكتاب حتى يذهبن للاجتماع حول نار المخيّم. ها أنا أصطحب صينية الطعام الخاصة بي إلى تلك الطاولة الأخرى التي تُعرف بطاولة الكبار، إن المكان مُكتظ الليلة، فهناك كافة المدربات والاستشاريات ومن بينهن بيكا والتي تجلس على مسافة من الأخريات مُثبتةً عينيها بالهاتف، لقد شعرت أنه لم يعد لديها ما تقوله لي، لكني شعرت بنقيض ذلك، توجهت إلى الجانب الاخر عند نهاية الطاولة هناك حيث كانت كاسي تستمع للاستشاريات بينما يلعبن لعبة الحب أم الزواج، تلك التي لا زلت أتذكرها جيدًا فقد كنت ألعبها منذ خمسة عشر عامًا برفقة فيفان وناتالي وأليسون، وكانت فيفان قد أطلقت عليها اسمًا أخر أكثر خشونة وهو ممارسة الحب أم الزواج.

بينما بدأت الاستشاريات والمدربات في الاختيار بين رجال مُخيّم نايتنجيل، ألقيت نظرة على كاسي وكأني أقولها: أليست تلك اللعبة ساذجة جدًا؟ إنني أشك أنها تقوم الان بدراسة الخيارات سرًا تمامًا كما أفعل أنا بيني وبين نفسي.

- سوف أحب تشيت، وأهجر عامل النظافة، وأتزوج ثيو،

قالتها المستشارة كيم أو دانيكا.

أعتقد أنه رجل صيانة، قالتها إحداهن بينما قالت واحدة أخرى:

كلا إنه الحارس!

أخبرتهن كاسي أنه كان يعمل لدى العائلة لسنواتٍ طويلة، فعلى الرغم أنه يبدو غامضًا مُريبًا بعض الشيء إلا أنه رجل مثير أيضًا، في الواقع يمكنني اختياره كحبيب.

نظرت إليها الأخريات بينما بدت الصدمة جليةً على وجوههن ثم قلن:

- هل ترين أن جاذبيته تتفوق على جاذبية تشيت وثيو ؟!

في الواقع أنا أحاول أن أكون واقعية بعض الشيء، فما من أمل أن تتخلى ماندي عن تشيت أو أن تتركه يغرب عن عينيها لوهلة، قالتها ثم لكزتني في مرفقي.

- وبالنسبة لثيو فقد نجحت ايما في نصب شراكها حوله!

- لا بالطبع لا، إنه ملك الجميع بالتأكيد.

- ولكن هناك شائعة تقول إنكما ذهبتما في نزهة لتناول الغذاء معًا في الغابات.

نظرت بيكا مصدومةً عبر الطاولة ثم أعادت النظر إلى هاتفها مرةً أخرى بعد أن أمعنت التدقيق في وجهي لفترة معقولة.

- لقد التقينا فقط، فقد مرت سنواتٍ طويلة منذ أن رأينا بعضنا في آخر مرة، قالتها كاسي قبل أن تنحني قليلًا وتهمس في أذني:

- بمقدورك إخباري بكافة تلك التفاصيل المثيرة لاحقًا الليلة.

على الجانب الآخر من قاعة الطعام رأيت ماندي تدخل ثم توجهت مُباشرةً نحو طاولتنا، لقد كانت تبتسم ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن لديها أخبارًا جيدة، فقد كانت من هذا النوع من الفتيات اللواتي يبتسمن في كل مكان.

- مرحبًا يا ايما ، قالتها من دون أن تتحلى بودها المعهود وواصلت حديثها قائلةً:

-في المرة القادمة التي تنوين فيها الاختفاء عليك إخبارنا أولًا، لقد شعرت فراني بالسوء أيضًا حيال ذلك التصرف،

فلا ينبغي أن تُغادري المخيم برفقة مجموعة من الفتيات من دون إخبار أي شخص بمكان وجهتكن.

-لم أكن أعرف أن هذا ضروري!

-إنه كذلك، لكن عليك التصرف هكذا من باب الكياسة والذوق.

لقد ذهبت برحلة تجديف برفقة الفتيات، في حالة إذا كنت تحتفظين بسجلات تواجدي الحالي.

أعتقد أن ماندي تعرف بشأن الكاميرا وكل شيء آخر يخص تلك المسألة، لقد اتضح ذلك تحديدًا عندما قالت:

- إن مسألة اختفاء مجموعة من المخيمين هي أمر ملحوظ للجميع كما تعرفين جيدًا، قالتها بينما وقفت هناك مسرورة بنفسها حيث كانت حركتها القادمة تعتمد كلّيًا على ردة فعلي.

في تلك اللحظة تذكرت الكتاب الذي تركته فيفان خلفها لذا كنت مضطرةً لالتقاط الكرة بذكاء ثم قلت لها بصوت مرح لا يشبه نبرتي الطبيعية:

- حسنًا، اجلسي معنا قليلًا، ما رأيك في تلك البطاطا المقلية؟ إنها جيدة جدًا.

أمسكت بالبطاطا التي تُقطّر منها الشحوم ورفعتها قليلًا إلى الأعلى مُلوحةً وحينها بدت نظرات فيفان تحمل اشمئزازًا مُستترًا وقالت:

- لا، شكرًا لك، يتعين عليّ العودة إلى النُزل.

إنني أعتقد أن ماندي لم تتناول أيًا من تلك الدهون المتحولة منذ أن كانت في الصف الثانوي.

- ألن تُجربي واحدة حتى؟، هل أنت قلقة بشأن السُعرات الحرارية؟ أرجوك لا تكوني كذلك، فقوامك جيد.

انتظرت حتى لحظة ذهاب الفتيات الثلاثة واجتماعهن مع الأخريات حول نار المُخيم في وقت متأخر من الليل، وعندما غادرن جلست في فراشي برفقة مجموعة من الوجبات الخفيفة التي كنت أحتفظ بها في حقيبة ظهري ثم بدأت في التهام الشكولاتة أولًا وقمت بفتح ذاك الكتاب الذي تركته فيفان خلفها.

ثمة تاريخ ما تم تدوينه على الصفحة الأولى، يمكنني ملاحظة خط يدها، كان ذلك بالتزامن مع أول يوم قضته في مُخيم نايتنجيل منذ خمسة عشر عامًا. إنها مذكرات

فيفان! يا إلهي! ها أنا أرتجف ملتقطة أنفاسي بصعوبة. ها أنا أقوم بعمليتي الشهيق والزفير متأهبة للقراءة.

22 يوليو

حسن، ها أنا قد غدت مُجددا إلى مُخيم نايتنجيل لقضاء ستة أسابيع أخرى. لا يمكنني القول إنني سعيدة بعودتي إلى هذا المكان، فهذا على نقيض أبي عضو مجلس الشيوخ وزوجته اللذين قد عبرا لي عن مدى انتشائهم عندما علما أنني أفضل قضاء عطلتي الصيفية هنا بدلًا من التسكع في طرقات أوروبا برفقة بريتني وباتريشيا وكيلي.

لو كانا فقط يعلمان أنني كنت أود حقًا الذهاب إلى أمستردام حتى أكون برفقة أولئك السافلات حتى نشرع في تبادل القبلات مع أحد أولئك الموزعين الموسيقيين الحمقى من أجل تناول السجائر معًا، لقد ظن الجميع أني سأُعجب جدًا بهذا المكان، لكن هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة، فتلك المنطقة تصيبني بالفزع والهلع، لقد كانت كذلك منذ المرة الأولى التي جئت فيها إلى هنا، يمكنني القول إن ثمة خطب ما في هذا المكان، لكنني بحاجة لأن أكون هنا، فقط خلال تلك العطلة الصيفية فحسب، فكما يقولون في تلك الأفلام الرخيصة السيئة إن عضو مجلس الشيوخ يُحب المراقبة، أضف إلى ذلك أنه لا زال لديَ الكثير من المهام غير المُنجزة، ولكن هل سأتمكن من إنهائها؟ فهذا هو السؤال الكبير الذي يُخيّم حول رأسي طيلة هذا الصيف، فقبيل أن أغادر كنت قد طرحت ذلك السؤال على الكُرات الثمانية السحرية الغبية الخاصة بكاثرين والتي تُحبها كثيرًا، وفي كل مرة كانت الاتجاهات تُشير إلى كلمة «نعم»، جدير بالذكر أنني سوف أستمتع غدًا بإلقاء فراني لخطابها اللعين للمرة الألف، إنه لأمر مُثير للشفقة حقًا كيف تتصرف على غير سجيتها على هذا النحو مُحاولةً أن تبدو امرأة ودودة ذات شعبية بينما يعلم الجميع أنها تمتلك ملايين الدولارات! إنها لن تتمكن من خداعنا مهما حاولت أن تفعل! على الأقل لن تستطيع خداعنا لفترة طويلة.

يجدر بي الإشارة أن ناتالي وأليسون هنا بالطبع، لكن إلى الآن لم يتم الإعلان عن الفتاة الرابعة التي سوف تمكث معنا بالغرفة، كم أتمنى أن يظل هذا الفراش السفلي فارغًا. سوف يُسهل ذلك الأمل علينا نحن الأربعة تحديدًا أنا، فإذا لم يحدث ذلك سأرضى بثيو . ربما يمكنني حينها أن أمارس معه الحب في أحد نهارات الأسبوع. يا إلهي! كم

يبدو فاتنًا! لا تُخطئوا فهمي. إنه يبدو فاتنًا على الدوام، لكن جاذبيته من ذلك النوع التي تتطلب وضع عشرات علامات التعجب الخرقاء هكذا!!!!!!!!!! تمالكي نفسك يا فيفان، لا يمكن للياقته تلك أن تُشتت انتباهك إلى هذا الحد! فأنت في طريقك لأداء مهمة رسمية، بالطبع ثيو ليس جزءًا منها إلا إذا أصبح في حاجة إلى ذلك بدوره، يا إلهي، كم أتمنى أن يشعر بالحاجة إلى ذلك. تحديث: حان موعد تناول العشاء وحتى الآن لم تصل الفتاة الرابعة إلى المخيّم. أدعو الله ألا تصل أبدًا.

تحديث رقم2: وصلت الفتاة الرابعة للتو، إنها فتاة جديدة، سوف يتبين مع الوقت إن كنت سأقوم بإخافتها أو إن كنت سأتمكن من تكوين صداقة معها. لم أقرر بعد ما الذي سأفعله معها.

23 يوليو

قمت اليوم باستعراض القواعد العامة للمكوث معنا داخل المقصورة أمام تلك الفتاة الرابعة، على أحدهم القيام بذلك على أية حال، فهذا المكان ليس لأصحاب القلوب الضعيفة. إنها فتاة جديدة تُدعى ايما ، يبدو اسماً لطيفاً، أليس كذلك؟ لقد بدت كفتاة لطيفة أيضًا، فهي صغيرة جدًا وبريئة وضعيفة تمامًا كما لو كانت قطة رضيعة، لقد ذكرتني بنفسي عندما كنت في نفس عمرها تحديدًا لأن خلف ذلك المظهر الخارجي الهزيل تبين أنه ثمة فتاة شرسة سوف يتطور أداؤها بعد القليل من التدريب، لقد تصدت لي بالأمس مما أدهشني جدًا، فلم يقف أحد في مواجهتي منذ أن ماتت كاثرين، لقد كنت أوشكت على نسيان ذلك الشعور، فمن الصعب حقًا أن تكوني الأنثى القوية الوحيدة بين القطيع، ولكن تمامًا كما هو الحال مع جاذبية ثيو، لم يكن بمقدوري أن أسمح لتلك الفتاة الجديدة بإبعادي عن هدفي، فالمهمة تحتل المقام الأول بينما تأتي الصداقة في المقام الثاني، فتلك هي المعلومة التي ستعرفها من خلال رحلتك الشاقة، على الأقل كان عليّ أن أتجول قليلًا بعد انتهاء درس الرماية ثم شرعت في البحث في كافة الأماكن التي لم أرها من قبل وكذلك توجهت إلى النُزل الكبير والذي قد استطعت الدخول إليه في السابق ثم توقفت بعد أن أمسكت بي كاسي، جدير بالذكر أنني كنت لأتمكن من فعلها مع أي مستشارة أخرى داخل المُخيّم سواها.

يبدو أنها كرست كافة جهودها من أجل خدمة هذا المكان بصدق، ما أقصده بذلك هو أن كاسي كانت في السابق إحدى الفتيات اللواتي قمن بالتخييم في معسكر نايتنجيل وها هي الآن تعود إلى هذا المكان لتعمل كمستشارة خِلال عطلتين صيفيتين على التوالي! في الواقع، لا يمكنني أن أرى شيئًا أكثر إثارة للشفقة من ذلك، إن تخميني هو أنها مُغرمة بثيو ، فمن الواضح جدًا للاخرين تلك الأفعال التي تحرص على القيام بها من أجل إثارته، لقد ألقت بنفسها في طريقه كلما سنحت لها الفرصة لفعل ذلك، ومنذ ذلك الحين وهي تتحمس لطردي من المُخيّم بأية طريقة وهذا بدوره يفسّر هذا القدر الكبير من الاهتمام الذي حصلت عليه خلال تفتيش المقصورة، فكما قلت من قبل إن الأمر مُثير

للشفقة.

24يونيو

لقد واجهت ايما المسكينة مباغتة دورتها الشهرية الأولى لها خلال يومها الثاني في مخيّم نايتنجيل، لقد أيقظتني بينما كانت الدماء تُلطخ أصابعي تمامًا مثل كاري وايت، لقد شعرت بالسوء حيالها، فأنا لا زلت أتذكر تلك المرة التي زارتني فيها الدورة الشهرية لأول مرة. لقد كانت تجربة بشعة، أقسم أن الشيء الوحيد الذي جعلني أحافظ على هدوئي هو وجود كاثرين إلى جواري، فلقد كانت قد مرت بكل ذلك خلال تلك المرحلة، ربما يسألني أحدكم ليقول لي وأين كانت أمك زوجة عضو مجلس الشيوخ؟ سأقول لكم على الفور إنها كانت في الخارج بالطبع ولم تعلم شيئًا بخصوص فترة الحيض تلك سوى من خادمتها بعد انقضاء ستة أشهر! لقد قمت بنفس الأمر مع ايما تمامًا كما فعلت كاثرين معي في تلك الفترة، فطبقًا لفيلم كاري وايت، لقد كنت ألعب دور سيو سنال في هذه القصة، مهلًا إنني أعتقد أن دوري أيضًا يبدو قريبًا بعض الشيء من دور مدرسة الألعاب، لا! إنني أرفض أن أبدو مثل تلك الشخصية المملة بالطبع، فأنا أتفاعل جِدًا مع دور سيو سنال لأنها نجت في نهاية المطاف.

26يوليو

كدت أن أغرق اليوم، حسنًا ، إحقاقًا للحق يمكنني القول إنني تظاهرت فقط بالغرق، فالأمر ليس نفسه بكل تأكيد، فأنا لم أخطط لذلك في الواقع ولكن الفكرة خطرت على بالي بشكلٍ عفوي، لقد قررت فجأة أن أقوم بها، أعتقد أنني أستحق الحصول على جائزة الأوسكار أو الجولدن جلوب نتيجة لقيامي بهذا الأداء المدهش، جائزة أفضل فتاة تغرق لإحدى بطلات السباحة على مستوى الإقليم على عمق مائة متر، إلا أن تلك المياه القذرة التي قمت بابتلاعها قد سببت لي بنقل بعض الميكروبات التي لا زالت تسبح داخل معدتي أثناء كتابة تلك الأسطر الآن، لكن الأمر يستحق العناء بصراحة، فلقد حصلت على ردة الفعل التي كنت أتوق إليها.

وبمناسبة حديثنا عن مسألة الغرق، دعونا نتكلم عن زوج فراني لثانية من الزمن، ألا تعتقدون أنه من الغريب حقًا أن يغرق سباح مثله كان قد تأهل للوصول إلى الألعاب الأولمبية؟ أنا واثقة جدًا أن هذا أمر في غاية الغرابة.

28 يوليو

يا إلهي! يا إلهي!

لقد تمكنت من الدخول أخيرًا إلى النُزل الكبير، فقد ذهبت إلى هناك خلال فترة تناول الغذاء بعد أن توجه الجميع إلى قاعة الطعام وبعد أن عرفت أيضًا أن فراني وحاشيتها قد توجهوا معًا لتناول الغذاء على ظهر السفينة. منحنى ذلك الوقت الكافي كي أتسلل إلى الباب الأمامي من دون أن يُلاحظني أحدهم، يا للروعة! لقد كان الأمر يستحق كل هذا الانتظار! لقد عرفت إن فراني تُخفي شيئًا ما هناك، وأصبحت متأكدة لاحقًا أنها تُخفي الكثيرِ من الأشياء، جدير بالذكر أنني حاولت في السابق سرقة أحد تلك الأشياء قبل أن تُمسك بي لوتي في غرفة المكتب، لقد تصرفت بشكلٍ رائع حيال الأمر إلا أني أعتقد أنها غضبت عندما وجدتني هناك كما أنني على يقين أنها سوف تُخبر فراني بذلك، إنني أعرف ذلك جيدًا. فاليوم لم يكن جيدًا على الإطلاق.

تمت مقاطعة قراءتي بغتةً عن طريق طرق مفاجئ على باب الغرفة، ها أنا قد سقطت تمامًا في حفرة الأرنب الخاصة بأفكار فيفان وتناسيت ذلك الواقع الذي كان قد ذاب بعيدًا ثم عاد فجأة من دون أن ألاحظه، نظرت إلى الأعلى وقلت بصوتٍ مُرتعش:

- من هناك؟

- أنا تشيت يا أيما، هل كل شيء بخير؟

أغلقت دفتر اليوميات في الحال ووضعته أسفل وسادتي ثم حاولت التقاط أنفاسي بسرعة وقلت:

- أجل أنا بخير.

سمعت صوت صرير الباب ثم ألقى تشيت نظرة إلى الداخل بينما كانت خصلات شعره الفوضوية تُغطي عَينيه ثم قام بدفع الباب وقال:

- هل يمكنني القدوم إلى الداخل؟

- أجل بالطبع، تصرف وكأنك في منزلك.

دخل تشيت ثم جلس فوق خزانة ملابسي الخشبية، بينما كانت ساقه تمتد إلى الأمام ووقف مُشبكًا يديه، على الرغم من أنه لم يكن هناك قرابة بيولوجية تربط بينه وبين تيو إلا أنهما كانا يتشاركان في عدة سمات فكلاهما يملك

نفس هذا الطول واللياقة البدنية التي تجعل أي شيء يرتدونه يلائمهم بشكلٍ واضح كما أن علامات البهجة كانت تشع منهم، تلك التي يملكها أبناء العائلات الإقطاعية حتى لو كان قد تم تبنيهم.

لقد لاحظت غيابك عن اجتماع نار الفخيّم لذا تساءلت إن كان كل شيء بخير معك تحديدًا بعدما حدث اليوم في الغذاء.

- من أرسلك إلى هنا؟ أمك أم أخوك؟

- في الواقع لم يطلب مني أحدهما ذلك، لقد جئت إليك من تلقاء نفسي، لقد أردت أن أوضح عدة أمور، ففكرة وضع كاميرا مراقبة وكذلك دعوة أمي لك بالعودة إلى هنا كانت أفكاري الخاصة.

جلست في دهشة، ففي الأمس كنت أتساءل بيني وبين نفسي إن كان تشيت يتذكر مَن أكون أصلًا، وقد تبين أنه يتذكرني جيدًا.

- لقد كنت أظن أن تلك الأفكار تخص فراني وحدها.

- أجل، هذا من الناحية التقنية، لكنني مَن قمت بتحريضها على ذلك، قالها تشيت ثم رسم ابتسامة عريضة على وجهه، تلك التي كانت أيضًا إحدى السمات المشتركة بينه وبين شقيقه ثيو.

- كانت كاميرا المراقبة مجرد إجراء احترازي فقط، ولم يكن لأمي وثيو أي علاقة بالأمر، لقد اعتقدت أنها فكرة جيدة إذا تمكنا من مُراقبة مقصورتك، ولم يكن سبب هذا أننا نتوقع حدوث شيءٍ سيء ولكننا أردنا التأهب لأمرٍ كهذا فحسب.

كانت تلك طريقة مُهذبة كي يقول إنه أيضًا يعرف بشأن حالتي العقلية المُضطربة بعد زيارتي الأولى لهذا المكان، وعلى هذا المنوال فإن تلك المعلومة سوف تنتشرَ بين الجميع لتصل في نهاية الأسبوع إلى كل فتاة ضمن طاقم الفخيّم وكذلك بين عمال المطبخ.

أرجوك لا تشعري بالإهانة، أنا أتفهم جيدًا إحساسك بأنه تم استهدافك بشكلٍ غير عادل، أنا أسف حقًا وجميعنا نعتذر لكل ذلك، وإذا كنت ترغبين في إزالتها سأطلب من بين أن يقوم بذلك كأول شيء في الصباح الباكر.

على الرغم من أني كنت أميل شخصيًا للمطالبة بذلك إلا

أنني على الجانب الاخر أصبحت أتفهم تلك الحاجة إلى الحذر، تحديدًا بعد ما حدث معي أثناء وجودي في كشك الاستحمام هذا الصباح أو إذا أردنا تحري الدقة بشكلٍ أكبر تأهبًا لما قد يحدث لاحقًا، فعلى أية حال مراقبة الُمخيّم ليست فكرة سيئة.

- يمكن إبقاء وجود كاميرا المراقبة، لا مشكلة ولكن أخبرني الان لماذا أقنعت أمك بدعوتي إلى هنا مُجددًا؟

بسبب ما قلته في السابق بخصوص ثيو، قالها تشيت ، ولم يكن هناك حاجة لشرح ذلك من جانبه بشكلٍ تفصيلي أكثر، فلقد علمت أنه كان يُشير إلى إخباري قوات الشرطة أن لثيو علاقة بمسألة اختفاء الفتيات، لقد ندمت على كل تلك التصرفات حيث إنني شعرت بالأسف في المقام الأول لأنني قمت بإلقاء اللوم عليه ثم تضاعف هذا الشعور لأني رفضت الاعتراف بكل ذلك حتى لا أبدو كاذبة، تلك الحقائق التي لم أكن متأهبة لمواجهتها.

- لا يمكنني تغيير ما حدث حينها لكن كل ما أرغب في قوله إنني نادمة بشدة على ذلك.

رفع تشيت يده ليجعلني أتوقف عن الكلام وقال:

- في الواقع لم يكن الهدف من وجودك هنا هو تقديم الاعتذار، لكن أمي قامت بدعوتك لأن حضورك ربما يرمز إلى أكثر ما يعنيه الاعتذار الُمجرّد.

ألهذا السبب كانت فراني تعرض الأمر عليّ بطريقة جذابة حتى أعود مرةً أخرى إلى مُخيّم نايتنجيل؟ لقد رأت الأمر كوسيلة عملية مُباشرة لتكشف بها للجميع أن الُمخيّم الآن بات آمنًا سعيدًا مُجددًا، في الواقع إن وجودي هنا اعتراف صامت بتراجعي عما قلته عن ثيو في السابق منذ خمسة عشر عاماً.

- هل تقصد إن وجودي هنا الآن يعني أن ثيو بريءَ من تلك التهمة؟

- أجل، بالطبع، قالها تشيت ثم أردف:

- كما أن الأمر أكثر من ذلك فهو أقرب إلى وضع خاتمة لهذا الموضوع وإغلاقه للأبد.

- لهذا السبب قررت المجيء إلى هنا.

- في الواقع أنا أتحدث عن ثيو، لقد اعتقدت أن مسألة وجودك هنا ستمنحه الفرصة للحصول على التعويض

الكافي، ربما سوف يفيده هذا الأمر، فالرب وحده يعلم أنه بحاجة ماسة إلى ذلك الان.

- لماذا؟

لم يكن باستطاعتي التفوه بعبارة أخرى سوى ذلك، فقد كان ثيو وسيمًا غنيًا ناجحًا، ما الذي يحتاجه أيضًا؟

- في حقيقة الأمر إن ثيو لا يبدو بحالٍ جيدة كما يبدو عليه، لقد اختبر وقتًا عصيبًا جدًا بعد ما حدث هنا، وأنا لا يمكنني إلقاء اللوم عليه فقوات الشرطة قامت باستجوابه كما أن والد فيفان قال أشياء سيئة عنه وكذلك وسائل الإعلام والصحافة، لم يكن بمقدوره تحمل ذلك، وقد تم طرده من المدرسة ثم أدمن تناول الكحول والمخدرات حتى وصل إلى الحضيض في الرابع من شهر يوليو في العام الثاني لحادث الاختفاء، فبينما كان في طريقه للذهاب إلى حفلةٍ ما في نيوبورت اصطدمت سيارة صديقه الفيراري التي كان قد اقترضها منه للقيام بذلك وتحطمت بشجرةٍ على الطريق على بُعد ميل واحد.

لقد ارتجفت مُتذكرةً تلك الندبة على وجنة ثيو.

- لقد نجا بمعجزة!، قالها تشيت ثم واصل حديثه:

- أعلم أن ثيو محظوظ لكن الأمر وما فيه أنه لم يكن يخطط للنجاة فما أعرفه أنه كان يُحاول قتل نفسه عبر ذلك الحادث، على الرغم من أنه لم يعترف بذلك إلا أنني أعرف جيدًا أن هذا كان هدفه، فلقد كان يتصرف لفترة طويلة سابقة وكأنه ينتظر الموت بشوقٍ ولهفة، لكن الأمور تحسنت بعد ذلك، فقد قضي ثيو ستة أشهر في أحد مراكز العلاج ثم ذهب لاحقًا إلى جامعة هارفارد وبات طبيبًا على الرغم من أن ذلك قد تأخر لعامين، وبعد عودة الأشياء إلى طبيعتها لم يتحدث أي منا عن تلك المسألة خلال هذا الوقت. أعتقد أن أمي وثيو يعتقدان أنني كنت صغيراً جدًا إلى هذا الحد الذي لا يسمح لي بتذكر أي شيء مما حدث، لكني لا زلت أتذكر ذلك جيدًا، فمن الصعب حقًا أن تنسى رؤية أخيك الصغير يمر بكل هذا.

توقف تشيت عن الحديث ثم عاد لالتقاط أنفاسه مُتنفسًا بعمق وقال:

- أنا في غاية الأسف، قلتها على الرغم من أنها صارت عبارة بلا نفع أو جدوى، فهي لم تُغير ما حدث، كما أنه ليس

بمقدور تلك الجملة محو ذلك الخط الشاحب الذي يحتل وجنة ثيو الآن.

- في الواقع ليس لديَ فكرة عن سبب اتهامك له حينها، على أية حال لا أريد أن أعرف ذلك فبغض النظر عن طبيعة ما حدث حينها وجعلك تقولين ذلك فإن وجودك هنا اليوم خير دليل على أنك لا تُصدقين هذا الآن، لا أريدك حقًا أن تشعري بالسوء.

أعترف أنني أشعر بما هو أكثر من السوء، فها أنا أحس بالخِسّة والدناءة، لا يمكنني حتى إرغام نفسي على النظر إلى تشيت وبدلًا من ذلك أحدق في الأرض في صمتٍ شاعرةً بالذنب.

لا تلومي نفسك على ما حدث، فنحن هنا من أجل السماح لهذا الماضي بالذهاب بعيدًا، جميعنا هنا من أجل تحقيق هذا الغرض وأتمنى أن يفيدنا ذلك، قالها تشيت بينما كان يقف مُتأهبًا لمغادرة الغرفة.

الفصل الثامن عشر

أنتظر حوالي خمس دقائق كاملة بعد مغادرة تشيت الغرفة قبل العودة مجددًا إلى قراءة يوميات فيفان. لقد كانت تمكث أسفل وسادتي بينما كنت أعد الثواني. في الواقع لم أكن قلقة حول مسألة عودته مرة أخرى ليتسبب في مقاطعتي كما حدث منذ قليل لكني كنت أحاول جاهدةً فقط لوهلة من الوقت القيام بتخفيف هذا الضغط الذي خلفه حديثه عن ثيو، على الرغم من أنه قد طلب مني التوقف عن إلقاء اللوم على نفسي، لكني لا أستطيع السيطرة على ذلك الأمر. لقد قضى ثيو حوالي ستة أشهر في أحد مراكز علاج الإدمان، ربما كان هذا خلال نفس الوقت الذي كنت أتعالج فيه من مشكلاتي الخاصة. لقد كان عامنا الأول بعد مُخيّم نايتنجيل مُتطابقًا تقريبًا بينما كان الفارق الوحيد يتمثل في التحديات والصعوبات التي واجهت كُلًا منا، فلقد كان عامي تُحاصره أشباح فيفان بينما كان عام ثيو مُحاصَرًا بأشباحي الخاصة. أعرف أنه لا يمكنني إصلاح ذلك الضرر الذي ألحقته بثيو ، لكنه بمقدوري منع أي أذى قادم إذا عرفت معلومات أكثر بشأن ما حدث لفيفان وأليسون وناتالي، ففي تلك الحالة فقط لن يشعر ثيو بأن شبح الاشتباه به يُلاحقه هكذا في كل مكانٍ يذهب إليه، على النقيض سوف يتحرر من هذا كله، وإذا حدث له هذا الأمر مُجددًا سأضطر أنا الأخرى بدوري لمواجهة ذات الشعور.

عندما مضت الخمس دقائق كاملة، قمت على الفور بإزالة دفتر يومياتي من أسفل الوسادة ثم بدأت أتصفحه حتى وصلت إلى الصفحة التي توقفت عند قراءتها قبيل قدوم تشيت وغدت إلى الذوبان بين تفاصيلها من جديد.

29يونيو

لقد تبين لاحقًا أنني كنت مُحقة، فلقد أخبرت لوتي فراني برؤيتي داخل النُزل الكبير، وحينها سحبتني الأخيرة جانبًا بعد تناول وجبة الغذاء وتحدثت إليّ بعنف واضح وجن جنونها بشكلٍ ملحوظ. لقد هددتني بالاتصال بأبي سيادة النائب عضو مجلس الشيوخ كما لو كان يهتم بي أصلًا! كما أنها قالت إنه يتعين عليّ احترام الحدود الشخصية، كنت أود أن أتهكم على حدودها الشخصية المهترئة الصدئة

تلك لكنني لم أفعل ذلك لأني أدركت جيدًا أنه ينبغي علي أن أخفض رأسي قليلًا من أجل تمرير ذلك الموقف، فلا يمكنني بأي حالٍ من الأحوال هز المركب حتى ينقلب من تلقاء نفسه رأسًا على عقب، ما حدث باختصار يتضمن أخبارًا سيئة وأخرى جيدة، أما الأخبار السيئة هي أن فراني بدأت تشتبه بي بالفعل، وتلك الجيدة هي أنني أصبحت قريبة جدًا من سرها الصغير القذر.

1 يوليو

أفكر في إخبار ايما ، ينبغي عليَ أخبار شخص ما في حالة حدوث أي مكروه لي.

2 يوليو

حسنًا ، لقد فشلت في مهمتي اليوم فلم أتمكن من إخبار ايما بالحقيقة الكاملة حول ما أنوي فعله، أعتقد أن هذا آمن أكثر بالنسبة لها، وبدلًا من ذلك وجدت نفسي مضطرة بالتلميح لأخذها إلى مخبأي السّرّيَ في قلب الغابات، أجل! لقد منحتها فرصة رؤية الصندوق!، ذلك الشيء الغامض الذي بدأ معه كل هذا التحقيق عندما عثرت عليه الصيف الماضي، لقد اعتقدت أن سماحي لها برؤيته سوف يُشعل الحماسة في نفسها خاصةً في حالة إذا تبين كذب كُرة الثمانية السحرية واتضح مدى إخفاق كل اتجاهاتها وتم إبعادي بغتةً من المُخيّم، فإن الطريقة المُثلى حينها هو أن تقوم ايما باستكمال ما بدأته بمفردي، ولقد كنت مُحقّة بشأن هذا، فقد ظهرت عليها علامات الاهتمام، لقد رأيتها بأم عيني تتألق داخل عينيها بمجرد أن قامت بفتح الصندوق ثم بعد ذلك وقع موقف سيئ ، أجل!، لقد كشفت لها أني أجيد السباحة! لقد اعتقدت أنها من المفترض أن تكون على علم بأمرٍ كهذا وذلك لأسبابٍ عديدة، أولها حتى تخبر الشرطة أنني كنت ماهرة في السباحة في حالة- لا قدر الله- تم العثور على جثتي على الشاطئ ذات صباح، ثانيًا لأنه يتعين عليها أن تتعلم ألا تُصدّق كل ما يُقال لها، فلعبة حقيقتين وكذبة ليست مجرد لعبة عادية ساذجة، بالنسبة لمعظم الناس تقريبًا هي أسلوب حياة. ثالثًا لأنني سأحتاج أن أقوم بتحطيم قلبها في نهاية المطاف تمامًا كما بدأت الان في إحداث صدع بداخله ومن ثم فإنها تشعر بالغضب والحنق الشديد، وأعتقد أنها محقّة للغاية بشأن ذلك، فلقد قضت طيلة اليوم تتجاهلني تمامًا، وبمكنني

القول إن تصرفها على هذا النحو المني بشدة، فهناك الكثير من الأمور التي أتحرق شوقًا لإبلاغها بها، فكما تعرفون أن الحياة قاسية والإنسان بحاجة أن يسدد لها لكمة قوية قبل أن تُبادر بذلك بدورها! أعلم أنها تتألم جدًا كما أعرف أنها تظن نفسها الفتاة الوحيدة التي يتجاهلها أبواها، لكن عليها أن تتخيل لو أنها قد تُركت بمفردها في المنزل في نيويورك في تلك اللحظة التي قرر فيها والدها عضو مجلس الشيوخ وزوجته الذهاب إلى واشنطن العاصمة بعد مرور شهرين من وفاة أختها! فهذا هو المعنى الحرفي للهجر والتخلّي، وكنتيجة لذلك قد شعرت بالحاجة للقيام بدور الغرق المُزيّف أملةً أن تتجهم ايما قليلًا ثم أمنحها على الفور باقة من الزهور ثم تُحبني من جديد.

3يوليو

ثمة حقيقة مضحِكَة تقول إنه في القرن الثامن عشر كانت هناك إمكانية لإرسال النساء للمصحات العقلية للأسباب التالية:

*الهلَع

*الغرور

*الحياة اللا أخلاقية

*الشهوة

*الغيرة

*الرفقة السيئة

*العادة السرية

*قراءة الروايات!

*وإذا تم ركلهن من جهة الرأس عن طريق حصان.

يمكنني القول إنه باستثناء ركلة الحصان فإنه كان من الممكن إذن تشخيص كل امرأة التقيتها في حياتي بالجنون في تلك الفترة الزمنية، وهذا على وجه التحديد ما يُريده الرجال، فهذا يعكس طرقهم المعتادة في إذلال النساء، فإذا لم يُعجبهم شيء ما تفوهن به نساؤهم، يتهمونهن بالجنون ويقومون بشحنهن إلى المصحات العقلية والنفسية، وإذا لم يعاشروا أزواجهم إلى الحد الكافي، فإنهم يقومون بإلزامهن على فعل ذلك بالقوة، وإذا أرادوا ممارسة الحب لفتراتٍ أطول يقومون بإجبارهن على ذلك. الأمر مُقزّز حقًا.

لا تظنوا أن الأمور قد تغيرت بدورها كثيرًا الان، فلم يتغير شيء، لقد كان والذي سيادة نائب عضو مجلس الشيوخ على أتم الاستعداد لسجني واحتجازي بعد موت كيث كما لو كان من الخاطئ أن أحزن على وفاتها! لقد تعامل مع الأمر كما لو كان الحزن مرضاً عقلياً!، على أية حال فإن الدرس الذي تعلمته اليوم هو أن كل امرأة مجنونة، بينما أولئك اللواتي يفشلن في إخفاء جنونهن هن الأقل حظًا.

تحديث: يا إلهي! أعتقد أنه قد انتهى أمري الان! لقد نسيت أنني تركتك خلفي يا دفتر يومياتي العزيز! ففي تلك اللحظة التي عدت فيها من الاجتماع حول نار المُخيَّم عثرت على كل من ناتالي وأليسون يطلعن عليك! في الواقع لم يُفاجئني تصرفهن على هذا النحو، لأنهن خلال الأسبوع الماضي كن يُحاولن اختلاس النظر على محتوياتك من آنٍ إلى آخر، ولقد تمكنّ من إلقاء نظرةٍ فاحصة عليك الآن! إنني أشكر الرب أنني لم أكتب أن ناتالي قد اكتسبت الآن فخذين أكثر امتلاء من ذي قبل وأنها كادت لتبدو كما سيدات المصارعة أو أن أليسون قد أدمنت على تناول مُنتجات الألبان حتى أصبح لونها أمهقًا، كان هذا ليكون أمرًا في غاية السوء إذا قامت إحداهن بقراءة ذلك في دفتر اليوميات، أليس كذلك؟ كنتيجة مُباشرة لذلك قررت أن أقوم بإخفائك يا دفتري العزيز بعيدًا عن الأنظار، فأنت لم تعد بأمانٍ الآن، فكلما كانت معلوماتهن أقل كلما كان ذلك أفضل بالطبع.

التحديث رقم2:

أهلًا بك يا دفتري العزيز في منزلك الجديد، أتمنى ألا تتعفن هناك، لقد قمت برسم خريطة للمكان حتى لا أنسى مكانك الحالي.

4يوليو

لا يمكنني أن أكتب الكثير اليوم، فالتجديف قدومًا إلى هنا يستهلك نصف النهار تقريبًا كما أن رحلة العودة عبر القارب سوف تستغرق وقتًا أطول، أضف إلى ذلك أني واثقة أن فراني قد لاحظت غيابي، فلديها جواسيس في كل مكان، من المؤكد أنها طلبت من كاسي التأكد من وجودي بالغرفة كل ليلة.

ربما لن يستمر هذا الوضع لفترة طويلة لأنني قد عثرت على تلك القطعة المفقودة التي من شأنها الربط بين كل تلك الأشياء معًا، لقد أصبح كل شيء منطقياً الان، فأنا أعرف الحقيقة جيدًا، وكل ما أنا بحاجته في الفترة الراهنة هو أن أقوم بفضحها، لكن هناك عقبة صغيرة تقف في وجهي فبعد أن تمكنت ناتالي وأليسون من قراءة دفتر اليوميات في تلك المرة، قررت أنه يتعين عليَ إذن إخبارهن بكل شيء، لأنه لا يمكنني القيام بتلك المهمة من دون مساعدتهن أو ربما باستطاعتي ذلك لكن ليس لديَ خيار أخر.

أجل، أعرف أنه بمقدوري التخلي عن ذلك الأمر على الفور وأن أنسى المسألة برمتها وأن أعكف على قضاء عطلتي الصيفية وعامي الدراسي بل وحياتي المثالية اللعينة بأسرها مُتظاهرةً أنه لم يحدث أي شيء على الإطلاق. ربما بمقدور الشخص العاقل القيام بذلك، وإليكم الأمر فبعض الأخطاء التي يقوم بها بعض الناس بشعة جدًا إلى هذا الحد الذي يجعلنا نصر في أعماقنا على ضرورة إخضاع أولئك المسؤولين عنها للمساءلة والعقاب، يمكنك تسمية ذلك عدالة، يمكنك أيضًا أن تُسميه انتقاما أو أي شيء تريده فأنا لا أهتم أبدًا لتلك التفاهات فكل ما أهتم به حقًا هو ذلك الخطأ على وجه التحديد والذي لا يمكنني تجاهله وإنما تصحيحه فأنا تلك السافلة التي ستقوم بفعل ذلك.

أنا خائفة جدًا.

الفصل التاسع عشر

كان هذا كل شيء- فحوالي أكثر من ثلثي صفحات دفتر اليوميات كانت فارغة تمامًا، ها أنا أتصفحها مجددًا في حالة إن كنت قد قمت بتفويت شيءٍ ما، لا ليس هناك أي شيء إضافي. أقوم بإغلاق دفتر اليوميات محاولةً التقاط أنفاسي بصعوبة بالغة. فلقد شعرت بعد الانتهاء من قراءتها بنفس هذا الشعور سابق الذكر الذي كان يُداهمني عندما باغتتني تلك الهلاوس البصرية التي تخص زيارات فيفان. ها أنا أحس وكأن رأسي يدور، إنني أسبح في بركة من الارتباك والخوف والذُّعر، فلقد كانت فيفان تبحث عن شيءٍ ما، ذلك الذي استطاعت في نهاية المطاف العثور عليه، إلا أنه من خلال مذكراتها يبدو أنه هدف بعيد المنال بشكلٍ مُحبِط، في الواقع لست واثقة إلا من شيءٍ واحد وهو أن الورقة التي قامت فيفان برسم خريطتها عليها كانت مُمزَّقة من دفتر اليوميات، فهناك صفحة واحدة مفقودة بين مدخل اليوميات وموقع الدفتر الجديد وتلك التي كتبتها بتاريخ الرابع من شهر يوليو. ها أنا أقوم بإخراج الخريطة من حقيبة الظهر الخاصة بي ثم أقوم بوضعها مرةً أخرى على امتداد البقايا المُمزقة للصفحةِ المفقودة، يا إلهي! إنها مُتطابقة! ها أنا أُعيد قراءة اليوميات كاملةً ثم أدرس كل صفحة وأقوم بتحليل كل كلمة مُحاولةً استخلاص نتيجة منطقية إلا أنه لم يكن باستطاعتي التوصل إلى أي شيء حيث إن فيفان كانت تُمثِّل صورة الفتاة القوية الجريئة التي لم تكن تواجه أي مشكلة في التعبير عن مشاعرها وأفكارها ببساطة، فلماذا إذن فتاة بتلك المواصفات تحتاج إلى إبقاء بعض الأمور سرًا، قمت بقراءة الدفتر مرة أخرى، هذه المرة شرعت في القراءة من الخلف إلى الأمام وبدأت بمدخل يوميات فيفان الذي تقول فيه «أنا خائفة جدًا»، لقد أربكتني تلك العبارة، فمن بين تلك المشاعر العديدة الهائلة التي حرصت فيفان على استعراضها خلال تلك الفترة القصيرة التي عرفتها فيها، لم يكن الخوف أحدها، قمت بتصفح تلك اليوميات السابقة، ولاحظت أن تسجيل اليوميات الأخيرة كان بتاريخ 4يوليو وهذا يطرح بدوره سؤالين، أما الأول فهو متى قامت فيفان بكتابة آخر يومياتها المُسجلة؟ ما الذي كانت تخافه؟

أمسكت بالكتاب شاعرةً بالمزيد من الإحباط مُتلهفةً للحصول على الإجابات التي تأبى الكشف عن نفسها، أخذت أتمتم وأغمغم قائلةً: ما الذي تعرفينه يا فيفان؟ لقد بدا الأمر وكأنها تسمعني وسوف تُجيبني بطريقةٍ ما، استنادًا على تواريخ اليوميات، أعتقد أنها تمكنت من دفن دفترها هذا في ليلة 3يوليو، إن تخميني هو أنها حاولت التسلل إلى الخارج حينها بينما كنا نائمات داخل المقصورة، لم يكن هذا بالأمر الغريب عليها، فلقد قامت بذلك أيضًا في الليلة السابقة، لا زلت أتذكر ذلك جيدًا لأني كنت غاضبةً جدًا منها لأنها كذبت عليّ بخصوص مهاراتها في السباحة، لقد كنت أعرف سبب كذبتها وهي أنها لاحظت بالطبع اهتمام ثيو بي فقد شاهدتني في تلك الأثناء بين ذراعيه في المياه بينما كان يهمس في أذني بالعبارات التشجيعية الحماسية حتى يعلمني كيف أسبح، ولم يكن باستطاعة فيفان تحمل الأمر أكثر لذا تظاهرت بالغرق حتى تصبح مركز اهتمام ثيو مُجددًا، لقد تجاهلتها بقية رحلة عودتنا على متن القارب وكذلك خلال فترة الظهيرة وأيضًا في وقت تناول العشاء حيث أخذت نصيحتها بعين الاعتبار وذهبت متأخرةً جدًا وكنت آخر من يقف في الصّف.

جلست بمفردي ألتقط بقايا وجبة العشاء المتواضعة حيث كان هناك رغيف لحم مفروم وبطاطا مهروسة جافة كما أنني اجتمعت حول نار المُخيّم برفقة فتيات في نفس سني تقريبًا واللواتي لم تبد على وجوههن علامات الاهتمام بمسألة وجودي معهن، لاحقًا خلدت إلى فراشي مبكرًا مُتظاهرةً بالنوم بينما كانت الأخريات تلعبن حقيقتين وكذبة من دوني، استيقظت مؤخرًا خلال تلك الليلة على صوت خطوات فيفان، وعلى الرغم من أنها حاولت التسلل خفيةً إلا أن صوت اللوح الخشبي الثالثِ قد كشف أمرها. جلست في فراشي ناظرةً إليها بعيونٍ غائمة ثم سألتها:

- أين كنت؟

- كان عليّ التوجه إلى المرحاض، قالتها فيفان ثم أردفت:

- هل يُزعجك هذا الأمر أيضًا؟

لم تقل فيفان شيئًا إضافيًا بعدها ثم صعدت إلى فراشها العلوي، لكنني عثرت في الصباح على حفنة من الأزهار

تمكث فوق وسادتي بجوار رأسي مباشرةً. كانت بتلاتها زرقاء ناعمة كما أنه ثمة نجمة صفراء توسطت مركز كل زهرة منها، لقد قمت بوضعها داخل خزانتي الخشبية برفقة نسخة من روايتي المفضلة «العظام الجيدة»، وعلى الرغم من أنها لم تعترف يومًا أنها من قامت بوضعها في هذا المكان إلا أنني لطالما عرفت ذلك، ففي تلك اللحظة التي منحتني فيها فيفان الزهور أحببتها مُجددًا تمامًا كما اعتقدت.

ها أنا أمضي قُدمًا في تصفح يوميات فيفان حتى وصلت إلى تلك الصفحة التي ذكرت فيها ذلك التنبؤ، وإذا بي أشرع في القراءة بشكلٍ محموم متسائلة مرةً أخرى إن كانت مشاعري بتلك الشفافية والوضوح؟ لم أتمكن من الحصول على إجابة لهذا السؤال إلا بعد أن تمكنت من قراءة تلك الفقرة التي كتبتها عن والديها، وحينها على وجه التحديد أدركت أن فيفان كانت مثلي تمامًا تعاني من الإهمالِ والوحدة ولا تجد أي اهتمامٍ يُذكر من المحيطين بها، وبناءً عليه فقد كانت قادرة على التنبؤ على أن إحضارها لمجموعة من زهور أذن الفأر سيكون أمرًا قادرًا على إرضائي وتهدئتي لأن هذا كان كافيًا بدوره بالنسبة لها أيضًا، واصلت تصفح المذكرات وقرأت المزيد من الصفحات والأسئلة حتى وصلت إلى تلك الصفحة التي تحدثت فيها فيفان عن تأملاتها الخاصة فيما يتعلق بمرض الجنون والاختلال العقلي، فلقد أخافتني تلك الفلاحظة التي قامت بتدوينها بشدة وأزعجتني حيث إن قراءتها على هذا النحو جعلني أشعر وكأنها تتحدث إلي مُباشرةً! وكأنها قد تنبأت بانزلاقي إلى الجنون قبل أن يحدث ذلك بعامٍ واحدا!

إنني أتساءل حقًا، لماذا قامت فيفان بالبحث عن تلك المعلومة تحديدًا؟ وأين؟ ها أنا أتذكر سريعًا تاريخ كتابتها لافتتاحية يومياتها تلك، أجل! لقد كان ذلك خلال جولتنا معًا برفقة ثيو داخل سيارة الْمُخيّم الخضراء ماركة فورد وحينها جلست بين فيفان وثيو بينما كان الأخير يقود السيارة بيدٍ واحدة وكان يمد ساقيه بالأسفل في أريحية تامة حتى ارتفع فخذه إلى مستوى فخذي وكلما لامسني من دون أن يقصد جعل قلبي يرفرف تمامًا كما العصفور الصغير المحبوس في القفص والذي كان يصفق بأجنحته

في مجابهة تلك القضبان المذهبة. في الواقع لم أكن لأمانع على الإطلاق أن أبقى بمفردي برفقة ثيو عندما طلبت منا فيفان السماح لها بالذهاب للتسوق بمفردها.

عندما توجهت إلى قراءة الصفحة التالية، وجدت أن فيفان كتبت فيها مجموعة من الأرقام الغريبة:

150.97768 غربًا

164

اعتقدت للوهلة الأولى أنها مجرد إحداثيات على خريطة ما، لكن عندما أمسكت بهاتفي وتفقدت تطبيق البوصلة، اكتشفت أنها تُشير إلى 150 درجة في اتجاه الجنوب الشرقي مما يعني أن المسألة تخص أمرًا آخر، ذلك الشيء الذي لا يعلمه إلا فيفان بكل تأكيد، لكنني واثقة أنها قامت بكتابة تلك الأرقام لسبب ما تمامًا كما كل شيء آخر، لقد راودني الإحساس أنها تود أن تحثني على المضي قُدمًا خطوة بخطوة من أجل اكتشاف ما عرفته طيلة تلك السنوات.

لقد كنت في خضم تلك العملية وبدأت ألتقط المزيد من الصور عن طريق هاتفي المحمول في تلك اللحظة التي فُتح فيها باب المقصورة وانطلقت الفتيات الثلاثة ميرندا وكريستال وساشا إلى الداخل، لقد أربكني دخولهن المباغت وجعلني أسعى جاهدةً لإغلاق الكتاب ووضعه أسفل وسادتي.

يجدر بي القول إنني لم أكن سريعة جدًا في هذا الوقت، وأن هذا قد سمح لهن بالقبض عليَ أثناء قيامي بذلك.

- ما الذي تقومين به؟، سألتني ساشا بينما وجهت نظرها إلى طرف الكتاب أسفل الوسادة ثم ألقت نظرة خاطفة على هاتفي المحمول الذي لا زلت أمسك به في يدي.

- لا شيء.

حسنًا ، على الرغم من أنك لا تبدين من هذا النوع الذي يُقبل على مشاهدة المواد الإباحية!، قالتها ميرندا، وحينها قلت على الفور:

- لم أكن أشاهد مواد إباحية، ثم توقفت قليلًا لأرى إن كانت الفتيات يصدّقن ما أقول، لكن ذلك لم يبد جليًا على وجوههن لذا أخبرتهن بالحقيقة باستثناء تلك الأمور التي من شأنها أن تجعلهن يطرحن المزيد من الأسئلة.

- في الواقع، أنا أحاول فك شفرة ما!

أشرق وجه ميرندا في تلك اللحظة التي شعرت فيها أنها على وشك حل لغزٍ ما.

- ما هو نوع تلك الشفرة؟

حدقت في شاشة هاتفي المحمول لبعض الوقت ثم قرأت الرقم وقلت:

- ما الذي يعنيه هذا الرقم 150.97768 غريبًا بالنسبة لك؟

- حسنًا، هذا هو نظام ديوي العشري، فبعض الكتب تحمل أرقام استدعاء مشابهة له.

- هل أنتِ متأكدة؟، سألتها ثم رمقتني بنظرةٍ يائسة وقالت:

- أجل، لقد قضيت نصف حياتي تقريبًا في المكتبة.

المكتبة! ربما ذهبت فيفان إلى هناك عندما زعمت أنها تود التسوّق لبعض الوقت بمفردها، ومن المؤكد أنها عثرت هناك على كتابٍ ما بالغ الأهمية بالنسبة لها حتى تقوم بتسجيل رقمه في يومياتها. من الواضح جدًا أنها كانت تبحث عن شيءٍ ما. إنني أعتقد أنها قد وجدته بالفعل.

ها أنا أتذكر ما كتبته في مذكراتها حول ذهابها إلى مكانٍ ما لم يكن يجدر بها التوجه إليه، لقد تعمدت فيفان استخدام بعض الرموز المختصرة للإشارة إلى النُزل الكبير وكذلك للتحدث عن فراني مديرة المُخيَم، لكنها على الجانبِ الاخر لم تقل حرفًا عن ذلك الشيء الذي اكتشفته هناك والذي حاولت مرارًا وتكرارًا أن تسرقه.

لقد كتبت فيفان الكثير في يومياتها مما جعلني أشعر بالذُعر حقًا، فالتفكير حول ردة فعل فراني حيال تجسسها سابق الذكر يُصيبني برجفة مُفاجئة فما دونته فيفانِ عن فراني يختلف كُليًا عن ذلك الجانب الذي أراه دومًا منها! وهذا يجعلني أتساءل على وجه التحديد إن كانت فراني مريضة بجنونِ الارتياب، فهذا يتضح أكثر في ذلك الجزء الذي قالت فيه إنه يتعين عليها إخباري بحقيقة الأمر تحسبًا إذا حدث شيء لها. ها أنا أوشك على اكتشاف سرها الصغير القذر. فمن الواضح أنه قد حدث شيء مروِّع بالفعل لكني لا أعرف إن كان هذا له علاقة بفراني أم أنه مجرد سر عميق مُظلم خبيث؟

على الرغم من أن كافة الأحداث تبدو شديدة الاتصال ببعضها البعض إلا أن شعوري بأني على وشك الاقتراب من الحقيقة يربكني، فها أنا أكاد أقترب لأعرف بدوري ما حدث للفتيات وبدلاً من الإحساس بالراحة والاطمئنان أجد الألم يدق أحشائي وأحس بكل هذا القلق يتعاظم بدوره بداخلي. أعتقد أن فيفان قد اختبرت ذلك الشقاء من قبل عندما شرعت في كتابة تلك الكلمات في دفتر يومياتها. إنني خائفة جدًا، فممن الممكن ببساطة أن أكون على وشك التعثّر في شيءٍ خبيث خطير بالفعل! فبعد سنوات من البحث والدهشة ها أنا أقف على أعتاب الحصول على إجاباتٍ فعلية، علاوةً على ذلك أنا خائفة من أن مواصلة البحث والتنقيب قد تكشف لي شيئاً مريعاً قد لا أحِب رؤيته!

الفصل العشرون

طاردتني فيفان في أحلامي لتلك الليلة. في الواقع، لم يبد الأمر كما تلك الهلاوس التي كانت تُراودني في مرحلة الشباب. فلم أكن أعتقد أنها موجودة هنا بالفعل أو أنها عادت من العالم الاخر للتو. لكنه ثمة جودة سينمائية مُحددة تميزت بها تلك الأحلام- فقدت بدت تقريبًا كما أفلام الأبيض والأسود الهوليودية التي يحرص أبي على مشاهدتها في أمسيات الأحد.

بدت صورة فيفان تعبيرية أثناء ركضها في الغابة بجموحٍ تام كما لوحاتي الفنية ثم عادت بسرعة فائقة إلى إحدى تلك الجُزر القاحلة مُمسكةً بزوجين من المقصات ثم انتقلت بدورها إلى أحد القوارب مُنطلقةً إلى إحدى الضفاف التي يلفها الضباب بشكلٍ كامل حتى ضاعت بداخلها.

استيقظت بغتةً ثم تشبثت بالشوارِ السّحريَ الخاص بي في تلك اللحظة التي دوى فيها نداء الاستيقاظ في أرجاء المُخيّم. لقد اكتشفت أنني نمت نومًا عميقًا خلال تلك الليلة بأسرها ولدهشتي ارتجفت جفوني بشكلٍ مفاجئ مُدركةً نور الصباح المُشرق وقبيل أن أفتح عيني كاملةً رأيت شيئًا ما أقرب إلى تلك الظّلال الداكنة بنافذة المقصورة.

شعرت بغصة في حلقي فجأة، وها أنا أشعر بها تحجب أنفاسي في تلك اللحظة التي أراقب فيها أحدهم يهرب بسرعة بعيدًا عن نافذة الغرفة. لا أعرف مَن كان ذلك الشخص الذي وقف هناك في غموضٍ. كل ما رأيته هو هيأته المُظلمة. ابتلعت ريقي بصعوبةٍ بالغة عندما شاهدته يركض بعيدًا لكني حافظت على هدوئي فلم أكن أرغب في إيقاظ الفتيات وإخافتهم. لكنني وجدت ساشا تُحَدق في وجهي من فراشها العلوي، وعندما تأملت نظرتها أيقنت أنها لم تر ذلك الشخص الذي كان يتسلل خلسةً بالقرب من النافذة. فكل ما رأته هو وجهي الشاحب تمامًا كما غطاء الوسادة الأبيض بينما كنت أجلس مذعورةً في فراشي.

- لقد رأيت كابوسًا. قلتها على الفور.

- لقد قرأت من قبل أن سبب ذلك هو تناول الكثير من الطعام قبل النوم مُباشرةً. قالتها.

- من الجيد معرفة ذلك، أجبتها، على الرغم من يقيني أن أحلامي بفيفان كانت بسبب قراءتي ليومياتها ولم تكن بسبب تلك الكمية القليلة جدًا من الطعام التي تناولتها قبيل النوم في الليلة الماضية، فأنا واثقة أن ما شاهدته للتو لم يكن حلمًا على الإطلاق كما أنها لم تكن إحدى حيل مخيلتي أو خداعاً ضوئياً تمامًا كما حاولت أن أقنع نفسي بذلك في آخر مرة كنت فيها في المرحاض. لم أكن قادرة هذه المرة على إخراج هذا الموضوع من رأسي، بصرف النظر عن مدى رغبتي في فعل ذلك إلا أني واثقة من أنه ثمة شخص ما كان هنا. لا زلت أشعر بوجوده. ها هي أذني تتشبث بطنينٍ خفي قادم من خارج النافذة كما تتسارع نبضات قلبي استجابةً له. إنه يخبرني أنني لم أكن مخطئةً حيال الأمس.

أجل، لقد راقبني شخص ما أثناء وجودي في المرحاض حينها! تمامًا كما قام أحدهم بمحاصرة تلك الغربان داخل المقصورة، أضف إلى ذلك هذا الشخص الغامض الذي كان يُراقبني أثناء النوم! ها أنا أهز أكتافي في ذُعر وأشعر برجفة تتسلل بغتةً إلى نفسي، لو لم تكن الفتيات هنا لكنت أطلقت صرخةً في الفضاء فقط حتى أشعر ببعضِ التحشن ولكن بدلًا من ذلك ها أنا أنزلق إلى خارج الفراش وأتوجه ناحية الباب.

- إلى أين تذهبين؟، همست ساشا.

- إلى المرحاض.

ها أنا أكذب مُجددًا. فإذا بي أحاول الهرب سريعًا من الغرفة حتى أحافظ على هدوء ساشا، على الرغم من أنني لا أتصرف كما هي طبيعتي الغاضبة في مثل تلك الظروف فها أنا أهرع مُحاولةً أن أعرف هوية ذلك الشخص الذي كان يقف إلى جوار النافذة. ألتقي لتوي الكثير من الفتيات اللواتي خرجن على الفور من مقصوراتهن بعد سماع نداء الاستيقاظ وتأهبن لبدء اليوم بتذمرٍ واضح.

لقد توقفن جميعًا بمجرد رؤيتي، نظر إليّ البعض في فضول بينما حدق الاخرين بدهشةٍ بالغة وبعد القليل من الوقت انضم الباقون إليهم للقيام بنفس ردة الفعل. في تلك اللحظة التي مرت فيها كاسي إلى جواري مُمسكةً بسجائرها بحرص بين أصابعها أدركت أن تلك النظرات لم تكن مُوجهة نحوي لكنها كانت تتجه بدورها إلى المقصورة

الواقعة خلفي مباشرةً، وحينها استدرت ببطء لأرى ما الذي ينظر إليه الاخرون، في تلك الأثناء وجدت تعبيراتهم المصدومة الخائفة تلك التي لم تُوح بأي شيء جيد على الإطلاق، ولكن على الرغم من ذلك فإن فضولي قد أرغمني على الدوران حتى أصبحت أمام واجهة المقصورة الأمامية، تلك التي تم طلاء بابها الرئيسي باللون الأحمر، لقد بدا رطبًا جدًا كما لو كان جدولًا من الدماء الجارية! كما أنه شكل لتوه كلمة محددة واضحة والتي تمت كتابتها في كافة أرجاء المقصورة والتي بدت كما السكين التي تم غرسها بين الضلوع.

كاذبة.

ها هي فراني تقف أمام الحشد كما هي عادتها، لكنها تمنحهم هذه المرة خطابًا مختلفًا بدوره عن أي خطاب آخر، فها هي تقول:

- إذا قلت الآن إنني أشعر بالإحباط الشديد سوف أبخس بدوري حجم ما حدث، في واقع الأمر، أنا محطَّمة بالكاملِ الآن، فلن يتم التسامح مع أي نوع من أنواع التخريب والتدمير في مخيَّم نايتنجيل بعد الآن، وسوف تُغادر الفتاة المذنبة المسؤولة عن ذلك على الفور، ولكن بما أنكم هنا منذ بضعة أيام فحسب فيمكننا إذن مسامحة من قامت بذلك فقط إذا تقدمت واعترفت بما فعلته الآن، ربما لم تعرفن القواعد جيدًا، ولكن إذا تم كشف أمرها والقبض عليها لاحقًا، سيتم حظرها من القدوم إلى هنا مدى الحياة، لذا من فضلكم تحدثوا واعتذروا عما حدث وسوف ننسى أمر تلك الحادثة تمامًا ونمضي قُدمًا.

خيم الصمت على المكان بأسره ولم يكسره إلا بعض الشعال وكذلك صوت صرير كراسي مقهى الفتيات بين الحين والآخر، لم تتقدم أية فتاة لتعترف بحقيقة الأمر، ولم أكن بدوري أتوقع أن يحدث أمر كهذا، فأنا أعرف جيدًا أن الفتيات في سن المراهقة يفضلن الموت على أن يعترفن بأخطائهن. ها أنا أتفحص الحشد من مكاني ناحية الباب، وإذا بي أجد أن معظم الفتيات يقفن بوضعية تعكس انحناء رؤوسهن وشعورهن بالخزي والعار المشترك، وعلى الجانب الاخر كان هناك عدد قليل جدًا منهن ممن يقفن من دون أن يحدقن بعيونٍ واسعة بريئة وكان من ضمن هؤلاء كريستال وساشا بينما كانت ميرندا

الفتاة الوحيدة التي بدت على وجهها علامات الغضب الصريحة بسبب وقوع تلك الحادثة حيث إنها بدأت ترمي الفتيات من حولها بنظرات سخط واستياء لتبحث بينهن عن المذنبة، جدير بالذكر أن كلًا من لوتي وثيو وتشيت وميندي كانوا يقفون معًا على الجانب الآخر من الجدار الممتد.

أمسكت بي ميندي بينما كنت أحدق في وجهها ورمقتني بنظرة يعلوها العبوس، لقد بدا الأمر وكأنني قد دمرت خطتها في أن تسير الأمور في المخيم بسلاسة.

- حسنًا إذن، لقد أصبحت أكثر إحباطًا الآن، بعد تناول الإفطار سوف يعود الجميع إلى غرفته كما أنه تم إلغاء الدروس الصباحية حتى نبدأ في البحث في تلك المسألة جيدًا، قالتها فراني ثم اتجهت بدورها إلى قاعة الطعام برفقة بقية سكان النُزل، وعندما مضوا جميعًا إلى وجهتهم تلك، ربتت لوتي على كتفي وقالت:

- من فضلك يا أيما تعالي معنا.

لحقت بهم مُتجهين إلى مبنى الفنون والخزف المُجاور، وعندما دخل الجميع إلى الغرفة قامت لوتي بإغلاق الباب، وقد وقفت هناك مُتكورةً في إحدى الزوايا أقاوم الرغبة في الركض هربًا ليس من الغرفة فحسب بل من المُخيم بأسره، كانت يدي اليُسرى ترتعش منذ تلك اللحظة التي وقعت فيها عيني على تلك الكلمة التي تم نقشها على باب المقصورة، وها هي رؤوس الطيور الصغيرة المحيطة بالسوار الخاص بي لا تكف عن الدوران.

حسنًا يمكنني القول إننا أمام فوضى لا بأس بها! هل لديك أية فكرة يا إيما بخصوص من الذي قام بهذا الفعل؟

يمكن أن تتمثل الإجابة الوحيدة الواضحة أن من قام بذلك هو شخص ما في تلك الغرفة الآن، فالدليل الرئيسي يكمن في تلك الكلمة التي تم نقشها على باب المقصورة. فلقد كذبت بدوري في الماضي على كل هؤلاء الماكثين معي الآن في نفس المكان باستثناء ميندي فقط. عندما تفوهت بالترهات حول ثيو، وعندما قمت باتهامه بإلحاق الأذى بالفتيات، وعلى الرغم من أنه لم يقم أحدهم بمواجهتي بتلك الكلمة من قبل إلا أنني لست متفاجئة أبدًا من كونهم يعترفون بأني «كاذبة» بينهم وبين أنفسهم.

في الواقع، لا يمكنني أن ألومهم على ذلك. رغم هذا فأنا أومن بأنهم غير مسؤولين عما حدث، فهم من قاموا بدعوتي إلى هنا مُجددًا، وعلي أية حال فإن أعمال التخريب البسيطة تلك أبعد ما تكون عن سلالة هاريس وايت، فإذا أرادوا التخلص مني، يُمكنهم القيام بذلك بكل سهولة.

- لا أعرف، قلتها لهم مُحاولةً ألا أخبرهم بأي شيء يتعلق بذلك الشخص الذي رأيته عند النافذة هذا الصباح، يُمكنكم القول إنني مصابة بجنون الارتياب تمامًا كما تلك الحالة التي ناقشتها فيفان ساخرةً في دفتره يومياتها لكنني لم أكن متأكدة أنه بمقدوري أن أثق بأحدهم الان، لن أفعل ذلك إلا بعد أن أعرف ما الذي يحدث حقًا؟ فهناك احتمال ألا يُصدقني أحد بالنظر إلى تاريخ حالتي العقلية خلال السنوات الماضية، ومن الممكن أيضًا أن يطلبوا مني دليلًا إضافيًا لذا قلت على الفور:

لم أعرف شيئًا عن هذا الأمر إلا لحظة مغادرة الغرفة هذا الصباح.

استدارت فراني ناحية ابنها الأصغر ثم قالت:

- هل تفقدت الكاميرا يا تشيت ؟

- أجل، قالها مُزيحًا خصلات شعره من فوق عينيه ثم أضاف:

- في الواقع لا يوجد أي شيء بكاميرا المراقبة، وهذا إنذار بالخطر، فما من أي شيء ظهر على شاشة الكاميرا على الإطلاق.

- لكن من المؤكد أن أحدهم كان خارج المقصورة، فالباب لن يقوم بطلاء نفسه!، قلتها.

- هل الكاميرا تعمل الان؟، سألته فراني مُحاولةً إبقاء نبرتها هادئةً قدر الإمكان حتى تُسيطر بدورها على ارتيَابي المُتزايد.

أجل، قالها تشيت ثم أردف:

- من الممكن أن تكون كاميرا المراقبة قد تعطلت فجأة أو أن أحدهم عبث بها بالأمس، أعتقد أنه ليس أمرًا صعبًا أن يصعد أحدهم على السلم ويقوم بوضع أحد الأشرطة اللاصقة على أجهزة الاستشعار.

ألن يكون هناك فيديو يكشف عن ذلك؟، سأله ثيو.

- ليس بالضرورة، فقد تمت برمجة كاميرا المراقبة للتشغيل تلقائيًا في تمام الساعة 9 مساءً وإغلاقها في الساعة السادسة صباحًا، فمن المفترض أن أحدهم عبث بالكاميرا قبل الساعة التاسعة كما أنه أزال الشريط اللاصق في تمام الساعة السادسة صباحًا.

ثبتت فراني عينيها ذات اللون الأخضر على وجهي، وعلى الرغم من أن الظروف الراهنة قد خففت قليلًا من توتر ذلك إلا أنني لا زلت أشعر بأنني مُحاصرة تمامًا بنظرتها الحادة.

- هل أخبرت أحداً ما عن كاميرا المراقبة يا إيما؟

- لا، ولكن ليس معنى هذا أن الجميع لا يعرف بشأنها، فإذا تمكنت بدوري من ملاحظتها فإنه بمقدور الجميع فعل ذلك أيضًا.

- دعونا نتحدث أولًا عن الطلاء، فإذا عرفنا من أين جاء ربما حينها سيمنحنا هذا فكرة أفضل عن هوية الشخص الذي قام بذلك، قالها ثيو.

- إيما رسامة!، وهي الشخص الوحيد المسموح له بالحصول على الطلاء متى أرادت، قالتها ميندي بإبتِهاج شديد.

- في الواقع أنا لا أملك إلا طلاء الزيت! بينما الطلاء الموجود على باب المقصورة لا ينتمي إلى ذلك النوع، فآليته لا تعمل على هذا النحو، ولكن إذا كان يتعين عليّ أن أقوم بعملية تخمين يمكنني القول إذن أن الطلاء المُستخدم على الباب هو طلاء الأكريليك، قلتها بعد أن رمقت ميندي بنظرةٍ غاضبة.

- ما هي الأغراض التي يُستخدم فيها هذا الطلاء؟، سأل ثيو.

انظر إلى مركز الغرفة حيث كانت محطة العمل الخَاصة بكاسي، هناك حيث تكتظ الخزائن بالمزيد من الإمدادات ثم قلت:

- يُستخدم في الحرف.

ها أنا أنحدر باتجاه الطاولات المُستديرة وأتوجه إلى المقصورة المُجابهة للحائط بالخلف، وأجد لتوي مجموعة من زجاجات الطلاء البلاستيكية وأقوم بفتحها على الفور. تلك الزجاجات الشفافة التي تعكس محتوياتها، فلقد

كانت جميعها ممتلئة فيما عدا زجاجة واحدة وهي التي كانت تخص الطلاء الأحمر الأساسي كما أنه كانت هناك سلة مهملات في الجوار، تلك التي ذهبت إليها على الفور وبدأت في تفقدها وحينها عثرت على فرشاة ذات حجم متوسط، فقد كان الطلاء الأحمر يتشبث بشعيرات الفرشاة التي لا زالت رطبة مُبللة.

- أترون ؟ إنه ليس طلائي وليست الفرشاة الخاصة بي أيضًا!

- إذن لا بد من أن هناك شخصاً ما قد تسلل إلى هنا باكرًا هذا الصباح وقام باستخدام هذا الطلاء، قالها ثيو.

- لقد كان الباب مُغلقًا طوال الليل، قالتها لوتي.

- ربما يكون كذلك وربما كان يُفترض بآخر شخص غادر المكان أن يغلقه لكنه نسي ذلك أو ربما كان الشخص الذي قام بالكتابة على الباب يملك مفتاحًا أصلًا، أضاف تشيت.

هزت لوتي رأسها.

- الأشخاص الوحيدون الذين يملكون مفاتيح تلك الغرفة هم أنا وفراني وبين، وليس من الممكن أن أقوم أنا أو لوتي بشيءٍ من هذا القبيل كما أن بين وصل لتوه بعد اكتشاف أمر الطلاء.

- إذن هذا يعني أن الباب لم يكن مُقفلًا أصلًا، قالها ثيو.

ربما لا، فلقد رأيت إيما تتجول في المكان خلسةً بالأمس بعد أن رحل الجميع لتناول وجبة الغذاء.

حدق الجميع في وجهي، ولقد شعرت حينها أنني على وشك الذوبان خوفًا ، تراجعت خطوة للوراء وجلست على أحد تلك الكراسي الخشبية وتعثرت به ثم سقطت جالسةً عليه، وحينها نظرت ميندي إليَ كم لو كانت تريد أن تقول إن كل هذا الاتهام قد آلمها كثيرًا.

- هل حقًا تعتقدين أنني من قمت بذلك؟ ولماذا أقوم بتخريب باب غرفتي؟

- ولماذا قمتِ بالكثير من الأشياء من قبل؟

على الرغم من أن ميندي كانت هي من طرحت ذلك السؤال للتو إلا أنني شعرت في أعماقي أن الجميع طرح نفس السؤال سرًا حتى وإن لم يتم إعلانه لي مباشرةً، لقد تجلى ذلك بوضوح في نظرات فراني وفي ذلك الضوء الأحمر الذي أظهرته كاميرا المراقبة عندما كنت على وشك

دخول المقصورة.

لقد كنت أعلم جيدًا أنهم جميعًا قد قاموا بمسامحتي، لكن هذا لم يكن يعني أنهم يثقون بي! باستثناء ثيو الذي قال حينها على الفور:

- إذا قالت إيما إنها لم تفعل ذلك فأنا أصدقها بالطبع، والسؤال الذي يتوجب علينا طرحه هنا هو لماذا قد يقوم أحدهم بفعل ذلك لها؟

إنني أعرف إجابة ذلك السؤال، ولكن لا يمكنني بدوري أن أصرخ بها بصوتٍ عال، فلقد كان ذلك مُنعكسًا في ارتجاف يدي، فهناك شخص ما يعلم جيدًا بما حدث من قبل في مُخيّم نايتنجيل، ولهذا السبب على وجه التحديد تمت مراقبتي أثناء الاستحمام داخل المرحاض كما أنه هو المُتسبب كذلك في حبس الطيور الثلاثة بداخل الغرفة، من المؤكد أيضًا أن ذلك الشخص الذي يعرف كل ما حدث هو مَن كان يقف عند النافذة وكذلك فإنه من قام بتلطيخ باب المقصورة، لقد كانت تلك هي طريقته الوحيدة ليُخبرني أنه يعرف ما فعلته ليس لثيو ولكن ما قمت به للفتيات.

جعلني ذلك الإدراك أجلس مُتصلبة على الكرسي المُتهالك حتى بعدما غادر الجميع الغرفة إلا أن ثيو نظر إليّ قبل خروجه بعد أن توردت وجنتاه قلقًا وسألني:

- هل أنتِ بخير؟

- لا، قلتها بعد أن تخيلت وجوه فيفان وناتالي وأليسون البارزة على سطح لوحاتي الفنية وكأن كل واحدة منهن تنتظر تلك اللحظة التي سوف أقوم فيها بإعادة تغطيتها مُجددًا، فلقد جئت إلى هنا تحديدًا لأني لم أعد أرغب في مواصلة هذا الفعل بعد الآن فأنا أرغب أن يكون ضميري مرتاحًا، لكنه ليس بإمكاني الآن التنبؤ بقضاء ستة أسابيع كاملة في هذا المكان، فذلك الشخص الذي يقوم بمراقبتي سوف يواصل بدوره إرسال المزيد من الرسائل التذكيرية تدريجيًا، فكل ما أخشاه حقًا أن تكون مسألة حبس الطيور والكتابة على باب المقصورة هي البداية فحسب، فإذا كان هناك إجابات يتواكب عليَ الحصول عليها فإنه يجدر بي حقًا القيام بذلك بأقصى سرعة.

- أريد أن أخرج من هذا المكان لفترة قليلة من الوقت

- إلى أين تنوين الذهاب؟، سألني ثيو
-إلى المدينة، قلتها وأنا أفكر في يوميات فيفان ورقم الاستدعاء الخاص بالكتاب سابق الذكر.

قبل خمسة عشر عامًا

كانت حالة محطة الراديو تمامًا كحال كل شيء يتعلق بتلك الشاحنة العتيقة، فقد شهدت بالطبع أيامًا أفضل، فتلك الموسيقى التي انبعثت من السماعات بدت مُشوشة وتتخللها الكثير من الأصوات المختلطة الفزعجة، وعلى الرغم من أن كل هذا لم يبد مهمًا أبدًا إلا أنه لم يكن بمقدوري أنا وفيفان العثور على أية محطة إذاعية سوى تلك التي قدمت عرضًا للموسيقى الريفية وقد ظل صوت الجيتار المعدني وآلة الكمان مُصاحبًا لنا طيلة رحلتنا خارج مُعسكر نايتنجيل.

إذن لماذا نقوم بذلك مُجددًا ؟، سأل ثيو في تلك اللحظة التي غادرت فيها الشاحنة مدخل المُخيم مُقوس الشكل.

- لأنني بحاجة إلى شراء بعض مساحيق النظافة والمنتجات الصحية التي تخص النساء، قالتها فيفان.

آوه! هذا هو آخر ما أرغب في معرفته حقًا، قالها ثيو ثم سألني:

- وماذا عنك يا إيما؟

- في الواقع أنا هنا من أجل مرافقتكما في الرحلة فقط.

لقد كنت كذلك بالفعل، فلقد كان عليَّ أن أنتظر بقية الفتيات في الخارج أمام قاعة الطعام الكبيرة بينما كنت أنفض الغبار الذي سببته حبوب اللقاح الخاصة بباقة الزهور التي منحتني إياها فيفان هذا الصباح ثم خرجت ناتالي برفقة أليسون فجأة.

- فيفان بحاجتك، قالتها أليسون.

لماذا؟

- لم تقل.

حسنًا ، أين هي؟

أشارت ناتالي ناحية مبنى الحرف والفنون وقالت:

- هناك.

عندما توجهت إلى هناك وجدت فيفان برفقة ثيو وكان كلاهما يقف إلى جوار تلك الشاحنة القديمة الخضراء.

كانت فيفان بالداخل تقرع الهواء بأصابعها الخرة عبر فتحة النافذة بينما كان ثيو يجلس في مقعد السائق مُشبكًا ذراعيه.

- مرحبًا أيتها المتأخرة! هيا اصعدي!

جلست بين فيفان وثيو حيث كانت أجسادهم تحتك بجسدي كلما مرت الشاحنة في طريقها الممتلئ بالخفر كما أن ثيو كان يلمسني من دون قصد مرارًا وتكرارًا أثناء رحلتنا تلك كلما مضت الحافلة في طريقها أثناء محاولته الإمساك بعجلة القيادة وإدارتها.

جعلني هذا الاحتكاك المُباغت أشعر باضطراب المعدة ووجع القلب، لقد شعرت وكأن الموقف برمته يفوق احتمالي وقدرتي على الاستيعاب، فلقد كان ثيو يملك جسدًا جامحًا ضخمًا لا يُقارن بجسدي الهزيل، ولقد استمر الحال على هذا المنوال طوال الرحلة حتى وصلنا إلى تلك المدينة التي لم يكن لديها ما يُميزها عن أي مدينة أخرى سوى ضآلة حجمها الواضحة، أضف إلى ذلك أن العقبة الرئيسية كانت تتمثل في واجهات المحال والمتاجر الغريبة وذلك اللون الأزرق الذي كان يكسي الشرفات.

لقد عبرنا تلك المدينة المُخضبة باللونِ الأخضر والتي تكشف عن المزيد من النصب التذكارية الحربية وتقوم باستعراض المواكب العسكرية نهارًا بينما تشرع في القيام بالألعاب النارية ليلًا.

قام ثيو بإيقاف الشاحنة ثم قفزت أنا وفيفان وتظاهر كلانا أن الرحلة كانت غير مُريحة على الإطلاق بالنسبة لنا وذلك أفضل من أن يظن ثيو أنني استمتعت بلمسه لجسدي عن دون قصد بين الحين والآخر.

تأهبت فيفان لعبورِ الشارع متوجهةً صوب إحدى تلك الصيدليات القديمة في الزاوية ثم قالت:

- أراكم بعد ساعة أيها الفاشلون!

- ساعة؟، سألها ثيو.

واصلت فيفان السير ثم قالت:

- إنني أخطط للاستمتاع بحريتي قليلًا ثم سأذهب من أجل التسوق وربما أشتري حينها لنفسي شيئًا جميلًا، يمكنك أن تذهب برفقة ايما لتناول الغذاء أو شيءٍ من هذا القبيل، قالتها ثم مضت قُدمًا ناحية الصيدلية من دون أن

تتفوه بحرفٍ آخر. لقد راقبتها عبر النافذة ثم وجدتها تقف أمام أحد محالّ النظارات الشمسية الرخيصة وقد قامت بتجربة زوجين من النظارات على هيئة قلب.

- حسنًا، لم يعد سوانا هنا الآن، هل أنت جائعة؟

توجهنا معًا لتناول الغذاء في أحد أكشاك الطعام القريبة من النافذة، فقد أراد ثيو تناول شطيرة اللحم بالجبن والبطاطا المقلية ومخفوق الحليب بالفانيليا، وقد تناولت الوجبة ذاتها باستثناء مخفوق الحليب الذي لم تكن فيفان لتوافق على تناوله ولو بعد ملايين السنوات.

في تلك اللحظة التي كنا ننتظر فيها الطعام، بدأت أحدق عبر النافذة ناحية تلك السيارات التي سارت في اتجاهاتٍ مُتقاطعة ببطءٍ شديد وتأملت بدوري أيضًا الشارع العريض فقد كشفت تلك النوافذ المُنخفضة المُقوّسة المزيد من الأطفال، والكلاب والأمهات اللواتي كن يسرن على عجل خلف عربات أطفالهن.

لم أكن قادرة على النظر في عين ثيو مُباشرةً حتى في تلك اللحظة التي جلست فيها أمامي حول مائدة الطعام، ففي كل مرة كنت أحاول فيها اختلاس النظر إليه كنت أتذكر على الفور صورته داخل المرحاض، فلم تُغادر رأسي صورة جسده الجميل اللامع الممشوق القوي، وكلما تذكرت ذلك أحسست بخجلٍ شديد خلف بدوره بعض الدفء ناحية وجهي ومعدتي وبين ساقي. إنني أتساءل حقًا لو أن فيفان كانت تعلم أن هذا سوف يحدث عندما شجعتني على النظر عبر تلك الفتحة الموجودة بين ألواح الصنوبر الخشبية في المرحاض، لكنني تمنيت سرًا ألا يكون هذا صحيحًا لأن فيفان ليست شريرة بطبعها وإن كانت تبدو كذلك في بعض الأحيان، فهي أختي الكُبرى خلال فترة ذلك المُخيّم الصيفي.

جلست هناك برفقة ثيو أستمع إلى تلك الأغاني الكلاسيكية القديمة المُنبعثة من صندوق الموسيقى الذي تم تثبيته في إحدى الزوايا. لقد أدركت في تلك الأثناء أن الرحلة برمتها كانت مجرد محاولة اعتذار أخرى من جانب فيفان حتى أقضي الكثير من الوقت برفقة ثيو بمفردنا، ويمكنني القول إن طريقة الاعتذار تلك كانت أفضل من تقديم باقة الزهور.

- هل يعجبك مخيم نايتنجيل؟، سألني ثيو بمجرد وصول الطعام.

- أجل، أحب المكان هنا، قلتها بعد أن قمت بقضم قطعة من البطاطا المقلية كما لو كنت أرنبًا.

- ستفرح أمي كثيرًا بمعرفة ذلك.

- هل يعجبك المكان هنا؟، سألته بعدما تناول ثيو قضمة من شطيرة اللحم وترك القليل من الكاتشاب يسيل من أحد زوايا فمه.

لقد قاومت تلك الرغبة المُلحة حتى أقوم بإزالته نيابةً عنه بطرف اصبعي .

أجل، أحبَ ذلك المكان، ولسوء الحظ سيكون ذلك آخر صيف يمكنني قضاؤه هنا في نايتنجل وذلك لأني سأبدأ في الحصول على المزيد من التدريبات الخاصة، فالجامعة تُبقيك مُنشغلًا طيلة الوقت تقريبًا تحديدًا إذا كنت طالبًا إبتِدَائِيًا في إحدى كليات الطب.

- هل ترغب أن تصبح طبيبًا؟

أجل، هذه هي الخطة، أود أن أصبح طبيب أطفال.

- إنه أمر رائع حقًا أنك ترغب في مساعدة الناس.

- وماذا تريدين أن تصبحي في المستقبل؟

- أعتقد أنني أود أن أكون رسامة.

في الواقع لا أعرف لماذا قلت ذلك حينها، فبالطبع لم تكن لديَ تلك الطموحاتِ الفنية التي باتت لديَ الآن، لكنني اعتقدت أن تلك المهنة ربما تكون الأكثر مُلائمةً لامرأة طبقًا لتفكير ثيو، لقد كانت شيئًا ذكيًا ومتطورًا مغمورًا بروح الثقافة والعصرية كما لو كانت جزءًا من فيلمٍ ما.

- ايما دافيس الفنانة التشكيلية الكبيرة! العبارة حقًا تحمل نغمتها الخاصة!، قالها ثيو مُبتسمًا مما جعل ساقي ترتجف من دون توقف.

- ربما سأتي يومًا إلى افتتاح أحد معارضك الفنية.

فجأة، تمكنت من رسم خطتي المستقبلية خلال ثواني معدودة، وقلت لنفسي أنه من المفترض أن نبقى على اتصال بعد انتهاء عطلة الصيف كما أنه يجدر بنا تبادل الرسائل معًا، تلك التي ربما ستصبح ذات معنى بالنسبة لنا مع مرور الوقت، وحينها من الممكن أن نكشف عن مشاعرنا

وسوف نقوم بممارسة الحب لأول مرة عندما أصبح في الثامنة عشرة ربما في أحد تلك الغرف الغريبة الفضاءة بالشموع، وسوف نظل مخلصين لبعضنا البعض حتى عندما أذهب إلى مدرسة الفنون ويقوم ثيو بإنهاء برنامج إقامته الخاصة، وحينها سوف نتزوج وسوف يحسدنا الجميع على علاقتنا الاستثنائية الغرامية. على الرغم من غرابة تخيلاتي تلك إلا أنني اعتقدت أنها قد تصبح حقيقة يومًا ما، لقد كنت ناضجة بالنسبة لعمري أو ربما اعتقدت ذلك فحسب.

لقد كنت رائعة وذكية كما كانت فيفان لذلك فقد عرفت كيف كان لها أن تتصرف على وجه التحديد إذا كانت في نفس موقفي لذلك عندما حاول ثيو أن يرتشف القليل من مخفوق الحليب قمت على الفور بانتزاع تلك الماصة الخاصة به وشرعت في ارتشاف بعض المخفوق عن طريقها.

كانت حركة جريئة للغاية إلى هذا الحد الذي لم يجعلها تُشبهني. توردت وجنتاي عندما نظرت إلى تلك الماصة خاصته ووجدت بعض بقايا أحمر الشفاه مطبوعة عليها، على الرغم من ذلك إلا أني شعرت وكأنه لا زال في جعبتي الكثير لأقدمه له، فلقد شرعت في القيام بشيءٍ لم أحاول حتى أن أفكر في القيام به في السابق، لكنني تعمدت ألا أفكر هذه المرة، فقد اكتفيت بالتصرف على الفور حيث إنني أغمضت عيني ببساطة شديدة واقتربت من فم ثيو وقمت بتقبيله، وحينها تراجعت مُبتعدةً عنه لكنني أبقيت عيني مُغمضة تمامًا كما كانت. في الواقع، لم أكن أرغب في النظر إلى وجه ثيو، لم أكن أرغب في رؤية ردة فعله على الإطلاق، لم أكن أود أن أقوم أيضًا بكسر تعويذة هذا السّحر الذي وقعت بدوري أسيرة له، ولكنه أنهى ذلك على أي حال عندما قال بنعومة:

- إنني أشعر بالإطراء حقًا يا أيما ولكن...

- لقد كنت أمزح فقط، قلتها على الفور قبل أن أدعه يُكمل حديثه مع إبقاء عيني مُغمضة بينما كان قلبي يعتصر ألمًا بداخل صدري.

-لقد كانت مزحة! هذا كل ما في الأمر.

لم يتفوه ثيو بحرف، ولهذا السبب قمت بفتح عيني ثانية

ونظرت باتجاه النافذة في تلك اللحظة التي رأيت فيها فيفان على الجانب الاخر، لقد كان قدومها بمثابة مفاجأة غير سارة، كانت تقف على رصيف المشاة مُرتديةً إحدى تلك النظارات الشمسية الرخيصة التي كانت على شكل قلب، وعلى الرغم من أني لم أكن قادرة على رؤية عينيها وراء تلك العدسات الداكنة إلا أن تلك الابتسامة المرسومة على وجهها أوضحت أنها قد شاهدت كل شيء. في الواقع لم أكن أعرف إن كانت سعيدة بسبب رؤيتها لذلك المشهد أم إنها فقط كانت تتسلى بما تراه، إلا أنني اعتقدت أنها كانت تشعر بالأمرين معًا، فالأمر يُشبه تمامًا مشاعرها المُختلطة أثناء لعبة حقيقتين وكذبة، فكان من الصعب حقًا مُلاحظة الفارق.

الفصل الحادي والعشرون

يجدر بي القول إن عذر ذهابي إلى المدينة كان يتمثل في رغبتي في الحصول على وصفة طبية محددة من أجل أحد أدوية الحساسية التي نسيت إحضارها معي إلى المخيم. أعرف أن ما قلته ليس أكثر من مجرد كذبة أخرى، لكني في تلك المرحلة كنت قد غادرت عربة الحقيقة تمامًا، ورغم ذلك إلا أنني وجدت الأمر مبررًا لأنه قد منحنى فرصة العودة إلى المقصورة من أجل إحضار حقيبة الظهر الخاصة بي وكذلك دفتر يوميات فيفان.

لقد تم إزالة طلاء الباب تمامًا في تلك الأثناء ولم يبق أي دليل على وجوده السابق سوى قطعة من الخشب التي تم تنظيفها حديثًا ورائحة طلاء زيت التربنتين التي تُدغدغ الأنوف بلا رحمة. ها أنا ثانيةً برفقة ثيو في تلك الشاحنة الخضراء التي نقلتنا يومًا إلى خارج مُخيّم نايتنجيل منذ خمسة عشر عامًا.

في الداخل، كان الصمت يُخيّم على المكان كما أن إذاعة الراديو سابقة الذكر باتت مُحطّمة الآن. ها هو ثيو لا زال يقود بيدٍ واحدة بينما يتدلى مرفق يده اليُسرى من النافذة المفتوحة. أواصل بدوري التحديق باتجاه طريق الغابات أثناء مُغادرة المعسكر مُراقبةً تلك الأنوار الخافتة التي تتألق بين فروع الأشجار المُتلاصقة.

في الواقع، يمكنني أن أعترف أنني كنت قد تجاوزت مسألة غضبي السابق من ثيو نتيجة قيامه بوضع كاميرا مُراقبة أمام مقصورتنا، فلم يكن صمتي نابعًا من الغضب بقدر ما كان إشارة على الشعور بالذنب، فهذه هي المرة الأولى التي نمضي فيها الوقت بمفردنا بعد أن علمت بشأن انهياره العصبي، ولهذا السبب على وجه التحديد لم أكن واثقة كيف يمكنني أن أتصرف؟ فهناك الكثير من الأمور التي أردت أن أسأل عنها، لقد أردت أن أعرف مثلًا إن كان قد شعر بالوحدة خلال فترة الستة أشهر الماضية التي قضاها في مركز إعادة التأهيل تمامًا كما كان حالي عندما قضيت مدتي في أحد مستشفيات الأمراض العقلية، أردت أن أعرف أيضًا إن كان يتذكرني في كل مرة ينظر فيها إلى المرآة ويجد ندبته تلك؟ تلك الأسئلة الكثيرة التي جعلتني أقرر أن الصمت هو الخيار الأمثل.

اصطدمت الشاحنة بطريق تملؤه الأخاديد والمطبات مما جعلنا نرتد في مقاعدنا، وفي تلك اللحظة التي لامست فيها ساقي ساقه انحرفت بدوري على الفور ناحية باب الرّكاب ثم قلت:

- أسفة جدًا، تلك العبارة التي تلاها صمت من هذا النوع الثقيل المُحمّل بالعديد من الأمور التي لم يتم الإفصاح عنها بعد.

يبدو أن وطأة الموقف باتت غير مُحتملة على الإطلاق بالنسبة لثيو لذا قال بغتةً:

هل يمكننا أن نبدأ من جديد؟

قطبت جبيني مُرتبكةً ثم سألته:

- هل تقصد أن نعود مُجددًا إلى مُخيّم نايتنجيل؟

- كلا بل أقصد أن نعود إلى نقطة البداية، لنتظاهر أننا عدنا إلى حيث كنا منذ خمسة عشر عامًا وأنك قد جئت للتو إلى مُعسكَر نايتنجيل، قالها ثيو ثم ابتسم لي تمامًا كما حدث في المرة الأولى وقال:

- مرحبًا أنا ثيو.

في الواقع أنا مُندهشة جدًا بسبب قدرته الهائلة على التسامح، ربما قد غادره كل هذا الغضب والمرارة في تلك المرة التي اصطدمت فيها سيارة بالشجرة خلال ذلك الحادث سابق الذكر، على أية حال، لقد كان ثيو أفضل مني فمن المفترض أن يصبح رد فعلي التلقائي إذن أقوم بدور تلك الفتاة المتضررة الآن لكونها ألحقت الأذى بأحدهم من قبل، تلك المسألة التي يعرفها ثيو جيدًا.

- لك مُطلق الحرية في ذلك، قالها ثيو.

في الواقع لم يكن هناك شيء ما أحب إلى نفسي من أن أقوم بمحو كل شيء حدث ما بين تلك الفترة الماضية والراهنة، فلم أكن أتوق حقًا إلا لتجديد ذلك الوقت لأعود إلى هذا الزمن الذي تواجدت فيه فيفان وناتالي وأليسون، وكان حينها ثيو الشاب الأكثر وسامة وخفّة على الإطلاق، وكنت حينها مجرد فتاة بريئة لديّ فضول هائل بشأن المُخيّم، لكن الماضي يتشبث بالحاضر.

لا زالت تلك الأخطاء والإهانات تُلاحقنا حتى الآن كلما تقدمنا إلى الأمام رغمًا عنا، فلا يمكننا أبدًا تجاهلها بأي حال من الأحوال.

- أشكرك لقيامك بهذا، لكني أشعر بأنه وضع غير مريح بالنسبة لي، قلتها على الفور بينما حاول ثيو إبقاء عينه على الطريق محاولًا إخفاء كم الإحباط وخيبة الرجاء الذي جعلته يشعر به للتو مجددًا.

- ليس هناك مشكلة على الإطلاق، في الواقع يتعين علي الذهاب إلى المدينة في كل الأحوال فقد أعطتني لوتي قائمة بالأشياء التي ترغب في شرائها من مخزن المعدات وكما تعلمين أن لوتي تحصل دائمًا على ما تطلبه فهي الشخص الوحيد الذي يقوم بإدارة هذا المكان، لطالما كانت كذلك.

عندما وصلنا إلى المدينة، أدركت أنه ما من تغيير كبير قد طرأ على المكان، على الرغم من أن سحر تلك المدينة قد زال تمامًا، فما من أعلامٍ وطنية تم وضعها في الشرفات كما أن واجهات المحال التجارية كانت فارغة كما أن المطعم المحلي الصغير لم يكن موجودًا وقد حل محله متجر لبيع الكعك المُحلى.

بقي متجر الأدوية كما كان في السابق، على الرغم من أنه بات الآن جزءًا من سلسلة متاجر كُبرى، وقد تم تدوين الاسم بأحرفٍ حمراء مُبهجة فوق ذلك الطابق الحجري.

- بعد أن أقوم بإنهاء ذلك، سوف أتوجه بدوري للقيام بجولة سريعة في المكتبة كما أنني بحاجة إلى مكان مُزوَّد بخدمة إنترنت جيدة حتى يُمكنني تفقد رسائل العمل الإلكترونية، قلتها مُستهدفةً الحصول على بعض المرح وكأن الفكرة قد خطرت على بالي للتو. أعتقد أنني نجحت في التظاهر بذلك لأن ثيو لم يُشكك في تلك الفكرة وبدلًا من هذا قال بشكلٍ تلقائي:

- حسنًا، بالطبع سوف ألتقيك هناك في غضون ساعة.

ظل ثيو جالسًا بداخل الشاحنة الضخمة يُراقبني في صمت، وهذا في حد ذاته لم يمنحني أي خيار سوى مواصلة المشي والتقدم ناحية المتجر الرئيسي، وعلى الرغم من علمي أن رحلة العودة قد تبدو مسألة مشكوكاً فيها إذا لم أحمل برفقتي حقيبة من هذا المكان، وبناء على ذلك فقد قضيت بضع دقائق أبحث بداخل الرفوف عن شيءٍ صغير يمكنني شراؤه، وفي نهاية المطاف قمت بشراء أربعة أجهزة صغيرة من أجل شحن أربعة هواتف،

فقد فكرت في جلب أحدهم لي والثلاثة الاخرين من أجل هواتف الفتيات المقيمات برفقتي في الغرفة. لن تعرف فراني أبدًا بذلك الأمر وحتى لو تمكنت من كشف الأمر فلم يعد هذا يهمني بعد الآن. عندما وقفت أمام ماكينة النقود، لاحظت وجود هذا الرف الدوار من النظارات الشمسية، ذلك النوع المزوّد بمرآة في الأعلى حتى يتمكن الزبائن من النظر في ظلاله الخافتة. قمت بفحصه وحينها وجدت ماركة نظارات رايبان المُقلّدة وغيرها من النظارات الرخيصة البلاستيكية الحمراء التي تم تزويدها بإطاراتٍ على شكل قلوب.

ها أنا أقوم بإخراج إحدى تلك النظارات الشمسية وأضعها بين يدي مُحاولة أن أتذكر النظارات التي قامت فيفان بارتدائها خلال تلك الجولة التي قمنا بها معًا منذ زمنٍ طويل، لقد قضيت طيلة تلك الجولة أتساءل فيما كانت تُفكّر فيه. لقد قالت بدورها القليل حينها أثناء رحلة العودة مُفضلةً التحديق عبر النافذة المفتوحة بدلًا من أن تتفوه بأي حرف مُستمتعةً بذلك النسيم الذي أزاح خصلات شعرها الأمامية بعيدًا عن وجهها الناعِم. ها أنا أقوم بتجربة إحدى تلك النظارات المُقلّدة ثم أنظر في المرآة الأمامية لأرى كيف أبدو، لقد كانت هيئة فيفان تبدو أفضل مني، كان ذلك أمرًا لا شك فيه على الإطلاق، بينما بدت تلك النظارات في غاية السخافة على وجهي، لقد بدوت كامرأة على أعتابِ عقدها الثالث من العمر والتي تحاول ارتداء أشياء تم تصميمها خصيصًا لمن هم في نصف عمرها!، لقد قمت بوضع النظارة الشمسية على الطاولة على أية حال ثم شرعت في دفع المبلغ النقدي وقمت أيضًا بوضع أجهزة شحن الهواتف داخل حقيبة الظهر الخاصة بي.

بدت النظارات الشمسية مُهترئة الشكل بمجرد خروجي من المتجر الرئيسي كما أنها انزلقت إلى أعلى جبهتي من أجل تثبيت خصلات شعري تمامًا في مكانها. أعتقد أن فيفان كانت لتُعجب بها. لاحقًا، توجهت بدوري إلى غرفة المكتبة والتي تقع على بُعد بناية واحدة من الشارع الرئيسي.

جدير بالذكر، أنني قد مررت إلى جوار عدد من الطاولات الخشبية الصفراء و عدد هائل من كبار السن الجالسين

حول حواسيبهم المكتبية وظل الوضع هكذا حتى وصلت إلى القسم المخصص للمراجع، وهناك على وجه التحديد، أرشدتني أمينة المكتبة اللطيفة والتي تُدعى ديانا إلى قسم الكتب غير الخيالية ثم شرعت في تفقد رفوف المكتبة للبحث عن كتاب رقم الاستدعاء الخاص به هو 150.97768 غربًا.

لقد عثرت عليه بالفعل موضوعًا بين عدد آخر من الكتب على هذا الرّف المكتبي والذي يخص المرض العقلي وطرق علاجه!، في الواقع لم يُربكني موضوع الكتب بقدر ما أربكني العنوان نفسه، فاسم الكتاب هو «عصور الظلام»: النساء والأمراض العقلية في القرن التاسع عشر والذي قامت بتأليفه أماندا ويست. لقد كان غلاف الكتاب صارخًا حيث إنه كان عبارة عن حروفٍ سوداء على خلفية بيضاء، لقد بدا أقرب إلى فترة السبعينيات حيث تمت طباعة الكتاب في تلك المرحلة كما أن الناشر كان إحدى تلك المطابع المتواضعة الخاصة بإحدى الجامعات والتي لم أسمع عنها من قبل وهذا قد زاد من حيرتي حينها، وأخذت أتساءل كيف تمكنت فيفان بدورها إذن أن تعرف بوجوده أصلًا!

ها أنا أمسك بالكتاب و أصطحبه إلى مكانٍ مُنعزِل بإحدى زوايا المكتبة ثم ألتقط أنفاسي بصعوبة بالغة قبل أن أقوم بفتحه. لقد قرأت فيفان هذا الكتاب من قبل كما أنها حملته بين يديها قبيل بضعة أيام من اختفائها الغامض! إن معرفة ذلك تجعلني أود أن أبادر بإعادته مُجددًا إلى مكانه على الرف والمغادرة على الفور إلى المُخيّم برفقة ثيو. لكنني لم أستطع فعل ذلك، لقد كنت بحاجة ماسة إلى فتح هذا الكتاب ورؤية ما رأته فيفان لذلك شرعت في هذا على الفور، وعندما فتحت الصفحة الأولى وقعت عيني على صورة قديمة جدًا كلاسيكية لامرأة شابة ترتدي سترة المختلين عقليًا كما أنها بدت نحيلة للغاية كما لو كانت جلدًا على عظم، أضف إلى ذلك تلك الهيئة الفوضوية لشعرها الأشعث، على الرغم من أن نظرتها كانت موحية بالتحدي كما أنها كانت شديدة الاتساع إلا أنها بدت وكأنها تستجدي عطف المصور الفوتوغرافي حتى ينظر إليها ويتفهم مأزقها! إنها صورة مرّوعة حقًا تمامًا كما ركلة مُباشرة في المعدة! لقد شعرت بغصّة في حلقي والتي

جعلتني أسعل على الفور.

كان هناك تعليق توضيحي تم تدوينه أسفل الصورة والذي بدا حزينًا وغامضًا في أن:

نزيلة مصحة للأمراض العقلية مجهولة الاسم، عام 1887

ها أنا أقلب الصفحة على الفور شاعرةً بالعجز التام عن مواصلة النظر إلى صورة تلك المرأة لفترةٍ أطول، لقد شعرت وكأني آخر شخص في هذا العالم بمقدوره النظر إلى صورة تلك المرأة مجهولة الاسم لفترة أطول من الوقت.

أعتقد أنني أيضًا خذلت تلك المرأة على طريقتي الخاصة. فها أنا أمضي قُدمًا مُتصفحةً ذلك الكتاب والذي يعكس بدوره أحد تمارين المازوخية، فهناك الكثير من الصور الفوتوغرافية بالإضافة إلى العديد من التسميات التوضيحية والحكايات التي تخص نساء تم تشخيصهن بالمرض العقلي نتيجة تعنيف أزواجهن لهن أو لأن عائلاتهن لا ترغب في وجودهن بعد الآن، فالمجتمع الراقي المتحضر يرفض رؤيتهن بين أفراده.

جدير بالذكر أنه كان هناك المزيد من الحالات التي تعرضت للضرب والاعتداءات والتجويع والحماماتِ الباردة وفرك أجسادهن رغمًا عنهن بالفُرش السلكية كما أن هناك الكثير من الحالات التي لم تر نور الشمس طيلة أشهر طويلة، ففي كل مرة كنت أجد نفسي أُحدِّق لاهثةً في تلك الأهوالِ الفريعة كنت أقول لنفسي كم أنا محظوظة، فلو كنت وُلدتُ قبل مائة عام لكنت تعرضت لهذا أيضًا، ولكنت أصبحت إحدى أولئك اللواتي تمت إساءة فهمهن وتعرضن للألم والمعاناة، وربما كنت لأتمنى حينها من أعماق قلبي أن يكتشف أحدهم لماذا قام عقلي بخيانتي وأن يكون قادرًا على إصلاحه.

لم تستمع أي امرأة منهن بقدرها سابق الذكر، فقد عشن حالة مستمرة من العذاب والمعاناة حتى لاقت كل واحدة منهن حتفها، وعلى الرغم من أن جنوني كان مؤقتًا إلا أن شعوري بالخزي والعار قصة أخرى، بعد أن قضيت حوالي نصف ساعة أتصفح هذا الكتاب الفريع وصلت لتوي إلى الصفحة 164، تلك التي قام فيفان بتدوين ملاحظة

بشأنها في دفتر يومياتها الخاص، لقد احتوت على صورة أخرى والتي ملأت الصفحة بأسرها تمامًا كما بقية الصور الموجودة بداخل الكتاب، فلقد كانت تحمل صورة بُنية داكنة قديمة لشيءٍ ما ضبابي اللون حدث منذ قرنٍ مضى، ولكن على نقيض صور الفتيات مجهولات الاسم سجينات المصحة العقلية، كانت تلك الصورة تخص أحد الرجال الذي كان يقف أمام منزل فيكتوري ضخم، ولقد كان الرجل شابًا يافعًا طويل القامة يمتلك سماكة واضحة من ناحية الصدر والمعدة كما أنه كان يقف مُتباهيًا بشاربه المُنمق وعينيه الداكنتين واضعًا إحدى يديه على طرف معطفه الصباحي بينما تنزلق يده الأخرى عميقًا داخل جيب سترته. لقد كانت وضعيته سابقة الذكر تلك توحي بالغطرسة والغرور كما أن منزله كان مُكونًا من ثلاثة طوابق مصنوعة من الطوب بالإضافة إلى النوافذ المقوسة عند الطابق العلوي والبرج الذي تم بناؤه في سطح المكان، كان هذا المشهد يُشبه في حد ذاته تلك الأبراج المرتفعة التي يصدح فيها الديك في الصباحِ الباكر، علاوةً على ذلك لم يظهر شيء من الجانب الأيسر للمبنى سوى طابق واحد فقط من دون نوافذ كما أنه كان مُزودًا بالغشب الاصطناعي بدلًا من الطبيعي.

بالإضافة إلى ذلك الجناح الطبقي الفخم، ثمة خطب ما يتعلق بهذا المنزل الغامض، ناهيك عن جدائل أوراق شجر اللبلاب الهشّة المُفترَاضّة فوق بعضها البعض في إحدى الزوايا، وكذلك ضوء الشمس الذي تسلل بدوره من خلال النوافذ وجعل المشهد يبدو أكثر وضوحًا، لقد ذكرني ذلك بإحدى لوحات الفنان التشكيلي إدوارد هوبر «منزل السكك الحديدية»، تلك اللوحة الفنية التي يُقال إنها ألهمت مؤلف رواية «منزل المختلين العقليين»، لقد أنتجت الهياكل البنائية الثلاث نفس هذا الجو الغامض الذي يُنذر بالخطر.

كان هناك تعليق إضافي تم تدوينه أسفل الصورة والذي كان يقول:

«الدكتور تشارلز كالتر يقف بدوره أمام إحدى المصحات العقلية بوادي السلام، في عام 1898».

لقد استدعى ذلك الاسم ذكرى وقعت منذ خمسة عشر عامًا، عندما كنت برفقة فيفان بمفردنا في الغابات نقرأ ذلك الاسم الضئيل «وادي السلام» محفوزا في قاع أحد

الصناديق المدفونة العتيقة التي غطاها العفن. لا زلت أتذكر مدى فضولي ولهفتي حينها لمعرفة المزيد حول ذلك الشيء، ناهيك عن فضول فيفان المضاعف لأنها كانت تبحث بطبيعة الحال عن الكثير من المعلومات. فما عرفته أن ذلك المكان المعروف باسم «وادي السلام» كان مصحة عقلية في السابق. لقد تساءلت متعجبةً إن كان هذا الإدراك قد أذهلها مثلما أذهلني للتو؟ هل كانت مثلي أيضًا تتساءل في دهشة وارتياب واضح كيف يمكن لصندوق يمتلئ بالمقصات التي تخص إحدى المصحات العقلية أن ينتهي به المطاف هنا على ضفاف بحيرة منتصف الليل؟ إنني أتساءل كذلك إن كانت نبضات قلبها قد تسارعت تمامًا مثلي الآن؟ وإن كانت ساقها قد ارتعشت على هذا النحو؟

احتلني الشعور المباغت بالصدمة في تلك اللحظة التي وقعت فيها عيناي على النص المجابه للصورة. فلقد قام أحدهم بوضع خط بالقلمِ الرصاص أسفل الفقرتين، ربما كانت فيفان هي مَن فعلت ذلك، فلقد كانت من هذا النوع من الأشخاص الذين لا يجدون أية غضاضة في تشويه أحد الكتب المتواجدة في المكتبة، تحديدًا إذا عثرت على معلومة بالغة الأهمية.

في أواخر القرن التاسع عشر، شهدت معاملات النساء المريضات عقليًا فجوة واسعة كما تطرق الأمر إلى طرق ووسائل علاجهن. فقد ازدحمت المصحات العقلية في البلاد بعددٍ هائل من النساء الفقيرات المعدومات اللواتي كن يعشن في ظروفٍ صعبة وأوضاعٍ مزرية على الرغم من ارتفاع تلك الأصوات التي تنادي بالإصلاح في تلك الفترة كما أنهن قد خضعن للتعامل بشكلٍ فظ قاس من جانب مجموعة من الموظفين الذين لم يتلقوا التدريب والأجر الكافي.

على الجانب الاخر، يمكننا الإشارة إلى أن الوضع كان مختلفًا تمامًا مع تلك الأسر الثرية التي كان لها دور كبير في تمويل تلك المصحات العقلية ودفع نفقاتها حيث إن الأمر كان بعيدًا كل البعد عن رقابة الحكومة ومساعدتها في تلك الفترة. جدير بالذكر أن تلك المصحات كانت قد اتخذت من أقاصي الريف البعيدة المنعزلة أماكن إقامة دائمة لها وكان هذا كافيًا جدًا بالنسبة لأفراد العائلات أن يقوموا بإرسال ذويهم الذين يعانون مرضًا عقليًا من دون

الخوف من القيل والقال أو الفضائح أو خلافه. لم يُعجب هذا القليل من الأطباء حيث إن ذلك الفارق الشاسع بين الرعاية الطبية المُقدمة للأغنياء والفقراء لم تكن عادلة أبدًا، لذا حاول بعضهم سد هذه الفجوة وقاموا بفتح أبواب عيادتهم الخاصة لأولئك الأقل حظًا ومالًا، ولفترة لا بأس بها من الوقت كان الدكتور كالتر بمثابة الملاك الحارس لأولئك المرضى الفقراء من شكان نيويورك وبوسطن وقد ساعدهم على الانتقال إلى وادي السلام، والتي كانت عبارة عن مصحة عقلية متواضعة الحال في نيويورك، وطبقًا لمذكرات أحد أطباء التغذية بمصحة جزيرة بلاكويل العقلية قال إن الدكتور كالتر كان ينوي أن يثبت أن ذلك النوع من الرعاية الطبية المعتدلة سوف يعود بالنَّفع على النساء المريضات عقليًا جميعًا وليس فقط أولئك ممن ينتمون إلى العائلات الثرية.

في تلك اللحظة التي تيقنت فيها من أن ذلك هو ما كانت تُشير إليه فيفان في دفتر يومياتها لم أكن أعرف ما علاقة تلك المعلومات بفراني؟، فمن خلال تأمل المشهد بأكمله لا أعتقد أن هناك أي صلة لها بذلك، ولكن هذا يجعلني أتساءل لماذا إذن اقتنعت فيفان بأن لفراني علاقة بكل ذلك؟ في الواقع، هناك طريقة واحدة فقط من شأنها أن تساعدني على اكتشاف ذلك، تلك التي تتمكن في أن أقوم بتفتيش النُزل، فلقد اكتشفت فيفان شيئًا ما مُهمًا بداخل غرفة المكتب قبل أن تأتي لوتي وتقوم بإزعاجها ومقاطعتها، ذلك الشيء الذي قادها بدوره إلى هذا الكتاب في نفس تلك المكتبة، إنني أتذكر الآن تلك العبارة التي اعتادت أن تقولها لي «دائمًا احرصي على ترك أثر خلفك حتى تتمكني من معرفة طريق العودة». أفكر في ذلك وأشعر أن فيفان لم تترك لي الآثار الكافية حتى أتتبعها بدوري، أعتقد أنني سأحتاج إذن لمساعدة صديق.

ها أنا ألتقط هاتفي المحمول وأبدأ على الفور في الاتصال بمارك عبر تقنية الفيديو من خلال تطبيق فايس تايم، وها هو يرد في عجلة واضحة، تكاد تلك الأصوات المتنافرة المحيطة به بداخل مطبخ حانته أن تكتم صوته نهائياً ، كما أن خلفه يوجد صفوفًا من الطُهاة الذين ينشغلون في الطبخ ومن ثم يثيرون المزيد من الفوضى وأصوات الأزيز والصرير والأدخنة.

أعرف أنني اتصلت بك في وقت سيء جدًا، قلتها.

- إنها ذروة الغذاء، قالها مارك.

- حسنًا، في الواقع لن يستغرق الأمر أكثر من دقيقة واحدة، هل تتذكر أمين المكتبة الذي كنت تُواعده في مكتبة نيويورك العامة؟

- بيلي؟، أجل بالطبع.

لقد بدا كما شخصية مات دامون تمامًا في تلك اللحظة.

- هل لازلتم أصدقاء؟

- أجل بيننا علاقة ودية.

- إلى أي مدى؟

- انه يتابع صفحتي على موقع تويتر.

- حسنًا، لم نصل إلى حد العداوة بعد، قلتها مازحةً ثم سألته:

- هل من الممكن أن تطلب منه القيام ببحث ضروري من أجل صديقتك المفضلة؟

- أجل، من الممكن ذلك، ما هو موضوع البحث؟

- مصحة وادي السلام العقلية.

تبدو علامات الارتباك جليةً على وجه مارك من خلال شاشة الفيديو، مما لا شك فيه أنه يتساءل الآن إن كان قد سمعني بشكلٍ صحيح أم أنه ثمة خطأ ما؟

- أعتقد أن إقامتك في مُخيّم نايتنجيل لا تسير على ما يُرام، أليس كذلك؟

ها أنا أخبره بسرعة عن دفتر يوميات فيفان الذي عثرت عليه مؤخرًا وذلك الكم من القرائن المُشفّرة والعبارات الغامضة التي كانت بداخله كما أنني أكدت له أن حقيقة وجود مصحة عقلية في ذلك المكان لا بد من أن له علاقة بما حدث.

- أعتقد أن فيفان قد عثرت على شيءٍ ما يا مارك، ومن المؤكد أن هناك شخصاً ما لم يرغب في أن تكون على علم بذلك.

- بخصوص المصحة العقلية؟

- ربما، وحتى أتأكد من ذلك أود أن أعرف كل شيء حول مصحة وادي السلام العقلية تلك.

ها هو مارك يقوم بوضع هاتفه المحمول أقرب إلى وجهه

إلى هذا الحد الذي لا يجعلني أرى إلا عيناً واحدةً مُحدقة عبر شاشة الفيديو

- أين أنت؟

- في المكتبة المحلية.

- حسنًا، هل هناك أحد ينتظرك بالخارج؟

- أجل، ينتظرني شخص في غاية الوسامة، أقولها بينما تنحرف عيني باتجاه الزاوية السُفليّة من شاشة الهاتف، هناك حيث استقرت صورتي داخل أحد تلك المستطيلات الضئيلة.

رأيت فجأة شخصًا ما والذي كان يقف على بُعد عشرة أقدام من مكاني، عندما تأملته وجدته ثيو والذي كان يقف مُشبكًا ذراعيه. قلت لمارك على الفور:

- حسنًا، يتعين عليَ الذهاب الآن.

قبيل أن ينقطع الاتصال عبر الفيديو، وقعت عيناي للمرة الأخيرة على وجه مارك والذي كان يملأه القلق الواضح، لكني عندما استدرت للنظر في وجه ثيو، وجدت لتوي تعبيرًا مُغايرًا تمامًا فقد كان وجهه فاترًا خاليًا من أية تعابير يمكن للمرء قراءتها!

هل أنت مُستعدة للذهاب؟، قالها بصوتٍ لا مبال تمامًا كما ملامح وجهه ثم أردف مُتسائلًا:

- أم أنك تودين الحصول على بعض الوقت؟

- لا، لقد أنهيت ما أود القيام به.

ها أنا أجمع أشيائي تاركةً الكتاب في مكانه على الرف، يكفيني ذلك فمحتوياته الداخلية مطبوعة بداخل ذاكرتي، وخلال طريقنا للخروج من المكتبة المحلية قمت على الفور بارتداء النظارات الشمسية ولم يكن سبب ذلك يرجع إلى رغبتي فقط في الاحتماء من أشعة شمس الظهيرة وارتفاع وطيسها لكني أردت أيضًا الاختباء من نظرات مارك المُتفحصة الفضولية.

لم يتغير هذا التعبير الذي رسمه ثيو على وجهه منذ أن قبض عليّ أتحدث إلى مارك عبر الهاتف، وأعتقد أن أقل ما يمكنني فعله هو أن أضاهيه في ذلك الغموض.

- نظارة رائعة، قالها في تلك اللحظة التي صعدنا فيها إلى داخل الشاحنة.

- شكرًا لك، قلتها له على الرغم من أن عبارته لم تبد كمجاملة على الإطلاق.

لاحقًا توجهنا إلى خارج المدينة في طريق عودتنا إلى مُخيّم نايتنجيل ثم دخلنا في شرنقة صمتٍ جديدة.

لم أكن واثقة مما يعنيه ذلك على وجه التحديد، لكنني علمت أن هذا الموقف لم يكن يحمل أية إشارة جيدة، فإما أن الهشاشة وعدم الاستقرار كانت طبيعة ثيو الثانية أو أنني تركت يوميات فيفان تتسلل خلسةً إلى روحي وجعلتني أنا الأخرى مُصابة بجنونِ الارتياب، ولكن بالتفكير فيما حدث لها في السابق وكذلك ناتالي وأليسون فإن القليل من الارتياب ليس بالأمر السيء إذن. لقد استمر الحال على هذا المنوال حتى ظهرت بوابات المُخيّم بغتةً في مجال الرؤية وحينها قال ثيو على الفور:

- في الواقع أريد أن أسألك عن شيءٍ ما بخصوص ذلك الصيف.

لقد كنت أعرف أنه سوف يقوم بدوره بإثارة هذا الموضوع مُجددًا وربما سيذكرني باتهامي السابق له، فالأمر أشبه بطريقٍ مُمتد من الأسلاك الشائكة بيني وبينه، تلك التي لا يمكننا رؤيتها لكن باستطاعتنا الشعور بها بشدة إذا قام أحدنا بجذب طرف السلك ناحيته قليلًا ضد الآخر، وبدلًا من الإجابة اقتربت من النافذة وتركت النسيم يُحاصر وجهي ويتلاعب بخصلات شعري تمامًا كما كانت فيفان تفعل في ذلك اليوم.

- الأمر يخص ذلك اليوم الذي ذهبنا فيه معًا إلى المدينة، واصل ثيو حديثه:

- ها أنا أستنشق بعض الهواء الدافئ الذي ضرب لتوه وجهي شاعرةً بالأريحية الشديدة لأنني لن أكون مُضطرةً للحديث عن سبب اتهامي السابق له. على الأقل، لن أضطر لذلك في الوقت الحالي.

- ماذا بشأن ذلك اليوم؟، لقد تناولنا الغذاء معًا في هذا المطعم المحلي، ولقد قمت أيضًا بتقبيلك.

قهقه ثيو عندما استرجع تلك الذكرى، لكنني لم أضحك بدوري لأنه لا يمكنني أن أفعل ذلك كرد فعل إزاء أكثر لحظات فترة المراهقة إذلالًا ومهانة.

- أجل، ولكن هل كنت تكذبين حينها؟ فيما يتعلق بكون

قبلتك حينها مجرد مزحة؟

بدلًا من الاستمرار في الكذب وكذلك حتى لا أطيل القيام بذلك لفترة زمنية أطول سألته:

- لماذا؟

- لأنني لم أشعر بهذا في ذلك الوقت، قالها ثيو بينما كان يُحاول فرك بقايا الملح والفلفل حول ذقنه ثم توقف قليلًا وكأنه يقوم باختيار الكلمات المناسبة.

- لكنني شعرت حقًا بالإطراء حينها وأردتك أن تعرفي ذلك، فلو كنت أكبر سنًا حينها لكنت قبلتك أنا الآخر.

فجأة شعرت وكأن تلك الجرأة التي تحليت بها خلال تلك المرة منذ خمسة عشر عامًا قد عادت إليّ من العدم، ربما يرجع السبب إلى ارتداء تلك النظارات الشمسية المثيرة، فها أنا أشعر بالاختلاف بعد ارتدائها، ها أنا أحس بأني أكثر شجاعة ومُباشرة، لقد شعرت وكأني فيفان في تلك اللحظة على وجه التحديد وسألته:

- والآن؟

قام ثيو بتوجيه الشاحنة إلى مكانها المُعتاد خلف مبنى الفنون والحِرف وعندما توقفت حركة أكتافه المُرتجفة قال:

- ما الذي تقصدينه بالآن؟ فها أنا أصبحت أكبر سِنًا فإذا قبلتك هل ستقومين بتقبيلي بدورك؟

قالها ثيو ثم رسم تلك الابتسامة العريضة على وجهه، وخلال جزء من الثانية شعرت وكأننا عدنا بالزمن إلى الوراء، وكأن تلك السنوات الفاصلة تنتظرنا بفارغ الصبر حتى نعيشها جيدًا، ها أنا أراه في التاسعة عشرة مُجددًا، ها أنا أتيقن من كونه الشاب الأوسم على الإطلاق كما أنني ألعب دور تلك الفتاة المُتيمة الواقعة في حُبه والتي تجعلها كل نظرة من عينيه على وشك الانفجار كما لو كان قلبها يتألف من مجموعة من أسراب الفراشات.

- ربما يتعين عليك تجربة ذلك بنفسك في وقتٍ آخر، قالها.

لقد أردت حقًا القيام بذلك، تحديدًا في كل مرة ينظر فيها إليّ وألمح ذلك الوهج الذي يسكن زوايا عينيه، لطالما اشتقت لفعل ذلك بمجرد رؤية تلك الابتسامة العريضة تزين شفتيه، تلك التي بدت وكأنها تتسول قُبلة الآن لقد

كان هذا كافيًا لأن أميل ناحية مقعد الشاحنة الخضراء وأفعل ذلك لكنني عوضًا عن هذا خرجت من السيارة وقلت:

- حسنًا، أعتقد أن هذه ليست الفكرة الأنسب.

لقد كان ثيو وإمكانية تقبيله مجرد مصادر إلهاء وتشتيت بالنسبة إليّ، وها أنا الآن أصبح على بُعد خطوات بسيطة من معرفة ما الذي كانت فيفان تبحث عنه. لا يمكنني أن أسمح لثيو بتشتيت انتباهي، لا يمكنني أن أسمح لأي شخص بذلك كما لا يمكنني أن أسمح لما فعلته له في السابق بالتأثير عليّ الآن بالإضافة إلى تلك الأكاذيب التي امتلكها كلانا لكننا لم نتمتع بالجرأة والشجاعة الكافية للاعتراف بها.

الفصل الثاني والعشرون

تناولت هذا المساء وجبة العشاء برفقة الفتيات في الخارج حول مائدة النزهة خارج قاعة الطعام، لا زال الجميع في مخيم نايتنجيل يثرثرون بشأن الطلاء الخاص بباب المقصورة، لقد أطلقوا عليه اسم «باب الكاذبة» محاولين أن يصفوه بالكلمات المناسبة التي تجعله أقرب إلى فضيحة. أعتقد أن كاسي، وبيكا ، وباقي المدربين تحدثوا أيضا عن تلك المسألة ولهذا فإنني أشعر بالارتياح لأنني أتناول طعامي خارج المقصورة. فأنا لست في مزاجٍ جيد لتلك الثرثرة.

- أين ذهبت هذا المساء؟، سألتني ساشا.

- إلى المدينة.

- لماذا؟

- لماذا برأيك؟، سألتها ميرندا ثم أضافت:

- لقد أرادت أن تخرج من هذا المكان!

كانت ساشا تحاول مُطاردة ذبابة ما تطن حول أطباقها التي تشتمل على رغيفٍ من اللحم والبطاطا المهروسة.

- هل تعتقدين أن إحدى فتيات المُخيَم هي مَن قامت بفعلها؟

- من المؤكد أنها ليست إحدى الموظفات المُشرفات، قالتها كريستال.

- قالت بعض الفتيات إنك مَن قمتِ بذلك، قالتها ساشا موجهةً حديثها لي.

حسنًا، هذا غير صحيح، قلتها وحينها تصلب وجه ميرندا لثانية من الزمن. أعتقد أنها كانت مُستعدة لاقتحام قاعة الطعام ولكم الفخيمين الفسيئين. لقد تأهبت للقيام بأية مُشاجرة.

- ولكن لماذا قد تقوم إيما بطلاء الباب وكتابة كلمة «كاذبة»؟ لماذا قد يقوم أي شخص بذلك؟، سألت ساشا.

لكن ميرندا قد أجابت على الفور قبل أن أحصل على فرصتي في الرد.

- لأن بعض الفتيات لسن إلا مجرد عاهرات.

بعد تناول العشاء، قدمت لهن شواحن الهواتف المحمولة التي جلبتها من أجلهن من المتجر وقلت:

- من أجل الحالات الطارئة فقط، على الرغم من علمي أنه سوف يتم إضاعة بطارية الشحن بأسرها على تطبيقات السناب شات ، ولعبة الكاندي كراش وأفلام كريستال المفضلة التي تخص الأبطال الخارقين، لقد تسبب ذلك في جعل الفتيات ينعمن بمزاجٍ جيد حتى اجتمعنا حول نار المُخيّم ليلًا. في الواقع لقد شعرت أنه يتوجب عليّ فعل ذلك من أجلهن تحديدًا لأنهن تمكن من احتمال ذلك اليوم العصيب.

لقد تم وضع حفرة النار على أعتاب المُخيّم بعيدًا عن مقصورات المنطقة، ولقد جلسنا حول أحد تلك المروج المستديرة والتي بدت وكأنه تم نحتها من الغابة تمامًا كما دائرة المحاصيل، وفي مركزها على وجه التحديد كانت تقع حفرة النار، فقد كان المشهد على شكل دائرة بداخل دائرة والتي تمت حراستها بمجموعة من صخور الغابات التي تم وضعها وتنظيمها منذ قرنٍ من الزمن.

جدير بالذكر أن النيران كانت مُشتعلة سلفًا قبل أن نصل إلى هناك كما أنه تم وضع جذوع الأشجار الضخمة الغارقة على هيئة مثلث وقد بدا المظهر الخارجي أقرب إلى خيمة الهنود الحمر. جلس أربعتنا معًا على تلك المقاعد المترهلة المتهالكة على مقربة من النار.

قمنا بشواء حلوى الخطمي على أغصانٍ بالغة الحدة عن طريق سكن الجيش السويسري الخاصة بتشيت ، تلك التي تمتعت بمقبض زَلق وأطراف مُقشّرة ومُتفحّمة.

- هل جئتِ إلى هنا عندما كنتِ في نفس عمرنا تقريبًا؟، سألت ساشا.

- أجل، لقد قمت بذلك.

- وهل كنتم تجتمعون حول النار أيضًا؟

بالطبع، قلتها بينما قمت بالتقاط حلوى الخطمي وانتزاعها من فوق العصا الخاصة بي ثم تناولتها على الفور، وعلى الرغم من أن السُكّر الساخن قد أحرق لساني إلا أنه لم يكن شعوراً بغيضاً، لقد استدعى ذلك بدوره مزيجًا من الذكريات الجيدة والسيئة خلال فترة إقامتي المأساوية القصيرة في ذلك المكان. لطالما أحببت موقع مُخيّم النار حيث إنه كان مُتميزًا مدهشًا يشتمل على قدرٍ هائل من الغموض. لقد أحببت حقًا تلك الطريقة التي

تُلامس فيها حرارته الدافئة بشرتي وكيف تتوهج بغتةً باللونِ الأبيض من ناحية المركز.

تلك الجذوع المحترقة التي تتألق تمامًا كما لو كانت كائنًا حيًا وتُكافح بدورها اللهيب الذي يختفي بغتةً وسط كومة من الجمر ليرسل نقاطًا نيرانية متناهية الصغر للدوران بشكلٍ أمامي متصاعد.

- ولكن لماذا لم يعد يُعجبك هذا المكان مرةً ثانيةً؟، سألتني ميرندا.

- في الواقع، الأمر لا يتعلق بالمكان أبدًا لكنه يرتبط بصورةٍ مُباشرة بما حدث هنا أثناء فترة إقامتي السابقة.

- هل قام أحدهم بتخريب المقصورة أيضًا؟

- لا.

- هل رأيت أشباحاً في هذا المكان؟، سألتني ساشا بعيونٍ فضولية واسعة لامعة تختبئ خلف نظارتها الطبية.

- فكما تعرفين إن بحيرة مُنتصف الليل مسكونة!

- هذا كله محض هراء!، قالتها كريستال ثم واصلت حديثها قائلةً:

- لا يبدو الأمر وكأن الناس يصدقون ذلك بالفعل، فالكثير من الناس يرون الأمر على هذا النحو تحديدًا بعد قصة اختفاء الفتيات.

ها هو جسدي يتصلب بمجرد سماع اسم الفتيات، أجل إنهن يقصدن فيفان وناتالي وأليسون، لقد تمنيت ألا تعرف الفتيات الجُدد أي شيء بخصوص قصة اختفائهم تلك.

- أين اختفوا؟

- من هنا على وجه التحديد، ولهذا السبب تم إغلاق مُخيّم نايتنجيل في البداية، فلقد تسللت الفتيات من غرفتهن وإما أنهن قد فقدن طريقهن في الغابات الشاسعة أو أنهم تعرضن للموت أو شيءٍ من هذا القبيل، من المؤكد أن أرواحهن تحوم حولنا الآن، ويُقال إنه في تلك الليالي التي يكون فيها القمر مُستديرًا يشاهدهن الناس يمشين بين الأشجار مُحاولين إيجاد طريق عودتهن إلى مقصورتهن.

في حقيقة الأمر، لقد كان أمرًا حتميًا لا مفر منه أن قصة أولئك الفتيات بمقصورة القرانيا سوف تستحيل بدورها إلى مجرد أسطورة، إنهن الآن جزء من ذلك الإرث المعرفي

الذي نقلته التقاليد والحكايات حول ما قام به بوكانان هاريس عندما أغرق الوادي بينما غمرت المياه القرويين. ها أنا أتخيل الآن صورة فتيات المخيّم وهن يتهامسن حول تلك الحادثة ويجتمعن معًا أسفل الشراشف ويسترقن النظر بأعين مُتلهفة إلى نافذة المقصورة.

- هذا ليس صحيحًا، قالتها كريستال، ثم أضافت:

- إنها مجرد قصة حمقاء خرقاء لإخافة الناس من الذهاب إلى الغابات تمامًا كما هذا الفيلم الغبي الذي صنعه أحدهم وأسماه بالحاسة السادسة.

إن ميرندا تنتمي إلى هذا النوع من الفتيات اللواتي لا يعرفن الهزيمة، ها هي تُمسك بهاتفها المحمول ثم تضعه على أذنها ثم تتظاهر بإجابتها لاتصال ما قائلةً:

- ها أنا فتاة الأشباح تتصل الآن، إنهم يقولون أنك كاذبة!، قالتها موجهةً حديثها إلى ساشا في فترة متأخرة من الليل وبعدما خلدت الفتيات إلى فراش النوم، بقيت مُستيقظة في فراشي السُفليّ شاعرةً بالاضطراب والأرق، يمكنني إلقاء جزء من المسؤولية على ارتفاع درجة الحرارة، لقد كانت ليلة خانقة كئيبة وقد زاد نقص تدفق الهواء من سوئها بداخل المقصورة، لكني أبقيت على إغلاق النافذة والباب، فبعد ما حدث هذا الصباح شعرت بأن الحذر أمر ضروري، ولهذا السبب على وجه التحديد لم أتمكن من النوم.

لقد كنت خائفة بشدة من أن يظهر ذلك الشخص الذي يستمر في مُراقبتي بشكلٍ مُتكرّر، ولقد قلقت أكثر إزاء ما يُخطط لفعله هذه المرة، وبناءً على ذلك فقد أبقيت عيني مُثبتةً على النافذة مُحدقةً في وهج البرق الذي كان يومض على مسافة بعيدة. فكل وميض يتسلل خلسةً إلى المقصورة كان يُضيئها على الفور مُخلفًا ذلك اللون الأبيض المتوهج. خلال تلك الحالة المتقطعة من توهج البرق، رأيت شيئًا ما ناحية النافذة ربما لأن الأخير كان يمر بسرعة جنونية فلم يكن بمقدوري إلا أن ألقيت لمحة قصيرة عاجلة أو نصف لمحة والتي جعلتني أفكر مُجددًا أن أحدهم يقف هناك تمامًا أمام النافذة يُحدق في ذلك الاتجاه الذي أمكث فيه.

لقد تمنيت حقًا أن أكون مُخطئة! آه! لقد أردت أن يكون

ذلك مجرد انعكاس لظلال الأشجار المتعرجة بالخارج، ولكن في تلك اللحظة التي هبت فيها موجة البرق مُجددًا وظلت لمدة ثوان معدودة أدركت أني مُحقة. هناك شخص ما يقف في مُجابهة النافذة! إنها فتاة! لا يمكنني أن أرى وجهها. لقد لعب البرق في تلك الأثناء دور الإضاءة الخلفية وجعل الفتاة تبدو بصورةٍ ظلّية، على الرغم من ذلك فهناك شيء ما مألوف بالنسبة لها ويتمثل ذلك في نحافة رقبتها وأكتافها وخصلات شعرها المموجة اللامعة ووقفتها. أجل! إنها فيفان! أنا واثقة جدًا من ذلك. لكنها لا تظهر بتلك الصورة التي يُفترض بها أن تتواجد بها، لكنها بدت كما كانت تمامًا منذ خمسة عشر عامًا من دون أي تغييرا! تلك الصورة السابقة لفيفان التي حاصرتني طيلة فترة شبابي والتي أجبرتني على دفنها بين لوحاتي مرارًا وتكرارًا. ها هي تقف هناك بتلك الوضعية الخارقة للطبيعة كما أنها لا زالت تتأنق بذلك الفستان الأبيض بينما تحمل في يدها باقة من الزهور التي تُشير بها بشكلٍ رسمي نحو الأمام تمامًا كما إحدى بطلات الأفلام الصامتة. ها أنا أضع بغتةً يدي اليمنى على صدري مُتحسسةً نبضات قلبي المتسارعة، وعلى الجانب الآخر تواصل يدي اليُسرى رحلتها في التفتيش عن السوار الذي يُحيط بمعصمي.

ها أنا أُمسك به وأُتمتم على الفور:

- أعرف أنك لست حقيقية.

أسمع صلصلة رؤوس الطيور الدقيقة التي تتدلى من ذاك السوار السّخريّ المُحيط بمعصمي، لكنها تبدو خافتة غير واضحة بسبب ارتفاع صوت همساتي المرتجفة الطاغية.

- أنتِ لا تملكين أي سلطة عليّ، أنا أقوى مما يُدرك الجميع، رددتها ثم انكسر السُوار بغتةً، لقد سمعت صوت ارتطام المشبك الخاص به أرضًا وشعرت بالسلسلة تنزلق بعيدًا عن معصمي، حاولت التشبث بها ثم احتجزتها في راحة يدي وضغطت بأصابعي حولها، بدأ البرق يُومض مرة ثانية وسرعان ما استعان توهجه إلى ظلامٍ حالك، ولم أتمكن من رؤية أي شيء في الخارج إلا القليل من الأشجار المتناثرة هنا وهناك، أضف إلى ذلك أنه لم يكن هناك أي أحد يقف أمام النافذة.

من المفترض أن يُشعرني ذلك المشهد بالارتياح لكنني على النقيض أشعر بالخوف فقط تحديدًا بعد رؤية تلك

السلسلة تلتف بقلب يدي على هذا النحو، تلك الإشارة العفوية التي توحي بأن فيفان سوف تعود مجددًا فإذا لم تأت الليلة فربما ستظهر في القريب، أخذت أفكر في عبارة واحدة فحسب تلك التي تقول «أنا أقوى مما يُدرك الجميع» وكررتها عدة مرات كما لو كانت تعويذة سحرية، خفق قلبي بسرعة في تلك الأثناء وتصلب جسدي وأحكمت بدوري قبضتي حول السوار- تلك الترنيمة التي قد تحولت إلى شيءٍ آخر، أقل بثًا للطمأنينة وأكثر إثارة للفزع والهلع.

تأرجحت الكلمات بداخل رأسي بصورة مُثيرة للاضطراب وأخذت أردد من توقف:

لن أفقد عقلي. لن أفقد عقلي. لن أفقد عقلي.

قبل خمسة عشر عامًا

في صباح اليوم التالي، وقبل أن يصدح صوت نداء الاستيقاظ الخاص بمخيم نايتنجيل، استيقظت على صوت أنغام «النشيد الأمريكي الوطني» احتفاء بيوم عيد الاستقلال. كانت فيفان لا تزال نائمة حينها، وقد صفعت يدي في تلك اللحظة التي صعدت فيها فراشها حتى أقوم بإيقاظها لكنها صرخت قائلة:

- ابتعدي عني!

قمت بذلك بالفعل مُتظاهرةً أن ضربتها لم تكن مؤلمة ثم توجهت إلى المرحاض من أجل الاستحمام وغسل أسناني بالفرشاة، لاحقًا ذهبت إلى قاعة الطعام الكبيرة، هناك حيث كان العاملون يقومون بتوزيع طبق العيد الوطني المميز الخاص بيوم 4 يوليو والذي كان يشتمل على فطائر مُحلاة وكعك محلي مُضاف إليه شرائح العنب البري والفراولة والكريمة المخفوقة، لقد قيل لي أن تلك الأطعمة تُدعى بأطباقِ الحرية، لكنني رأيتها أطباقًا سخيفة.

لم تظهر فيفان خلال تناول وجبة الإفطار تلك حتى أنها لم تأت مُتأخرةً كما العادة، لقد حرر غيابها ناتالي تمامًا حيث إنها استطاعت أن تطلب أطباقًا أخرى إضافية من الفطائر المحلاة والتي التهمتها بشراهة بينما كانت الفراولة تسيل من زوايا فمها تمامًا كما الدماء المزيفة التي يتم الاستعانة بها على المسرح.

على الجانب الاخر، لم تتزحزح أليسون عن نظامها الغذائي الخاص، فبعد أن تناولت ثلاثة ملاعق توقفت عن تناول أي شيء إضافي وقالت:

- ها أنا أشعر بالامتلاء الآن! يا إلهي لماذا أبدو كما الخنزير هكذا؟!

- يمكنك تناول المزيد من الطعام فأنا لن أخبر فيفان بذلك.

رمقتني أليسون بنظرة عابسة ثم قالت:

- وما الذي جعلك تعتقدين أن لفيفان علاقة بما أتناوله؟

- في الواقع، لقد اعتقدت أنك مثلي تمامًا تفعلين ما تمليه عليك؟

نظرت إلى طبقي متفحصةً إياه شاعرةً بكامل الخزي والعار أكثر من كوني أشعر بالإهانة، لقد قمت بالتهام ثلثي

الطبق تقريبًا من دون أي تردُد، على الرغم من أنه لو كانت فيفان جالسة بيننا الآن لكان قد توجّب عليَ التهام ذلك القدر الذي سوف تسمح لي به، سواء كان قدرًا ضئيلًا أو كبيرًا، فالأمر لا يهم.

- أنا آسفة للغاية، في الواقع لم أكن أقصد قول لك، الأمر وما فيه... قلتها موجهةً حديثي إلى أليسون والتي مدت يدها عبر الطاولة المفتدّة ثم ربتت على يدي وقالت:

- الأمور على ما يرام، في الواقع أنا من تشعر بالأسف حقًا لأن فيفان تتمتع بقدرةٍ هائلة على الإقناع.

- كما أنها عاهرة أيضًا، قالتها ناتالي عندما قامت بالاستحواذ على عددٍ آخر من فطائر أليسون التي لم يتم لمسها بعد.

- لكننا نتفهم طبيعتها جيدًا، فنحن أصدقاء على أية حال، في الواقع نحن أصدقاء مُقربون رائعون، قالتها أليسون موضحةً حقيقة الموقف ثم قالت:

- ولكن في بعض الأحيان تتصرف فيفان كما لو كانت...

- عاهرة!، قالتها ناتالي.

- إن فيفان نفسها تعرف ذلك جيدًا وكانت لتعترف لك بهذا لو كانت جالسةً بيننا الآن.

أخذني عقلي في جولة سريعة مُباغتة إلى الوراء حيث اليوم السابق عندما شهدت فيفان على محاولتي الكارثية من أجل تقبيل ثيو ثم رسمت على وجهها تلك الابتسامة المُتكلفة، ورغم ذلك فهي لم تقم بفتح هذا الموضوع مُجددًا مما أشعرني بالقلق الشديد، وعلى الجانب الآخر فقد توقعت بدوري أن تأتي على ذكر هذا الأمر خلال جلستنا معًا واجتماعنا حول نار المُخيَم أو أن تتحدث معي في هذا الأمر قبيل الخلود إلى النوم مُباشرةً، ولكن لم يحدث أي شيءٍ من هذا كله، وقد جعلني ذلك أفكر ما إذا كانت تحتفظ بهذا السّرَ من أجل لعبة «حقيقتان وكذبة» حتى تتمكن من إلحاق أكبر ضرر عاطفي مُمكن.

ولماذا تضعين نفسك في هذا الموقف؟، قلتها وحينها هزت أليسون أكتافها في قلة حيلة ثم قالت:

- ولماذا تفعلين ذلك أنت أيضًا؟

- لأن شخصية فيفان تُعجبني، قلتها على الفور، على الرغم من أن الأمر كان أكثر من ذلك، فقد كانت هي تلك

الفتاة الأكبر سنًا التي تأخذني أسفل جناحها لمشاركة أسرارها الخاصة، بالإضافة إلى أنها كانت رائعة وخشنة وأكثر ذكاء مما كنت أتخيل، وبالنسبة إلي كانت تلك الأشياء بمثابة أسباب مغرية لأن أتشبث بصداقتها.

- نحن نحبها أيضًا كما أن فيفان قد مرت بالكثير من الصعاب كما تعلمين، قالتها ناتالي.

- لكنها في بعض الأحيان تتعامل معكن بلؤمٍ واضح.

- هذه طبيعتها، ولقد اعتدنا عليها فنحن نعرفها منذ سنوات طويلة.

- أجل، لقد عرفنا فيفان جيدًا حتى قبل أن نصبح صديقات بشكلٍ رسمي، فلقد درسنا في نفس المدرسة وعشنا في نفس الحي كما تعرفين، أضافت ناتالي.

أومأت أليسون ثم قالت:

- نحن نعرف كيف نتعامل معها جيدًا.

- ما تود أليسون قوله هو إننا إذا وجدنا فيفان في مزاجٍ شيء فإننا نبتعد تمامًا عن طريقها في تلك اللحظة حتى تهدأ تمامًا وتعود إلى رشدها، فهذه هي الطريقة المثلى للتعامل مع الأمر.

لقد قضيت بقية النهار منعزلةً عن الآخرين ويرجع ذلك إلى درس الرماية ثم اضطررت للذهاب إلى غرفة مبنى الفنون والحرف حيث يتواجد المزيد من الفتيات في مثلي عمري تقريبًا وقد اعتدنا جميعًا استخدام العناصر الجلدية من أجل تشكيل سوار الروهايد، لاحقًا توجهنا لتناول وجبة الغذاء إلا أنه في هذا الوقت أيضًا لم تظهر ناتالي وأليسون، ربما ذهبن لتناول الطعام بمفردهن، وبناء على ذلك فقد اعتذرت بدوري عن تناول شطيرة الهامند السويسرية وتوجهت إلى مقصورة القرانيا باحثةً عنهن، جدير بالذكر أنني قد تمكنت من العثور عليهن قبل أن أصل إلى المقصورة، فهدير أصواتهن بالداخل كان كفيلًا أن يعلمني أن ثلاثتهن بداخل الغرفة بالفعل.

لا تتحدثي معنا مجددًا بشأن الأسرار، قالتها ناتالي صارخةً ثم واصلت صياحها:

- تحديدًا بعد أن رفضت إخبارنا إلى أين ستذهبين هذا الصباح!

- لا يهم أبدًا أين ذهبت، صرخت فيفان بدورها.

ما يهم أنك كذبت ولكن على أية حال نحن أسفات. قالتها أليسون بصوتٍ كئيب جدًا.

لقد أخبرناك مرارًا أن هذا ليس بالأمر الجيد كما أنه ليس كافيًا.

قمت بفتح الباب على مصراعيه لأرى ناتالي تجلس كتفًا بكتف لأليسون على حافة الفراش العلوي بينما كانت فيفان تقف أمامهن بوجهٍ متورّد كما أن شعرها كان فوضويًا جافًا، وعلي الجانب الاخر، كانت ناتالي ترفع صدرها إلى الأمام قليلًا كما لو كانت تُحاول حجب مجال الرؤية لدى منافسها في لعبة الهوكي. تقلصت أليسون وانكمشت بينما كانت خصلات شعرها تتدلى على وجهها حاجبةً دموعها المنهمرة. خيم الصمت بمجرد دخولي إلى الغرفة.

- ما الأمر؟، سألتهن مُباشرةً.

- لا شيء، ردت أليسون مُضيفةً:

- مجرد هراء!

بينما كانت فيفان الوحيدة التي تفوهت لتوها بالحقيقة الواضحة:

- في الواقع نحن في خضم شيءٍ ما كما أننا بحاجة لبعض الوقت لتسوية ذلك الخلاف، هل بإمكانك المُغادرة الآن والقدوم في وقتٍ متأخر؟

خرجت من الغرفة وأغلقت الباب خلفي حتى أقوم بكتم تلك العاصفة المُستعِرة المتأججة من الداخل.

من الواضح أن فيفان حينها كانت تمر بتلك الحالة من المزاج السيء الذي حذرتني منها أليسون وناتالي في السابق، لكنهن لم يملكن القدرة على الفرار منها هذه المرة، فلم يعرفن إلى أين بمقدورهن الذهاب إذن؟ لقد ذهبت إلى مركز الُمخيم، هناك حيث كانت لوتي تقف خلفي مُباشرةً بينما تتدلى ضفائر شعرها الطويل على ظهرها، لقد ظهرت على ملامحها تعابير الفضول الظاهرة ثم سألتني:

- هل تم طردك خارج الغرفة؟

- نوعًا ما.

- سوف يسمحون لك بالقدوم لاحقًا، هل هذه تجربتك الأولى التي تُقيمين فيها برفقة مجموعة من الفتيات؟

أومأت برأسي.

- يتطلب الأمر المزيد من الوقت من أجل التعود عليه، لقد كنت طفلة صغيرة تُقيم مع مجموعة من الفتيات الأكبر سنًا ذات مرة لذلك كان هذا شيئًا وقتًا مُزعجًا بالنسبة لي في ذلك الوقت.

هل كنتِ أحد الفخيمين السابقين هنا في نايتنجيل؟

- أجل، كنت كذلك على طريقتي الخاصة، قالتها لوتي ثم أردفت:

- لكنني تعلمت خلال فترة إقامتي هنا في ذلك الحين أنه من الطبيعي أن تحدث معركة أو معركتان بين الفتيات الماكثات في نفس الغرفة، فالأمر يرتبط بوجودهن معًا في أماكن مُحددة ضيقة.

- لكن هذا يبدو سيئًا جدًا، قلتها مُتذكرةً كل هذا الهلع الذي خلفه رؤيتهن يتشاجرن معًا داخل المقصورة. فلم يكن بإمكاني التوقف عن تخيل صورة وجه فيفان الذي كان يتألق بحُمرَة الغضب وكذلك دموع أليسون المُنهمرة على وجنتيها.

- حسنًا، في الواقع أنا أعرف مكانًا آخر يبدو أكثر هدوءً وألفة من هنا، ما رأيك أن نذهب إليه سَوِيًا الآن، قالتها لوتي ثم وضعت يدها على كتفي وتوجهنا مُباشرةً من قلب المُخيّم إلى مكان النُزل الخاص بعائلة آل هاريس، هناك حيث كانت فراني تقف في الأعلى تميل نحو السياج مُتأملةً البحيرة.

- إيما! يا لها من مفاجأة سارة!، قالتها فراني.

- هناك بعض الفوضى والنّحيب في مقصورة الفرانيا، أوضحت لوتي.

هزت فراني رأسها ثم قالت:

- لست متفاجئة ، لطالما كان الأمر كذلك!

- هل ترغبين أن أتدخل لإنهاء ذلك؟

- لا حاجة لذلك، سيمر كل شيء بسلام كما يحدث دائمًا في كل مرة.

لوحت لي ناحيتها ثم جلسنا معًا نُحدق في صفحة مياه البحيرة، تلك التي بدت مُمتزجة تمامًا بلون أشعة الشمس الذهبية.

- يا له من مشهد رائع!، قالتها ثم أضافت مُتسائلة:

- إنه يجعل المرء يشعر بالتحشن، ليس كذلك؟ هذا ما اعتاد أبي أن يقوله بعد أن تعلم ذلك من جدي.

تأملت البحيرة مرة ثانية شاعرةً أنه من الصعب حقًا أن يُصدق المرء أن هذا المسطح المائي لم يكن موجودًا قبل مائة عام! فكل شيء يُحيط به بما في ذلك الأشجار والصخور والشاطئ المقابل الذي كان يتلألأ من بعيد بدا كما لو كان موجودًا على الدوام ثم سألتها:

- هل قام جدك بحفر تلك البحيرة حقًا؟

أجل، لقد قام جدي بذلك، الأمر أشبه بأنه قام بخلقها! فعندما رأى هذه الأرض لأول مرة أُعجب بها ثم قرر أنها بحاجة إلى بحيرة ولذلك قام بحفرها على الفور، لقد كان أول الناس الذين قد فكروا في أمرٍ كهذا، قالتها فراني ثم تنهدت محاولة استنشاق كل ذرة من ذرات الهواء وكأنها تود استهلاك المشهد بأكمله متضمنًا كل مشهد أو رائحة أو شعور يخص تلك البحيرة.

- والآن قد حان دورك للاستمتاع بأي شيء تودين فعله هنا يا إيما، أليس كذلك؟

فكرت بيني وبين نفسي أن ما تقوله ربما كان صحيحًا في بداية المطاف أي منذ يومين ولكن كل شيء قد تبدّل منذ تلك اللحظة التي أخذتني فيها فيفان برفقتها عبر القارب إلى بقعتها السّرّيّة، فمنذ ذلك الحين بات لديَ انطباع مُشوش تجاه هذا المكان، لأنني لم أكن قادرة على فهم ما يعنيه هذا، أضف إلى ذلك حالات فيفان المزاجية المُتقلّبة وطاعة أليسون وناتالي العمياء لها حتى أن التفكير في ثيو يجعل ركبتي تصطكان بشكلٍ ملحوظ، لقد كنت أشعر بالضعف التام كلما فكرت أنني قمت بإذلال نفسي وإهانتها أمام ثيو! لكني بالطبع لم أكن قادرة على إخبار فراني بأي من هذه الأمور، لقد أومأت لها ببساطة فحسب.

رائع!، قالتها فراني مُبتسمةً لي ثم أردفت:

- ولكن إياك أن تجعلي تلك الفوضى الموجودة في غرفتك أن تفسد يومك أو إشعارك بكراهية هذا المكان، فأنا شخصيًا لن أسمح بذلك بكل تأكيد.

الفصل الثالث والعشرون

ها أنا أستيقظ مع بزوغ الفجر بينما تتشبث أصابع يدي بذلك الشوار الصخري المكسور، وذلك لأنني كنت قد قضيت ليلتي الماضية شاعرةً بكامل القلق، فها أنا أشعر بآلام شديدة تعصرني من ناحية أسفل الظهر والأكتاف كما أن الألم لا يكف عن الاستمرار تمامًا كما إيقاع الطبول. أتسلل إلى خارج فراش النوم الخاص بي ثم أبدأ في التفتيش بداخل صندوق خزانتي الخشبية وأخرج لتوي ثوب السباحة الخاص بي ومنشفةً ورداءً آخر ونظاراتي الشمسية سابقة الذكر، ثم أتفقد باب المقصورة في طريقي لكن لا أجد شيئًا جديدًا تم طلاؤه عليه بعد، أشعر بالامتنان الشديد من أجل هذا فرؤية فيفان مُجددًا كانت أسوأ مخاوفي، بعد ذلك أسرعت متوجهةً إلى المرحاض ثم أقوم بتغيير ثيابي ثم تمكنت لاحقًا من التوجه إلى موقع البحيرة والقفز على الفور بداخلها، الأمر الذي أشعرني بالراحة التامة بمجرد أن غمرتني المياه، فقد تمددت عضلات جسدي وشملني الشعور بالاسترخاء وحينها فقط أصبح الألم خفيفًا جدًا، فعلى الرغم من أنه كان مُزعجًا إلا أنه كان بمقدوري تحمُله. بدلًا من أصبح بالطريقة التقليدية فقد عدت إلى الوراء قليلًا ثم حاولت أن أجعل جسدي يطفو على صفحة المياه بتلك الطريقة التي علمني إياها ثيو في السابق.

لقد كان صباحًا ضبابيًا، فالسُحب كانت رمادية تمامًا كما حالتي المزاجية، وبدأت أحدق فيها على هذا النحو باحثةً من دون جدوى على أية إشارات لشروق الشمس في القريب. كم أتوق لرؤية تلك الظِلال الوردية أو الأصفر المُتوهج. إنني أتشوق حقًا لأي مشهد من شأنه أن يمنعني من التفكير في فيفان، أعرف أنه لم يكن يجدر بي أن أتفاجأ من ظهورها بالأمس، لأنني قضيت ثلاثة أيام متواصلة أفكر فيها من دون توقف، وها أنا الآن أراها كما أنني أعلم تمام العلم أنها ستعود إليَ مرةً أخرى، أضف إلى ذلك أن هناك شخصاً آخر يُراقبني، ها أنا آخذ نفسًا عميقًا وأغوص أسفل المياه، تلك السماء عديمة اللون التي تترنح كلما فصلت بيننا المياه لتجعلني أسارع بفتح عيني مما يتسبب بدوره في تشويه الرؤية.

ها أنا أغوص عميقًا فما من أحدٍ يستطيع رؤيتي الآن حتى فيفان نفسها! ها هي المياه تغمرني بالكامل لأكثر من دقيقتين كاملتين. ها هي رئتاي تحرقني بشدة تمامًا كما النار في الهشيم بالإضافة إلى أن أطرافي تتدافع بشكلٍ لا إرادي قبالة سطح البحيرة، في تلك اللحظة التي تحركت فيها من مكاني شعرت وكأن شخصاً ما يُراقبني من مسافة بعيدة. تنقبض عضلاتي استعدادًا للحظة لقاء فيفان.

على الجانب الآخر من الشاطئ، تجلس إحداهن تُراقبني. إنها ليست فيفان. حمدًا لله حتى أنها ليست بيكا. إنها فراني تجلس في نفس تلك المنطقة العشبية التي كنت أجلس فيها برفقة بيكا منذ يومين. لا زالت فراني ترتدي ثياب النوم كما أنها قامت بوضع لحافٍ من الصوف أعلى أكتافها، لقد لوحت لي في تلك اللحظة التي قمت فيها بالسباحة للعودة إلى الشاطئ.

لقد استيقظتِ باكرًا! كنت أعتقد أنني الشخص الوحيد الذي استيقظ في تلك الساعة الباكرة!

لم أقل شيئًا لكنني قمت بتجفيف جسدي بالمنشفة وارتديت الرداء الخاص بي وكذلك قمت بوضع النظارات الشمسية، وعلى الرغم من أن فراني بدت مسرورة لرؤيتي إلا أن الإحساس لم يكن مُتبادلًا، لأن ذكرى فيفان الآن باتت أكثر وجوداً في رأسي وكذلك بالنظرِ إلى دفتر يومياتها فأنا على وشك اكتشاف سرها الصغير القذر، كما أنني لم أنس عدم دعم فراني لي عندما اتهمتني ميندي أنني قمت بتخريب باب غرفتنا اللعين بالإضافة إلى مسألة تعطيل كاميرا المراقبة، كل تلك المواقف جعلتني أشعر بحالة من انعدام الثقة.

إنني في حيرة من أمري أفكر ما إن كان يتعين عليّ أن أرحل بعيدًا في تلك اللحظة التي قالت فيها فراني :

أعرف أنك لازلت متوترة بشأن ما حدث بالأمس، لديك كل الحق في ذلك لكنني أتمنى ألا يجعلك ذلك تُمانعين الجلوس مع امرأة عجوز تبحث عن أحدهم لتتحدث إليه، قالتها ثم ربتت بيدها على تلك الرقعة العشبية القريبة منها، تلك الإشارة التي دغدغت قلبي بعض الشيء. لقد جعلني ذلك أفكر إن كان يفترض بي أن أسامحها على موقف الكاميرا وكذلك عدم دفاعها عني كما ينبغي بعد هذا الاتهام سابق الذكر، كما أنني قلت لنفسي إنه ربما كانت

فيفان تكذب بشأن ما كتبته عن فراني، ربما كان ذلك مجرد افتراء لا أساس له من الصحة، لطالما كانت فيفان بارعة جدًا في ذلك. ربما كانت يومياتها تلك مجرد كذبة أخرى. أنهيت ذلك حاسمةً الموقف بحل وسط والذي يتمثل في جلوسي برفقتها من دون أن انخرط معها في الحديث، كان هذا كل ما يمكنني فعله في تلك اللحظة.

يبدو أن فراني قد استشعرت قواعدي غير المعلنة تلك، وبدورها لم تسألني عن أية تفاصيل تتعلق بسبب استيقاظي باكرًا، لقد تحدثت ببساطة وقالت:

- في الواقع إنني أغار من قدراتك على السباحة يا إيما! لطالما اعتدت على قضاء المزيد من الوقت في البحيرة، فعندما كنت فتاة صغيرة لم أكن أغادر البحيرة أبدًا منذ شروق الشمس وحتى الغروب، وإذا لم أفعل ذلك لتوجهت مباشرةً إلى القارب وقمت بالتجديف. على الرغم من أني لم أعد أفعل ذلك بعد غرق دوجلاس.

لم تكن بحاجة لتقديم المزيد من التفاصيل، فلقد كان واضحًا أنها تُشير بدورها إلى دوجلاس وايت، زوجها الراحل الأكبر سنًا، ذلك الرجل الذي مات قبل أن تقوم بتبني ثيو وتشيت . ها أنا أفكر مرةً ثانيةً في جزء جديد من يوميات فيفان ذلك الذي تساءلت فيه بكل صراحة مدونةً:

- ألا تعتقدون أنه من الغريب أن يغرق أحد أبطال الألعاب الأوليمبية في البحيرة هكذا بكل بساطة؟

ها أنا أحاول دفع تلك الكلمة جانبًا بينما قامت فراني بمواصلة حديثها قائلةً:

- على الرغم من أن أيام سباحتي في البحيرة قد ولّت إلا أنني أقضي الوقت هنا أراقب البحيرة وما يدور حولها على الدوام، لقد كنت منذ قليل أراقب حركة أحد الصقور هنا على الشاطئ منذ قليل، قالتها فراني بعد أن اتكأت على ذراعٍ واحد بينما حركت ذراعها الاخر من أسفل الغطاء المصنوع من الصوف وأشارت باتجاه أحد الصقور الذي كان يحوم ببطءٍ شديد حول البحيرة.

إنه يبدو كما طائر الشماظ الضخم، أعتقد أنه يرى شيئاً ما يعجبه بداخل تلك البحيرة، فذات مرة منذ بضع سنوات شاهدت زوجين من صقور الشاهين قد قاما ببناء عشهم

أمام نافذة غرفة المعيشة مباشرة للنزل الخاص بال هاريس. لا زلت أتذكر كيف كان تشيت طفلًا صغيرًا في تلك الأثناء كما أنه كان مولعًا بشدة بذلك النوع من الطيور الجارحة في تلك الفترة، لقد أخذ يُحدق في النافذة من أجل مراقبتهم حتى تلك اللحظة التي قاموا فيها بوضع البيض. لقد كانت ثلاث بيضات كما أتسم صغار الصقور بالضآلة والوهن حيث بدوا كما كُرات القطن اللامعة، ومن ناحيته قد ابتهج تشيت وأحس بالفخر كما لو كان يملكهم فعلًا، لكن هذا الوضع لم يستمر طويلًا فسرعان ما تُخيب الطبيعة الآمال، ولم يكن هناك أية استثناءات فقد انطلق الصقر الضخم ناحية البحيرة مُحلقًا إلى الأعلى ناشرًا جناحيه حتى ارتطم بالمياه وعندما ارتفع مُجددًا كان يحمل إحدى الأسماك بين مخالبه والتي لم تتمكن أبدًا من الهرب مهما حاولت أن تتلوى أو تُرفرف. لاحقًا ابتعد الصقر مُتجهًا بدوره إلى الجانب الآخر من البحيرة حيث باستطاعته أن يتناول طعامه بحرية وسلام.

- لماذا قمت بإعادة فتح مُخيم نايتنجيل مُجددًا؟، سألتها بتلقائية مُباغتة فاجأتني أنا أيضًا.

لكن فراني كانت تتوقع ذلك أو أنها علمت أني كنت لأطرح عليها سؤالًا مُشابهًا لذلك فقد توقفت عن الكلام حتى تتمكن من التقاط أنفاسها قبل الرد ثم قالت:

- في الواقع لأنه قد مرت فترة طويلة جدًا يا إيما، فخمسة عشر عاماً ليست بالأمر الهين على الإطلاق ليظل المكان فارغًا شاغرًا على هذا النحو.

- لماذا لم تقومي بذلك من قبل؟

- لم أكن أعلم أنني متأهبة للقيام بذلك، على الرغم من أن المُخيَم كان في انتظاري طيلة كل هذا الوقت

- وما الذي أقنعك أنك أصبحت مُستعدة الآن؟

لم يكن هناك إجابة حاسمة هذه المرة، فقد فكرت فراني في الأمر ثم ثبتت عينيها على البحيرة وواصلت الحديث قائلة:

- في الواقع أنا على وشك أن أخبرك بشيء هام جدًا يا إيما، إنه أمر خاص شخصي، لا يعرفه إلا القليل من الناس ويتعين عليك إخباري أنك لن تتحدثي بشأن ذلك مع أي شخص آخر.

- أعدك، لن أفعل ذلك

إنني أحتضر يا إيما.

اعتصر قلبي مجددًا على نحوٍ مؤلم هذه المرة وكأنه قد تمت مُهاجمته للتو من جانب أحد تلك الصقور الضخمة الهائلة.

- إنني أعاني سرطان المبيض، وقد وصلت بدوري إلى المرحلة الرابعة وقد أعطاني الأطباء ثمانية أشهر فقط، وقد مرت منها أربعة أشهر ويمكنك حساب الأيام القليلة المتبقية.

- لكن بالتأكيد لديك شيءٍ ما يُمكنك فعله لمقاومة ذلك الأمر!

كان المعنى الضمني في غاية الوضوح فهي امرأة تملك ملايين الدولارات، فمن المؤكد أن شخصًا ما بنفس هذا القدرِ من الثراء يُمكنه أن يبحث عن أفضل أنواع العلاج، على الرغم من ذلك فقد هزت فراني رأسها وقالت:

- لقد تأخر الوقت كثيرًا من أجل إحداث تلك الجَلَبة الآن، فقد انتشر السرطان بشكلٍ واضح في جسدي، فأي علاج مهما كان سيكون فقط بمثابة تأجيل أمر محتوم لا مفر منه.

في الواقع، لقد ذُهلت من هدوئها الشديد وتقبلها التام للموقف، لقد كنت على نقيضها فقد كنت أتنفس بصعوبة بالغة، وظلت الدموع محبوسة في زوايا عيني فها أنا تمامًا كما فيفان أصبحت أعرف أحد أسرار فراني، لكنه لم يكن سِرًا قذراً بل كان أمرًا يبعث على الحزن والذي جعلني أفكر في تلك الأماكن الخفية في الغابات، فكما تقول المقولة القديمة الشائعة:

«إن الساعة الأخيرة من شأنها أن تقتل المرء حقًا».

أنا آسفة حقًا يا فراني.

ربتت مديرة المخيم على ركبتي على طريقة جدتي.

- إياكِ أن تشعري بالأسف تجاهي يا إيما، لطالما كنت امرأة محظوظة كما أنني عشت حياة رائعة مُدهشة، فقد عشت حياةً طويلة سعيدة حالفني فيها الحظ في كل شيءِ فيما عدا شيءِ واحد فقط.

هل تقصدين ما حدث هنا؟، قلتها.

- أجل، لقد أرهقني ذلك إلى هذا الحد الذي لم أكن أسمح

لثيو أو تشيت بملاحظته أو معرفته.

- ما الذي حدث لهن في رأيك؟ أقصد الفتيات الثلاثة فيفان وناتالي وأليسون؟

- في الواقع أنا حقًا لا أعرف أي شيء عن تفاصيل هذا الحادث يا إيما.

- لكنك بالتأكيد تملكين رؤية ما أو نظرية ما حيال ما حدث، فلكلٍ منا وجهة نظر مختلفة في تلك الأمور.

- تلك الرؤى والنظريات لا تهم على الإطلاق، فليس من الجيد الاعتماد عليها بأي حالٍ من الأحوال، فما حدث قد حدث، بالإضافة إلى أنني لا أريد أن أتذكر كم هذا الأذى الذي سببه لي اختفاء الفتيات الثلاث، لقد ألحق بي هذا الحادث الضرر في عدة مناحي.

كان بمقدوري بالطبع تفهم مشاعرها تلك، فقد تم إجبارها على إغلاق مُخيم نايتنجيل كما أن شمعتها قد تدمرت تمامًا، أضف إلى ذلك أصابع الاتهام التي أشارت نحو ثيو وكذلك ثلاث دعاوى قضائية مُنفصلة والتي تم التقدم بها من جانب آباء فيفان وناتالي وأليسون والتي اتهموا فيها إدارة مُخيم نايتنجيل بالإهمال والتقصير، لكنه سرعان ما تم تسويتها فورًا لقاء مبلغ غير مُعلن من المال.

- لقد أردت حقًا أن أحظى بعطلة صيفية أخيرة هنا في مُخيم نايتنجيل، ولهذا السبب قمت بإعادة فتح المعسكر مرة أخرى، لقد فكرت أنه إذا أمكنني فعل ذلك مُجددًا بالمزيد من الجهد والإدارة الجيدة ربما سيخفف ذلك من هذه الآلام التي وقعت منذ خمسة عشر عامًا مضت، فإذا حظيت بعطلة صيفية رائعة هنا يُمكنني أن أموت برضا تام.

- أعتقد أن هذا دافع جيد لإعادة فتح المُخيم، قلتها بعفوية بالغة.

- أعتقد ذلك أيضًا، قالتها فراني ثم أضافت:

- سيكون من المُخزي حقًا والجالب للعار إذا حدث شيء ما من شأنه أن يُفسد ذلك.

استحالت تلك الغصة التي سكنت قلبي إلى شعورٍ قوي بالتخدير بمجرد أن تذكرت ما دونته فيفان في دفتر يومياتها، لقد كانت تشتبه في شيءٍ ما من دون شك، قلت على الفور:

- بالتأكيد لن يحدث أي شيء هذه المرة.

تفوهت بتلك الكلمات محاولةً أن أبدو أكثر رقة وابتهاجًا حتى أخفي ذلك القلق المباغت الذي احتل روحي وأفكاري حينها.

- إن الجميع يحظى بوقت جيد هنا في مُخيم نايتنجيل، قالتها فراني بعد أن أشاحت بنظرها بعيدًا عن مياه البحيرة موجهةً بصرها إليَ مُباشرةً. لم تبد عيناها مُتأثرةً بمرضها على الإطلاق، فعلى النقيض بدت واثقة ثاقبة وكأنها تمتلك القدرة على اختراق أفكاري الخاصة ثم سألتني:

- وماذا عنك يا إيما؟ هل تستمتعين بوقتك هنا؟

- أجل بالطبع، في الواقع أستمتع كثيرًا، قلتها من دون أن أنظر إليها بدوري.

- أنا مسرورة للغاية لسماع ذلك، قالتها على الرغم من أن صوتها كان خاليًا من البهجة، فقد كانت نبرتها مُخيفة تمامًا كما تلك النسمات الباردة التي سافرت لتوها من سطح البحيرة مُتجهةً نحونا. قمت بارتداء ثوبي على الفور لأحمي نفسي من البرودة المُباغتة تلك ثم نظرت إلى موقع النُزل حيث جاءت لوتي من جهة الميناء الخلفي ثم قالت:

- ها أنت هنا! هل كل شيء بخير؟

- كل شيء جيد يا لوتي، لقد كنت فقط أتحدث مع ايما عن أحوال مُخيم نايتنجيل.

حسنًا، ولكن أتمنى ألا تتأخري لفترة أطول على تناول وجبة الإفطار الخاصة بك.

- يتعين عليك الذهاب الآن يا فراني كما أنه يتوجب عليَ الذهاب إلى الفتيات في مقصورة القرانيا، قلتها.

- لكنني لم أكمل قصتي حول تشيت والصقور العملاقة، قالتها فراني ثم أردفت:

فلم يستمر الأمر طويلًا بعدما وضعت تلك الطيور بيضها، وحينها كان تشيت مهووسًا بها فقد قضى طيلة وقته يراقبها، أعتقد أنه أحب تلك الطيور طيلة فترة صغره، لكن شيئًا ما قد حدث والذي لم يكن تشيت متأهبًا له. فقد شعرت صغار الصقور بالجوع المفاجئ وحينها تأهبت الأم للقيام بما اعتادت القيام به في تلك الظروف، راقبها تشيت أثناء تحليقها في الهواء بعيدًا عن عشها الملاصق للنافذة متوجهةً ناحية السماء العريضة الواسعة وأخذت تدور

وتدور على غير هدى حتى جاءت تلك اللحظة التي ظهرت فيها حمامة بريئة كانت في طريقها إلى الحديقة المركزية لكن الأم انقضت عليها وانتزعتها بمخالبها ثم أحضرتها إلى العش الملاصق للنافذة وبينما كان تشيت يُراقب هذا المشهد وجدها تستخدم منقارها المُقوّس في تقطيع الحمامة وتمزيقها إلى أجزاء وتُطعمها لصغارها قطعة قطعة.

لقد ارتجف بدني في تلك اللحظة التي تخيلت فيها هذا المشهد وتصورت فيها تلك الأجنحة المتطايرة والريش الناعم يسبح في الهواء كما الثلج.

- لا يمكننا بالطبع إلقاء اللوم على الأم، قالتها فراني بشكلٍ واقعي ثم أردفت:

لقد كانت تفعل ما يتوجب عليها فعله، أجل فكان يتعين عليها الاعتناء بصغارها على أية حال، هذه هي وظيفتها، لكن ذلك المشهد قد كسر قلب تشيت حينها، فلقد كان يُراقب صغارها عن كثب طيلة الفترة الماضية ولكنهم كشفوا عن طبيعتهم الحقيقية في لحظةٍ حرجةٍ كتلك، وكأن المشهد المؤسف قد تسبب في خدش براءته في هذا اليوم، ليس بالكثير ولكن القليل منها، لقد بدا الأمر وكأن هناك جزءًا منه لم يكن قادرًا على العودة مُجددًا كما كان، وعلى الرغم من أننا لم نكن نتحدث عن تلك الصقور أنا واثقة أنه لم يقل يومًا إنه كان نادمًا على مُراقبة صغار الصقور عن قُرب، ولو كان له أن يتحدث في هذا الأمر حينها أعتقد أنه كان ليقول إنه كان يتمنى ألا ينظر إليها طويلًا.

نهضت فراني مُحاولةً بذل قصارى جهدها في شد الغطاء حول أكتافها إلا أنه قد انزلق قليلًا وكشف عن مدى نحافة ذراعيها الأشبه بقضبان السكك الحديدية ثم قامت بإحكام الغطاء في آخر المطاف حولها جيدًا وقالت:

- حسنًا أتمنى لك صباحًا جيدًا يا إيما.

تركتني فراني بمفردي أرتجف من البرد وأتأمل تلك القصة الخاصة بتشيت والصقور، فعلى الرغم من أنها لم تبد كذبة إلا أنها أيضًا لم تبد كقصة حقيقية بالنسبة لي، لكنني أدركت في تلك اللحظة أنها قد تكون بمثابة تهديدًا

الفصل الرابع والعشرون

انقضى درس الرسم الصباحي وسط حالة واضحة من التشتت والإلهاء، شرعت الفتيات في تنظيم حوامل الرسم الخاصة بهن وجلسن في انتظامٍ حول تلك الأشياء التي كان يفترض بهن البدء في رسمها مثل الطاولة، والإناء والزهور. وأخذت بدوري أراقب تطورهن لامبالاية، لقد كنت قلقة فقط بشأن ذلك السوار السّحريَ الذي كنت أقوم بلفه حول معصمي، لقد حاولت أن أقوم بإصلاح المشبك الخاص به عن طريق استخدام المزيد من الأدوات من قسم الحرف الخاص بكاسي - فقد قمت باتخاذ ذلك كتدبير مؤقت لم يكن ليستمر حتى لنهاية اليوم ناهيك عن نهاية العطلة الصيفية، فلم يكن ذلك يتوافق مع طريقتي في التعامل مع ذلك السوار ولفه مرارًا وتكرارًا كلما لزِم الأمر كما أنني كنت في غاية التوتر بسبب كل تلك الأنشطة المزدحمة والصخب الذي يُشبه عملية المد والجزر حول المبنى، فها هي بيكا برفقة زملائها المصورين الموهوبين يتجولون معًا في الغابات وها هي كاسي برفقة زميلاتها اللواتي عكفن على صناعة وحياكة القلائد الجلدية المطعّمة بالخرز، جدير بالذكر أنه بين كل هذا الكم من الفتيات وتلك العيون المتطفلة هناك من يعرف جيدًا ما فعلته منذ خمسة عشر عامًا، تلك الحقيقة التي كنت لأتذكرها آجلًا أو عاجلًا.

أحكم قبضتي حول ذلك السوار السّحريَ الذي يلف معصمي في تلك اللحظة التي أقترب فيها من ميرندا لفحص عملها الفني ولكن عندما تنظر بدورها إلى معصمي أسحب يدي على الفور وأتوجه للنظر عبر النافذة، فمن نافذة مبنى الحرف والفنون يمكنك رؤية النُزل الذي يسكن فيه أبناء عائلة هاريس وايت، فها أنا أرى تشيت وميندي يتشاجران معًا بشأن شيءٍ ما في طريقهما إلى قاعة الطعام بينما يتبعهما ثيو بسرعة بتلك الهرولة الصباحية. بعد مرور دقيقة إضافية رأيت لوتي تقوم بتوجيه فراني وإرشادها بحذر ناحية البحيرة. ها هو النُزل بات فارغًا تمامًا الان، وها أنا أتذكر قصة فراني مُجددًا، إن صداها يرن في أذني بكل قوة:

- لقد كان يُراقبها عن قُرب لكنها كشفت عن طبيعتها

الحقيقية!

أعرف أنه كان يتعين عليّ أن أنتبه إلى تحذيرها، فلن ينتهي الأمر بشكلٍ جيد على هذا النحو في نهاية المطاف، فحتى إن حصلت على الإجابات التي أريدها ليس هناك أي ضمان أن يرتاح ضميري من الشعورِ بالذنب، لكني لن أعرف إذا لم أقم بأية محاولة، ولن أعرف أيضًا لماذا أنا هنا الآن؟ وكذلك لن أعرف سبب ملاحقة صورة فيفان لي طيلة تلك السنوات الماضية؟ ربما لهذا السبب قد رأيتها الليلة الماضية، إنها فرصتي الوحيدة لكشف حقيقة ذلك الأمر.

- في الواقع يتعين عليّ القيام بشيءٍ ما الآن، سوف أعود بسرعة، استمروا في الرسم، قلتها للفتيات ومضيت إلى خارج المبنى متسللةً إلى مقصورة القرانيا من أجل استعادة هاتفي والشاحن ثم توجهت إلى النُزل ثم مضيت على غير هُدى مُترنحةً بين إحساسي بالخوف والعجلة، في الواقع، لقد كنت أشعر بالأمرين معًا.

طرقت الباب الأحمر الرئيسي أولًا تحسُبًا إن كان أحدهم قد عاد إلى هنا خلال رحلتي القصيرة التي انتقلت خلالها إلى المقصورة لإحضار الهاتف وعندما مرت الثواني من دون أن يُجيب أحدهم قمت بفتح الباب على الفور.

لم يكن الباب مُغلقًا، حاولت أن أتفقده لأرى إن كان أحدهم يُراقبني أو إن كان شخص ما يقف في الجوار لكنني لم أجد أي أحد لذا تقدمت إلى الداخل وأغلقت الباب خلفي ثم تجولت ناحية مدخل الردهة وغرفة المعيشة قبل أن أتوجه يسارًا ناحية غرفة المكتب. كانت الغرفة في نفس حجم مقصورة القرانيا كما أنها كانت مُزودة بمكتب في المنتصف وأرفف كتب مُمتدة في نفس مكان أسرتنا كما أن الجدار خلف المكتب كان مُغطى بالصورة الفوتوغرافية المؤطرة، كانت أجواء الإهمال تحتل المكان، فقد كان النُزل أشبه بالمتحف الذي خرج كُليًا من أعمال الصيانة والإصلاحات، أضف إلى ذلك أن طبقات الغُبار الرقيقة كانت تُغطي مصابيح المكتب كما أنه كان هناك طبقات أكثر سماكة على قرص الهاتف الدوار والذي بدا وكأنه لم يلمسه أحدهم منذ سنوات طويلة. ها أنا أركع على يدي وركبتي لأفتش بين الجدران بدوري عن منفذ، وها أنا أجده خلف المكتب وأقوم بتوصيل شاحن هاتفي فيه على الفور ثم أجلس في منتصف غرفة المكتب

متسائلةً في عجب أين يمكنني أن أبحث أولًا، فمن الصعب أن أقرر من دون أن أضع دفتر يوميات فيفان نصب عيني، ها أنا أستدعي ما كتبته حول تسللها إلى غرفة المكتبة وعثورها على شيءٍ ما وهذا يعني أنه من المحتمل إيجاد بعض الأدلة في هذا المكان.

أتوجه لتوي إلى رف الكتب الموجود في جهة اليسار، ذلك الذي يشتمل على عشرات الكتب السميكة الخاصة بالطبيعة، وكتاب أصل الأنواع لتشارلز داروين، وكتاب الطيور الأمريكية وأعمال والد ديفيد ثورو، أقوم بالتقاط الكتاب القرمزي وفحص الغلاف، كان العمل يخص النباتات السامة لأمريكا الشمالية والذي يستعرض عددًا من الصور للنباتات البيضاء، والتوت الأحمر وعش الغراب ذو اللون الأخضر الباهت. أشك أن هذه الكتب هي التي كانت فيفان تشير إليها في دفتر يومياتها. ها أنا أستدير إلى المكتب التالي وألقي نظرة خاطفة قبل أن أصل إلى الأدراج المكتظة من الأرض إلى الأعلى، كان الدرج الأول يتمثل في أغطية أقلام ومشابك ورقية، ها أنا أغلقه وانتقل إلى الدرج الأوسط، توجد في الداخل كومة من المجلدات المنغمسة مع الوثائق والتي تبدو حوافها هشّة بسبب مرور السنين. ها أنا أمرر يدي بينها لأجد الكثير من الإيصالات، والكشوف المالية والفواتير تعود إلى فترة طويلة من الزمن تخص ملكية هذا المكان، في الواقع لا يتواجد بين تلك الأوراق أي تلميح لوجود أية فضيحة على الإطلاق، على الأقل ليس هناك شيء مما تحدثت عنه فيفان في يومياتها.

أعثر على صندوق خشبي تم وضعه أسفل الدرج، إنه يبدو أشبه بهذا الصندوق الذي مكنتني فيفان من رؤيته في ذلك اليوم الذي خرجنا فيه معًا على الجانب الاخر من البحيرة، لكن هذا الصندوق تم حفظه بشكلٍ أفضل، على الرغم من أنه نفس الحجم ونفس الثُقل حتى أن الأحرف الأولى التي تم حفرها على الغطاء تبدو واحدة.

تشارلز كاتلر. ها هو الاسم ينزلق إلى عقلي من دون جهد أو حذر، لقد استدعت تلك الكلمات شيئاً ما كنت قد قرأته من قبل لذا قمت برفع الصندوق على الفور وإبعاده عن مكانه السّرّيَ بحذر ثم استدرت وقمت بفتحه وحينها وجدت أربع كلمات مألوفة تم حفرها على القاع وهي

«ضمن أملاك وادي السلام». عندما قمت بقلب الصندوق وفتحه وقعت عيني على شريط أخضر مخملي بالداخل وكذلك كان هناك عدد من الصور الفوتوغرافية القديمة لمجموعة من النساء، لاحظت كيف انسدلت شعورهن إلى الوراء، لقد رسمت كل واحدة منهن نفس تلك النظرة التي رسمتها إليانور أوبورن باستثناء فرشاة الشعر، أعتقد أن فيفان قد حصلت على تلك الصورة من هناك، أنا واثقة من ذلك، إنها واحدة بين عشرات الصور الأخرى القديمة. ها أنا أقوم بفرزها شاعرةً بالقلق والاستياء من كم التماثل والتجانس الذي تشهده تلك الصور، فالنساء جميعهن يرتدين نفس الثياب وخلفهن نفس المشهد والجدار الخالي تمامًا من أية زخارف أو نقوش كما أن أعينهن كانت مُعتمة بفعل اليأس وفقدان الأمل. تمامًا كما صورة إليانور كانت خلفية كل صورة تحمل اسمًا ما، فهناك هنريتا جولدن، لوسيل تواني ، آنيا فلاكسن ، وغيرهن من النساء اللواتي كن نزيلات مستشفى وادي السلام للأمراض العقلية، أولئك النساء اللواتي أنقذهن الطبيب تشارلز كالتر وأخذهن بعيدًا عن المستشفيات البائسة القذرة سيئة السمعة واصطحبهن إلى مستشفى وادي السلام، في الواقع لا يمكنني أن أخفي شكوكي أن نواياه لم تكن نبيلة جدًا، ها هي الرّجفة تتملكني بقراءة كل اسم من تلك الأسماء حتى أشعر بغتةً أن جسدي مُخدر تمامًا، يمكنني القول أن أوبرون وجولدن وتواني وفلاكسن لم تكن أسماء عائلاتهن لكنها كانت إشارة إلى ألوان شعرهن.

ها أنا أسقط أسيرة لعددٍ من الأفكار المختلفة المُتباينة المُخيفة، ها هي تُطيح برأسي، ففي تلك الأثناء أرى هذه المقصات الصدئة القديمة التي تم دفنها في السابق داخل ذلك الصندوق المتهالك وصوت الزجاج المُحطّم الذي أحدثته عندما قامت فيفان بقلب الصندوق كما أنني أتذكر فجأة مشهد رؤية والدة أليسون البائسة أثناء مشاهدتها مسرحية سويني تود الغنائية ذلك اليوم وأتصور إرسال إحداهن إلى مستشفى للأمراض العقلية لتقع تحت رحمة مجموعة من المراقبين والشجناء الذين قاموا بإرسال شعرها إلى أحد صانعي الشعور المستعارة! فهذا ما كان يفعله تشارلز كاتلر ! وهذا يُفسر بدوره سبب امتلاك أولئك النساء لشعر طويل ينسدل على ظهورهن كما أن أسماء

عائلاتهن الحقيقية غير مكتوب ولكن بدلًا من ذلك تمت الإشارة إلى ألوان شعرهن وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن هذه النقطة أكثر أهمية من هويتهن الشخصية، لكنني أتساءل حقًا إن كن يعرفن شيئًا عن سبب تواجدهن في هذا المكان، فهن لم يكن نزيلات أو مريضات فلقد تم التعامل معهن على أنهن سلع أو بضائع! ومن المؤكد أنه لا علم لديهن أبدًا بشأن المال الذي كان تشارلز كاتلر يتسلمه من صانعي الشعر المستعار لقاء ذلك.

تلك الفكرة التي أحزنتني بشدة إلى هذا الحد الذي لم يجعلني أنتبه إلى تلك اللحظة التي دخل فيها أحدهم النُزل حتى سمعت صوت لوتي تسأل:

- مرحبًا، هل من أحدٍ هنا؟

أسقطت الصور الفوتوغرافية أرضًا ثم أعدتها إلى الصندوق الخشبي مُجددًا بسرعة ووضعت الغطاء ولكن تلك الحركة جعلت سواري السّحريّ يُحدث صوتًا لذا حاولت أن أضغطه بيدي حتى يتوقف عن ذلك الصوت.

- هل هناك أحد ما؟

- أجل، أنا إيما دافيس، قلتها آملةً أن أغطي صوت إغلاق درج المكتب على هذا النحو ثم نهضت على الفور وعدت إلى خلف المكتب وحينها وجدت لوتي تقف في الرّدهة. لقد بدت علامات الدهشة جليةً على وجهها لرؤيتي، ولقد كان الشعور مُتبادلًا في واقع الأمر.

- كنت أقوم بشحن هاتفي، لقد أخبرتني ميندي أنه بمقدوري القيام بذلك متى أريد هنا في النُزل فقط.

- كم أنت محظوظة أن فراني ليست هنا، فهي مُتحفظة بعض الشيء بخصوص تلك الأمور كما تعلمين، قالتها ثم رمقتني بنظرة تآمرية جعلتني أتيقن بالفعل أن فراني في مكانٍ آخر الآن ثم اقتربت مني وقالت:

- أعرف أنها قاعدة سخيفة، ولقد حذرتها من ذلك في السابق وأخبرتها أن فتيات اليوم أكثر اختلافًا عن السابق وأنهن شديدات الالتصاق بشاشات هواتفهن المحمولة ولكنها أصرت فأنت تعلمين كم هي عنيدة.

جلست لوتي إلى جواري حول المكتب، ويجدر بي القول إن قلبي قد توقف حينها لمدة ثانية من الزمن، أعتقد أنها كانت تعرف ما أفعله لذا تأهبت للمزيد من الأسئلة وربما

قد تشتمل على أحد تلك التهديدات المبهمة الشبيهة بذلك التهديد الذي عرضته فراني صباح ذلك اليوم، ولكن بدلًا من كل ذلك فقد ركزت لوتي على تلك الصور الفوتوغرافية المؤطرة التي تُزين الجدار خلف المكتب والتي تم وضعها من دون أي نظام وبشكلٍ عشوائي فقد امتزجت الصور الملونة مع تلك الأخرى الموجودة في إطار الأبيض والأسود والتي وصل حجمها إلى حجم جدار كامل. ها أنا ألمح صورة أحدهم والذي كان يقف أمام بحيرة مُنتصف الليل إلا أنه تمت كتابة التاريخ على عجل بخطٍّ أقرب إلى الخربشة السريعة في زاوية اليمين السفلية للصورة: 1903.

- هذا هو جد فراني، إنه بوكانان هاريس بنفسه، قالتها لوتي مُشيرةً إلى صورة رجل يتمتع بضخامة هائلة كانت تُميز رجال عصره في تلك الحقبة الزمنية، فكانت أكتافه عريضة وبطنه كبيرة وكذلك كانت لديه وجنتان متوردتان، لقد بدا حقًا كشخص تمكن من جني ثروة هائلة من خلال تجريد الأرض من أشجارها ثم قام بإنفاق كل هذا المال صانعًا بحيرة فقط من أجل متعته الشخصية.

أشارت لوتي ناحية امرأة تُشبه العصافير كانت أيضًا في الصورة، كانت لديها عيون واسعة جدًا وشفاه كما الدُمية كما أنها وقفت متضائلة مُتقزمة برفقة زوجها.

- هذه هي جدة فراني.

- لقد سمعت أنها غرقت، قلتها

- لا، إنها ماتت عقب الإنجاب، زوج فراني هو من غرق في البحيرة

- كيف حدث ذلك؟

- حادث الغرق؟ لقد كان ذلك قبل أن أعمل هنا، لكن ما سمعته أن فراني وزوجها دوجلاس خرجا معًا كما هي عادتهما من أجل السباحة في وقتٍ متأخر من الليل، لم يكن هناك شيء غريب بخصوص تلك المسألة، ولكن في تلك الليلة على وجه التحديد، عادت فراني بمفردها، لقد كانت في حالة هيستيرية وأخذت تتحدث كيف غرق دوجلاس عميقًا أسفل المياه وأنه لم يكن باستطاعتها العثور عليه حتى أنهم قاموا بإرسال قوارب من أجل البحث عنه لكنهم لم يتمكنوا من إيجاد جسده إلا في

صباح اليوم التالي بعد أن جرفته الأمواج على الشاطئ، ذلك الرجل المسكين! في الواقع، لقد شهد هذا المكان نصيبه العادل من المأساة.

ها هي لوتي تمضي قُدمًا مُشيرةً إلى صورة أخرى لفتاة بالأبيض والأسود، تلك التي تكشف عن صورة فتاة تميل إلى جوار شجرة وتضع زوجين من النظارات المُعظّمة حول رقبتها. إنها فراني كما أنه ثمة صورة أخرى لها في البحيرة أيضًا حيث كانت ترتدي ثيابًا ذات ألوان زاهية مُشرقة، لكنها كانت أكبر سنًا في تلك الصورة التي جلست فيها على رصيف النُزل بينما أدارت ظهرها للماء كما أنه كانت هناك امرأة أخرى تجلس إلى جوارها تبتسم:

- إنها أمي!، قالتها لوتي وحينها اقتربت أكثر من الصورة لأجد أوجه التشابه بين تلك المرأة التي كانت تجلس إلى جوار فراني وتلك المرأة التي تقف أمامي الآن، كانت الابنة تُشبه أمها من حيث عدة مناحي منها لون البشرة الفاتحة والحواجب المقوسة والوجوه والذقن المُدببة.

- هل أمك كانت تعرف فراني؟

- أجل، لقد نشأت برفقتها فقد كانت جدتي هي السكرتيرة الشخصية لأم فراني، وقبل ذلك كان جدي بمثابة اليد اليمنى للسيد بوكانان هاريس، في الواقع لقد ساعده في حفر تلك البحيرة وخلقها وعندما أصبحت فراني في الثامنة عشرة من عمرها أصبحت أمي السكرتيرة الخاصة بها، وعندما ماتت عرضت فراني الوظيفة عليّ.

- هل هذا ما كنت تريدينه حقًا؟، سألتها وأنا على يقينٍ تام بمدى وقاحة سؤالي هذا، فالأمر بدا وكأنني أحكم على لوتي تمامًا كما أصدرت حُكمي الخاص بشأن فراني التي لا زالت تُبقي على تقاليد عائلة هاريس من خلال استخدام الأجيال المُتعاقبة لنفس العائلة من أجل جعل حياة عائلة هاريس أكثر سهولة ويُسراً.

- ليس بالضبط، فلقد كنت أود أن أصبح ممثلة لكنني كنت أعمل كنادلة في تلك الأثناء، وعندما ماتت أمي وعرضت فراني تلك الوظيفة عليّ كنت على وشك أن أرفضها إلا أنني سرعان ما عدت إلى رشدي، فقد كنت في الثلاثينيات من عمري ولم أكن أكسب إلا الفتات لكن آل هاريس وايت كانوا يتعاملون معي بشكلٍ رائع، وكأني فرد

من العائلة، لقد نشأت معهم وقضيت معظم أوقاتي هنا أمام بحيرة منتصف الليل أكثر من ثيو وتشبثت لذلك قبلت عرض فراني وأنا معهم منذ ذلك الحين.

كان هناك الكثير من الأمور التي أردت صدقًا الاستفسار عنها، لقد أردت أن أعرف منها إن كانت سعيدة بفعل نفس الشيء الذي فعلته أمها وإن كانت العائلة جيدة حقًا معها وأخيرًا إن كانت تعرف سبب إبقاء فراني على وجود صور نزيلات المستشفى النسائي للأمراض العقلية في مكتبها هنا.

أعتقد أنني رأيت كاسي في تلك الصورة، قالتها لوتي مشيرةً إلى إحدى الصور الموجودة أسفل الجدار والتي اشتملت على صور أول عطلة صيفية في مخيّم نايتنجيل، هناك حيث اجتمعت الفتيات في قاعة التنس ووقفن معًا أيضًا في زكن الرماية.

- ها هي تلك الفتاة هناك برفقة ثيو، قالتها لوتي وأشارت ناحية ثيو الذي كان يسبح إلى جوار كاسي ويقوم بتعليمها كيفية السباحة تمامًا كما كان يعلمني في السابق، كانت كاسي أكثر رشاقة وبهاء وأناقة في تلك الصورة من وضعها الآن، لم أكن أعرف إن كان قد تم التقاط تلك الصورة لها منذ أن كانت إحدى الفتيات المخيمات هنا، في الأعلى كان هناك مجموعة من الفتيات اللواتي كن يرتدين ملابس التخييم المألوفة بينما انعكست أشعة الشمس على أعينهن وبرز أيضًا ظل المصور الفوتوغرافي في المشهد ناحية الجزء السفلي من الإطار كشبحٍ يتجسس عليهما من دون أن يلاحظه أحد.

إحدى الفتيات كانت فيفان بينما الأخرى كانت ريبيكا شونفيلد، شعرت وكأن قلبي على وشك أن يقف! لقد كانت فيفان تقف إلى جوار ريبيكا في إطارٍ من الألفة والمودة والحب، في الواقع لم تبد وكأنهما لا تعرفان بعضهما البعض ولكن الصورة رفعت شعار الصداقة!

يتعين عليّ أن أذهب الآن، قلتها بسرعة بينما قمت بالتقاط هاتفي والشاحن الخاص بي.

- هل ستخبرين فراني بذلك الأمر؟، سألتها.

هزت لوتي رأسها ثم قالت:

- بعض الأمور يتوجب علينا إخفاؤها عن فراني، قالتها

وتأهبت للمغادرة ثم دارت حول المكتب ومنحتني دقائق معدودة لأرفع هاتفي وألتقط صورة لفيفان وبيكا معًا ثم هرولت بسرعة إلى خارج الغرفة بنفس الطريقة التي دخلت فيها إلى النُزل، لكنني اصطدمت عند الباب الأمامي بثيو وتشيت وميندي وحينها كنت أترنح بين الأخوين، ثم أمسك تشيت بذراعي قائلًا:

- أوه ايما ! قفي هنا!

أنا آسفة، في الواقع لقد أردت أن أشحن هاتفي فقط، قلتها وانطلقت كما السهم إلى قلب المُخيّم، كانت دروس الصباح قد انتهت وقد انجرفت الفتيات إلى غرفهن وقاعة الطعام ومبنى الحرف والفنون، وعندما وصلت إلى مقصورة القرانيا وجدت الفتيات بالداخل، كان هذا بالتزامن مع وقت القراءة لأحد الكتب المصورة من جانب كريستال وكتاب آخر ورقي لأجاثا كريستي بينما كانت ساشا تتصفح مجلة ناشونال جيوجرافيك.

- إلى أين ذهبتِ؟، سألتني كريستال وأردفت:

- أنتِ لم تعودي مُجددًا.

- أنا آسفة، لقد ارتبطت بشيءٍ ما.

ركعت أمام صندوق خزانتي الخشبي وحركت يدي فوق الغطاء وشعرت بتموجاتِ كل الأسماء التي تم حفرها على ذلك الغطاء في السابق.

- ما الذي تفعلينه؟، سألتني ميرندا.

- أبحث عن شيءٍ ما.

- ما هو؟، سألت ساشا.

أميل إلى الجهة اليمنى ثم أتحسس صندوق الخزانة الخشبي، هناك حيث وجدت تلك الكلمة المحفورة على الصندوق على بُعد إنش واحد من الأرض والتي كُتب فيها إسم «بيكا».

- أيتها الكاذبة!، قلتها على الفور.

قبل خمسة عشر عامًا

مُخيّم نايتنجيل. الرابع من شهر يوليو.

ثمة شيءٍ غامض احتل الجو في تلك الليلة، يمكنني القول إنه كان مزيجًا من الحرارة والحرية وروح الإجازة. فقد بدا الاجتماع حول نار المُخيّم أكثر صخبًا وإثارة كما أن الفتيات المشاركات كن أكثر سعادة، لقد لاحظت أيضًا أن تلك المأساة التي تمت إثارتها منذ دقائق في غرفة مقصورتنا تبددت تمامًا بعد تناول وجبة العشاء كأنها لم تكن!

لقد راقبت دوي ضحكات فيفان وناتالي وأليسون أثناء تناول وجبة العشاء كما أن فيفان لم تقل شيئًا عندما طلبت ناتالي طبقًا إضافيًا كما أن أليسون نظفت طبقها ملتهمة طعامها بأكمله بشراهة غير معهودة. غمرتني الراحة في تلك اللحظة لأنني أدركت أن فراني كانت مُحِقَّة، فها هي عاصفة الغضب قد مرت بأمان. ها نحن جميعًا نجلس حول نار المُخيّم شاعرين بكامل الدفء النابع عن وهجها البرتقالي.

- نحن نشعر بالأسف الشديد حيال ما حدث اليوم في المقصورة يا إيما، قالتها فيفان ثم رددت أليسون خلفها قائلةً:

- أجل، فلم يكن هناك أي شيء على الإطلاق.

- بالفعل لم يكن هناك أي شيء يستدعي ذلك، أضافت ناتالي.

أومأت برأسي، ولم يكن سبب ذلك تصديقي لهن، ولكن كان السبب الحقيقي أن هذا الأمر لا يعنيني على الإطلاق، فكل ما يهمني الآن أنهن قد أصبحن برفقتي في نهاية ذلك اليوم الذي قضيت ساعاته بمفردي تمامًا.

- أنتن صديقات مقربات للغاية وأنا أتفهم ذلك كُليًا، قلتها في تلك اللحظة التي بدأت فيها مُشرفات المُخيّم بتوزيع المفرقعات والألعاب النارية علينا والتي سرعان ما شهدت انفجارات نجمية متألقة اخترقت طبقات الليل تمامًا كما السكين، وحينها نهضت أليسون على الفور وبدأت في إطلاق الألعاب النارية الخاصة بها مُشكّلة حروف اسمها في الهواء كما أن فيفان قامت بنفس الشيء على نحو أكثر ضخامة فقد بدت الأحرف تحوم بخفة وسط

خطوط من اللهب ثم شهدنا بغتةً انفجاراً كبيراً بعيداً لفت أنظارنا جميعًا إلى السماء، هناك حيث تلك التفرعات الذهبية المتراقصة معًا ثم تضيع في دائرةٍ من العدم. ها هي الألوان المختلطة الزاهية كالأحمر والأصفر والأخضر تحل محلها وتقوم بطلاء صفحة الليل السوداء بعفوية كونية، أضف إلى ذلك تلك المفرقعات والألعاب النارية التي جاءت من مدينة أخرى مجاورة وكنا وحدنا هنا في مخيّم نايتنجيل القادرين على رؤيتها بشكلٍ سليم حتى أن أليسون صعدت فوق المقاعد حتى تتمكن من تحسين رؤيتها بينما بقيت على الأرض، وقد غرقت بدوري في بحرٍ من الدهشة عندما قرصتني فيفان من الخلف وهمست في أذني قائلةً:

- هذا رائع، أليس كذلك؟

وعلى الرغم من أنها كانت تتحدث عن مشهد الألعاب النارية إلا أنني أدركت بطريقةٍ ما أنها كانت تتحدث عن شيءٍ آخر.

- أريدك أن تعديني أنك سوف تتذكرين ذلك المشهد على الدوام، قالتها فيفان عندما غطى لون آخر صفحة السماء الداكنة، وحينها قلت لها على الفور:

- بالطبع سوف أتذكر ذلك دائمًا.

- عليك أن تقطعي لي وعدًا بذلك يا إيما، هيا أقسمي لي أنك لن تنسي هذا أبدًا.

- أعدك.

- هذه هي أختي الصغيرة، قالتها فيفان ثم قبّلت جبهتي وتركتني.

أبقيت رأسي إلى الأعلى متأملةً صفحة السماء العريضة الواسعة مفتونةً بتلك الألوان الممتزجة وكيف أنها تُشكل ذلك الخليط المتناغم قبل أن تتلاشى بعيدًا وينخفض ضياؤها.

حاولت أن أحصي تلك الألوان لكنني فقدت مساراتها بعد أن اندلعت المزيد من الانفجارات النجمية المتلاحقة الواحد تلو الاخر والتي كانت أنوارها تلوح في الأفق حتى جاءت النهاية عندما اختلطت كل الألوان معًا جاعلةً السماء أكثر إشراقًا حتى إنني لم أكن قادرة على النظر إليها مباشرةً.

انتهى كل شيءٍ فجأة. تلاشت الألوان وحلت محلها السماء السوداء والنجوم الدقيقة المحددة.

- إنها جميلة جدًا، قلتها ثم استدرت لأرى إن كانت فيفان توافقني الرأي، لكنها لم تكن خلفي، فلقد رحلت فيفان.

الفصل الخامس والعشرون

ها أنا أتخطى اجتماع نار المُخيّم مُجددًا مُتخذة من الإرهاق كذريعة للقيام بذلك. في الواقع، لم تكن تلك كذبة كُليًا، فكل ما قمنا به وفعلناه خلال تلك الأنشطة المتعددة جعلتني أشعر بالمزيد من التعب والإرهاق لذلك فقد قمت بارتداء ثياب النوم الفريحة الخاصة بي والتي كانت تتمثل في قميص وسروال قصير منقوش ثم هرولت بدوري إلى فراشي السُفليّ. ها أنا أطلب من الفتيات أن يحاولن الاستمتاع بليلتهن من دوني وفي تلك اللحظة التي غادرن فيها مقصورة القرانيا وقمت بتفقد هاتفي كما أنني وجدت رسالة إلكترونية تم إرسالها من جانب مارك والتي تخص مهمته البحثية التي تم تكليفه بها.

أقرأ رسالة مارك النصية والتي يقول فيها ما يلي:

«لازال السيد أمين المكتبة وسيمًا، لا أعرف حقًا لماذا انفصلت عنه؟».

ها أنا أكتب إليه:

- حاول أن تُحافظ على تركيزك.

بعد عدة دقائق تالية، ها أنا أتوجه إلى الخارج إلى مقصورة أخرى والتي تُعرف باسم «البلوط الذهبي» وأنتظر لبعض الوقت بجوار الباب عندما أجد ثلاث فتيات في طريقهن إلى مُخيّم النار كما أنني أجد بيكا والتي تشرع في التحرك ببطء بينما يتصلب جسدها قليلًا بمجرد أن وقعت عينها عليّ وكأنها تعرف أن ثمة خطبٍ ما بالفعل.

- لا تنتظروني، أنا قادمة خلفكم مُباشرةً، قالتها بيكا للفتيات اللواتي كن برفقتها ثم استدارت نحوي وقالت بصوتٍ يخلو من الود:

- هل تحتاجين شيئًا ما يا إيما؟

- من الجيد قول الحقيقة، قلتها ثم أشرت إلى صورة على شاشة هاتفي المحمول والتي كانت تُظهرها برفقة فيفان بينما كن يقفن معًا في وضعية تعكس مدى الصداقة والألفة.

- من الواضح أنكما كنتما مقربتين في هذا الوقت؟

أومأت بيكا برأسها ثم أطبقت شفتيها وتراجعت إلى الوراء ناحية المقصورة.

مرت دقيقة وحينها لم تخرج بيكا من مقصورتها، وقد اعتقدت في تلك اللحظة أنها كانت تُخطط أن تتجاهلني لكنها خرجت في نهاية المطاف واضعةً حقيبتها الجلدية فوق أكتافها ثم قالت:

- لقد جلبت بعض الإمدادات، أعتقد أننا سوف نحتاج إليها.

تجاوزنا مواقع المقصورات ثم توجهنا مباشرةً إلى جهة البحيرة، كنا في وقت الغسق تقريبًا، ذلك الوقت الذي يقترب إلى النهار أكثر من انتمائه إلى الليل، على الرغم من وجود القليل من النجوم المبعثرة في صفحة السماء والقمر الذي لا زال يجلس على استحياء بمحاذاة الجانب الآخر للبحيرة والذي بدا وكأنه يخطط للمزيد من الارتقاء.

جلست برفقة بيكا على الصخور بالقرب من حافة المياه، وكادت أجسادنا أن تتلامس، وحينها فتحت بيكا حقيبتها وأخرجت زجاجة ويسكي ومُجلدًا ضخماً جدًا ثم ارتشفت القليل منها ومررتها إليّ وقمت بذلك أنا الأخرى حتى شعرت بحرقة لاذعة في حلقي، أخذت بيكا الزجاجة مرة أخرى ووضعت المجلد محلها.

- ما هذا؟

- أنه مُجلّد يضم بعض الذكريات.

قمت بفتحه على الفور وحينها وجدت مجموعة من الصور الفوتوغرافية بالداخل ثم سألتها بتلقائية:

- هل قمتِ بالتقاط هذه الصور؟

- أجل، قمت بالتقاطها منذ خمسة عشر عامًا.

قمت بفرز الصور وشرعت في تصفحها وانبهرت حقًا بمدى تألقها وموهبتها الفذة في التصوير حيث إنها كانت في سن صغير للغاية في تلك الأيام، جدير بالذكر أن الصور كانت بالأبيض والأسود، كما أنها اتسمت بالجرأة والنظرة الثاقبة، فلقد استطاعت بيكا التقاط تلك اللحظات التلقائية شديدة العفوية بكل مهارة ومكر ودهاء، كانت هناك صورة لفتاتين تتعانقان أمام نار المُخيَم وإلى جوارهن ظلال شعلة النيران الناعمة كما ظهرت في الصورة فتاة تلعب التنس والتي كانت ترتدي تنورة بيضاء وفتاة أخرى تسبح في بحيرة منتصف الليل وقد وصلت المياه إلى أعلى أكتافها المغطاة بالنَمش كما أن شعرها بدا ناعمًا جدًا تمامًا

كما أسد البحر. إنها أليسون. ها أنا أتعرف عليها شاعرةً برجفة مُباغتة والتي قد ابتعدت عن الكاميرا وحاولت التركيز على شيءٍ أو شخص آخر خارج الإطار، إنني أرى أيضًا قطرات المياه التي تشبثت بأهداب عينيها.

يجدر بنا الإشارة أن الصورة الأخيرة كانت لفيفان والتي كانت تُمسك بإحدى المفرقعات أو الألعاب النارية بيدها غير الواضحة وتحاول كتابة اسمها في الهواء كما أن بيكا قد استخدمت خاصية عرض محتويات الصورة مُتناهية الصِغر وقد أدى ذلك إلى رؤية الأحرف التي قامت بكتابتها بكل وضوح إضافةً إلى تلك الشرائط البيضاء المُعلّقة في الجو.

فيفان

في الرابع من شهر يوليو منذ خمسة عشر عامًا، تحديدًا في ليلة اختفاء الفتيات الثلاث.

- يا إلهي! هل من الممكن أن تكون هذه الصورة...

- آخر صورة تم التقاطها لفيفان، أعتقد ذلك.

جعلني ذلك أمد يدي باحثةً عن زجاجة الويسكي، وحينها ساعدني تناول القليل منها على الشعور بالتخدير التام وهذا بدوره ساعدني لأسألها:

- ما الذي حدث بينك وبين فيفان؟ فأنا أعرف أنك كنت تمكثين برفقتهن في العطلة الصيفية التي سبقت قدومي إلى مُخيّم نايتنجيل.

- في الواقع نحن الأربعة نملك تاريخًا طويلًا ومُعقدًا بعض الشيء، قالتها بيكا ثم توقفت قليلًا لتقوم بإصلاح عبارتها ثم أضافت:

- أقصد أننا كُنا كذلك، بخلاف هذا المكان، لقد كنا نرتاد جميعًا نفس المدرسة معًا، وهذا لم يكن أمرًا غير اعتياديَ، ففي بعض الأحيان كان نصف صفنا تقريبًا يحضر إلى مُخيّم نايتنجيل من أجل قضاء العطلة الصيفية.

- مُخيّم الفتيات الثريات العاهرات، هذا هو الاسم الذي كان يُطلقه أبناء مدرستي على مُخيّم نايتنجيل، قلتها.

- على الرغم من أنه اسم لئيم إلا أنه دقيق كما أعتقد، لأن معظم فتيات المُخيّم كن عاهرات فعلًا تحديدًا فيفان، لقد كانت المُسيطرة على كل شيء، لقد بدت وكأنها تلعب دور ملكة النحل، وعلى الرغم من أن هناك أناساً أحبوها

واخرين كرهوها إلا أن كل هذا لم يكن يهمها ما دامت تُشكّل مركز الاهتمام الخاص بهم، لكنني تمكنت من رؤية جانب اخر مختلف في شخصيتها.

- إذن هل كنتم أصدقاء مقربين؟

- أجل، لقد كنا كذلك لفترة من الوقت، في الواقع أحب أن أتذكر فيفان إنها كانت جزء من مرحلة تمردي، لقد كنا في الرابعة عشرة من العمر كما أننا كنا غاضبات جدًا من العالم من حولنا وسئمنا حقًا من كوننا فتيات وأردنا أن نصبح نساء ناضجات، تحديدًا فيفان. لقد كانت مثالية في التورط في المتاعب كما أنها كانت تُجيد الإيقاع بالأولاد الأثرياء الذين بمقدورهم منحوها أي شيء تريده مثل النبيذ والمخدرات والهويات المزورة التي بإمكانها استخدامها من أجل دخول كل النوادي، ولكن كل هذا قد توقف فجأة، أتريدين أن تعرفي السبب؟ الإجابة المختصرة؟ لأن فيفان أرادت ذلك.

- وماذا عن الإجابة المطوّلة؟

في الواقع لست متأكدة من ذلك، لكني أعتقد أنها تورطت في العديد من الأزمات فيما يخص هذا الشأن بعد موت شقيقتها، قالتها بيكا.

- هل أخبرتك من قبل عن هذا الأمر؟

- أجل، مرة واحدة، وحينها شعرت أنها لا تريد أن تتحدث عن ذلك.

- ربما لأنه كان حادثًا مروعًا غبيًا.

هل كان حادث غرق؟

- أجل، قالتها بيكا ثم ارتشفت بعض النبيذ ومررت الزجاجة لي مرةً أخرى وأردفت:

- في أحد ليالي الشتاء الموحشة الغائمة قررت كاثرين- هذا هو اسم شقيقتها في حالة إن لم تكن فيفان قد أخبرتك في السابق- أن تذهب إلى الحديقة المركزية حتى تحتسي النبيذ حتى الثُمالة، لكن الجليد كان يغطي المخزن وقد مشت كاثرين فوقه ثم انكسر الجليد وذاب بغتةً وسقطت بالأسفل ولم يعثر أحدهم عليها مُجددًا.

في تلك اللحظة تذكرت على الفور عندما تظاهرت فيفان أنها لا تُجيد السباحة، فمن المفترض أن تخطر شقيقتها ببالها في تلك الأثناء عندما سقطت بأعماق المياه محاولةً

الحصول على النجدة، لقد فعلت كل ذلك فقط من أجل الحصول على انتباه شابٍّ ما! أي نوع من الأشخاص كانت؟

- لقد دمرها موت شقيقتها من دون شك، لا زلت أتذكر عندما هرعت إلى منزلها عقب وقوع الحادث، لقد كادت أن تفقد عقلها يا إيما، أخذت تبكي وتصرخ وتضرب الجدران وترتجف من دون توقف فاقدةً السيطرة على ذاتها كليًا، في الواقع لقد كان مشهدًا جميلًا وقبيحًا في آن، لطالما أردت أن ألتقط صورةً لها في تلك الحالة حتى لا أنسى هذا الموقف أبدًا، أعرف أن هذا أمر غريب.

لكنه لم يكن كذلك، على الأقل فهو ليس أكثر غرابة من اختفاء الفتيات الثلاثة وتلاشيهن تدريجيًا أسفل طلاء لوحاتي الفنية في كل مرة أعتزم فيها الرسم.

- كان ذلك الحادث بمثابة بداية النهاية بالنسبة لعلاقة صداقتنا، وعلى الرغم من أني قمت بدور الصديقة الوفية الجيدة، إلا أن فيفان ابتعدت عني، رغم أني ذهبت إلى الجنازة ووقفت إلى جوارها في كل المواقف إلا أنها لم تستطع مقاومة الشعور بالانجذاب نحوهن والانسحاب بعيدةً عني.

- مَن؟

- أليسون وناتالي، لقد كنّ زميلات كاثرين في الصف وصديقاتها المقربات.

- لقد كنت أعتقد أنهن في نفس السّنّ وأن فيفان زميلتهن في الصفّ الدراسي.

- لقد كانت أصغر منهن بعامٍ واحد، وعلى الرغم من ذلك لا يمكن للمرء معرفة ذلك بناءً على طريقة تعاملها معهن، قالتها بيكا ثم مدت يدها باحثةً عن زجاجة النبيذ، فلقد وجدت فيها مُعينًا على خوض تلك المحادثة وبعض أن تناولت القليل منها وحاولت ابتلاع ريقها بصعوبة قالت:

- لقد عثرت كل واحدة منهن على الراحة في مُرافقة الأخرى، أعتقد أن هذا هو سبب استئناف علاقة صداقتهن، يمكنني القول بكل صراحة أن فيفان لم يكن لديها أي علاقة تربطها بهن قبل موت كاثرين، على النقيض تمامًا فقد اعتادت أن تسخر منهن بطريقة فظة أثناء تواجدنا معًا في الشقة، لقد كنا أقرب إلى فصائل وجماعات مُتناحرة حتى عندما كنا نلعب معًا لعبة بريئة مثل حقيقة أم جرأة.

- أعتقد أنك تقصدين لعبة «حقيقتان وكذبة»، قلتها بتلقائية.

- لقد كانت تلك اللعبة من اختيار فيفان حيث إننا لم نكن نلعبها معًا عندما كنا أصدقاء مقربين لكنها بدأت تلعبها منذ موت كاثرين لأن شقيقتها كانت تُحب تلك اللعبة للغاية، من ناحيتها كانت فيفان تُحاكي أختها في كل شيء، وبعد موتها حاولت نقل تلك المشاعر التي كانت تُكنها لها إلى أليسون وناتالي، لذلك لم أتفاجأ أبدًا عندما وجدتهن يمكثن معًا في نفس الغرفة في العطلة الصيفية بمخيم نايتنجيل، كان عليّ أن أفترض حدوث ذلك كنتيجة طبيعية لكل التطورات التي وقعت في السابق، لكني لم أكن متأهبة لهذا الأمر، فلم تكن فيفان تتحدث إليّ إذا كانت برفقة ناتالي وأليسون كما أنها كانت تتظاهر أنها لا تعرفني فلم تكن ترغب إلا في الحصول على اهتمام ناتالي وأليسون فقط، واستمر الحال على هذا المنوال حتى انقضاء فترة التخييم هنا، واستمر على هذا النحو أيضًا بعد عودتنا إلى المدرسة، فلم يكن هناك حاجة لوجودي، وعندما غدنا مُجددًا لقضاء عطلتنا الصيفية التالية في مُخيّم نايتنجيل كنت أعرف جيدًا أنني لن أمكث معهم في الغرفة وكنتيجة لذلك فقد واجهت مصير النفي من مقصورة القرانيا ومكثت بدوري في المقصورة المُجاورة.

عم الظلام كما ساد الصمت المُطوّل بيننا، وعلى الرغم من ذلك إلا أننا واصلنا تناول النبيذ معًا من دون أن نتفوه بحرفٍ واحد، لكني شعرت بغتةً أن النبيذ بدأ يعصف برأسي فعندما نظرت إلى صفحة السماء في الأعلى بدت النجوم أكثر إشراقًا مما يجدر بها أن تكون. كما أن أصوات صرخات الفتيات وصخبهن وخطوات أقدامهن سكنت رأسي من دون توقف وكذلك تلك الضحكات التي كان يتردد صداها في أرجاء المكان.

- لماذا لم تُخبريني بشأن هذا الأمر ذلك الصباح؟ لماذا كذبت؟

- لأنني لم أكن أرغب في التحدث بشأن ذلك الموضوع، وقد تفاجأت عندما قمت بذلك، فما أقصده بذلك أن فيفان قد عاملتك بنفس الطريقة، أليس كذلك؟

لم أجبها، لكني بدلًا من ذلك قمت بارتشاف القليل من النبيذ.

- أعتقد أن سؤالي لم يكن صعبًا إلى هذا الحد، قالتها بيكا، لكن سؤالها كان صعبًا بالفعل، فلم يأخذ في الاعتبار الطريقة التي عاملت بها فيفان.

- لا، لم تُعاملني بنفس الطريقة.

أعتقد أننا قد تجاوزنا مرحلة الكذب على بعضنا البعض يا إيما، قالتها بيكا ثم أضافت:

- إنني أعرف جيدًا ما حدث هناك في المقصورة قبيل لحظة اختفاء الفتيات الثلاثة من المخيّم، لقد كنت في المقصورة المجاورة وأتذكر جيدًا ما سمعته، فالنوافذ كانت مفتوحة على مصراعيها ، لذا تمكنت من سماع كل كلمة.

رفرف قلبي في فزع بداخل صدري وشعرت وكأن هناك خدشاً ما يعصرني ألمًا.

- إذن أنتِ من قمتِ بالكتابة على باب مقصورتنا بالطلاء؟ وأنتِ مَن قمتِ بحبس الطيور بالداخل! أنتِ مَن تقومين بمراقبتي طيلة الوقت، أليس كذلك؟

- ما الذي تقولينه بحق الجحيم؟

- هناك شخص ما يتلاعب معي منذ لحظة وجودي هنا في المخيّم، كنت أظن أن تلك مجرد هلاوس خرقاء تدور في عقلي فحسب لكني أعرف الآن إنها حقيقية، فأنتِ مَن قمتِ بذلك.

- أنا لم أكتب شيئًا على باب مقصورتك كما أنه ليس لديَ أي مُبرر لأشعرك بالقلق والفوضى!

- ولماذا يتعين عليَ أن أصدقكِ؟

- لأنني أقول الحقيقة، فأنا لم أحكم على شخصيتك بعدما ما سمعته تلك الليلة، لم أكون وجهة نظر ما بخصوصك بعدما قلته لفيفان حينها، على النقيض لقد شعرت أنه كان يتوجب عليَ أنا الأخرى أن أقول لها بعضًا من هذا الكلام سابق الذكر، كان هذا ليحدث على أية حال.

نهضت على الفور شاعرةً بحالة من عدم الاتزان ثم نظرت إلى زجاجة النبيذ التي كانت لا زالت في يد بيكا والتي لم يتبق إلا ثلثها فقط، لم يكن لديَ أي فكرة كيف يمكنني أن أتصرف الآن لذا انطلقت الكلمات من فمي من دون تفكير:

- ابتعدي عني حتى انتهاء تلك العطلة الصيفية، قلتها وحاولت أن أقف منتصبةً محافظة على استقامة جسدي ثم حاولت المضي بعيدًا وقلت لها:

- وبالنسبة لما تمكنت من سماعه حينها فلم يكن الأمر كما بدا في تلك اللحظة.

المسألة وما فيها أن بيكا لم تتمكن من معرفة سياق تلك المحادثة وسبب وقوعها وكيف كان الأمر أسوأ مما يمكنها تخيله.

- أين فيفان؟، سألت ناتالي التي هزت أكتافها في قلة حيلة كما أن أليسون فعلت تمامًا مثلها وقالت:

- لا أعرف، لقد كانت هنا الآن، وها هي تختفي مُجددًا.

- ربما عادت إلى المقصورة.

لكننا لم نجدها في مقصورة القرانيا بعد أن عدنا لتفقدها بعد مرور بضع دقائق.

- سوف أذهب للبحث عنها، قلتها على الفور.

- ربما لا ترغب فيفان أن يعثر عليها أحد الآن، قالتها ناتالي أثناء قيامها بالتصدي لجولة جديدة من البعوض. توجهت إلى هناك على أي حالٍ ومضيت قُدمًا ذاهبةً إلى المرحاض حيث إنني اعتقدت أنه المكان الوحيد المنطقي الذي يُفترض بي أن أجدها فيه، عندما حاولت فتح الباب وجدته مُغلقًا من الداخل، وكان هذا أمرًا غريبًا في حد ذاته تحديدًا خلال تلك الساعة المتأخرة من الليل، أخذت بدوري جولة حول المبنى ثم خرجت بدافع الفضول وعندما وصلت إلى تلك الفجوة بين الألواح سمعت صوت المياه المُنهمرة من الداخل. أجل، كان هذا صوت دش الاستحمام، ذلك الصخب الإضافي القادم الذي كان يئن من دون توقف. أعرف أنه كان يتوجب عليَ أن أغادر على الفور، لقد أدركت ذلك جيدًا، كان يتعين عليَ الاستدارة والعودة إلى مقصورة القرانيا مُباشرةً لكنني لم أقاوم فكرة استراق النظر عبر تلك الفجوة الموجودة بين الألواح، فقد علمتني فيفان أنه إذا أُتيحت للمرء الفرصة للنظر يكون من الحمق إضاعتها.

انحنيت قليلًا نحو الفجوة ثم نظرت إلى الداخل، حينها رأيت فيفان برفقة ثيو معًا، كانا في أحضان بعضهما البعض، لقد شعرت في تلك الأثناء وكأن قلبي قد انشطر نصفين، لم أكن أعرف هذا الشعور من قبل، كانت تلك هي المرة الأولى التي أختبره فيها، لقد وصل الألم مداه إلى هذا الحد الذي جعلني أكاد أسمع صوت تحطُم قلبي كان أقرب إلى تلك الأخشاب التي يتم كسرها عن طريق الفأس، لقد خشيت أن تسمع فيفان أو ثيو ذلك الصوت المُدوي مثلي لذا أردت المضي قُدمًا والركض بعيدًا عن هذا المكان الخانق، ولكن عندما استدرت رأيت كاسي والتي كانت

تُدخن سيجارتها وحينها هتفت قائلة:

- إيما؟ هل هناك خطب ما؟

قمت بهز رأسي على الرغم من أن دموع عيني كانت على وشك أن تنهمر لكنني ابتعدت عن تلك الفجوة وقد حررتها بتلك الحركة العفوية وابتعدت عن رؤيتهما ثم انطلقت كما السهم حينها قالت لي كاسي:

- لكنك تبدين مُرتبكة.

-لا، أنا فقط أريد قضاء بعض الوقت بمفردي، كذبت ثم انطلقت إلى حيث البحيرة وتكومت على الأرض وأخذت أبكي بخرقة، إنني لا أعرف حقًا كم من الوقت أمضيت على تلك الحالة، كل ما أتذكره أنني بكيت وبكيت حتى سقطت دموعي إلى البحيرة وامتزجت معها.

بعدما انتحبت طويلًا غدت إلى مقصورة القرانيا بعد أن جفت دموعي تمامًا وحينها وجدت كُلًا من فيفان وناتالي وأليسون هناك، لقد اجتمعن معًا على الأرض في حالة تأهب للعب حقيقتين وكذبة، في تلك الأثناء كانت فيفان مُمسكة بزجاجة النبيذ خاصتها، تلك التي كانت حدثتني بشأنها في السابق لكنني لم أكن أصدقها، ها هي الآن تمسكها علانيةً حتى تُثبت لي أنني كنت مجرد فتاة حمقاء ساذجة.

- ها أنتن هنا الآن، هل ترغب إحداكن في تناول بعض النبيذ؟

أخذت أتأمل شعرها المُبلل وبشرتها الرطبة وقلادتها الغبية، وقد شعرت في تلك اللحظة أنني أكرهها أكثر من أي شخص آخر في حياتي، كان بمقدوري الشعور بنيران الكراهية تغلي أسفل جلدي مُباشرةً. لقد كادت أن تحرقني بدورها.

- لا، قلتها وحينها تأهبت أليسون لاستكمال دورها في اللعبة راسمةً تلك النظرة التي توحي بالتباهي والتفاخر أو الغباء على وجهها ثم قالت:

- واحد: لقد التقيت السير أندرو لويد ويبر من قبل، اثنان: لم أتناول الخبز لمدة عام، ثلاثة: أعتقد أن نسخة مادونا لأغنية «لا تبك من أجلي يا أرجنتين» أفضل من أداء باتي بون لنفس الأغنية.

- الخيار الثاني، قالتها فيفان بعد أن تناولت القليل من

النبيذ.

- لم يكن هذا يهمني على الإطلاق، قالتها أليسون مبتسمة على طريقة مغنيات الكورال حتى لا تبدو قد تضررت بسبب الخسارة ثم قالت:

أجل، هذا صحيح، لقد أعدت أمي من أجلي الفطائر المحلاة هذا الصباح كما أنها جلبت لي الخبز المحمص الفرنسي قبل أن أغادر من أجل العطلة الصيفية في المخيّم.

حسنًا، هذا دوري، قلتها على الفور ثم أردفت:

- واحد: اسمي إيما دافيس، اثنان: إنني أقضي عطلتي الصيفية في مخيّم نايتنجيل ثم توقفت قليلًا متأهبة للكذبة:

- ثلاثة: لم أر فيفان وثيو يمارسان الحب في كشك الاستحمام.

صفعت ناتالي فمها بيدها كما أن أليسون صرخت قائلة:

- يا إلهي! هل فعلتِ ذلك حقًا يا فيفان؟

بقيت فيفان هادئة تنظر إليّ ثم قالت:

- هل أزعجكِ ذلك حقًا؟!

استدرت بعيدًا عنها فلم أكن قادرة على التصدي لنظرتها الصلبة تلك ولم أقل شيئًا، وعلى الرغم من ذلك فإن فيفان قد واصلت بدورها التحدث وقالت:

- أنا من تضررت بفعل هذا الموقف، لقد كنتِ تلعبين دور الجاسوسة هنا! كيف تواصلين مراقبتنا كالمنحرفين؟ هل هذه طبيعتكِ يا إيما؟ هل أنتِ منحرفة؟

أزعجتني نبرتها الهادئة تلك كما أنها كانت تتحدث ببطءٍ واضح ملحوظ، أشعرني كل ذلك بأن كلماتها كانت تحمل إشارة قوية بالازدراء. لقد كنت واثقة أنها تفعل ذلك عن عمد فهي ترغب في إشعال الفتيل الذي من شأنه أن يُحدث انفجارا هائلًا بداخلي. لقد أعطيتها ما أرادته بالضبط.

أنتِ تعرفين أنني معجبة به!، انطلقت صارخة بتلك الكلمات التي انسكبت من فمي بكل عفوية ثم أردفت:

- لقد كنتِ تعرفين ذلك جيدًا، لكنكِ لم تستطيعي تحمل فكرة أن شخصاً ما يُعيرني اهتمامًا أكثر منكِ لذا قمت

بممارسة الجنس معه، فهذا كل ما بمقدورك فعله!

- ثيو؟، قالتها فيفان بنبرة استهزاء واضحة وكأنها لا تُصدق ما قلته للتو، لقد كان صوتها في ذلك الحين أقسى ما سمعته في حياتي بأسرها.

- هل حقًا تظنين أن ثيو مهتم بك؟ يا إلهي! أنت حقًا مجرد طفلة صغيرة يا إيما!

- وهذا أفضل من أن أكون مجرد عاهرة ساقطة مثلك!

- حسنًا أنا عاهرة ولكنك موهومة كليًا! أنت حقًا غارقةٌ في بحرٍ من الوهم!

لو كانت هناك أية دموع أخرى قد تبقت لي لكنت بدأت على الفور في البكاء، لكنني استهلكتها كلها وبناءً على ذلك فكل ما كان بمقدوري فعله هو أن أدفعها وأزحف نحو فراشي. ها أنا أرقد على الفراش مُديرةً ظهري لهم بعد أن قمت بسحب ركبتي ناحية صدري ثم أغلقت عيني مُحاولةً أن أتنفس بعمق باذلةً قصارى جهدي لأتجاهل ذلك الشعور الفريع الذي يسكن صدري. لم تتفوه إحداهن بكلمة بعد ذلك، على عكس ذلك فقد توجهن إلى المرحاض من أجل الثرثرة معًا لإجباري على تحمُل إذلال محاولة استراق السمع.

سقطت على الفور في سُباتٍ عميق، وكأن عقلي وجسدي اتخذا قرارهما السري بأن فقدان الوعي هو العلاج الوحيد لبؤسي.

عندما استيقظت مُجددًا كان ذلك في مُنتصف الليل تقريبًا، لكنني استيقظت بسبب صوت صرير الألواح الخشبية التي تغطي أرضية الغرفة، وحينها جلست على الفراش شاعرة بالفزع تحديدًا في تلك اللحظة التي وقعت فيها عيني على الفتيات الثلاثة اللواتي كن يتأهبن للخروج بينما كانت أشعة ضوء القمر الرمادية مُنعكسة على وجوههن التي جعلتها تتلألأ لوهلة من الزمن أثناء تقدمهن باتجاه الباب. فقد تحركت أليسون أولًا ثم لحقت بها ناتالي وأخيرًا انضمت إليهن فيفان والتي تجمدت في مكانها بمجرد أن وجدتني مُستيقظة.

- إلى أين تذهبن؟، سألت على الفور.

- لازلت صغيرة جدًا لمعرفة هذا يا إيما، قالتها فيفان بصوتٍ يخلو من البهجة والاستمتاع ولكنه عكس بدوره

مزيدًا من الحزن والندم وكأنه تلميح بالاعتذار.

أشارت ڤيفان بإصبع السبابة ضاغطة على شفتيها مُحاولةً إسكاتي وكأنها ترغب أن تتآمر معي وكأنها تطلب صمتي، لكنني رفضت الانصياع لها، فقد كنت بحاجة ماسة لأن أعلن كلمتي الأخيرة، تلك التي ما إن تفوهت بها حتى وشعرت بأن نكهتها الحمضية اللاذعة تتشبث بذرات الهواء، تلك التي تلاها مغادرة ڤيفان المقصورة مُغلقةً الباب خلفها ثم اختفت إلى الأبد.

الفصل السادس والعشرون

كنت ثملة للغاية في ذلك الوقت الذي تجولت فيه بين مقصورات المخيّم أو حتى أكون أكثر دقة عندما تعثرت في كل خطوة حيث إن مهاد الطريق بدا وكأنه يتحرك أسفل قدمي مما جعلني أفرط في الحركة والمشي محاولةً أن ألصقه بأمكنة أخرى مما أفقدني توازني من دون إتمام القيام بتلك المهمة الأخرى. جدير بالذكر أن النتيجة النهائية لذلك كانت شعوري المباغت بالدوار أو ربما كان هذا بسبب تناول كميات هائلة من الويسكي. لقد حاولت جاهدةً أن أستفيق بينما تعثرت مرارًا وتكرارًا في طريقي، وعلى الجانب الآخر، يمكنني القول إنني قضيت سنوات طويلة من عمري أراقب فيها أمي عن قُرب مما مكنني بدوره من اكتساب عدة دروس فيما يتعلق بهذا الشأن، لقد استفدت منها جيدًا في ذلك، فها أنا أنجح في تطبيق عدة حيل أمي في الاستفاقة من تأثير النبيذ فإذا بي أصفع وجنتي ثم أهز ذراعي وألتقط أنفاسي بعمق وأفتح عيني على اتساعها مُتظاهرةً أنه ثمة أعواد أسنان تُمسك بالجفون.

بدلًا من أن أتوجه مُباشرةً إلى مقصورة القرانيا، ها أنا أواصل المشي بشكلٍ لا شعوري في اتجاه آخر. ها أنا أتجاوز موقع مقصورات المخيّم متوجهةً إلى المرحاض لكني لا أجرؤ على الولوج إلى الداخل لكني أقف هناك شاعرةً بالضياع لبضع دقائق ثم أُغلق عيني بغتةً مُتسائلةً في عجب عن السبب الذي جاء بي إلى هنا في المقام الأول.

ها أنا أفتح عيني مُجددًا بعدما شعرت باقتراب أحدهم مني شيئًا فشيئًا، ثمة شخص ما يظهر بشكلٍ ضبابي ويبدأ في الاستدارة حول مركز المرحاض. يبدو أقرب إلى شبح مُظلم يتحرك على نحوٍ بالغ الشزعة. أشعر بجسدي يتصلب، ها أنا على وشك الصراخ لكني أقاوم ذلك في تلك اللحظة التي ألمح فيها كاسي، لقد جاءت إلى هنا لتتفقد الوضع مُمسكةً بسيجارتها التي كانت تُدخنها سرًا كما لو كانت طالبة في الصف الثاني الثانوي.

- لقد أخفتني حقًا، قالتها بعد أن نفثت دخان سيجارتها في الهواء ثم أضافت:

- كنت أظنك ماندي!

لم أتفوه بحرف، ومن ناحيتها أسقطت كاسي سيجارتها ثم دهستها بأقدامها وسألتني على الفور:

- هل أنت بخير؟

- أجل، أنا بخير، قلتها مُحاولةً كتم ضحكاتي على الرغم من أن حديثي مع بيكا تركني شاعرةً بحزنٍ بالغ لا يُحتمل.

- يا إلهي، هل أنت ثملة؟

- لا أنا لست كذلك، لقد قلتها بطريقة مُماثلة تمامًا لأمي بسرعة خاطفة.

هزت كاسي رأسها، وكأن جزءً منها يشعر بالفزع والجزء الآخر يشعر بالتسلية والاستمتاع.

من الأفضل لك ألا تسمحي لماندي برؤيتك على تلك الحالة لأنها سوف تغضب جدًا، قالتها كاسي ثم غادرت المكان وبقيت بمفردي أتجول في ذلك المُحيط على غير هدى مُتحسسةً بيدي ألواح أشجار الأرز، وها أنا أرى ذلك التصدع سالف الذكر، ها أنا ألمح مكان تلك الفجوة القديمة بين الألواح الخشبية، تلك التي تم حشوها الآن وسدها بالطين، ها أنا أيضًا أتذكر سبب وجودي هنا في تلك اللحظة- لقد جئت إلى هنا من أجل إعادة تتبُع خطواتي. غدت إلى نفس المنطقة التي ذهبت إليها قُبيل اختفاء فيفان من المُخيَم، منذ خمسة عشر عامًا، لا زال بمقدوري رؤية فيفان برفقة ثيو معًا في كشك الاستحمام، لازال بإمكاني الشعور بألم القلب الذي أحدثه لي ذلك الأمر. تلك الذكرى المؤلمة التي ترقد في صمتٍ تام، إنني أشعر كذلك بشيءٍ آخر، أجل ها هي تلك الزخفة المفاجئة تحتل جسدي تحديدًا أعلى أكتافي وأسفل رقبتي، ها أنا أنظر الآن متطلعةً إلى رؤية كاسي مُجددًا أو ربما ماندي لكن بدلًا من ذلك لا أرى إلا فيفان.

في الواقع، لم أرها بشكلٍ كُلي كامل، فلم أر إلا لمحة فقط أثناء تجولها بشكلٍ خاطف حول مركز كشك الاستحمام كما أن عيني قد وقعت على إحدى خصلاتها الشقراء ورقعة من ثوبها الأبيض الذي كان يكشط جدار أخشاب الأرز، وقبل أن تتلاشى تمامًا كانت قد استدارت وحدقت في وجهي من خلف المبنى. لقد رأيت جبهتها الناصعة وعينها الداكنة وأنفها الدقيق في تلك اللحظة، لقد كانت بنفس صورتها

القديمة التي كنت أعرفها في السابق هنا في مُخيَم نايتنجيل كما أنها بنفس تلك الهيئة التي ظلت تُلاحقني بها كما الأشباح. حاولت أن أمد يدي تلقائيًا باحثةً عن السوار الخاص بي لكني عثرت بدلًا منه على قطعة من الجلد الملفوفة حول معصمي لكني لم أجد السوار السحري ذاته، ها أنا أتفقد ذراعي الأيسر للتأكد من ذلك لكنه خاليًا أيضًا، فلقد تمزقت السلسلة التي كانت تربطه ومن المتوقع أنها سقطت في مكانٍ ما داخل مُخيَم نايتنجيل وهذا قد يعني أنني فقدتها إلى الأبد.

ها أنا أنفض الغبار عن عيني وأختلس النظر إلى رواية كشك الاستحمام، لا زالت فيفان تقف هناك تُحدّق في وجهي من دون توقف. ها أنا أهمس لذاتي: لن أفقد عقلي. لن أفعلها. أحاول فرك ذراعي الأيسر آملةً أن تنجح تلك الطريقة بشكلٍ سِحري تمامًا كما السوار، لكن الأمر لم ينجح. لاتزال فيفان واقفة جامدة في مكانها مُحدّقة في وجهي من دون أن تتحدث أو تنبس ببنت شفة. ها أنا أواصل فرك ذراعي، يُشعرني الاحتكاك بالحرارة. لكنني لن أفقد عقلي. أرغب أن أخبرها أنها ليست حقيقية وأنها لا تملك أي سلطة عليّ وأنني أقوى مما يعتقده أي شخص آخر لكنه ليس بإمكاني ذلك، لا يمكنني فعل هذا الأمر من دون سواري السّحريَ بأي حال من الأحوال، لا زالت فيفان تقف في مكانها وها هو الشعور بالخوف يضرب أعماقي تمامًا كما الصواريخ الزجاجية لذلك أقرر الركض بعيدًا مُرددة: لن أفقد عقلي ، ها أنا أبتعد عن أكشاك الاستحمام مُتمتمةً: لن أفقد عقلي ثم أعود إلى مقصورة القرانيا قائلةً: لا لن أفقد عقلي .

كان ركضي مزيجًا مضطربًا من الترنُّح والتمايل والتعثُّر حتى وصلت في نهاية المطاف إلى باب الغرفة، وقمت بفتحه ثم اندفعت إلى الداخل وأغلقته خلفي مباشرةً ثم سقطت مُنهارة بمحاذاة الباب من دون أن أقدر على التقاط أنفاسي شاعرةً بالخوف الشديد نتيجة فقدان ذلك السوار السّحريَ. في تلك الأثناء كانت ساشا وكريستال وميرندا تجلسان على الأرض مُجتمعات حول كتابٍ ما، لقد احتلت علامات الدهشة وجوههن فور رؤيتي بشكلٍ مُباغت، وسرعان ما قامت ميرندا بإغلاق الكتاب وإعادته إلى فراشي، لكن الإيماءة كانت بطيئة جدًا مما سمح لي

أن أعرف بكل وضوح أنهن قد اطلعن على دفتر يوميات فيفان! وحينها قلت على الفور:

- إذن لقد أصبحتن على علم بكل هذا الآن.

تفوهت بتلك الكلمات بأنفاس لاهثة نتيجة رحلتي الشاقة الحرجة، ولم تكن إجابتي بسؤال، فالشعور بالذنب المطل من نوافذ أعينهن كان خير دليل على ذلك.

- في الواقع لقد بحثنا عنك على شبكة الإنترنت، قالتها ساشا ثم أشارت بإصبعها ناحية ميرندا وأضافت:

- كانت تلك فكرتها.

- أنا آسفة حقًا، لكنك كنت تتصرفين بغرابة شديدة خلال اليومين الماضيين لذلك كان يتعين علينا اكتشاف السبب.

- كل شيء بخير، لا مشكلة، أنا سعيدة بمعرفة ذلك فمن المفترض بالفعل أن تكونوا على علم بكل ما حدث في تلك المقصورة في السابق.

جعلني التعب والإرهاق والنبيذ والحزن أشعر بالإنهاك الشديد تمامًا كما البحار الذي يعمل في إحدى تلك السفن الدوارة أو كما أمي عشية عيد الميلاد، حاولت أن أصحح وضعي ثم سقطت من فرط التعب بالقرب من خزانتي الخشبية وقلت:

- ربما لديكن بعض الأسئلة.

كانت ساشا أول من سألني، ولم تكن هناك أية مفاجأة في ذلك فهي فتاة شديدة الفضول بشكلٍ عام.

- كيف كانوا؟

- كانوا مثلكن إلا أنه ثمة بعض الاختلافات فحسب.

- أين ذهبوا؟، سألتني كريستال.

- في الواقع لا أعرف، قلتها على الرغم من أنه كان هناك احتمال أن أذهب معهن في تلك الليلة فقط إذا لم تكن فيفان قامت بخيانتي مع ثيو حينها، على الرغم من أنه لم يكن لديَ مانع للذهاب لو كانت عرضت عليَ حينها، فكل ما في الأمر أنني كنت بحاجة إلى موافقتها بشكلٍ ما، فلو كانت سألتني لكنت لحقت بهن على الفور إلى قلب هذا الظلام.

لكن تلك ليست القصة كاملة، فهناك المزيد من التفاصيل التي لا يعرفها سواي، قلتها.

إن مسألة تصور رؤية فيفان مرةً ثانية جعلتني أشعر بمشاعر مختلطة، لقد أردت أن أضحك وأن أبكي، وأردت أن أعترف بكل شيء، وبدلًا من ذلك هتفت قائلةً:

- دعونا نلعب «حقيقتان وكذبة»! هيا.

قفزت بغتةً وجلست على أرضية الغرفة، تلك الحركة المفاجئة غير المتوقعة التي جعلت الفتيات يتراجعن قليلًا إلى الوراء حتى ميرندا والتي كانت أشجع فتاة في المجموعة بدا عليها القلق والارتياب.

واحد: لقد ذهبت إلى متحف اللوفر، اثنان: منذ خمسة عشر عامًا غادر ثلاثة من صديقاتي تلك الغرفة ولم يرهم أحد مرة أخرى.

توقفت قليلًا تحسّبًا لقول شيءٍ آخر كنت أحاول تجنبه بشتى الطرق طيلة السنوات الماضية والذي لم يكف بدوره عن ملاحقتي.

- ثلاثة: قبل أن يُغادروا تلك المقصورة، قلت شيئًا ما مروعًا. أندم عليه بشدة حقًا الآن، والذي لم يكف عن ملاحقتي منذ ذلك الحين.

أجل، لقد قلت: أتمنى حقًا ألا أراكِ إلى الأبد.

جاءت تلك الذكرى من دون سابق إنذار مما جعلني أشعر وكأن هناك سيفاً حاداً تم تصويبه نحوي في عدائية ثم بدأ في تشريح جسدي كاشفًا عن قسوة قلبي. أخبرت الفتيات أنني قلت لفيفان وناتالي وأليسون في آخر ليلة تسبق اختفاءهن إنني لا أرغب في رؤيتهن إلى الأبد وأخبرتهن أنني وجهت كلماتي تلك مُباشرةً إلى فيفان.

- كان هذا آخر ما قلته لهن، قلتها وانهمرت الدموع من عيني ثم شعرت بالألم ووخز الضمير يحتل نفسي.

- هذا لا علاقة له باختفائهن يا إيما، هذه مجرد كلمات فأنت لم تُلحقي بهن أي ضرر، هذا ليس خطأكِ قالتها ميرندا.

- أنت لست سبب هذا يا إيما، اختفاؤهن ليس خطأك، قالتها ساشا.

حدقت في أرضية الغرفة مُتجنبةً شفقتهن، فأنا لم أكن أستحقها على الإطلاق حيث إنه لديّ الكثير من الأشياء التي لم أخبر أي شخص عنها والتي أبقيتها سرًا ثم قلت:

- لكنهم عادوا مُجددًا في تلك الليلة إلى المخيم لكن لم

يكن بمقدورهن المجيء إلى الغرفة فحسب.

- لماذا؟، سألتني ميرندا.

أعرف أنه كان لزامًا علي أن أتوقف الآن. لقد تفوهت بالكثير بالفعل، لكن ما من طريق للتراجع في تلك اللحظة التي قررت فيها الاعتراف، أن الأوان أن أضع حدًا لكل ذلك الحذف والإهمال، فالأمر على هذا النحو أشبه بالكذب وأنا أرغب بشدة في قول الحقيقة، ربما هذا هو السبيل الوحيد الذي من شأنه أن يشفيني من ألمي الأزلي.

- لأنني قمت بإغلاق أبواب الغرفة من الداخل.

لهثت ميرندا محاولةً كتم صوت شهقتها لإخفاء صدمتها وقالت:

- هل أبقيتهن بالخارج تلك الليلة؟

أومأت برأسي ثم سقطت دمعة إضافية، تلك التي تتبعت مسارها حتى وصلت إلى فمي، وعندما تذوقتها وجدتها مالحة مُرّة ثم واصلت قولي:

- كما أنني رفضت السماح لهن بالدخول إلى الغرفة حتى بعد قيامهن بطرق الباب مرارًا وتكرارًا وبعد الكثير من التوسل والرجاء لكني لم أفعل.

ها أنا أنظر إلى باب الغرفة وأتخيله تمامًا كما كان في تلك الليلة منذ خمسة عشر عامًا، لا زلت أتذكر كيف بدا شاحبًا وسط الظلام مغطى بأشعة القمر الفضية، ها أنا أسمع صوت ذلك الطرق الشديد على الباب بينما تُنادي إحداهن اسمي على الجانب الآخر قائلةً: إيما.

لقد كانت فيفان. لا زلت أسمع توسلاتها: من فضلك يا إيما، بحقك هيا دعينا ندخل إلى الغرفة.

ها أنا أنكمش في إحدى زوايا الفراش ساحبةً الغطاء إلى أعلى ذقني، ها أنا أختبئ أسفل الأغطية شاعرةً بتقلص جسدي نتيجة الخوف والارتياب مُحاولةً بكل جهدي التغلُّب على هذا الصوت القادم من الجانب الآخر للباب.

من فضلك يا إيما، أرجوك!

أتخفى تدريجيًا في فراشي وأظل على هذه الحال حتى أضيع في قلب الظلام كلّيًا حتى تتلاشى فيفان آخذةً معها كل تلك الأصوات الصاخبة.

- كان بمقدوري السماح لهن بالدخول في تلك الليلة، كان يتعين عليَ القيام بذلك، لكنني لم أفعل لأنني كنت صغيرة

وغبية وغاضبة، ولكن لو كنت سمحت لهن بالدخول لما كان كل هذا قد حدث ولما كنت أملك الآن ذلك الشعور الكريه أنني قمت بقتلهن!

تنهمر المزيد من الدموع على وجنتي وتتبع نفس المسار الوحيد شأنها شأن الدموع التي سبقتها، وها أنا أجففها بمؤخرة يدي ثم أقول:

- إنني لا أتوقف عن رسم ملامحهن في كل لوحة فنية أشرع في البدء فيها، أحرص دومًا على ذلك لكن ما من أحد يعرف أنهن هناك لأني أقوم بتغطيتهن بالطلاء، ولا أعرف سبب ذلك، لا حيلة لديّ في هذا، لكنني لا أرغب في مواصلة ذلك، أعرف أن الأمر جنوني، أنا مجنونة لكنني أفكر الآن أنه إذا كان بمقدوري اكتشاف ما حدث لهن في تلك الليلة ربما حينها سأتوقف عن رسمهن وعندها سأتمكن من مُسامحة نفسي.

ها أنا أتوقف عن التحدث الآن وأُحدق في أرضية الغرفة بينما تنظر إليّ ساشا وكريستال وميرندا بصمتٍ ومن دون حراك، إنهن ينظرن لي تمامًا بتلك الطريقة التي ينظر بها الأطفال للأشخاص الغرباء. بفضولٍ وريبة.

أنا آسفة جدًا، في الواقع لا أشعر أني بحال جيدة الآن، سوف أكون بخير في الصباح.

أقولها وأنهض شاعرةً بالدوار والتشوّش الذهني ثم أمضي مُترنحة تمامًا كما تلك الأشجار المنكوبة بفعل العواصف وأرى الفتيات الثلاثة يُحدقن في وجهي ويتأهبن للقيام أيضًا لكني أشير لهن أنه بمقدورهن مواصلة اللعب وأن يبقوا حيث كانوا.

-لا تسمحوا لي بإفساد ليلتكن على هذا النحو، استمروا في اللعب.

واصلت الفتيات اللعب بالفعل ربما لأنهن شعرن بالتوتر وربما لأن الخوف حاصرهن على نحوٍ لا يُطاق وربما لأنهم لا يعرفن ما الذي يتعين عليهن القيام به الآن في تلك اللحظة على وجه التحديد، فكل ما قاموا به محاولة استرضائي من أجل انتظار تلك اللحظة التي يجذر بي أن أغمض خلالها عيني في أي وقت.

- حسنًا لنلعب جولة جديدة، سأبدأ أنا، قالتها ميرندا على الرغم من أن صلابتها لم تنجح في إخفاء خوفها الظاهر.

أحاول إغلاق عيني بالقوة رغمًا عنها، إنها تأبى ذلك على الرغم من مدى إرهاقي وتعبي وكذلك بغض النظر عن تناولي المزيد من النبيذ إلى حد الثمالة، إنها ترفض ذلك رغم كم هذا الدمار العاطفي الذي يحمله قلبي بداخله نتيجة لكل ما اعترفت به حتى الآن. ها أنا أشعر بغتةً بالعمى المؤقت وأتحسس طريقي وأمسك بمرتبة الفراش والوسادة والحائط. ها أنا أتكور في مكاني أسفل الأغطية، رافعةً ركبتي إلى صدري مديرةً ظهري للفتيات، وضعية الإذلال المعتادة التي طالما عاهدتها.

- واحد: لقد أصيبت بالمرض بعدما ضرب الإعصار جزيرة كوني، تقولها ميرندا بصوتٍ خفيض حذر وكأنها تتأكد إن كنت قد خلدت إلى النوم أم لا.

- اثنان: أقرأ مائة كتاب في العام.

ها هو النوم يُلقي بظلاله عليَّ ويأخذني إلى رحلة لدنيا اللاوعي، وها أنا أتأهب للترحيب بذلك العالم المظلِم ولا زلت أسمع صوت ميرندا الذي بدأ يختفي تدريجيًا وكان آخر ما سمعته:

- ثلاثة: أنا قلقة بشأن إيما.

هكذا يستمر الأمر.

ها أنت تصرخين مُجددًا ومُجددًا. إنك تواصلين ذلك على الرغم من أنك لا تعرفين السبب إلا أنك لا تنفكين عن فعل ذلك، فمهما حاولت بشدة لا يمكنك أبدًا التخلص من أفكارك المرعبة المُخيفة، فأنت تعرفين جيدًا في أعماقِ نفسك أن إحدى تلك الأفكار حقيقية لذلك أنت تصرخين مرةً أخيرة وتتجولين في أنحاء بقية أرجاء المُخيَم وتقفين في البحيرة والتي تبعد عشرة أقدام عن الشاطئ. بإمكانك الشعور بموجة من الطاقة تتدفق بداخلك، إنها صدمة مُباغتة، ويبدو أنها مفاجأة مشتركة، فها هو طائر اللَّقلق الأبيض يشعر الآن بما تشعرين به وإذ به ينشر أجنحته الطويلة الأنيقة ليحلّق عاليًا جدًا وكأنه يمتطي صوت صرخاتك.

ها أنت بدورك تلتقين فراني أولًا ، تلك التي انطلقت مُسرعةً من الرصيف الخلفي للنُزل، يبدو أن صرخاتك نبهتها أن هناك خطأً ما، فعندما ألقت نظرة خاطفة على المياه تأكدت بنفسها من ذلك، وها هي الآن تُهرول عبر

السلالم الخشبية بينما تُرفرف أكمام ثوبها الأبيض أثناء ركضها على هذا النحو.

كان تشيت هو الشخص التالي، ما زالت علامات النعاس جليةً على وجهه. إنه يجلس الآن على رصيف الميناء الخلفي مُمسكًا السياج بيديه جالسًا تحت تأثير الصدمة، بعد ذلك جاء دور ثيو والذي كان يهرول عبر السلالم من دون توقُّف.

ها أنت ترينه يركض من دون ارتداء أي شيء سوى زوجين من السراويل القصيرة، فوجوده الطارئ على هذا النحو يرجع إلى تلك الظروف القائمة. ها أنت تُشيحين ببصرك بعيدةً عنه شاعرةً بالغثيان والاضطراب بينما اجتمع الآخرون حول الشاطئ، ووقف الجميع جامدين في أماكنهم من دون حراك وسط ذلك الضباب الذي يلف المشهد. جميعهم يشعرون بالخوف والارتباك والفزع والفضول، تحديدًا ذلك الأخير فهم يضعونه فوق كل اعتبار. ها أنت تشعرين بفضولهم تجاهك كما الرياح الباردة التي تغزو كيانك بغتةً. تشعرين بكراهية هؤلاء الناس في تلك اللحظة كما أنك تبغضين إصرارهم على معرفة شيءٍ ما أنت تعلمينه بالفعل بغض النظر عن مدى بشاعة ذلك الشيء. ها هي بيكا شونفيلد تقع بينهم. إنك تكرهينها أكثر من أي شخص آخر هنا لأنها تتمتع بتلك الوقاحة والجرأة التي تجعلها قادرة على تأريخ كل ما يحدث. ها هي تشق طريقها وسط الزحام إلى الأمام وترفع الكاميرا الخاصة بها، وعندما تقوم بالتقاط القليل من الصور تُحدث صوتًا أشبه بصوت ارتطام تلك الصخور الملساء الذي لا ينفك صداه يتردد في أرجاء البحيرة.

وحدها فراني من تتقدم إلى الأمام. إنها تقف عند حافة البحيرة بأقدامٍ حافية مقتربةً جدًا من المياه.

إيما؟ ما الذي تفعلينه هنا؟ هل تأذيت؟

ها أنت لا تُجيبين، إنك لست واثقة من جوابك في تلك اللحظة.

- إيما؟ اخرجي من المياه الآن واذهبي إلى النُزل، كان هذا صوت ثيو، ذلك الشاب الذي لم تكوني قادرة على النظر إليه وجهًا لوجه.

تنظر إليه فراني وتقول:

- يمكنني تولي ذلك الأمر.

ها هي تدخل إلى البحيرة من دون أن تترنّح مثلما كنت، بل تمشي بخطى ثابتة ثانيةً ركبتيها مجرفة بذراعيها بينما تغوص أكمام ثوبها في الأعماق. إنها تتوقف على مقربة منك الآن وتميل برأسها قليلًا قائلةً بصوتٍ خفيض:

- ما الأمر يا إيما؟

- لقد اختفوا.

- من؟

- الفتيات الأخريات في الغرفة.

ابتلعت فراني ريقها بصعوبة بالغة وقالت:

- جميعهن؟

عندما أومأتِ لها انطفأ ذلك الوهج الذي كان يُضيء عينيها بغتةً، وحينها على وجه التحديد أدركتِ أن كل ما يحدث حقيقة وليس مجرد أوهام تسكن رأسك، بعد تلك اللحظة سار كل شيء على نحوٍ مُفاجئ حيث انتشر الجميع في كافة أرجاء المُخيّم ثم ذهبوا إلى تلك الأماكن التي تعرفينها جيدًا والتي تشمل حفرة النار، وكشك الاستحمام والمقصورة حيث قام ثيو بفتح جميع الخزائن الخشبية ليرى إن كانت إحدى الفتيات قد اختبأت فيها على شاكلة حكاية عفريت العلبة، لكن التفتيش لم يُظهر أي شيء ولم يكن هذا بالأمر المفاجئ بالنسبة لك، فأنت تعرفين جيدًا ما يجري، لقد عرفتِ ذلك منذ اللحظة الأولى التي استيقظتِ فيها ووجدتِ الغرفة صامتة وفارغة، وفي تلك الأثناء تم تنظيم مجموعة صغيرة للبحث- كمحاولة للتظاهر بأن الموقف ليس مُريعًا كما يعتقد الجميع.

ها أنت تُعبرين عن رغبتك الشديدة في المُضيّ قُدمًا والانضمام إليهم في عملية البحث على الرغم من أنك لم تكوني في حالة تسمح لك بالتجول عبر الغابات والبحث عن الفتيات ومُناداتهن بأسمائهن سواء أكن مفقودات أم لا. ها أنت تمشين الآن خلف ثيو مُباشرةً مُتجاهلةً تمامًا مدى برودة مياه البحيرة التي لا زالت تتشبث ببشرتك، إنها تجعلك ترتعدين على الرغم من أن الحقيقة تقول إن درجة الحرارة تصل إلى تسعين درجة وأن جسدك مُغطى بقطرات العرق. ها أنت تبحثين في تلك الغابات التي تُغطي المُخيّم. ها أنت تُنقبين في كل اتجاه بدورك بينما

تتخيلين أثناء سيرك في الغابة صورة بوكانان هاريس وايت جد فراني. ها أنت تتصورينه يقوم بشق الطريق مثلما فعل منذ مئة عام ممسكًا بالمنجل ومتسلحًا بأذرع التفاؤل العنيد. إنه فكرة غبية ساذجة حقًا، لكنها تصرف ذهنك عن كل هذا التعب والإرهاق الذي يحاصر جسدك ومفاصلك الملتهبة وليبعدك أيضًا عن حقيقة أن الفتيات الثلاثة الميتات سوف ينتظرنك في المنعطف القادم من الطريق.

لم تظهر أي فتاة سواء حية كانت أو ميتة. لم يتم العثور على أي أثر لهن على الإطلاق كما لو كان لا وجود لهن منذ البداية أصلًا، كما لو كن مجرد وهم من ضنع خيالات المخيم. بدا الأمر كما لو كانت فكرة وجودهم مجرد هلاوس جماعية خرقاء!

ها أنت تعودين إلى مخيم نايتنجيل خلال موعد الغذاء وتظلين برفقة بقية الفتيات في قاعة الطعام تتناولن طعامكن في حزن بالغ، فالجميع ينظرون إليك بارتياب واضح كما أن نوافذ أعينهن تعكس مشاعر مختلطة والتي تتمثل في الأمل والخوف واللوم، ذلك الشعور الأكثر شيوعًا الذي شعرت به لحظة توجهك إلى منضدة فراني. ذلك الشعور الذي يشعرك بالحرارة والسخونة ناحية رقبتك شاعرة بألم حروق الشمس.

- هل عثرتم على أي شيء؟، سألت فراني بينما هز ثيو رأسه في خيبة أمل.

بدأت فتيات المخيم في البكاء بصوت عال، كان صوت نحيبهم يحاصرك من كل اتجاه، ها أنت تقعين فريسة لذلك الصّخب المباغت الذي كسر لتوه الهدوء السابق الذي كان يسود قاعة الطعام. إنك تكرهين أولئك الفتيات وتبغضين تصرفاتهن الطفولية، فهن لا يعرفن أي شيء عن معنى الفقد والضياع، لكنك وحدك من تعرفين ذلك. فأنت من يجدر بها البكاء، لكنك تنظرين إلى فراني باحثةً عن بعض الإرشاد والتوجيه فهي الوحيدة التي لم تكن تبكي، لكنها كانت تحاول التصدي لتلك العاصفة بوجهٍ هادئ.

أعتقد أنه قد آن الأوان لنتصل بالشرطة، قالتها.

بعد مرور نصف ساعة تقريبًا وبينما لازلت جالسةً في قاعة الطعام، في تلك اللحظة التي بات فيها المكان خاليًا

من فتيات المخيم الباكيات والمشرفات، أصبح المكان فارغًا من الجميع إلا أنت ومحقق الشرطة الذي نسيت اسمه للتو والذي قال لك:

- حسنًا إذن، كم عدد الفتيات اللواتي ربما فقدن طريقهن؟

ها أنت تلاحظين دقة اختياره للكلمات، عدد الفتيات اللواتي ربما فقدن طريقهن؟ وكأنك تخترعين القصة كلها، يبدو وكأنه لا يصدقك!

- أعتقد أن فراني أخبرتك بكل شيء.

- أجل، لكني أريد أن أسمع منك، قالها المحقق جالسًا مشبكًا يديه حول الكرسي ثم أضاف:

- هذا إن كنت لا تمانعين.

- ثلاثة.

- هل كانوا معًا في نفس الغرفة؟

- أجل.

- وهل أنت واثقة أنك فتشت في كل مكان.

- لم أفتش في كل أنحاء الملكية.

- لكن فرق البحث قامت بالتفتيش في كل أرجاء المخيم، قالها المحقق متنهدًا ثم أخرج قلمه وورقته وقال:

حسنًا ، أخبريني بأسمائهن.

ها أنت تترددين في إخباره بأسمائهن لأنك تعرفين جيدًا أنه بعد إعلان أسمائهن سوف يصبحن في عداد الأشخاص المفقودين، وأنت تعرفين جيدًا أنك لست متأهبة للقيام بذلك. ها أنت تقضمين وجنتيك من الداخل في تماظل واضح ولكن المحقق يواصل التحديق في وجهك منزعجًا.

- آنسة دافيد؟

- حسنًا، أسماؤهن ساشا، كريستال وميرندا.

ها أنت تقولين ذلك بقلب حزين يرفرف بداخل صدرك كما الطائر الحبيس.

الجزء الثاني

الكِذْبَة

الفصل السابع والعشرون

قام مُحقق الشرطة بكتابة أسماء الفتيات في دفتره الخاص حتى يجعل الأمر رسميًا. في تلك اللحظة رفرف قلبي مُجددًا من فرط الألم والحزن.

- حسنًا، هل يمكننا أن نعود إلى البداية؟ إلى تلك اللحظة التي عرفت فيها بمسألة اختفاء الفتيات الثلاث؟

انتابتني رجفة مُباغتة، لم أكن أعرف عمّا يتحدث بالضبط؟ لذا قلت له بشكلٍ عفوي:

- أية فتيات؟

لم يكن بيدي حيلة، فلقد شعرت مُجددًا أنني تلك الفتاة في الثالثة عشرة من عمرها والتي تجلس مُكورةً في أحد الزوايا مُتحدثةً مع مُحقق آخر لأخبره بالمزيد عن مجموعة أخرى من الفتيات المفقودات. فكل شيء مُتشابه، نفس القاعة الفارغة ورجال القانون الذين يسيرون على غير هدى وذلك الألم الذي يعصرني من الداخل، جدير بالذكر أنه بعيدًا عن عمري وهوية الأشخاص المفقودين في كل مرة فإن الفارق الوحيد الآن يتجلى في كوب القهوة التي تم وضعه على الطاولة أمامي الآن، ففي المرة الأولى كان أمامي كوب برتقال.

ها أنا أجلس مُتجمدةً في مكاني وأقول لنفسي إن هذا لن يحدث مُجددًا مُنتظرةً لحظة مغادرة هذا المكان، إنني أتشوق لهفة لانتهاء كل ما أراه، ها أنا أنتظر أن يتلاشى تمامًا كما الحلم وأتخيل لحظة وجودي في شقتي مُحاطة باللوحات وزيت التربنتين . ها أنا أطمئن نفسي أنني قريبًا سأغادر هذا المكان وسأذهب إلى مكانٍ آخر. لكن المشهد لا يزال ثابتًا أمامي لم يطرأ عليه أي تغيير، وها هو المحقق يأتي مُجددًا، وها أنا كذلك أتذكر اسمه. أجل اسمه فلاين. المُحقق ناثان فلاين. لا لن أسمح بحدوث هذا مرةً أخرى.

اختفاء ثلاث فتيات في مقصورة القرانيا التي شهدت نفس الحادث منذ خمسة عشر عامًا في نفس المُخيّم! الأمر حقًا في غاية الغرابة حتى إنه أقرب إلى الحكايات الخيالية. أنا واثقة أن ساشا تلك الفتاة الصغيرة التي تملك بدورها ينبوعًا من المعرفة كانت لتتأهب لشيءٍ هكذا ولو بنسبة واحد بالمئة! ها أنا لا زلت لا أصدق ما يحدث من حولي، ولا زال المشهد ثابتًا من دون أي تغيير، وها هو

المحقق ناثان فلاين لايزال جالسًا محدقًا في وجهي بينما كنت أتفحص يدي لأتأكد بدوري أنها يد امرأة وليست يد فتاة في الثالثة عشرة من عمرها. هذا لن يحدث. لن أفقد عقلي.

- أريدك أن تركزي قليلًا يا آنسة دافيس، حسنًا؟

ها هو صوته يخترق أفكاري.

- أنا أتفهم صدمتك جيدًا، ولكن كلما أمضيت الكثير من الوقت من دون إجابة تلك الأسئلة فقد يؤثر ذلك سلبًا على أولئك الفتيات في الخارج.

كان هذا كافيًا ليجعلني أستفيق من غفوتي على الأقل لمدة دقيقة ثم سألته مقاومةً دموع عيني:

- ما هو السؤال مُجددًا؟

- متى عرفت بمسألة اختفاء الفتيات الثلاث؟

- عندما استيقظت.

- متى؟

حاولت أن أتذكر الوقت على وجه التحديد، واكتشفت أن ذلك كان منذ بضع ساعات قليلة ولكني شعرت بأنه قد مر وقت طويل جدًا أشبه بعمر كامل.

- في الساعة الخامسة والنصف.

هل تستيقظين على الدوام في تلك الساعة المبكرة جدًا؟

لا أستيقظ باكرًا على الدوام، لكنني فعلت ذلك لأننا في عطلة صيفية بمخيم نايتنجيل.

قام المحقق فلاين بتسجيل ملاحظته تلك في دفتره الخاص، على الرغم من أنني لم أكن على علم بالسبب الذي دفعه لذلك ثم سألني:

- حسنًا ماذا فعلت بعد أن علمت بمسألة اختفائهن؟

- ذهبت للبحث عنهن.

- أين؟

- في كل أرجاء المخيم.

ارتشفت القليل من القهوة التي كانت قد بردت وبات مذاقها أكثر مرارة وواصلت حديثي قائلة:

ذهبت إلى أكشاك الاستحمام، وقاعة الطعام ومبنى الفنون والحرف اليدوية حتى أنني ذهبت إلى بقية مقصورات المخيم.

ألم يكن هناك أي أثر على وجودهن على الإطلاق؟

- لا، لم أعثر على أي شيء، قلتها بصوت مُتهدج.

قلب فلاين الصفحة على الرغم من أن إجاباتي لم تكن تُشكل إلا مجموعة من الجمل التافهة البسيطة ثم سألني:

- لماذا ذهبت إلى المياه؟

ها هو الشعور بالارتباك يتلبسني من جديد، فأنا لا أعرف حقًا إن كان يتحدث عن تلك المرة أو المرة السابقة منذ خمسة عشر عامًا.

- لا أفهم سؤالك.

- أخبرتني السيدة هاريس وايت أنهم عثروا عليك في البحيرة بعدما عرفت بمسألة اختفاء الفتيات، هل كنت تعتقدين أنهن هناك؟

لم أكن قادرة على تذكر تلك اللحظة فعلًا، ما أذكره هو رؤية الشمس تُشرق على سطح البحيرة وأول شعاع لبزوغ الفجر. ها هو المُحقق فلاين يُواصل إصراره.

- هل لديك دافع يجعلك تعتقدين أن الفتيات ذهبن للسباحة؟

- ليس بمقدورهن السباحة أو هكذا أظن.

أعتقد أن إحداهن كانت قد أخبرتني بذلك في السابق، في الواقع لا أتذكر من على وجه التحديد، هل هي كريستال؟ هل كانت ساشا من قالت ذلك؟ كل ما أتذكره جيدًا أنني لم أر أية واحدة منهن بداخل مياه البحيرة من قبل.

- أنا فقط اعتقدت أنه ربما توجهن للوقوف أمام البحيرة فحسب.

- كما كنت تقفين؟

- في الواقع أنا لا أعرف لماذا فعلت ذلك.

نبرة صوتي جعلتني أرتعد. ها أنا أشعر ببالغ الوهن والضعف والارتباك. ها هو الألم يُطيح بي من كل جانب، ولم أعد بدوري قادرة على التفكير بشكلٍ سليم.

- لقد قالت أيضًا السيدة هاريس وايت أنك كنت تصرخين.

كان ذلك صحيحًا، لا زال صوت الصرخات يسكن أذني حتى الآن. لا زلت قادرة أيضًا على رؤية القلق الأبيض

يتأهب للتحليق عاليًا.

- أجل.

- لماذا؟

- لأنني كنت خائفة.

- خائفة؟

ألن تشعر بالخوف إذا استيقظت يومًا وعرفت باختفاء زملائك في الغرفة؟

- قد أشعر بالقلق فحسب لكن لا أعتقد أنني سوف أصرخ!

- حسنًا، لقد فعلت ذلك.

لأنني كنت أعرف ما يجري بالفعل. لأنني كنت غبية بما يكفي لعودتي إلى هذا المكان بعد كل ما حدث، وها هو الأمر يتكرر مجددًا. يقلب المحقق فلاين صفحة دفتره ويسألني:

- هل هناك أي احتمال أنك كنت تصرخين لسببٍ آخر؟

- أي سبب؟

- لا أعرف، الشعور بالذنب مثلًا؟

ها أنا أتململ في مقعدي شاعرةً بالضيق والحنق نتيجة لاستماعي لكلماته تلك، إنني أستشعر بدوري حالة من انعدام الثقة والشك.

الشعور بالذنب؟، سألته.

- أجل، فكما تعرفين الفتيات كن ضمن مسؤوليتك الخاصة وما حدث أنك أضعتهن...

- أنا لم أتسبب في إضاعتهن.

- لكنهن كن ضمن مسؤوليتك الخاصة، أليس كذلك؟ لقد كنت إحدى مرشدات المخيّم.

كنت مجرد معلمة فقط، أخبرته ثم تابعت حديثي:

- لقد أخبرت الفتيات منذ لحظة قدومي أنني صديقة لهن ولست هنا لأمارس أي دور سلطوي عليهن أثناء إقامتنا معًا في نفس الغرفة.

- وهل كنت كذلك حقًا؟، سأل فلاين.

هل كنت صديقة لهن؟

- أجل.

- إذن هل شعرت بعاطفة الحب تجاه أولئك الفتيات؟

- أجل.

- هل كانت لديك أي مشاكل معهن أو مشاجرات أو خلافات؟

- لا، قلتها مُتشددةً.

- أخبرتك أنني أحبهن جميعًا.

شعرت بحالة مُباغتة من نفاد الصبر تنهش جسدي، وأخذت أتساءل في غضب تُرى لماذا يُهدر المُحقق كل هذا الوقت في طرح المزيد من الأسئلة التافهة بدلًا من خروجه إلى الغابات للبحث عن الفتيات المفقودات؟ أليس من المُحتمل أن يكنّ تعرضن للأذى أو الضياع؟ لماذا لا يذهب أحدهم للبحث عنهن؟ ها أنا أسترق النظر إلى حيث قاعة الطعام بالخارج وأرى بضعة من رجال الشرطة والمباحث يتجولون بالخارج.

- هل سيذهب شخص ما للبحث عنهن؟ هل سيكون هناك مجموعات للبحث؟

- أجل سيكون هناك لكنني بحاجة لأن أعرف منك بعض المعلومات أولًا.

- ما الذي يُمكنني تقديمه أكثر من هذا؟

- حسنًا، باديْ ذي بدء هل هناك شيء ما تعتقدين أنه يجدر بي أن أعرفه بخصوص الفتيات؟ شيء ما من شأنه أن يساعدنا في البحث؟

- حسنًا، يتم كتابة اسم «كريستال» بحرف الكاف، إن كان ذلك سوف يُساعدكم في البحث!

بالطبع، سوف يساعدنا ذلك.

لم يمنحني المُحقق ناثان فلاين أي تفسير آخر وتركني أتصور كل واحدة منهن على جوانب علب الحليب، تلك الخدمة العامة النبيلة التي تبدو مُريعة حقًا إذا ما فكرت فيها، فمن يرغب أن يفتح ثلاجتهم ليرى وجه أحد الأطفال المفقودين يُحدق فيه؟

- هل هناك معلومة أخرى تودين إخبارنا بها؟، سألني فلاين.

ها أنا أغلق عيني مُحاولةً أفرك يدي بينما أشعر بألم حاد في الرأس ثم قلت له:

- دعني أفكر، أجل، ساشا فتاة ذكية جدًا، كما أنها

تخاف بشدة من الهبوط إلى الأسفل وتخشى أيضًا الذّببة والثعابين.

لقد شعرت أنه ربما تكون ساشا خائفة جدًا الآن، والأخريات أيضًا، لقد حطم قلبي ذلك، أخشى حقًا من مسألة ضياعهن وسط الغابات الموحشة الفسيحة، كم أتمنى لو كانوا معًا جميعًا، بإمكانهن حينها التخفيف عن بعضهن البعض، يا رب أدعوك أن يكونوا معًا الآن، في تلك اللحظة، ها أنا أواصل التحدث إلى المحقق لأخبره بكل شيء أعرفه حول الفتيات.

- ميرندا هي الفتاة الأكبر سنًا وهي الأكثر شجاعة كما أن عمها يعمل رجل شرطة أو ربما والدها وعلى الرغم من أنها تعيش مع جدتها إلا أنها لم تأت يومًا على ذكر والديها على الإطلاق.

فجأة تذكرت لتوي معلومة إضافية والتي عصفت برأسي تمامًا كما قصف الرعد.

- لقد أخذت هاتفها!

- من؟

- ميرندا! أقصد أنها أخذت هاتفها برفقتها لأنه لم يكن ضمن الأشياء الموجودة في درج الخزانة، فمن المؤكد أنها أخذته معها، هل هذا سيكون شيئًا مفيدًا للعثور عليها؟

ابتهج فلاين قليلًا ثم قال:

بالتأكيد فكافة الهواتف المحمولة تمتلك جهاز تتبع وتحديد المواقع، هل تعرفين نوع هاتفها؟

- لا أعرف

- حسنًا، لا بأس سوف أتصل بجدتها على أية حال وأسألها عن ذلك بنفسي، والآن دعينا نتحدث عن مسألة اختفاء الفتيات، لماذا اعتقدت أنه حادث اختفاء؟

- لا أعرف.

- من المؤكد هناك دافع منطقي يجعلك تقولين ذلك، فمثلًا أنهن غضبن منك بسبب شيءٍ ما قمت به؟

- في الواقع ليس هناك شيء يمكنني التفكير فيه الآن بهذا الخصوص.

يمكنني القول إن ما قلته كان مجرد كذبة تنتمي إلى سلسلة طويلة من الأكاذيب، لأنني أعرف جيدًا في أعماق

نفسي أنهن ربما غادرن مقصورة القرانيا بعد إحساسهن بالخوف بالأمس، فلقد كنت أتصرف بغرابة شديدة بعد أن تناولت النبيذ حتى الثمالة ثم بكيت وأخذت ألمس معصمي مرارًا وتكرارًا حتى أني قمت بفركه بقسوة حتى تسبب ذلك في وجود بقعة حمراء حوله، في الواقع لم أكن في حالة عقلية جيدة بالأمس ومن المؤكد أن هذا أخافهن بشدة، لقد رأيت ذلك بوضوح في أعينهن.

- هل تعتقد أنهن قد هربن من هنا؟

- أنا أقول إن هذا هو السبب المنطقي الوحيد، فهناك إحصائية تقول إن حوالي مليوني شاب وفتاة يهربون سنويًا من البلاد لكننا نتمكن من تحديد مواقعهم وإعادتهم إلى عائلاتهم في الديار لاحقًا.

بدا حديثه أقرب بحديث ساشا الذي تواصل فيه استعراض أحدث قراءاتها لعالم الإحصائيات والدراسات المتباينة، لكني لا أعتقد أبدًا أنهن قد هربن من هذا المكان، فلم يقوموا بإعطاء أي مؤشر يوحي بتعاستهن في الديار.

- وماذا لو كان هذا مجرد افتراض خاطئ؟

وما هو السبب الآخر إذن؟

- حادث مدبّر أو مؤامرة.

قالها فلاين بشكلٍ سريع جدًا حتى أنني شهقت ملتقطةً أنفاسي بصعوبة وقلت له:

- هل تقصد عملية اختطاف؟

هل هذا ممكن؟ أجل هذا أمر محتمل الحدوث فالإحصائيات تقول إن نسبة واحد بالمئة من الفتيات والأطفال المفقودين يتم اختطافهم من جانب الغرباء.

- وماذا لو لم يكن المختطف من الغرباء؟

أخرج فلاين قلمه وورقته وبدأ في التدوين ثم سألني في اهتمام:

هل تقصدين شخصًا محددًا؟

- هل تحدثتم إلى العاملين بالمطبخ؟، لقد لمحت أحدهم ذات مرة ينظر إلى فتيات المخيم نظرة عدائية وكأنه يقول سرًا إنه لا يجدر بهن التواجد هنا، لقد كانت نظرته مخيفة

- مخيفة؟

- أجل.

- هل كان رجلًا إذن؟

أومأت له ثم قلت:

- الشارة المطبوعة على منزره تحمل اسم «مارفن» كما أنه كان هناك عاملات أخريات شاهدات على ذلك الموقف بأكمله.

- سوف أتحقق من ذلك بنفسي، قالها فلاين بينما استمر في تدوين المزيد من المعلومات والملاحظات. في واقع الأمر، إن رؤيته على تلك الحال جعلتني أشعر بالابتهاج والطاقة المرتفعة لأنني كنت أقدم الدعم المطلوب وأقوم بدوري على أكمل وجه من أجل مساعدته في البحث عن الفتيات. قمت باحتساء القليل من القهوة.

- دعينا نتحدث الآن على ذلك الحادث الذي وقع منذ خمسة عشر عاماً، لقد تم إخباري إنك كنت هنا برفقة ثلاثة فتيات أخريات واللواتي لم يتم العثور عليهن مُجددًا، هل هذا صحيح؟

ها أنا أُحدق في وجهه شاعرةً بالارتباك.

أعتقد أنك تعرف بهذا الأمر بالفعل.

- هل كنت تمكثين معهن بنفس الغرفة؟

استشعرت نبرة شك في صوته ثم قلت مُدافعةً عن نفسي:

- أجل، ولكن لم يتم العثور على أي منهن ضمن الأغلبية العظمى من المفقودين الذين يتم إيجادهم وإعادتهم إلى ديارهم كما تقول تلك الإحصائية!

- أعرف ذلك.

- إذن لماذا تسألني؟

ها هو فلاين يتظاهر أنه لم يسمع السؤال ويمضي قُدمًا.

- لقد قالت إحدى الفتيات السابقات في المُخيم أنها قد استمعت إلى صوت مشاجرتك معهن في ليلة الاختفاء.

من المؤكد أن بيكا هي من أخبرت الشرطة بما سمعته. لكن لا يمكنني إلقاء اللوم عليها لقيامها بذلك، فمن ناحيتي كنت لأقوم بذلك أيضًا إذا تم عكس الأدوار.

- كان هذا مجرد خلاف وليست مُشاجرة.

- ما هي طبيعة ذلك الخلاف؟

- في الواقع لا أتذكر بكل صراحة، قلتها على الرغم من أني أتذكر ذلك جيدًا.

فلقد صرخت في وجه فيفان بسبب ثيو. كنت مجرد فتاة غبية تتشاجر من أجل فتى غبي.

بماذا تفسرين اختفاء أولئك الفتيات؟

- أنا لست خبيرة في حل تلك القضايا التي تتعلق باختفاء الأشخاص

- وعلى الرغم من ذلك فأنت لا تظنين أن أولئك الفتيات هربن من المُخيَّم؟

لأنني أعرفهن، لسن من هذا النوع الذي يُمكنه القيام بشيءٍ كهذا.

وماذا عن الفتيات اللواتي فُقدن منذ خمسة عشر عامًا، هل كنت تعرفينهن جيدًا أيضًا؟

- أجل

- هل كنت تعرفينهن إلى هذا الحد الذي جعلك تتشاجرين معهن؟!

- لقد تشاجرت مع إحداهن فقط

قمت بمد يدي بسرعة للإمساك بكوب القهوة، فعلت ذلك هذه المرة لتهدئة نفسي قليلًا.

- على الأرجح أنك قد تشاجرت معها بعنفٍ بالغ!

شرع المحقق فلاين في مراقبتي عن كثب أثناء احتسائي القهوة وحينها لم أتمالك نفسي وسعلت بشدة عدة مرات دون توقف ثم قلت له:

- ما الذي تسعى إليه الآن؟

- أنا أبحث في القضية يا آنسة دافيس.

- ربما يتعين عليك البحث في قضية ميرندا وساشا وكريستال عوضًا عن تلك القضية الأخرى!

ها أنا ألقي نظرة أخرى على النافذة، لا زال رجال الشرطة يحومون في الخارج حول المكان، يجعلني هذا أشعر أنهم يريدون أن يقوموا بإبعاد أحدهم من الدخول إلى مسرح الجريمة أو ربما يخططون بدورهم إلى احتجاز شخص ما بالداخل!

ها أنا أشعر بغصة بداخلي بغتةً! فلقد أصبحت على علم الآن لماذا لا يبحث أحدهم عن الفتيات في الخارج وسط

الغابات! ها أنا أعرف لماذا يُركِّز الجميع على علاقتي بهن؟ كان عليَ أن أعرف ذلك منذ البداية إذن. كان يتوجب عليَ أن أدرك هذا في تلك اللحظة التي استيقظت فيها وعلمت باختفاء الفتيات الثلاث! فأنا تلك الفتاة المشتبه بها الآن! أجل أنا الوحيدة التي تُشير نحوي أصابع الاتهام!

أقسم لك إنني لم ألمس أولئك الفتيات وكذلك لم ألحق الأذى بالأخريات منذ خمسة عشر عامًا.

- عليك الاعتراف يا آنسة دافيس أن الحادث يُشعرك بالذنب، فمنذ خمسة عشر عامًا اختفت رفيقاتك في الغرفة بالكامل ولم يتبق سواكِ! وها هو نفس المشهد يتكرر الآن! يا لها من مُصادفة مُريعة حقًا!

لقد كنت في الثالثة عشرة من عمري عندما وقع ذلك الحادث لأول مرة، فما هو العنف الذي قد ترتكبه فتاة في سن الثالثة عشرة من العمر؟

- في الواقع لديَ فتاة في هذا العمر لذلك فإنني أخالفك الرأي تمامًا!

- وماذا عن تفسير الوضع الراهن؟ فأنا فنانة تشكيلية، ولقد جئت إلى هنا من أجل تعليم الفتيات كيفية الرسم وليس لديَ أية نية لإلحاق الأذى بأي واحدةً منهن، قلتها بصوتٍ مُتهدِّج أجهده الذُعر وصداع الرأس الذي لا يرحم، وعلى الرغم من ذلك ثمة صوت آخر أكثر هدوءً وحكمة كان لا يزال يهمس في أعماق رأسي قائلًا بكل لُطف: حافظي على هدوئك يا أيما واعترفي بكل شيء.

أنا لست الوحيدة التي كانت متواجدة أثناء وقوع هذا الحادث لأول مرة منذ خمسة عشر عاماً، فهناك الكثير.

فكرت في كاسي على سبيل المثال، مع أني أعلم أنها لا تملك القدرة على قتل بعوضة حتى ناهيك عن الإطاحة بمجموعاتٍ من الفتيات من دون أي مُبرر منطقي واضح، ولكني أفكر بغتةً في بيكا! أجل، تلك الفتاة التي تمتلك أسبابها الخاصة الكافية لكراهية فيفان وناتالي وأليسون.

ها أنا أفكر الآن في ثيو ورؤيته برفقة فيفان داخل كشك الاستحمام. ها هي تلك التساؤلات القديمة تعود لتطرق رأسي وتدق صدري مُجددًا هامسة: أين الفتيات؟ وما الذي فعله بهن؟

لكن ثيو كان بريئًا في الماضي، لكن قصة فراني مختلفة

كُليًا ، فها هي يومياتها تخطر على بالي فجأة. أجل، فأنا أوشك على اكتشاف سرها الصغير القذر.

إنني أعرف الحقيقة لكني خائفةٌ بشدة.

- أعتقد أنه يتوجب عليك أن تتحدث إلى السيدة فراني، قلتها.

- لماذا؟

- لقد كانت إحدى الفتيات اللواتي فُقدن منذ خمسة عشر عامًا والتي كانت تُدعى فيفان تبحث عن شيءٍ ما هنا يخص مُخيّم نايتنجيل.

- ما الذي كانت تبحث عنه؟، قالها فلاين بصوتٍ غاضب يُعبر عن نفاد صبره.

يا إلهي! يا ليتني كنت أعلم ما الذي كانت فيفان تبحث عنه على وجهِ التحديد! فعلى الرغم من أنها قد تركت العديد والعديد من الأدلة وراءها إلا أنها لم تكشف عن ذلك السر الذي كانت تُخفيه فراني.

ثمة شيءٍ ما حاولت فراني إبقاءه سِرًا.

- انتظري لحظة، هل تودين القول إن السيدة فراني هاريس وايت قد قامت بإلحاق الأذى بالفتيات الماكثات في غرفتك، ليس الآن فحسب ولكن منذ خمسة عشر عامًا أيضًا؟

أعرف أن هذا يبدو سخيفًا، ربما هو كذلك حقًا لكن هذا هو السبب الوحيد الذي يجعلني أجد تفسيرًا لتلك المسألة برمتها ببساطة. فكل شيء عرفته بدوري منذ لحظة قدومي إلى هنا يدفعني دفعًا إلى هذا الاستنتاج.

كانت فيفان تبحث عن شيءٍ ما، ربما يخص مستشفى وادي السلام للأمراض العقلية، لقد عثرت على ذلك الشيء ثم طلبت العون من ناتالي وأليسون لاحقًا، وقد اختفى ثلاثتهن بغتةً بعد ذلك.

لا يمكن أن يكون هذا الحادث مجرد مُصادفة! وها أنا الآن أعود بدوري مُجددًا إلى مُخيّم نايتنجيل لأبحث عن ذلك الشيء الذي كانت تبحث عنه فيفان، وفي تلك اللحظة اختفت ميرندا وساشا وكريستال على نفس المنوال! ومن الغريب حقًا أن تكون تلك مُصادفة أيضًا! فمن الممكن أن تكون فيفان قد عثرت على سر فراني الذي كانت تحاول إخفاءه قدر الإمكان. ربما كان هذا السّر على قدر من

الخطورة ليدفعها إلى قتلها! وربما كنت أنا الأخرى على وشك معرفة ذلك وربما كان هذا تهديدًا آخر من فراني!

ها هي قصتها حول الصقور العملاقة تعود إلى ذهني مرةً أخرى الآن مُخترقةً أفكاري المبعثرة، هل أخبرتني بها لهذا السبب؟ هل أرادت أخافني لهذا الحد حتى أتوقف عن البحث؟ هل سردت لفيفان نفس تلك القصة بعد أن عثرت عليها في النُزل؟

أعتقد أن هذا مُبرر أكثر منطقية من أي تفسيرٍ آخر، قلتها على الفور.

- لكن السيدة التي تتحدثين عنها إنسانة جيدة جدًا! يا إلهي! إنها أكبر دافعة للضرائب في البلدة بأسرها! كما أنها تملك تلك الأرض الضخمة الواسعة المُمتدة! ولا تتذمر أبدًا أو تتوانى عن دفع ضرائبها كاملةً حتى أنها لا تحاول أن تدفع مبالغ أقل! في الحقيقة إنها تتبرع بالمزيد من الأموال من أجل الأعمال الخيرية حتى إن أكبر مستشفى خيري في البلاد تحمل اسمها، ألا تعرفين ذلك؟

كل ما أعرفه أنني لست الفاعلة ولا يمكن أن أكون بأي حالٍ من الأحوال.

- حسنًا هذا ما تقولينه ولكن لا أحد حتى الآن يعرف الحقيقة كاملة أو على دراية بما حدث، فنحن ليس لدينا سوى الأدلة الراهنة لذا التمسي لنا العذر في أن تكوني أحد المُشتبه بهم!

- هناك خطب ما يحدث هنا.

- هل من الممكن أن تخبريني به؟، قالها المُحقق فلاين بعد أن بدت على وجهه علامات الارتباك الواضحة.

في الواقع، لقد كنت أتمنى ألا نصل إلى تلك النقطة، كنت أرغب بشدة أن يصدقني المُحقق منذ الوهلة الأولى ويبدأ في البحث عن ميرندا وساشا وكريستال، لكنه لم يفعل ذلك لذا اضطررت بدوري إخباره بكل شيء أعرفه، ربما لأن كل شيء حدث بما في ذلك ما وقع في كشك الاستحمام واحتجاز جحافل الغربان داخل المقصورة وذلك الشخص الذي كان يتلصص إلى جوار النافذة خلسة، ربما كلها لم تكن تهديدات موجهةً إليّ مباشرةً لكنها كانت موجهة إلى إحدى الفتيات.

- هناك شخص ما كان يُراقبني طيلة الأسبوع وقام

بالتجسس عليّ في كشك الاستحمام كما أنه قام باحتجاز الغربان داخل الغرفة.

- غربان؟، سألني المحقق فلاين بعد أن أخرج قلمه وبدأ في تدوين الملاحظات في دفتر يومياته.

- أجل، ثلاثة غربان، لقد استيقظت ورأيتهم بداخل الغرفة في الصباح الباكر كما أن هذا الشخص هو الذي قام بإتلاف باب الغرفة وتخريبه.

متى حدث ذلك؟

- منذ يومين.

- ما طبيعة حادث الإتلاف السابق الذكر؟

قام شخص ما بطلاء الباب، قلتها ثم ترددت قليلًا قبل أن أواصل حديثي ثم أضفت:

- لقد كتب كلمة «كاذبة» على باب الغرفة.

قطّب فلاين جبينه تمامًا كما توقعت ثم قال:

يا لها من كلمة! ولكن هل هناك سبب واضح وراء كتابتها على باب الغرفة على هذا النحو؟

- أجل، ربما يود القول إنه ما من أحدٍ يُصدقني.

- وربما أنتِ من قمتِ بذلك لإبعاد الشُبهة عن نفسكِ!

- هل تعتقد أنني خططت لإلحاق الأذى بالفتيات واختطافهن؟

- أعتقد أن هذا يبدو أكثر منطقية مما أخبرتني به.

ها هو صداع الرأس يعود تاركًا آلامًا مُبرحة وحرائق لا تنطفئ بين صدغي. ها أنا أقول لنفسي إن هذا لم يحدث. لن أفقد عقلي.

- ثمة شخص ما كان يُراقبني في هذا المكان.

- من الصعب أن أصدقك دون وجود أي دليل فما من شيءٍ يدعم روايتك الآن، قالها المحقق فلاين.

ها أنا أدرك للتو أن بحوزتي دليلاً ملموساً لإثبات صدق ما أقول. لطالما حاولت إخفاءه في السابق لكنني أصر على إخراجه الآن لأثبت للمحقق فلاين أنه كان مخطئًا تمامًا بشأني.

- هذا الدليل يتمثل في تلك الكاميرا!، قلتها مُشيرةً إلى كاميرا المراقبة التي تم تثبيتها في الخارج أمام باب مقصورتنا.

الفصل الثامن والعشرون

ها هي المقصورة تتألق باللون الأخضر على الشاشة، يرجع الفضل في ذلك إلى هذا المشهد الليلي الذي كانت تحتفظ به في ذاكرتها الرقمية. يبدو الأخضر باهتًا قبيحًا عندما تتأمله عبر عيون كاميرا المراقبة تلك فبدلًا من أن تقوم الأخيرة بتسجيل ورصد المشهد من الخلف إلى الأمام ناحية مقصورة القرانيا تحتفظ فقط بنظرة ثلاثية الأبعاد من جانب أحد الطيور الجارحة.

- إن كاميرا المراقبة تعمل بنظام اللّفس الذاتي الذي يتسم بالحساسية الشديدة فهي لا تبدأ في العمل إلا بعد رصد حركةٍ ما كما أنها لا تتوقف عن عملها إلا بعد توقُّف تلك الحركة كما أنها تقوم بتسجيل كل الملفات الإلكترونية بشكلٍ أوتوماتيكي، فعلى سبيل المثال هذا هو المشهد الذي سجلته كاميرا المراقبة الليلة السابقة.

ظهر باب الغرفة نصف مفتوح أمامنا على شاشة الكاميرا كما أنه شهد التسجيل وجود حركة سريعة لأقدامٍ عِدّة في ظل ضوء الظلام الفضي. كان المشهد بأكمله أشبه بلمحة خاطفة ليس أكثر.

ها هو تشيت ينتقل إلى الشاشة الثانية، عند إحدى كاميرا المراقبة التي تم وضعها جنبًا إلى جنب بين ثلاث كاميرات أخرى لمراقبة موقع النُزل. لقد تم وضعها وسط مساحة هائلة من الفراغ بالقرب من مجموعة صناديق منظمة وقطع أثاث عتيقة تحتلها الخيوط العنكبوتية كما أن أحد الجوانب كانت من دون طلاء كما أن علامات الجفاف بدت جليةً عليها، فهناك على وجه التحديد تم وضع الشاشة على أحد تلك المكاتب المعدنية إلى جوار كاميرات أخرى وبدا المشهد تمامًا وكأنها مجموعة من الكتب التي تم وضعها على أحد الرفوف.

جلس تشيت بدوره على كرسي قديم مُتهالك حول ذلك المكتب بينما جلست برفقة ثيو وفراني والمحقق فلاين إلى جواره.

- ولكن أليس من الغريب أن يكون هناك كاميرا مراقبة في مقصورة واحدة فقط؟، سأل المحقق فلاين.

- لقد قمنا بوضع تلك الكاميرا فقط من أجل اختبار فاعليتها، فنحن ننوي أيضًا وضع عدة كاميرات مراقبة في

كافة أرجاء المُخيّم لأسبابٍ أمنية حسب خطتنا الموضوعة سلفًا.

جلست فراني خلفه مباشرةً وقد بدا عليها التوتر والأسف فهي تعلم تمامًا مثلنا جميعًا أنه لن يكون هناك مُخيّم إلا إذا تم العثور على كريستال وساشا وميرندا في نهاية اليوم، وربما سيكون ذلك بمثابة نهاية مأساوية لحلمها الجميل بقضاء آخر عطلة صيفية سعيدة هنا!

إن الكاميرا أيضًا تواصل التحديث بشكلٍ آلي، قالها تشيت مشيراً إلى الشاشة الثالثة الخاصة بالتصوير النهاري لمقصورة القرانيا ثم واصل:

- فهي عادةً ما تقوم بذلك البث لكني قد قمت بإغلاقها في السابق لأنه لم يغادر أحدهم المخيم من قبل لكنني قمت بتشغيلها الآن في حال عودة الفتيات يمكننا الإعلان عن لحظة قدومهن.

ها أنا أحدق بدوري في الشاشة آملةً أن أرى ساشا وكريستال وميرندا مُجددًا، ها أنا أتصورهن عائدات من رحلة سير على الأقدام بينما تظهر على وجوههن علامات تعجب وذهول من كل هذا القلق الذي سببه غيابهن حتى تلك الساعة، ولكن بدلًا من رؤية الفتيات الثلاث ها أنا أرى وجه كاسي يظهر في شاشة الكاميرا حيث كانت تقود بدورها مجموعة من فتيات المُخيّم الباكيات ثم اصطحبتهن إلى غرفهن وقد ظهرت ماندي لاحقًا والتي حاولت السيطرة على كل هذا الصَخب ثم رمقت كاميرا المراقبة بنظرة سريعة خاطفة أثناء مرورها.

- قمنا بتخزين التسجيلات هنا، قالها تشيت مُستخدمًا الفأرة الإلكترونية من أجل فتح أحد الملفات التي تم وضعها على الشاشة الرئيسية، وفي الداخل كانت هناك عشرات الملفات التي تم تخزينها خلال الأيام الماضية وقد اشتملت على سلسلة أرقام وارتبطت باليوم والساعة والدقيقة، فمثلًا ها هو تشيت يفتح الملف رقم 0630044833 والذي يظهر أنه تم تسجيله في الثالث عشر من يونيه في الساعة الرابعة فجرًا ثم ضغط عليه وحينها بدأت تتحرك تلك الصورة التي تجمدت على الشاشة لثانية من الزمن والتي أظهرت باب المقصورة مفتوحًا على مصراعيه بينما أتسلل أنا إلى خارج الغرفة.

إنني أتذكر تلك اللحظة جيدًا فقد توجهت حينها إلى كشك

الاستحمام عند بزوغ الفجر وقد كنت مُحملة بالذكريات.

- إلى أين ذهبت في تلك الساعة المبكرة جدًا؟، سألني المحقق فلاين.

- إلى المرحاض، أعتقد أن هذا لا يزال أمرًا مشروعًا، قلتها

ألا توجد أية ملفات خاصة بالليلة الماضية؟، سأل المحقق فلاين تشيت الذي سرعان ما شرع في استخدام الفأرة الإلكترونية من أجل البحث وتفقد الملفات.

- هناك المزيد من الملفات.

استدار فلاين إليَ ثم سألني:

- لقد قلت إنك عرفت بمسألة اختفاء الفتيات في تمام الساعة الخامسة، أليس كذلك؟

- أجل كما أنهن كن ماكثات بالغرفة لحظة خلودي إلى النوم في تلك الليلة.

- كم كان الوقت حينها؟

قمت بهز رأسي فلم أكن قادرة على التذكر جيدًا، لقد كنت مُرتبكة جدًا بفضل تناول المزيد من الويسكي والشعور بالإجهاد بسبب كم تلك الذكريات الثقيلة لذلك فقدت إحساسي بالزمن حينها.

هناك ملف آخر في الفترة ما بين مُنتصف الليل والساعة الرابعة وثلاثة ملفات إضافية بين الساعة الثالثة وحتى الخامسة والنصف صباحًا.

- دعنا نُلقي نظرة على تلك الملفات، قالها فلاين.

- حسنًا هذا الملف كان بعد الساعة الواحدة ليلًا.

نقر تشيت بالفأرة على الملف الذي أظهر مقصورة القرانيا بشكلٍ واضح، جدير بالذكر أنه لم يكن هناك أية حركة في بادئ الأمر، وهذا جعلني أتساءل في عجب تُرى ما الذي دفع كاميرا المُراقبة للعمل إذن ما دامت لم تكن هناك أية حركة في الأرجاء، ولكن سرعان ما ظهرت حركة مُباغتة بالفعل من جانب مجموعة من الأيائل البرية والتي نظرت عبر شاشة المُراقبة نظرة غامضة ثم شقت طريقها مُتجاوزةً المقصورة بعد مرور بضع ثوانٍ زمنية وحينها أغلقت الكاميرا تلقائيًا.

هذا هو الملف الخاص بتلك الساعات، وهذا القادم يخص الدقائق الخمسة الأخيرة قبل أن تدق الساعة الخامسة.

نقر تشيت على الشاشة وحينها بدأت تتحرك صورة أخرى وكانت تُمثل نفس المشهد سابق الذكر الخاص بالأيائل ولكن هذه المرة كان باب مقصورة القرانيا مفتوحًا وظهرت ميرندا أولًا على الشاشة حيث كانت تنظر في كل الاتجاهات حذرًا لتتأكد إن كان أحدهم يراها أم لا ثم مشت على أطراف أصابعها مرتديةً قميصها المنقوش وسراويلها القصيرة وأمسكت بهاتفها مستطيل الشكل في يدها.

لاحقًا، تبعتها ساشا وكريستال وقد كانت الأخيرة تُضيء لهن الطريق عبر أحد تلك المصابيح اليدوية كما أنها كانت تُمسك بكتاب مصوّر أعتقد أنها رواية «كابتن أمريكا» فقد كشف جزء من غلافها عن هويتها كما أن ساشا كانت تحمل زجاجة مياه والتي استخدمتها عندما قامت بإغلاق باب الغرفة ثم تدحرجت تلك الزجاجة على الأرض وسقط غطاؤها، وحينها ركضت ساشا خلفها واختفت لثانية من الزمن، وعندما عادت مُجددًا ظهرت ثلاثتهن بشكلٍ واضح على شاشة كاميرا المراقبة ولكنهن توجهن لاحقًا إلى قلب المعسكر وتلاشين الواحدة تلو الأخرى، أولًا ميرندا ثم كريستال وأخيرًا ساشا.

ها أنا أسجل تلك الملاحظة الخاصة بترتيب اختفائهن ذلك تأهبًا للحظة قيامي برسم ملامحهن يومًا ما. كم أكره نفسي لأنني أفكر على هذا النحو!

- وهذا هو الملف الخاص بالخمسة دقائق التالية، قالها تشيت في تلك اللحظة التي أظلمت فيها الشاشة ثم قام بفتح ملفٍّ آخر.

لم أكن بحاجة لأنظر إلى الشاشة لأعرف ما تعرضه الآن. إنها صورتي بينما أركض خارج الغرفة بأقدامٍ حافية وقميص وسروال النوم ثم توقفت قليلًا أمام الباب ومضيت في الاتجاه المعاكس للفتيات بينما كنت أرتعد من فرط البرودة وذهبت بأقصى سرعة إلى أكشاك الاستحمام وبعد مرور خمس دقائق إضافية عرفت بمسألة اختفائهن... آه من تلك الدقائق الخمسة اللعينة.

في تلك الأثناء راودتني كل أفكار الشك، ولم أكن واثقة من كل حركة قمت بها هذا الصباح وأخذت أقول لنفسي: لو كنت فقط استيقظت في وقت أبكر من هذا! لو لم أهدر المزيد من الوقت! ربما حينها كان بمقدوري التعرف على

أسباب اختفائهن بسهولة.

لو أني فقط ذهبت إلى قاعة الطعام بدلًا من كشك الاستحمام! عصفت بي السيناريوهات المتعددة المتباينة، تلك التي دفعت بي للتفكير أنه لو كان بإمكاني فعل شيء مختلف عما فعلته لكنت رأيت الفتيات ولتمكنت من إيقافهن في الحال، والأكثر سوءًا أن تلك المشاعر جعلتني أشعر بالذنب لكن مسألة وقوفي في الخارج لبعض الوقت بعد لحظة مُغادرة الفتيات والتي كانت مُصادفة تامة لم تبد كذلك للعيان رغم هذا! فلقد بدا وكأن ما قمت به أمر مُدبر مقصود! وكأنني كنت أنتظر تلك اللحظة، فلم يكن يهم أني مشيت في الاتجاه المعاكس للفتيات لأن ما كشفه الفيديو اللاحق والأخير أنني قد مررت إلى جوار مقصورة القرانيا خلال تجولي بين مقصورات المُخيّم الأخرى ثم حدقت في كاميرا المراقبة بكل غضب! وكأنني مستاءة من كوني لم ألحق بالطريق الذي توجهت إليه الفتيات. عندما تأملت صورتي في الشاشة أدركت مدى إرهاقي وقلقي الواضح، وعلى الرغم من يقيني أنه مجرد قلق إلا أن ما عكسته ملامحي للجميع أنه غضب واستياء أن خطتي لم تسر على النحو المتوقع لها!

- لقد كنت أبحث عن الفتيات، كان هذا عقب استيقاظي مُباشرةً، ذهبت إلى كشك الاستحمام أولًا ثم فتشت عنهن في الأرجاء قبل أن أتوجه إلى الجانب الآخر من المُخيّم.

لقد صرحتِ بذلك بالفعل سابقًا، ولكن ما من طريقة لإثبات صحة كلامك، فهذا الفيديو على سبيل المثال يُثبت أنكِ غادرتِ المقصورة بعد فترة قصيرة جدًا من مُغادرة الفتيات، ولم يتمكن أحد من العثور عليهن بعد ذلك!

- أنا لم أقم بأي شيء لإلحاق الأذى بالفتيات!

ها أنا أنظر إلى تشيت وثيو وفراني. ها أنا أتوسل لهم سرًا بالدفاع عني ودعم موقفي لكنه ما من سبب يدعوهم للقيام بذلك وأنا لست متفاجئة من هذا على الإطلاق فعندما كنت أدافع عن نفسي قالت فراني:

- على الرغم من أني لا أشعر بالرضا عما سأقوله الآن إلا إنه يتعين علي فعل ذلك، أرجوك سامحيني يا إيما.

رمقتني بتلك النظرة التي تحمل نصف اعتذار ونصف شعور بالشفقة. لم أكن أرغب في ذلك أنا أيضًا إلا أنني

أشحت بنظري بعيدًا عندما تحدثت وقالت:

- منذ سنواتٍ عديدة كانت الانسة دافيس في إحدى مصحات الأمراض النفسية لإصابتها بمرض عقلي.

حدقت في شاشة كاميرا المراقبة الثالثة أثناء تحدثها، تلك التي تخص تغطية ورصد الجانب الخارجي للمقصورة. إنها فارغة تمامًا الان. لا توجد أية فتيات. ما من أثرٍ لماندي أو كاسي أيضًا. ها هو باب مقصورة القرانيا فحسب يغطي شاشة كاميرا المراقبة الخارجية.

- لقد اكتشفنا ذلك الأمر أثناء بحثنا عن خلفية كل المدعوين إلى مخيم نايتنجيل، وعلى عكس نصيحة المسؤولين والمنظمين فقد قمنا بدعوتها إلى المجيء إلى هنا، فلم نكن نظن أبدًا أنها تُشكِل تهديدًا لنفسها وللأخريات، ومع ذلك اتخذنا التدابير اللازمة.

يتظاهر المحقق فلاين بالبَاهةِ فجأة ويسألها:

- وبناءً على ذلك قمتم بوضع كاميرا مُراقبة أمام مقصورتها!

- أجل، اعتقدت أنه يتوجب عليّ إخبارك بهذا الأمر لأريك أننا نقوم بكل ما في استطاعتنا من أجل مساعدتك على البحث عن الفتيات وهذا لا يعني أن حديثي هذا يرمي إلى اتهام ايما أن لديها علاقة بحادث اختفاء الفتيات.

حقًا؟ هل هذا ما تريد إثباته الآن؟ ها أنا أبقي نظراتي مُثبتةً على الشاشة فاقدةً القدرة على النظر إلى فراني لأني لم أكن مستعدة لمواجهتها في تلك اللحظة. ليس باستطاعتي فعل ذلك.

تظهر فتاة على شاشة المُراقبة بغتةً، تلك التي تقف مُنتصبةً ثم تمشي بخطى وئيدة، يبدو على ملامحها أنها تعرف أن هناك كاميرا مُراقبة في هذا المكان. أظنها في بادئ الأمر إحدى فتيات المُخيَم، ربما تكون قد تسللت من إحدى المقصورات المُجاورة لتلقي نظرة على رجال الشرطة الذين يحومون بالخارج حول قاعة الطعام.

ها أنا الان أتأمل وجهها وأرى خصلات شعرها الأشقر وثوبها الأبيض. إنها فيفان! ها هي تظهر بكل وضوحٍ على الشاشة.

ها أنا أشهق في خوفٍ ملتقطةً أنفاسي بصعوبةٍ بالغة وأتصلب جامدةً في مكاني. كان تشيت أول من لاحظ ذلك

وسألني على الفور: هل أنت بخير يا إيما؟ ما الأمر؟

ترتعش يداي دون توقُف بينما أشير بدوري ناحية شاشة كاميرا المراقبة. لا زالت فيفان تقف هناك في جمود. إنها تنظر نحوي مُباشرةً! ها هي ترمقني بابتسامة خبيثة تمامًا كما لو كانت تعلم أنني أراها الآن. ها هي تُلوّح لي!

- هل ترون ذلك؟

- ما الذي تتحدثين عنه؟، قالها ثيو بقلقٍ واضح راسمًا تعبير الأطباء التقليدي على وجهه.

- إنها هنا! أمام باب مقصورة القرانيا!

ها هم جميعًا يتوجهون ناحية الشاشة ويزدحمون حولها ويحجبون رؤيتي.

- لا يوجد أي شيء على الشاشة، قالها ثيو.

هل رأيتِ إحدى أولئك الفتيات المفقودات؟، سألني فلاين.

- فيفان! لقد رأيت فيفان!

ها أنا أدفعهم بقوة وأحاول استعادة رؤيتي ومتابعتي لكاميرا المراقبة مُجددًا، لكن فيفان لم تعد موجودة على الشاشة! ليس ثمة أحد على الإطلاق.

لا، هذا لن يحدث. لن أفقد عقلي، ها أنا أُخبر نفسي.

لم يكن هناك أي جدوى من ذلك. ها هو الشعور بالخوف والهلع يتملك نفسي وينشر الخدر في جسدي بأكمله، وها هو الظلام يتشبث بتلابيب جفوني في إصرارٍ لا يرحم دافعًا بي إلى رؤية لا شيء. ها أنا أمد ذراعي إلى الأمام مُحاولةً الإمساك بشيءٍ ما، لكن ثيو يُسارع بالإمساك بي وربما فعلها المُحقق فلاين، لكن الوقت كان قد تأخر كثيرًا فها أنا أستسلم كُلّيًا للشعور وأسقط أرضًا فاقدةً الوعي.

قبل خمسة عشر عامًا

تلك الشترة التي تم وضعها على طاولة مبنى الفنون والحرف اليدوية ذات الأكمام الواسعة كانت أشبه بالثياب الخاصة بي التي اعتادت أمي أن تعدها من أجلي على هذا النحو، وقد حفزني هذا التشابه أن أقوم بارتدائها لكن الفارق الوحيد هنا أن رجال الشرطة قاموا بوضعها هكذا حتى أتعرّف عليها وأدلي بشهادتي الخاصة حولها.

- هل تعرفت على تلك الشترة؟، سألتني الشُرطيّة راسمةً ابتسامة دافئة على وجهها.

حدقت في الشترة جيدًا والتي كانت بيضاء مُمتزجة ببعض الخطوط الوردية كما أنه دون فوقها بأحرفٍ واضحة «النمر البرتقالي» ثم أومأت برأسي وقلت:

أجل، إنها سترة فيفان.

- هل أنتِ واثقة؟

- أجل.

أتذكر تلك الشترة جيدًا، لقد ارتدتها فيفان في إحدى الأمسيات التي اجتمعنا فيها حول نار المُخيّم كما أنني سخرت منها في السابق عندما قلت لها إنها تجعلها تبدو كحلوى الخطمي ، لكنها قالت إنها تُبقي البعوض بعيدًا عنها، فالموضة ملعونة حقًا!.

نظرت الشُرطيّة إلى أحد زملائها في العمل في تلك اللحظة على الجانب الآخر من الطاولة والذي قد أومأ برأسه وقام بطي الشترة مُرتديًا القفازات المطاطية ولم أكن أعرف سبب ذلك حينها.

- هل حصلت عليه من المقصورة؟، سألتها لكنها تجاهلت سؤالي وقالت:

- هل كانت فيفان ترتديه عندما رأيتها تُغادر الغرفة؟

- لا.

- فكري في الأمر جيدًا، خذي وقتك.

- لا أحتاج إلى وقت إضافي، لم تكن فيفان ترتدي تلك الشترة عندما غادرت!

كان من الطبيعي جدًا أن أبدو بحالة ارتياب شديدة، فمسألة اختفاء الفتيات قد تجاوزت اليوم والنصف وبدأ الجميع يشعرون باليأس التام من إيجادهن مرةً ثانية

كما أن التفاؤل كان شعورًا مستحيلًا في تلك الأثناء وبدوره قد استحال مبنى الفنون والحرف اليدوية إلى مكانٍ استحوذت عليه قوات الشرطة الذين شرعوا في تجهيز مجموعاتٍ بحثية متنوعة للتفتيش عن الفتيات المختفيات، وقد شمل هذا البحث بعض المتطوعين لكن حينها لم يكن مسموحًا للفتيات في عمر الثالثة عشرة بالتطوع.

لقد قضيت ساعات الليلة الماضية بين مجموعة من المحققين الذين بدأوا في طرح عشرات الأسئلة عليَ وحينها غمرني الإرهاق وآلمتني رقبتي بشدة فلقد أخبرتهن بموعد مغادرة الفتيات وتلك الملابس التي قمن بارتدائها في تلك الليلة لكنني لم أخبرهن بالطبع بما قالته فيفان قبل أن تغادر أو أنني لم أسمح للفتيات بدخول الغرفة بعد عودتهن ليلًا في ساعة متأخرة. هذا الأمر على وجه التحديد الذي جعلني أشعر بالمزيد من العار والخزي والذنب. قامت الشُرطيَ بطرح عددٍ من الأسئلة عليَ، وفي الواقع لقد كانت أكثر رأفةً بحالي من زملائها من ضُباط الشرطة والمحققين. لقد كانت لطيفة جِدًا إلى هذا الحد حتى أنني شعرت أنها ستقوم باحتضاني وتهدئتي. شعرت أنها تود أن تقول لي إن كل شيء بخير.

- أنا أصدقك، قالتها.

- أين وجدتِ سترة فيفان؟

- في الواقع، ليس مسموحًا لي أن أكشف عن ذلك الأمر.

نظرت إلى الجانب الآخر من الغرفة حيث تم تمرير الشترة المطوية إلى شخصٍ آخر والذي حملها مُرتديًا قفازاتٍ مطاطية. راقبت كيف كانت بشرته في غاية الشحوب أسفل القفازات وهذا جعل قلبي يعتصر هلعًا.

هل كانت الفتيات يشاركن معك أسرارًا لا يعرفها سواكِ؟، سألتني الشُرطيّة.

لا أعرف.

- هل كانت لديهن أية أسرار؟

- من الصعب عليَ القول إنها أسرار فأنا لا أعرف حقًا إن كنَ قد أخبرن بها أشخاصًا آخرين أم لا؟

في حقيقة الأمر لم يكن لومي مقصودًا خلال فترة المراهقة تلك، لكنه كان مجرد محاولة بائسة لإزاحة نظرة

الشفقة تلك بعيدًا عن وجه الشُزطيّة. فأنا لم أكن أستحق شفقتها أبدًا، لكن هذا جعلها تميل نحوي قليلًا وتتصرف كما إخصائية مدرستنا الاجتماعية التي تطلب منا دائمًا أن نُعاملها كصديقة وليس كشخصية مسؤولة.

- في معظم الأحيان تهرب الفتيات المراهقات ويفعلن ذلك من أجل لقاء أحدهم، ربما يكون صديقاً مُقرّباً أو حبيباً، وفي أغلب الظن يكون شخصًا ما لا ينال استحسان الأهل والمجتمع، يمكنك اعتبارها نموذجًا للعلاقات الرومانسية غير المشروعة، ولكن خطورة الأمر تتمثل أنه أثناء التقاء الفتيات بأولئك الأولاد يلحقن بهن الضرر بطريقةٍ ما لذا -من فضلك- إذا كنت تعرفين أي شيء أو أية معلومة من شأنها إفادتنا في ذلك سوف نُقدر لك جهدك فنحن لا نريد أن تتأذى إحدى صديقاتك نتيجة لارتكاب ذلك الفعل.

فكرت حينها في رواية «العظام الجيدة» فقد عُثِر ضمن أحداثها على الفتاة المراهقة ميتة في أحد الحقول بعد أن قام جارها المخبول بقتلها.

أجل، فيفان تلتقي بأحدهم، قلتها على الفور.

أشرق وجه الشُرطيّة لثانية من الزمن وأشارت لي بالمُضي قُدمًا ثم سألت:

- حقًا هل حدث هذا؟ هل أخبرتك به؟

- هل تعتقدين أنه قد يكون ألحق بها الأذى؟

- لا يمكننا أن نعرف ذلك حتى نتحدث إليه أولًا.

أخذت ذلك التصريح كأمرٍ مُسلم به، فما فهمته من كلام تلك الشُرطيّة أن ما حدث للفتيات أكثر من مجرد الضياع وسط الغابات الشاسعة لكنهن ربما واجهن مصير القتل أو الذبح! كأولئك الضحايا في رواية «العظام الجيدة» اللواتي تم العثور عليهن مدفونات في أعماق الغابة!

- أرجوك أخبريني باسمه يا إيما، قالتها الشُرطيّة.

فتحت فمي لأتفوه بالاسم وحينها رفرف قلبي خوفًا ثم ضغطت على أسناني وقلت:

- أنه ثيوا ثيو هاريس وايت!

لم أصدق أنني تفوهت باسمه. لقد فعلت ذلك! أجل، لطالما أردت أن أفكر أن ثيو له علاقة بمسألة اختفاء الفتيات. كنت أرى أنه قادر على إلحاق الأذى بهن مادام قد

تمكن من فعل ذلك لشخص اخر. أجل! لقد فعل ذلك بي في السابق. لقد دمّر قلبي دون أن يدرك ذلك. فها هي فرصتي حتى أدمره أيضًا.

- هل أنت متأكدة؟، سألتني الشرطيّة.

لقد حاولت إقناع نفسي أنني لا أتصرف على هذا النحو من باب الغيرة فحسب وأنه من المنطقي جدًا أن يتورط ثيو في مسألة اختفائهن تلك، ففي تلك اللحظة التي غادرت فيها فيفان برفقة ناتالي وأليسون ثم عدن ووجدن الغرفة مُغلقة من الداخل، كان من المفترض أن يتوجهن بدورهن إلى إحدى مُشرفات المُخيّم لكنهن لم يفعلن ذلك بسبب تأخرهن لساعاتٍ طويلة من الليل ناهيك عن تناول النبيذ الذي لم يكن مسموحًا به للفتيات، فكافة تلك الإهانات من شأنها التسبُّب في طردهن من المُخيّم، ومن هذا المُنطلَق فلم يكن لديهن الثقة في أي شخصٍ مسؤول سوى ثيو والآن وقع حادث اختفائهن ومن المؤكد أن ذلك لم يحدث من قبيل الصُدفة.

يمكنني القول إن تلك هي الكذبة التي أخبرت بها نفسي.

- أجل، أنا واثقة، قلتها.

بعد مرور بضع دقائق سُمح لي بالعودة إلى مقصورة القرانيا، جدير بالذكر أن المنطقة المُحيطة بمبنى الفنون والحِرف اليدوية كانت مزدحمة بالأنشطة، وكان هناك المزيد من رجال الشرطة الذين شرعوا في البحث في كافة أرجاء المُخيم، لقد راقبت حركتهم في كل الأمكنة مُرتدين تلك القفازات المطاطية.

عندما استدرت بعيدًا رأيت مجموعة من الأشخاص الذين تم تكليفهم بالبحث عن الفتيات المفقودات خلال طريق عودتهم من رحلتهم في الغابات، كان معظم الطاقم متطوعين من المدينة والذين قد جاؤوا إلى هنا من أجل تقديم قصارى جهدهم، وكان من بينهم عدد من الوجوه المألوفة بالنسبة إليّ على رأسهم عامل المطبخ الذي وضع لي الكثير من الفطائر المحلاة في السابق يوم الرابع من يوليو والذي بدا وكأنه منذ أسابيع طويلة ورجل الصيانة الذي بدا مشغولًا على الدوام في إصلاح الأشياء حول المُخيّم، وها هو ثيو يبدو فوضوي المظهر مُبللًا في بحر من العرق يتقدم إلى الأمام.

مضيت بدوري صوب هذا الاتجاه، على الرغم من أنه لم تكن لديَ أدنى فكرة عما يتوجب عليَ قوله له حينها واستمر الحال على هذا المنوال حتى وجدت نفسي أقف أمامه مُباشرةً، كنت غاضبة من أجل فيفان وكذلك كنت مُغرمة به لذا أحكمت قبضة يدي وسددت له عدة لكمات في صدره.

- أين الفتيات؟ ما الذي فعلته بهن؟

لم يتحرك ثيو قيد أنملة.

لقد ظننت في تلك اللحظة أن هذا خير دليل على كونه المُتهم الحقيقي في تلك القضية وقد أدركت بذهني المُرتبك أنه يشعر في أعماقه أنه مُجرِم يستحق العقاب.

الفصل التاسع والعشرون

لا، لن يحدث هذا. لن أفقد عقلي .

احتلت رأسي تلك الكلمات في هذه اللحظة التي استعدت فيها وعيي مُجددًا، فقد شعرت بألمٍ شديد يسكنني ويتضاعف حتى يصل إلى مؤخرة رأسي.

- مهلًا، قالها أحدهم.

بعدما تمكنت من التركيز قليلًا حتى أمتلك القدرة على الفصل بين تلك الأوهام الماضية السالفة الذكر وتلك الحالة من الصدمة التي أعيشها الآن أدركت أنني في مُخيّم نايتنجيل بمقصورة القرانيا مُكومة في الفراش الأعلى كما أن الشخص الذي كان يتحدث إليَ هو ثيو. لقد كان يجلس بدوره فوق خزانتي الخشبية ويقرأ نسخة من مجلة ناشونال جيوجرافيك الخاصة بساشا حتى يقضي الوقت متأهبًا للحظة استيقاظي.

ها أنا أفرك يدي بقوة، فلا زال كفي يحرقني ويزيد الأمر على نحوٍ أكثر سوءً.

- لقد سقطت أرضًا وصدمتِ رأسكِ بشدة.

ها أنا أحاول النهوض من الفراش مُمسكةً بفراش ميرندا في حالة إذا كنت بحاجة إلى بعض المساعدة، فعلى الرغم من أن ساقي مطاطية بعض الشيء إلا أنها كانت قوية بما يكفي لتساعدني على النهوض، كما أنني انتظرت بضع دقائق حتى يزول ذلك الدوار الخاطف.

أنتِ بحاجة إلى الراحة، قالها ثيو، لكنني قلت لنفسي إن هذا غير مُمكن، ليس بمقدوري فعل ذلك تحديدًا الآن وبرفقته، لا يمكنني الاستسلام له بينما تسيطر تلك الحالة من التشنج على كامل أطراف جسدي المُتعب الذي يتوق حقًا للراحة. ها أنا أنظر في أرجاء الغرفة. لا زال كل شيء كما كان ذاك الصباح. ها هو فراش ساشا لازال مرتباً على نفس النحو وكذلك الدُبَ الدمية الخاصة بكريستال لازال جالسًا على فراشها الفارغ أسفل الأغطية.

- هل لا زالت الفتيات مُختفيات؟

أومأ ثيو بحزنٍ بالغ مؤكدًا ذلك. ترتعش قدمي وأبذل قصارى جهدي محاولة النهوض على قدمي مُمسكةً بفراش ميرندا وأظل واقفة في مكاني.

لقد أخبر المحقق فلاين أفراد أسرتهن بالخبر، ولقد سألهم إن كانت الفتيات تواصلن مع أحدهم ولكن لم يحدث هذا حتى أن جدة ميرندا لم تكن تعرف أن حفيدتها لديها هاتف خلوي أصلًا ولذلك فلم تتمكن من معرفة نوع الهاتف وإلى أي شركة ينتمي حتى يمكن للشرطة تتبعه.

- هل تحدث المحقق فلاين مع طاقم المطبخ؟

- أجل، جميع العاملين في المطبخ يعيشون في المدينة المجاورة فهم أيضًا يعملون في إحدى الكافيتريات الخاصة بالمدارس الثانوية وكانوا سعداء جدًا بحصولهم على وظيفة هنا خلال العطلة الصيفية كما أنهم يسافرون معًا كل صباح وكذلك يذهبون لتناول العشاء معًا ولم يتخلف أحدهم عن ذلك كما لم يأت أحدهم باكرًا هذا الصباح ولا حتى مارفين.

ها هي كافة المعلومات التي قد منحتها للمحقق فلاين تصبح عديمة الجدوى بغتةً. ها أنا أشعر بالمزيد من الإحباط وخيبة الأمل.

أغلق ثيو المجلة التي كان يتفحصها ثم سألني:

- هل تودين أن نتحدث بشأن ما حدث بالنُزلِ؟

ليس حقًا.

لقد قلت هناك أنك رأيت فيفان.

شعرت بجفاف فمي وكان عصيًا عليَ أن أتحدث وكأن لساني بات ثقيلًا فجأة ولم أكن قادرة على تشكيل أية كلمات. كانت هناك زجاجة من المياه بالقرب من ثيو لذا قام بإعطائها لي على الفور، وقمت بتناولها كلها ثم قلت:

أجل، لقد رأيتها عبر شاشة كاميرا المراقبة الخارجية.

- لكني نظرت يا إيما ولم أجد أي أحد على الشاشة.

- أجل، أعرف، هذا مجرد...

لم أكن قادرة على توصيف ما حدث على نحو دقيق، هل أقول إنها مجرد هلاوس بصرية؟ أم إنها مخيلتي فحسب؟

ربما كان هذا أحد آثار التوتر والإجهاد، لقد كنت تحت حالة من الضغط الشديد.

- لكني كنت أراها من قبل عندما كنت أصغر سنًا ولهذا السبب تم إرسالي إلى إحدى المصحات العقلية، لقد اعتقدت أنها ذهبت ولكن هذا لم يحدث فأنا أراها هنا الآن.

هز ثيو رأسه ثم نظر إليَ تمامًا بتلك الطريقة التي ينظر بها الطبيب إلى مرضاه عندما يتأهب لإخبارهم بأمور سيئة.

- في الواقع، لقد تحدثت مع أمي واتفقنا أننا كنا مخطئين كلّيًا عندما قمنا بدعوتك مُجددًا إلى هنا حتى وإن كانت نوايانا جيدة جدًا، وهذا لا يعني أن ما حدث كان خطأك فنحن المسؤولون عن ذلك لكننا قللنا من أثر ذلك عليك.

- هل تطلب مني مُغادرة المُخيّم الآن؟

- أجل، قالها ثيو مُضيفًا:

- هذا لصالحك.

ولكن ماذا عن الفتيات؟

- هناك فرقة بحثية تُفتش عنهن الآن ويتم تقسيمها إلى جزأين، سيتوجه الجزء الأول بدوره إلى جهة اليمين عند الغابات بينما سيتوجه الجزء الآخر إلى اليسار.

- أريد أن أنضم إلى فريق البحث، قلتها مُحاولةً المُضي قُدمًا على غير هُدى.

- أريد تقديم المساعدة.

حجب ثيو طريقي وقال:

- أنت في حالة لا تسمح لك بالتجول بين الغابات.

- لكني بحاجة لإيجادهن.

- سيتم العثور عليهن، قالها ثيو مُمسكًا بذراعي وأردف:

- أعدك! فالخطة تتمثل في إرسال المزيد من الباحثين في الغد إذا كان ضروريًا وخلال أربع وعشرين ساعة سوف يتم التفتيش في كل مكان.

لم أرد تذكيره أن هذا نفس ما حدث منذ خمسة عشر عاما، فلقد تم بالفعل إرسال المزيد من فرق البحث أيضًا والتفتيش في كل مكان، وكل ما تم العثور عليه هو «سترة» إحداهن!

- لن أغادر المكان سوف أبقى حتى يتم العثور عليهن، قلتها بنبرة إصرار.

أسمع صوت طائرة هيلكوبتر بغتةً، الصوت أقرب إلى طنين الرعد المُفاجئ، ها هي الطائرة تنضم إلى فريق البحث من أجل البحث عن الفتيات المفقودات. كان ذلك الصوت مألوفًا بالنسبة لي فلقد سمعته أيضًا منذ خمسة

عشر عامًا.

شعرت وكأن المقصورة تهتز وسط كل هذا الصخب الفدوي.

- في الواقع، أمي لا تثق بك يا ايما ، قالها ثيو محاولًا رفع صوته إلى أقصى حد مُنافسًا دوي الطائرة ثم استطرد:

- وأنا لست واثقًا أنه بإمكاني فعلها أيضًا!

- أقسم لك إنني لم ألحق بهن أي ضررا!

- وكيف بمقدورك الوثوق إلى هذا الحد؟ لقد كنت مُرتبكة جدًا ليلة أمس حتى أنه ليس بإمكانك تذكر أي شيء حدث!

هبطت الطائرة أرضًا مُخلفةً وراءها هالة من الصمت الذي شكّل بعض الغموض حول اتهام ثيو الضمني.

ما الذي تتحدث عنه؟

- لقد تحدث المُحقق فلاين مع بقية مُرشدات المُخيّم وقد صرحت كاسي أنك توجهت بالأمس إلى كشك الاستحمام وأنت مخمورة كما أن بيكا أدلت بشهادتها أنكما كنتما معًا وتشاركتما زجاجة نبيذ في إحدى الأمسيات حول نار المخيم.

- أنا آسفة، قلتها بصوتٍ مكتوم إلى هذا الحد الذي قد لا يسمح لثيو بسماعه.

- إذن هل كنت مخمورة ليلة أمس؟

أومأت برأسي.

يا إلهي يا ايما ، ربما رأتك إحدى الفتيات وأنت على تلك الحالة!

- أنا آسفة جدًا، كان هذا تصرفًا خاطئًا لا يُشبهني، لكن هذا لا يعني أنني فعلت شيئًا لأولئك الفتيات. فلقد شاهدت بنفسك شريط كاميرا المُراقبة وتعرف أنني ذهبت للبحث عنهن.

- وربما حاولت ملاحقتهن، فليس هناك أي دليل لإثبات صحة ذلك.

- كلا، أنت تعرف طبيعتي جيدًا، فأنا لا يمكنني أبدًا إيذاء أولئك الفتيات.

لم يكن لديه أي سبب منطقي لتصديقي تحديدًا بعد كل تلك الأكاذيب التي تفوهت بها، فلو قال ثيو كلمة واحدة

للشرطة لوضعني هذا في نفس الموقف الذي كنت فيه منذ خمسة عشر عامًا. قمت بهز رأسي محدقةً في عينيه العسليتين محاولةً إجباره على النظر إلي. أردته أن يراني حقًا فلو فعل ذلك لاستطاع أن يتعرف علي، ولأمكنه أن يرى تلك الفتاة التي اعتدت أن أكونها في السابق وليست تلك النسخة من المرأة ذات الثامنة والعشرين. أردته ألا يراني كتلك النسخة التي تقف على حافة الجنون، لقد اشتقت حقًا أن يراني بصورة الفتاة ذات الثالثة عشرة التي أغرمت به منذ خمسة عشر عامًا.

- صدقني أرجوك، همست بتلك الكلمات.

مرت دقيقة أخرى شعرت خلالها وكأني انتظرت دهرًا بأكمله، وأطاحت بي الظنون أثناء تلك الفترة الزمنية القصيرة حتى إنني كدت أتيقن أن مصيري بات معلقًا في الهواء!

استمر الحال على هذا المنوال حتى رد ثيو قائلًا:

أنا أصدقك.

أومأت برأسي شاعرةً بالامتنان مقاومةً رغبتي في البكاء خرقة بعد أن غمرني الارتياح ثم قبلته.

كان ذلك مفاجئًا لكل منا تمامًا كما حدث في آخر مرة قبلته فيها، بل إنه يتوجب علي أن أعترف أن الأمر هذا المرة كان أكثر إجبارًا، فلم تكن الجرأة هي دافعي حينها بل كان اليأس!

أجل، فقد أشعرني حادث اختفاء الفتيات الثلاث بقلة الحيلة التامة وقد اشتقت حقًا لشيءٍ ما من شأنه أن يبعد رأسي- ولو لفترةٍ قصيرة من الزمن- عن كل ما حدث. كنت أتحرق شوقًا لفعل ذلك.

بقي ثيو ساكنًا في بادئ الأمر ثم قبلني بدوره بعد مرور بضع ثوان وحينها ربت بيدي على صدره، فها أنا أداعبه برفق هذه المرة ولا أنوي ضربه مرات بقبضة يدي كما فعلت منذ خمسة عشر عامًا، وها هو يمد يده الحنونة حولي ثم يعانقني.

أعرف ما يجري تمامًا كما أني أدرك للغاية أنني أشكل مصدر إلهاء وتشتيت له تمامًا كما حاله بالنسبة لي الآن، ومع ذلك لا أهتم على الإطلاق حتى في تلك اللحظة التي يضمني فيها ثيو إلى صدره أكثر وفجأة ترتفع الأصوات

المدوية الصاخبة القادمة من خارج المقصورة، ربما قد جاءت طائرة هيلكوبتر أخرى وربما تلك هي نفس الطائرة الأولى السابقة الذكر، فها هي تتجه مُباشرةً إلى مقصورة القرانيا.

أصاب بصممٍ مؤقت في تلك اللحظة، فلا أسمع أي شيء من حولي وأشعر بأن النوافذ تهتز بشكلٍ لافت. وسط كل هذا الصخب يحملني ثيو ويضعني في فراشي كاشفًا عن تلك الندوب التي قد سببتها له بدوري دون قصد.

أخذت أفكر في تلك الأثناء الخاطفة في طبيعة ذلك الحادث الذي وقع له. ها أنا أتخيل منظر الزجاج المُحطّم وتمزقات جلده وجروحه. لقد سببت كل ذلك. ها هو ثيو يقترب مني أكثر فأكثر لكني أدفعه بعيدًا قائلةً:

- توقف -من فضلك- يا ثيو!

ها هو يبتعد ثم يقف جامدًا في مكانه بينما تحتل علامات الارتباك وجهه ثم يسألني:

- ما الأمر؟

لا يمكنني القيام بذلك، ها أنا أقولها ثم أتسلل بعيدةً عنه وأتحرك ناحية الجانب الآخر من المقصورة، هناك حيث أقف في مواجهة ندوب وجهه متأملةً كلًا منها.

- لا يمكنني ذلك ما دمت لم أخبرك بشيءٍ ما.

على الرغم من أن الطائرة الهيلكوبتر كانت قد مرت إلا أنني لا زلت قادرة على سماع صوت طنينها يجتاح أرجاء البحيرة ثم انتظرت قليلًا حتى هدأت الأصوات في الخارج وقلت:

- أعرف يا ثيو حقيقة علاقتك بفيفان.

- لم يكن هناك أية علاقة بيني وبين فيفان.

- لست بحاجة لأن تكذب أكثر من ذلك.

- أنا لا أكذب. ما الذي تتحدثين عنه؟

- لقد رأيتكما معًا في كشك الاستحمام وقد حطم ذلك قلبي.

- متى كان هذا؟، سأل ثيو.

- في تلك الليلة التي اختفت فيها.

لم أرغب في قول أي شيءٍ آخر، فقد فهم ثيو بدوره لماذا قمت باتهامه حينها والادلاء باسمه لقوات الشرطة ثم

جلس في أحد زوايا الغرفة وبدأ بفرك فكه بيديه بأصابع مُرتجفة. لطالما كنت أعتقد أن كشفي عن الحقيقة سوف يجعلني أشعر بالمزيد من التحسن، ذلك الشعور بالارتياح الذي من شأنه أن يغمرني من رأسي حتى أخمص قدمي، ولكن ما حدث كان شعورًا مُناقضًا، فلقد غمرني الشعور بالشفقة والذنب والحزن الذي لم يكن بمقدوري تحمله أكثر.

أنا آسفة للغاية يا ثيو، لقد كنت مجرد فتاة صغيرة وغبية وطائشة وكذلك شعرت بالقلق حيال الفتيات وتحطم قلبي حينها بسببك لذلك عندما جاءت الشُرطيّة وسألتني إن كانت إحدى الفتيات تواعد أحدهم سرًا ولديها حبيب لا أحد يعرف عنه شيء فأخبرتها أنك كنت تلتقي فيفان.

- لكني لم أفعل ذلك.

- لقد رأيتك يا ثيو!

- كلا، لقد رأيتِ شخصًا آخر، لم أكن برفقة فيفان حينها ويمكنني القول إنها كانت تُغازلني صراحةً وكشفت عن نواياها لكني لم أكن مُهتمًا بدوري.

حاولت تذكر تلك اللحظة مُجددًا عندما كانت فيفان تقف برفقته في كشك الاستحمام، ولكني أدركت أنني لم أتمكن حقًا من رؤية وجه الشاب الذي كان معها حينها، وعندما استرقت النظر عبر تلك الفجوة الموجودة بين الألواح الخشبية وجدت الشاب قد دفن وجهه في رقبتها، فلم أتمكن من رؤية صاحب الوجه. لم أره أبدًا لكني افترضت أنه ثيو لأني رأيته يستحم بداخل هذا الكشك من قبل.

- لكني واثقة أن ذلك الشاب كان أنت! فلم يكن هناك أي رجل في مُخيّم نايتنجيل سواك منذ خمسة عشر عامًا!

على الرغم من أن الكلمات انطلقت من فمي بسرعة بالغة إلا أني كنت مخطئة كُليًا، فقد كان هناك شخص آخر والذي كان يقترب حينها من عمر ثيو ولم يُسلط عليه الضوء على الإطلاق.

هل كان ذلك الشاب هو رجل الصيانة؟ سألت.

- أجل، أنه يُدعى بين ثم واصل:

- وإذا كان قد قام بشيءٍ ما مثل هذا في السابق فالرب وحده يعلم ما الذي يفعله الآن؟!

الفصل الثلاثون

- حدثني عن الفتيات المفقودات؟ هل لديك أي علاقة بهن؟، سأل المحقق فلاين.

- ربما رأيتهن ذات مرة، في الواقع لا أتذكر على الأرجح.

- هل لديك أي علاقة بفتيات المخيم بشكلٍ عام؟

- في الواقع لا إلا إذا اضطررت إلى الذهاب إلى مكانٍ ما وكانت إحداهن تقف في طريقي فكنت لأطلب منهن السماح لي بالمرور، لكني منطو على نفسي في أغلب الأحيان.

ها هو ينظر إلينا أثناء جلوسه على كرسي يناسب شخصاً ما في نصف عمره، ها هو يطيل النظر لكل واحد منا لدقيقة زمنية، إنه يتفحصني أولًا ثم يمضي بدوره ناحية ثيو وأخيرًا المحقق فلاين.

نقف جميعًا في مبنى الفنون والحرف اليدوية بينما تسيطر على قاعة الطعام الفتيات والمشرفات من أجل تناول وجبة العشاء. لقد راقبت نظراتهن الحذرة في تلك اللحظة التي توجهت فيها إلى الداخل برفقة ثيو. لا زالت بعض الفتيات ينتحبن منذ البارحة بينما احتلت الدهشة أو الصدمة أحداق الأخريات. كان بإمكاني رؤية ذلك التعبير المرسوم على وجوههن أثناء تأملهن لحظة هبوط الطائرة الهيلكوبتر.

حسنًا ، فقد انتهى بنا الحال هنا في أحد إسطبلات الخيول التي تم طلاؤها بلونٍ مُزركش يُضاهي رسوم الكتب المصورة الخاصة بالغابات وقد أضاءت المصابيح الفسفورية المكان.

وقفت إلى جوار ثيو على مسافة معتدلة، فأنا لا زلت غير قادرة على الوثوق به بشكلٍ كامل وأعتقد أن الشعور مُتبادل من ناحيته أيضًا. يمكنني القول إننا قد اتحدنا معًا الآن بعد اشتباهنا في نفس الشخص، ذلك الذي عرفت اسمه بالكامل لاحقًا والذي كان يُدعى «بين شمشر».

ها هو رجل الصيانة المُشتبه به يقف أمامنا، ذلك الشخص الذي مارس الجنس في السابق مع فيفان والذي يُفترض به أن يكون على علم بمكان ميرندا وكريستال وساشا . تركت فلاين يقوم بتلك المحادثة بينما بقيت صامتة مع أني كنت أتحرق شوقًا لخنق ذلك الرجل حتى

يعترف في نهاية المطاف بمكان الفتيات وبالضرر الذي ألحقه بهن.

على الجانب الاخر، بدا الرجل بشكلٍ عام عاجزاً عن إلحاق الأذى بأي أحد، فعلى الرغم من نظراته الحادة إلا أنه يقضي كل ساعات عمله في الخارج أسفل أشعة الشمس الحارقة والتي تظهر آثارها جلية على يديه ووجهه تحديدًا أنفه كما أنه شخص ضخم البنية يرتدي ملابس متواضعة.

- أين كنت في تمام الساعة الخامسة صباحًا؟، سأله المحقق فلاين.

- في المطبخ، كنت أتأهب للقيام بعملي.

أشار المحقق فلاين ناحية خاتم الزواج الخاص بالرجل والذي كان يرتديه في يده اليسرى وقال:

- هل بإمكان زوجتك أن تشهد بذلك؟

أتمنى ذلك، فلقد كانت برفقتي في المطبخ طيلة الوقت على الرغم من أنها تتصرف بعصبية وغرابة شديدة قبل احتساء كوب قهوتها الأول في الصباح الباكر.

قهقه بين ضاحكًا لكننا لم نبتسم له في المقابل ثم رجع قليلًا إلى الوراء وقال:

- لماذا تسألني تلك الأسئلة؟

- ما هي وظيفتك هنا؟، سأله فلاين مُتجاهلًا سؤاله السابق.

- رجل صيانة، لقد أخبرتك بذلك بالفعل.

- أجل، أعرف ولكن ما الذي تقوم به على وجه التحديد؟

- أقوم بكل ما يتطلبه المكان، أعمل مثلًا على جز العشب وإصلاح المباني وهكذا.

- إذن أنت اختصاصي صيانة؟

أجل، أنا كذلك، قالها بين بعدما رسم ابتسامة عريضة على وجهه مُعجبًا بذلك الوصف الوظيفي.

- منذ متى وأنت تعمل في مُخيم نايتنجيل؟

- أنا أعمل لدى عائلة هاريس وايت نفسها وهذا يعني أني أحيانًا أقوم بأعمال هذا المُخيم وأحيانًا لا.

- إذن منذ متى وأنت تعمل لدى عائلة هاريس وايت؟

- منذ خمسة عشر عامًا.

- هل هذا يعني أن العام الذي تم فيه إغلاق مُخيم

نايتنجيل كانت عطلتك الصيفية الأولى هنا؟

- أجل، قالها بين.

قام المحقق فلاين بتدوين تلك الملاحظة في دفتره الخاص الذي يكتظ بكل تلك المعلومات عديمة الجدوى التي منحتها له في السابق.

- كيف حصلت على تلك الوظيفة؟

- لقد طردت حينها من المدرسة الثانوية وبدأت أعمل في عدد من الوظائف القريبة هنا وهناك في المدينة وكنت أحصل على الفُتات حقًا لذلك عندما علمت أن السيدة هاريس وايت تبحث عن رجل صيانة، قفزت على الفور لأحظى بتلك الفرصة وعملت هناك منذ ذلك الحين.

نظر المحقق فلاين إلى ثيو من أجل الحصول على تأكيد لتلك المعلومة وحينها قال له:

أجل، هذا صحيح.

- أعتقد أن فترة خمسة عشر عامًا هي فترة طويلة جدًا للقيام بنفس الوظيفة! هل تُحِب العمل لدى عائلة هاريس وايت؟

- إنها وظيفة جيدة تدفع لي المال الوفير وتجعلني أتدبر مسائل إسكان وإطعام أفراد عائلتي. ليس لديَ أية شكاوى حيالها.

- وماذا عن أفراد عائلة هاريس وايت؟ هل تُحبهم؟

نظر بين إلى ثيو، لم يكن تعبير وجهه قابلًا للقراءة ثم قال:

- كما قلت في السابق، ليس لديَ أية شكاوى.

بالعودة إلى موضوع علاقتك بفتيات المُخيَم، هل أنت واثق أنه لم يكن هناك أي اتصال بينك وبينهن؟ فربما اضطررت للقيام بأعمال الصيانة في غرفهن؟

لقد قام بين بوضع الكاميرا بنفسه خارج مقصورة القرانيا، قالها ثيو.

دون المحقق فلاين تلك الملاحظة في دفتره وقال:

- كما تعرف يا سيد بين تلك هي المقصورة التي كانت تمكث فيها الفتيات المفقودات. هل صادفت إحداهن أثناء وضعك لكاميرا المراقبة في هذا المكان؟

- لا.

- وماذا عن ميرندا؟ الفتاة الأكبر سنًا؟ لقد أخبرني الكثير من العاملين هنا أنهم لاحظوا وجودها عدة مرات!

لست أحد هؤلاء فأنا دائمًا أشغل نفسي بأموري الخاصة، فتلك الشؤون لا تعنيني على الإطلاق.

- وماذا عن طريقة تصرفك منذ خمسة عشر عامًا؟ هل كنت على هذا النحو أيضًا حينها؟

- أجل.

قام فلاين بتدوين إجابته تلك في دفتر ملاحظاته ثم تردد لبعض الوقت ونظر له وقال:

- أريد منحك القليل من الوقت فأنا لا أرغب أن أقوم بتدوين الأكاذيب في دفتري الخاص.

- لماذا تظن أنني أكذب؟

أتذكر إحدى الفتيات اللواتي فُقدن منذ خمسة عشر عامًا والتي كانت تُدعى فيفان نورثورن؟

ما أتذكره أنه لم يتم العثور عليها مُجددًا.

- لقد علمت أنه كانت هناك علاقة تربط بينك وبين الآنسة فيفان نورثورن، وهذا يعني نقيض ما قلته فيما يخص انشغالك بشؤونك الخاصة، إذن هل هذا الأمر صحيح؟ هل كانت هناك علاقة تربط بينكما؟

لقد توقعت أن يقوم الرجل بالإنكار الفوري ولكنه عوضًا عن ذلك رمقنا بنظرة تعكس دفاعه عن نفسه بعد أن غابت ابتسامته عن شفتيه وقال:

- أجل، لقد كانت بيننا علاقة.

هل هي علاقة جنسية؟، سأله المُحقق.

- أجل، هذا صحيح، قالها ثم ابتسم مُجددًا.

لقد قاومت رغبتي المُلحة في أن ألكمه على وجهه ثم سألته:

- هل تعرف أنها كانت في السادسة عشرة من عمرها فقط؟

- وأنا كنت في التاسعة عشرة أيضًا، فلم يكن هناك فارق عمري كبير بيننا كما أن هذا لم يكن غير قانوني فأنا لديَ ثلاث فتيات الآن وأعرف جيدًا عقوبة جريمة الاغتصاب.

ولكنك تعرف أنها فكرة سيئة كما أنك لم تُخبر أحدًا عن علاقتك بالآنسة فيفان حينها بعد اختفائها برفقة أخريات

من غرفتها فجأة منذ خمسة عشر عامًا.

لأنني كنت على يقين أن رجال الشرطة سوف يظنون أن لي علاقة باختفائهن حينها فها أنتم جميعًا الآن تقفون هنا في هذا المكان وتعتقدون أن لي يدأ بما حدث لأولئك الفتيات!

- هل لديك علاقة بما حدث لهن؟

وقف بين بشكلٍ مفاجئ بينما برزت عروق صدغيه على نحوٍ بارز ثم كور يديه على شكل قبضة وكأنه على وشك أن يسدد لكمة قوية في وجه المحقق فلاين. لقد بدا المشهد كذلك حقًا ثم قال على الفور:

-أنا أب الآن، وكنت لأفقد عقلي إذا فُقِدت إحدى بناتي فمجرد تخيل ذلك يجعلني أشعر بالغثيان كما أنه يتعين عليك البحث عن أولئك الفتيات المفقودات الآن بدلًا من أن تطرح عليّ تلك الأسئلة الخرقاء حول الهراء الذي فعلته منذ خمسة عشر عامًا!

تَوقف بين بغتةً ثم عاد إلى كرسيه مُلتقطًا أنفاسه بصعوبة بالغة وقال:

-حسنًا، يُمكنك مواصلة طرح أسئلتك اللعينة تلك، أعدك أني سوف أجيب عليها، فليس لديَ شيء لأخفيه!

-يُمكننا إذن العودة إلى موضوع السيدة فيفان هورثورن، كيف بدأت علاقتكما؟، سأله المُحقق فلاين.

-لا أعرف، لقد حدث ذلك فحسب.

-هل خططت لذلك؟

-يا إلهي! بالطبع لا، فأنا كنت حينها حريصاً كل الحرص على ألا أتورط في المتاعب، لكني رأيتها في تلك الأثناء تتجول في أرجاء المخيم ولم يكن من الصعب أن ألاحظ وجودها.

-هل كانت جذابة؟، سأله فلاين.

-بالطبع، لقد كانت فيفان فتاة مُثيرة جدّا، ولكن هناك خطباً ما آخر بشأنها، فلقد كانت شديدة الثقة في ذاتها، تلك الصفة التي ميزتها عن الجميع، لقد كانت فتاة مختلفة جدًا.

-كيف ذلك؟

-بقية فتيات المخيم مثلًا يتعاملن معي بفطرسة

ولامبالاة، فتجدهن لا يتحدثن إليّ على الإطلاق وكأني غير موجود أصلًا أو غير مرئي بالنسبة لهن، لكن فيفان كانت تتصرف معي على نحوٍ مُناقض لذلك فمنذ اليوم الأول لتلك العطلة الصيفية جاءت وقدمت لي نفسها وقالت لي إنها لا تتذكر رؤيتي خلال عطلتها الصيفية الماضية في مُخيم نايتنجيل ثم سألتني عن وظيفتي. لقد كانت ودودة جدًا، وقد شعرت بالسعادة أن فتاة مثلها تهتم لأمري.

بدا ذلك مُطابقًا أيضًا لشخصية فيفان التي أعرفها، فلا يهم إن كنت رجل صيانة أو فتاة في الثالثة عشر فهي تعرف جيدًا كيف تلفت انتباهك إليها بكل السُبل.

-لقد تسكعنا معًا عدة مرات في أنحاء المُخيم كما أنها جاءت إليّ ذات مرة أثناء موعد الغداء وتحدثت إليّ بضع دقائق، وحينها أدركت ما كانت ترغب فيه، فهي لم تخجل من الإعلان عنه صراحةً.

توقف المُحقق فلاين فجأة بعد أن واصل كتابة ملاحظاته الخاصة في دفتر يومياته ثم قال:

-كم مرة أقمتم علاقة معًا؟

-مرة واحدة.

-هل تتذكر الموعد؟

-أجل، لقد كان في الرابع من يوليو، أتذكر أنني كنت أعمل حتى وقتٍ متأخر تلك الليلة مُحاولًا كسب علاوة جانبية نتيجة لقيامي بأعمال إضافية حسب ما عرضته السيد هاريس وايت، وفي تلك الأثناء كانت جميع فتيات المُخيم في إحدى أمسياتهن حول النار وكنت أتأهب بدوري من أجل العودة إلى الديار لكن فيفان ظهرت فجأة من العدم ولم تقل شيئًا لكنها فقط تقدمت نحوي بخطواتٍ ثابتة ثم قبلتني ومضت بعيدًا ونظرت خلفها لترى إن كنت أتبعها.

لم يتفوه بين بحرفٍ إضافي، في الواقع لم يكن هناك حاجه لذلك فأنا أعرف بقية ما حدث بالفعل، لكن الشيء الوحيد الذي كان ينقصني هو أن أعرف سبب ذلك.

-هل تعرف أن يوم الرابع من يوليو هو ليلة اختفاء الآنسة فيفان هورثورن ورفيقاتها في الغرفة؟، قالها فلاين.

أومأ بين برأسه ثم قال:

-أجل، أعرف ذلك جيدًا، فأنا لا أحتاج إلى تذكير.

-ما الذي فعلته بعد ذلك؟

-غادرت فيفان أولًا قبلي، لقد كانت في عجلة من أمرها وأخبرتني أن الناس سيبدؤون في ملاحظة غيابها لذا ارتدت ملابسها ورحلت على الفور.

-هل كانت هذه آخر مرة رأيتها فيها؟

-أجل يا سيدي، قالها بين ثم فرك رقبته بيديه وكأنه يفكر في الأمر أكثر ثم قال:

-نوعًا ما.

-إذن هل رأيتها مُجددًا بعد ذلك؟

-لم أرها، لكنني رأيت شيئاً ما تركته خلفها.

-لم أفهم قصدك، قالها فلاين وكأنه يتحدث نيابةً عنا جميعًا.

-في الواقع لقد غادرت كشك الاستحمام بعدما غادرت فيفان ببضع دقائق عندما وصلت إلى السيارة وجدت أن مفاتيحي ليست برفقتي، تلك التي كانت تخص مُخيم نايتنجيل.

-أية مفاتيح؟

-تلك التي تخص مباني المخيم مثل النُزل، وقاعة الطعام، وكشك الاستحمام وخزانة الأدوات.

-وماذا عن الغُرف؟،سأله المحقق فلاين.

رسم بين ابتسامة ساخرة على وجهه ثم قال:

-أراهن أنك تعتقد أن الأمر بهذه السهولة، لكن هذا ليس صحيحًا، لم تكن برفقتي مفاتيح مقصورات المُخيم!

نظر المُحقق فلاين إلى ثيو من أجل التأكد من المعلومة وحينها أومأ ثيو وقال:

-هذا صحيح، إنه يقول الحقيقة.

-لقد اعتقدت أن المفاتيح سقطت في كشك الاستحمام، قالها بين ثم واصل حديثه:

-أو ربما في مكانٍ آخر، ولكن عندما ذهبت إلى العمل في الصباح التالي كان قد وقع حادث اختفاء فيفان والفتيات الأخريات، لكن لم يكن هناك الكثير من القلق حيال ذلك الأمر حيث إنه لم يمر حينها سوى ساعات قليلة، ومن ثم فقد اعتقدنا جميعًا أن عودتهن إلى المخيم قد تحدث في أي ساعة، وحينها ذهبت بدوري لأبحث عن المفاتيح

وانتهى بي المطاف بالعثور عليها خلف النُزل مباشرة، فقد كان الباب حينها مفتوحًا وتم وضع المفاتيح بداخل القفل!

-وهل تعتقد إذن أن الانسة فيفان هورثورن كانت قد قامت بوضعها هناك؟

-أجل، أعتقد أنها أخذتها من جيب معطفي عندما كنا معًا.

-ما هي الأشياء الموجودة في خزانة الأدوات؟، سأله فلاين.

-الأدوات والمعدات وآلة جز العشب، وسلاسل الإطارات الشتوية، هذا النوع من الأشياء.

-ولماذا قد تود الانسة فيفان الذهاب إلى مخزن الأدوات؟

-ليتني أعرف السبب، قالها بين في أسفٍ واضح.

على الجانب الاخر، لقد كنت أعرف سبب توجه فيفان إلى تلك الغرفة، فلقد قامت بذلك على الأرجح من أجل استعادة المجرَفة التي استخدمتها في الحفر عميقًا تحت الأرض من أجل إخفاء دفتر يومياتها.

-كان يتعين عليك أن تقوم بإخبارنا بكل شيء تعرفه، فلم يعد بمقدورنا الآن كعائلة أن نثق بك مُجددًا، قالها ثيو غاضبًا وحينها رمقه بين بنظرة استياء واضحة وكأنها تُخفي شعورًا عميقًا بالكراهية المُمتزجة بالقرف:

-إياك أن تحكم عليَ يا سيد ثيو، هل تظن أنك أفضل مني فقط لأن سيدة غنية قامت بإخراجك من دارٍ للأيتام؟ هذا فقط يعني أنك شخص محظوظ ليس أكثر!

تورد وجه ثيو بغتةً، لم أعرف حينها إن كان هذا نتيجة لشعوره بالصدمة أم الغضب؟، ولقد فتح فمه متأهبًا للرد إلا أن صوت الضجيج القادم من الخارج كتم صوته نهائيًا. كان هناك أحد يصرخ. تردد صدى صوته في المياه.

-ثمة شيءٍ ما، قالها ثيو مذعورًا ثم قال:

-إنه تشيت!

ها نحن ننطلق جميعًا خارج الغرفة ناحية قاعة الطعام، هناك حيث تتجمهر المزيد من الفتيات الباكيات المُتشبثات ببعضهن البعض، استمر نحيبهن على هذا النحو الذي لا يجعلك تُدرك ما الذي يجري بالضبط؟ وفجأة ظهر تشيت من العدم والذي كان يقف بدوره في مُجابهة أحد القوارب الطافية على سطح المياه والذي ابتعد حوالي مائة يارد من الشاطىء. هرعت ناحيته ثم قفزت وواصلت السباحة

متفقدة الوضع هناك، وكان ثيو وتشيت يسبحان خلفي مباشرة ثم توقفت لبعض الوقت لالتقاط أنفاسي اللاهثة. لقد كنت أول من وصل إلى القارب ثم لحق بي تشيت وثيو وحاول كل منا الإمساك بطرف القارب لنبدأ بالسباحة برفقته. لقد كانت رحلة مُرهقة وشاقة حقًا، فقد انزلقت أصابعي المبللة مرارًا وتكرارًا بعيدًا عن حافة القارب كما أن ضرباتنا لم تكن مُتناغمة وهذا بدوره جعل القارب يندفع من دون توازن من جانبٍ إلى آخر أثناء قيامنا بالسباحة في مياه البحيرة، وفي تلك اللحظة التي وصلنا فيها إلى المياه الضحلة قام ثلاثتنا بحمل القارب معًا وسحبه إلى الشاطىء، وحينها اجتمع الحشد حوله على الرغم من أن بقية فتيات المخيم تم احتجازهن بفعل المشرفات وكانت فراني ولوتي بداخل النُزل بينما كانت ميندي تُراقبنا من الميناء الخلفي، ألقيت نظرة على القارب من الداخل ولم أجد أي شيء، فلم يكن هناك أية مجاديف أو أشخاص أو سترات نجاة، لم يكن هناك سوى زوج من النظارات الملتوية التي تشققت عدساتها وتصدعت على نحوٍ ملحوظ.

استخدم المُحقق فلاين منديلًا ورقيًا من أجل التقاط النظارات ثم قال:

-هل رأيتم تلك النظارات من قبل؟

ها أنا أُحدق في إطاراتها الحمراء وأشعر بغتةً برجفة تتملكني ثم أهمس قائلة:

-أجل، إنها نظارات ساشا.

الفصل الحادي والثلاثون

عدت مُجددًا إلى مقصورة القرانيا ثم تمددت في فراشي مُحاولةً استجماع شتات نفسي، فها أنا لازلت أقوم بدورٍ مُريع فبعد العثور على القارب وسط البحيرة هرعت إلى المرحاض وتقيأت ثم قضيت نصف ساعة في كُشك الاستحمام أبكي من دون توقف قبل أن أقوم بارتداء ملابسي. ها أنا الآن أمسك بدمية كريستال في تلك اللحظة التي يرمقني فيها المُحقق فلاين بنظرته الموحية بعدم التصديق ثم يقول:

-كان هذا جيدًا ما قمت به هناك في البحيرة عندما شرعت في السباحة ناحية القارب.

-هل كنت تُفضل أن أترك القارب يسبح بعيدًا؟

ظل المُحقق فلاين واقفًا في منتصف الغرفة وكأنه يُمارس سلطته ويُريد إخباري سِرًا أنه صاحب النفوذ هنا في تلك المنطقة.

-في الواقع كنت لأُفضل أن تتركي هذا الأمر لقوات الشرطة، فالقارب في حد ذاته كان أحد الأدلة التي تم تلطيخها من قبل ثلاثة أشخاص إضافيين.

-أنا آسفة، قلتها لأني شعرت أن تلك هي الكلمة الوحيدة التي كان يُريد المُحقق سماعها في تلك اللحظة.

-ربما أنتِ كذلك وربما قمتِ بذلك عامدةً! ربما كنتِ تحاولين إخفاء بصمات أصابعك أو أية أدلة قمتِ بتركها خلفك دون قصد، قالها فلاين ثم توقف لبعض الوقت.

لم أكن أعرف ما الذي كان ينتظره مني؟ هل كان يرغب أن أعترف بشيءٍ ما؟ هل كان يعتقد أني سأبدأ في الإنكار بشدة؟ ولكني على نقيض ذلك قلت له:

-أعتقد أن هذا أمر سخيف جدًا.

-حقًا؟ إذن هل من الممكن أن تفسري لي ذلك من فضلك؟، قالها ثم أخرج حقيبة بلاستيكية كبيرة تضم سلسلة فضية تحتوي رؤوس طيور صغيرة. إنه السوار السحري الخاص بي.

-أعرف أن تلك السلسلة تخصك، فقد أكد ثلاثة أشخاص هنا في المخيم أنك كنت ترتدين تلك السلسلة في السابق.

-أين عثرت عليها؟

-في القارب!

حاولت إحكام قبضتي على ذمية الذب الخاصة بكريستال ثم شعرت بالغثيان الفباغت فقد كانت الغرفة بأكملها تدور، وحينها شعرت أنني على وشك أن أتقيأ مرةً أخرى ثم قلت لنفسي مُجددًا إن هذا لن يحدث إلا أنه يحدث على الرغم من كل شيء.

-هل يمكنك تفسير وجود سلسلتك تلك هناك؟، سألني المُحقق فلاين ثم أضاف:

-فأنا أعرف جيدًا أنك لم ترديها لحظة سباحتك نحو القارب.

-لقد فقدتها بالأمس، قلتها بصوتٍ مُرتعش.

-يبدو هذا مُلائمًا فعلًا!

-لقد انكسر المشبك الخاص بالسوار، قلتها ثم التقطت أنفاسي قليلًا حتى لا أبدو مجنونة وقلت:

-لقد حاولت إصلاح السلسلة مرارًا وتكرارًا عن طريق استخدام الخيوط إلا أنها سقطت بغتةً.

-ألا تتذكرين متى حدث ذلك؟

-في الواقع لم ألاحظ ذلك إلا في وقتٍ لاحق.

ها أنا أتوقف لتوي عن الحديث. فما من شيءٍ أقوله يبدو منطقيًا بالنسبة إليه أو حتى بالنسبة إليَ، فها هو السوار السحري الذي كنت أظنه هنا طيلة الوقت يُعثر عليه في القارب! في الواقع لا أعرف أبدًا كيف حدث ذلك؟ وكيف انتقل إلى هناك؟ ومتى فقدته أصلًا؟

-إذن ما هو تفسيرك للعثور عليه بداخل القارب؟، قالها فلاين.

-ربما عثرت عليه إحدى الفتيات والتقطته على أمل أن تُعيده إليَ في وقتٍ لاحق.

أعرف أن هذا أمر مُستبعد الحدوث، فحتى أنا أرى ذلك جليًا، ولكن هذا هو التسلسل المنطقي الوحيد للأحداث، فقد شاهدتني ميرندا ذات مرة أعبث به بشكلٍ لا إرادي خلال درس الرسم المسائي، بمكنني أن أتصور بسهولة عثورها عليه في بقعة ما على الأرض ثم إمساكها به ووضعه في جيب سترتها، وهناك احتمال اخر وهو أن الشخص المسؤول أصلًا عن اختفاء الفتيات هو من فعل ذلك.

-ولكن ماذا لو أن أحدهم يحاول بدوره الإيقاع بي؟

لم تكن تلك فكرة حقيقية بقدر ما كانت مجرد محاولة لأجد المحقق فلاين يبتعد عن طريقي، لكني كلما فكرت في الأمر لاحقًا كلما بدا لي أكثر منطقية.

-لقد ضاع مني هذا السوار بالأمس قبل ليلة اختفاء الفتيات، وها هو الآن يظهر مجددًا في محتويات القارب برفقة نظارات ساشا، فمن الواضح جدًا أن الشخص الذي خطط لفعل ذلك بالفتيات أراد إلصاق التهمة بي حتى أشعر بالذنب!

-أعتقد أنك تشعرين بالذنب على الدوام يا آنسة دافيس! فأنت لست بحاجة لأن يُشعرك أحدهم بذلك!

-قلت لك مرارًا وتكرارًا أنني لم ألمس أولئك الفتيات، كم مرة يتعين عليَ أن أقسم لك حتى تُصدقني؟

-في الواقع أنا أود أن أصدقك لكنه من الصعب ذلك، فأنتِ من هذا النوع الذي يرى أناسًا لم يعد لهم وجود على تلك الحياة كما أنك تملكين المزيد من نظريات المؤامرة، ففي هذا الصباح أخبرتني أن للسيدة هاريس وايت علاقة وثيقة بحادث اختفاء الفتيات ومنذ أقل من ساعة كنتِ واثقة أن مَن قام بذلك هو رجل الصيانة!

-ربما يكون بين هو من قام بفعلها.

هز المحقق فلاين رأسه ثم قال:

-لقد تحدثنا إلى زوجته والتي أكدت أنها كانت في المطبخ في تمام الساعة الخامسة صباحًا وهذا يتطابق مع أقواله كما أنك قد سبق ووجهتِ الاتهام إلى السيد ثيو هاريس وايت منذ خمسة عشر عامًا بخصوص إيذاء صديقاتك، ألم تقومي بذلك حينها؟

شعرت بالحرارة تتدفق في وجنتي وقلت:

-أجل.

-لكنك الآن تعتقدين أنه لم يقم بهذا.

أنظر إلى الأرض وأقول:

-لا.

-حسنًا، من الممتع حقًا أنك كنت ترينه المذنب الوحيد في حادث الاختفاء منذ خمسة عشر عامًا لكنك الآن تعتقدين أنه بريء! وعلى الرغم من ذلك فأنت لم تتراجعي عن

اتهامك السابق بشكل رسمي، فلازال السيد ثيو هاريس وايت مشتبهًا به، أعتقد أن كلاكما لديه شيء ما مشترك.

ها أنا أتوهج غضبًا بسبب ما يقوله المحقق فلاين كما أنني أشعر بالأسف نتيجة لتصرفي الطائش حينها.

في كل الأحوال، لم أكن أنوي الاستماع لفترة أطول لانتقادات المحقق فلاين حول سوء تصرفي لذا قلت له على الفور:

-هل تتهمني صراحةً أن لديّ علاقة بما حدث؟

-ليس الآن، فالفتيات على أية حال لم يتم العثور عليهن سواء أحياء أو أموات كما أن السوار الخاص بك ليس دليلًا كافيًا على إدانتك، على الأقل حتى نعثر أولًا على نتيجة المعمل الجنائي ولنرى إن كان يشتمل على الحمض النووي الخاص بالفتيات.

-حسنًا اخرج الآن من تلك الغرفة حتى تتأكد من ذلك!

في الواقع لم أندم على قول ذلك على الرغم من أني عرفت في قرارة نفسي أن هذا قد يكون إشارة بتورطي في ذلك الحادث، فقد كان أي شرطي ليأخذ ذلك على محمل الجد لكن المحقق فلاين رفع يديه في وضعية «لا يُمكنني إلقاء اللوم عليكِ» ثم تأهب للمغادرة قائلًا:

-حسنًا نكتفي بذلك القدر الآن لكني سأراقبك يا آنسة دافيس.

في الواقع لن يكون المحقق فلاين الشخص الوحيد الذي يقوم بمراقبتي، فكاميرا المراقبة الموضوعة بالخارج تقوم بفعل الأمر ذاته كما أن فيفان لا تزال تُراقبني، فلقد اعتدت ذلك.

في تلك اللحظة التي غادر فيها المحقق سمعت أصوات قوارب الشرطة في الخارج، لقد وصلت بعد القليل من الوقت من اكتشاف مسألة القارب، ولا تزال الطائرة الهيلكوبتر تحوم حول الأرجاء مُصدرةً صوتًا تهتز له جدران مقصورات المخيم.

لم أتذكر إن كانت الطائرة الهيلكوبتر كانت قد ظهرت منذ خمسة عشر عامًا خلال اليوم الأول أو الثاني من اختفاء الفتيات، فقد بدأت القوارب والأفراد رحلتهم البحثية أولًا، أولئك الذين ارتدوا ثيابًا برتقالية ورسموا المزيد من التعبيرات المتجهمة على وجوههم أثناء تجولهم وسط

الغابات، كما فقدت القوارب الأمل في التجديف بعيدًا في أعماق البحيرة بعد أن تم العثور على سترة فيفان في الغابة، حدث ذلك تزامنًا مع إحضار الكلاب البوليسية في اليوم التالي، وقد سمحت لها قوات الشرطة بشم ثياب الفتيات الموجودة في الخزانة حتى يتمكنوا من المضي قدُمًا خلف الرائحة، في تلك الأثناء كانت فراني قد قررت إغلاق مخيم نايتنجيل لذا ففي اللحظة التي نبحت فيها الكلاب حول أرجاء البحيرة كانت فتيات المخيم يركضن بشكلٍ هيستيري ناحية العربات أو سيارات آبائهم وذويهم. لم أكن محظوظة إلى هذا الحد، فلقد تم إخباري أنه يتعين عليَ قضاء يوم آخر في نفس تلك الغرفة لمدة أربع وعشرين ساعة خرى لأغراض أمنية. لازلت أذكر أني قد اختبرت نفس تلك المشاعر التي أختبرها لتوي الآن.

مرت الطائرة الهيلكوبتر مُجددًا، وفي تلك الأثناء طرق أحدهم الباب وحينها قلت على الفور:

-تفضل بالدخول.

لم تكن لديَ الجرأة لأفتح الباب بنفسي، فبعد مرور ثانية إضافية من الزمن أطلت بيكا برأسها من الباب. جدير بالذكر أن المشهد كان مفاجئًا بالنسبة لي بعد التفكير لبعض الوقت في نبرتها معي تلك الليلة، لقد ظننتها هنا الآن من أجل تقديم مواساتها لذا فقد أشحت بوجهي بعيداً عنها حتى أتجنب نظرات الشفقة والأسف التي تُحاصرني بها ثم ثبت عيني على الكاميرا التي كانت تُمسكها في يدها وقلت:

-إذا كنت هنا من أجل التقاط المزيد من الصور فعليك المغادرة على الفور.

-استمعي إلي جيدًا يا إيما، أعرف أنك غاضبة لأني أخبرت الشرطة أنك احتسيت النبيذ برفقتي ليلة أمس ولكني كنت خائفة جدًا ومرتبكة بسبب الموقف بأسره، ولكن إن كان هناك اشتباه بك بسبب ذلك فمن المؤكد أنني أيضًا في نفس الموقف.

-على حسب معلوماتي أن كل فتيات غرفتك حاضرات ولم تتغيب إحداهن!

-أنا هنا من أجل مساعدتك يا ايما.

-لست بحاجة إلى مساعدتك.

-أعتقد أنك بحاجة إلى ذلك. قالتها بيكا ثم أردفت:

-يتوجب عليك إذن الاستماع إلى ما يقوله الجميع عنك في الخارج، إنهم يعتقدون أنك تسللت من الغرفة وتسببت في اختفاء الفتيات بدورك تمامًا كما حدث في السابق مع فيفان وناتالي وأليسون.

-حتى أنت؟

أومأت بيكا ثم قالت:

-أجل، لا داعي للكذب الآن، لكني واصلت البحث في تلك الصور التي قمت بالتقاطها في أرجاء المخيم هذا الصباح لأرى إن كنت قد عثرت على أية حلول مُصادفةً.

-لا أريدك أن تقومي بدور المحقق من أجلي!، قلتها.

-أعتقد أن هذا الدور أفضل من الدور الذي تقومين به الآن، فالجميع بات ينظر إليك بارتياب ويعتقدون أنك قمت بالتسلل من غرفتك وتظاهرت بما قمت به حتى أن كاسي أخبرتني أنها رأتك تتسللين إلى النزل بالأمس.

لست مُتفاجئة على الإطلاق، فهذه هي طبيعة مُخيم نايتنجيل، فكل ما يعرفونه جيدًا يتمثل في الثرثرة والتفوه بالترهات تمامًا مثلما كان الحال منذ خمسة عشر عامًا، وربما أصبح الأمر أسوأ الآن، فالجميع يتحدث عني، ربما أكون في نظرهم شخصية مجنونة وأقوم بخيارات سيئة، وربما أبدو كمتهمة تشعر بالذنب.

-لم أتسلل من الغرفة كما أنني أعتقد أنك موجودة هنا الآن لسببٍ ما.

جلست بيكا على الأرض بالقرب من فراشي ثم رفعت الكاميرا إلى الأعلى حتى يمكنني رؤيتها، كنت أنا على الشاشة وسط بحيرة مُنتصف الليل كما أن فراني كانت تركض خلفي، ها أنا أدرك مُجددًا أن بيكا مصورة فوتوغرافية رائعة. إنها قادرة على التقاط اللحظة بوضوح بكل تفاصيلها. هي اللقطة المصورة تُظهر قطرات المياه التي تسيل من أكمام ثوب فراني القطني بينما يقف ثيو في المنتصف ولازالت ندوبه في غاية الوضوح، ها هي تبدو جليةً للجميع، خلف ثيو حيث النزل تجلس ميندي بجوار تشيت في الرصيف الخلفي.

-إليك تلك الصورة أيضًا التي تم التقاطها من زاوية معكوسة، قالتها بيكا كاشفةً عن لقطة للحشد إلى جوار

المياه بينما كانت الفتيات تتشبثن ببعضهن البعض شاعرات بالخوف والذعر.

-لقد قمت بعد الموجودين في المشهد، حوالي خمسة وسبعين مُرشدة وفتاة ومُعلمة من أصل ثمانين شخصاً.

أحاول إجراء العملية الحسابية بيني وبين نفسي، فهناك خمسة أشخاص مفقودون في تلك اللقطة المصورة ومن بينهن ميرندا وساشا وكريستال اللواتي تغيبن عن المشهد بسبب حادث اختفائهن كما أنني لم أظهر في الصورة أيضًا لأنني كنت في وسط المياه بينما كانت فراني تقودني إلى طريق العودة بعيدًا عن برودة مياه البحيرة، وكان الشخص الخامس المُتغيب عن اللقطة هي بيكا لأنها كانت تقوم بالتصوير بدورها.

-في الواقع لا أعرف ما الذي ترمين إليه؟

-هناك شخص واحد لم يركض لرؤية ما يحدث لحظة الإعلان عن اختفاء الفتيات الثلاث يا إيما، قالتها بيكا ثم أضافت:

-ألا تعتقدين أن ذلك أمر غريب بعض الشيء؟

ها أنا أنتزع الكاميرا من يدها وأضعها في وضعية أكثر قُربًا من وجهي مُحاولةً أن أتعرف على الشخص المُتغيب عن المشهد. ها أنا أتعرف على كل الفتيات تقريبًا من خلال درس الرسم أو من خلال التجول في أرجاء مُخيم نايتنجيل.

إنني أرى صورة روبيرتا وبيج واقفات في مُنتصف الشاطئ تقريبًا بينما يبدو الهلع جليًا على ملامحهن وها هي كيم ودانسيا وثلاثة مُرشدات أخريات، تقف جميع المُرشدات والمُعلمات برفقة الفتيات، وفي الخلف كانت كاسي تقف والتي تعرفت عليها بسرعة بسبب شعرها الأحمر، ها أنا أضغط بدوري على الصورة السابقة لأرى فراني برفقتي في البحيرة بينما كان ثيو على الغشب وتشيت وميندي في النزل. إن الوحيدة المُتغيبة عن الصورة هي لوتي!

-هل ترين ذلك؟، قالتها بيكا.

-هل أنت واثقة أنها لم تكن حينها هناك؟، سألتها بينما تفقدت الصورة مرةً أخرى باحثةً من دون جدوى عن أية إشارة تركتها لوتي خلف تشيت وميندي. لم يكن هناك أي

أثر على الإطلاق.

-جيد، ولكن هذا يجعلنا نتساءل: لماذا؟

لا يمكنني التفكير في أي سبب منطقي في تلك اللحظة، لقد كان صراخي مرتفعًا جدًا إلى حد جلب جميع الفخيم إلى الخارج، فمن المستحيل حقًا ألا تكون لوتي قد سمعت ذلك الصوت الجهوري المدوي.

ربما لم يكن غيابها مقصودًا ضارًا، ربما كانت أحد أولئك اللواتي يحظين بنومٍ ثقيل وربما كانت في كُشك الاستحمام في تلك الأثناء. أخبر نفسي بذلك لكني أفكر بغتةً في السوار السحري الخاص بي. أعتقد أنني كنت أرتديه آخر مرة عندما توجهت إلى النُزل، هناك في ذلك اليوم الذي التقيت فيه لوتي وتحدثنا لبعض الوقت في غرفة المكتب!

ربما سقط السوار من يدي دون أن أشعر به، تحديدًا في تلك اللحظة التي تأملت فيها الصور الفوتوغرافية القديمة المُعلقة على جدار مُخيم نايتنجيل. ها أنا أتذكر ما كتبته فيفان في دفتر يومياتها الخاص والذي يعد بمثابة حجر رشيد بالنسبة لي من أجل فك شفرة ما يحدث تزامنًا مع ما وقع منذ خمسة عشر عاماً. لقد تحدثت فيفان في يومياتها قليلًا عن لوتي تحديدًا لحظة إلقائها القبض عليها في النُزل في غرفة المكتب وإخبارها لفراني حول ذلك الأمر. في الواقع لم أعطي لتلك الحادثة أية أهمية في السابق لأني كنت أعرف أن السر يخص فراني وحدها لكني أتساءل إن كان ما ذكرته فيفان يخص ما هو أكثر من ذلك، فلقد تحدثت لوتي من قبل عن تاريخ عائلتها في خدمة آل هاريس وايت، وهذا بدوره يُشير إلى نوع من التفاني في العمل والذي توارثته الأجيال.

ربما كانت لوتي موظفة مُخلصة جدًا لسيدتها إلى هذا الحد الذي قد يدفعها إلى اتخاذ أية اجراءات إذا عرفت أن فيفان كشفت أحد أسرار فراني القذرة؟ وربما فعلت ذلك مُجددًا عندما علمت أني على وشك معرفة سرها كذلك. هل أرادت أن تهددني بشكلٍ مُضاعف؟

-ربما لم تكن لوتي هنا لأنها كانت على دراية بما يحدث.

قبل خمسة عشر عامًا

بعدما صرخت في وجه ثيو، قضيت بقية ساعات اليوم أنتحب في فراشي. لقد بكيت طويلًا حتى عم الظلام، شعرت حينها أن وسادتي تُقطر دموع مالحة وشعرت بالقهر الشديد في تلك اللحظة التي نظرت فيها إلى باب الغرفة ووجدت لوتي تدخل جالبةً برفقتها صينية الطعام التي كانت تحتوي على شطائر البيتزا وطبق السلطة وزجاجة الخوخ المثلج.

-يجدر بك تناول بعض الطعام يا عزيزتي، قالتها.

-لكني لا أشعر بالجوع.

قلتها على الرغم من أني كنت أتضور جوعًا، فقد التهم الألم معدتي وذكرني ذلك أني لم أتناول أي شيء منذ لحظة مغادرة الفتيات المقصورة.

-تجويع نفسك إلى هذا الحد لن يُفيد أي أحد على الإطلاق، قالتها لوتي بعدما وضعت صينية الطعام فوق خزانتي الخشبية ثم أضافت:

-أنت بحاجة لتناول الطعام حتى تتأهبي لعودة صديقاتك.

-هل تعتقدين ذلك حقًا؟ هل ستعود فيفان وناتالي وأليسون مُجددًا؟

-بالطبع.

-حسنًا لن أتناول طعامي إذن حتى لحظة عودتهن.

رمقتني لوتي بابتسامة صبورة ثم قالت:

-سوف أترك صينية الطعام هنا في حال إذا غيرت رأيك.

بمجرد أن خرجت من الغرفة اقتربت من الطعام وبدأت في شمه كما لو كنت قطة خائفة ثم تجاهلت طبق السلطة وشرعت على الفور في تناول شطائر البيتزا، وتناولتها سريعًا قبل أن يسوء وضع ألم معدتي، لقد كان أشرس من الشعور بالجوع ذاته وسرعان ما انطلق كما السهم ناحية قلبي دافعًا بي للشعور بالندم لأنني قلت لفيفان شيئًا مُريعًا قبيل مغادرتها الغرفة، ولأنني أغلقت الباب من الداخل لحظة عودتهن، ولأنني أيضًا طمأنت نفسي فقط بإخباري قوات الشرطة اسم ثيو على الرغم من أني أعلم جيدًا في أعماق نفسي أن ما فعلته ليس بالأمر الصائب. لقد اتهمته بإلحاق الضرر بفيفان وناتالي وأليسون فقط لأنها اختار

فيفان وتجاهلني، وكان هذا متوقعًا فقد كنت مجرد فتاة هزيلة غير مُغرية على الإطلاق، بالطبع يحق لثيو تفضيلها علي، والآن بات ثيو يكرهني شأنه كشأن الجميع في مُخيم نايتنجيل. في الواقع، لا يمكنني أن ألومهم على ذلك فأنا أكره نفسي أكثر، ولهذا السبب تفاجأت جدًا من عودة فراني إلى مقصورة القرانيا في ساعة متأخرة تلك الليلة، لقد قضت ليلتها السابقة هناك، ولم تكن تريدني أن أكون بمفردي. فقد جاءت إليَ وبرفقتها بعض الأغطية والأطعمة الشهية والألعاب، وعندما حان موعد النوم تأهبت فراني لوضع حقيبة النوم الخاصة بها أرضًا إلى جوار فراشي كما أنها طلبت مني أن أغمض عيني بدوري وبدأت في دندنة مجموعة من الأغنيات الشاعرية الناعمة بصوتٍ رقيق. ها هي الآن تأتي من الخارج مُمسكةً بحقيبتها ومجموعة الألعاب في اليد الأخرى وتقول:

-لقد أغلقت الهاتف للتو مع والديك، سيأتون إلى هنا في صباح الغد، لذا أتمنى أن تقضي ليلتك الأخيرة هنا بهدوء تام.

حدقت في وجهها بحزنٍ بالغ وسألتها:

-هل ستمكثين هنا الليلة أيضًا؟

-بالطبع ياعزيزتي، فليس من الجيد أن تبقي هنا بمفردك.

قالتها وشرعت في وضع حقيبة النوم الخاصة بها أرضًا.

-أنتِ لست بحاجة للنوم على الأرض مرة أخرى.

-لكنه يتعين عليَ ذلك، فمن المفترض أن تبقى الأسِرة كما هي لحين عودة صديقاتك مُجددًا.

ها أنا أتخيل فيفان وناتالي وأليسون عائدات من رحلة طويلة مُرهقة متذمرات بشأن ضياعهن وسط الغابات الشاسعة لأن أليسون ليس باستطاعتها قراءة البوصلة. يا لها من فكرة مُريحة حقًا والتي جعلتني أحدق في باب الغرفة منتظرةً لحظة قدومهن في أي وقت، وفي كل مرة يخيب فيها ظني أشرع في البكاء مُبللةً وسادتي.

-اصمتي الآن يا ايما، كفاك يا عزيزتي، أعرف أن رفيقاتك فُقدن منذ وقتٍ طويل لكنه يتعين علينا ألا نفقد الأمل أبدًا.

لقد فركت ظهري حتى شعرت بالقليل من الاستقرار وبدأت أهدأ، حاولت أن أتذكر إن كانت أمي قد قامت بذلك من أجلي يومًا سواء عندما كنت مريضة أو مضطربة

لكن ذاكرتي كانت خالية تمامًا من أحداثٍ مُشابهة من هذا النوع. ها أنا أمتص حنان فراني المؤقت بكل ما أوتيت من قوة في تلك الأثناء.

-أريد أن أسألك عن شيءٍ ما يا ايما، هل أنت حقًا تعتقدين أن ثيو قد ألحق الأذى برفيقاتك في الغرفة؟

لم أنطق بحرفٍ فقد كبلني الشعور بالخوف كُليًا، ولم يكن بمقدوري أيضًا التراجع عما قلته لقوات الشرطة في السابق، ومع أني أعرف أن ثيو في وضعٍ حرج لكن اعترافي بعكس ما قلته الآن قد يجعلني أنا الأخرى في وضعٍ حرج، ربما يعرفون حينها أن اتهامي كان مجرد كذبة وأنني منعت فيفان وأليسون وناتالي من دخول الغرفة ليلة اختفائهن.

كنت أشعر بأني أحمل صخورًا ثقيلة فوق صدري، تلك الأكاذيب التي جعلتني أتنفس بصعوبةٍ بالغة، فلم يكن بمقدوري أن أزيحها عن كاهلي أو أن أعترف بها لأي أحد، وقررت في نهاية المطاف أن أعتاد ثقلها ثم سألتني فراني مُجددًا بإصرارٍ ملحوظ هذه المرة:

-إيما؟ هل تعتقدين ذلك؟

بقيت صامتة وبناءً على ذلك قالت فراني:

-حسنًا، أتفهم ذلك.

نهضت فراني ومضت مُغادرة الغرفة من دون أن تنبس ببنت شفه وتركتني وحدي تمامًا وأخذت أتساءل في استياء تُرى إلى أي نوعٍ من الوحوش أنتمي؟

في الصباح، طرقت لوتي باب غرفتي وأخبرتني أن والدي قد أتى لاصطحابي إلى المنزل، ولأنني لم أتمكن من النوم طوال الليل قمت بحزم أمتعتي ونقلتها من خزانتي الخشبية إلى حقيبتي الخاصة مع بزوغ الفجر.

حملت حقيبتي إلى خارج المقصورة وإلى المُخيم الذي بات أشبه بمدينة الأشباح.

خيم الصمت على المكان بأسره-تلك المقصورات الفارغة والمباني المُظلمة- والذي كسره صوت سيارة أبي عندما اقتربت من مقر قاعة الطعام، وحينها خرجت أمي من السيارة وابتسمت بخجل عندما رأت لوتي واقفةً أمامها والتي قالت بالحرف الواحد:

-تعتذر لكم فراني عن عدم قدرتها على المجيء هنا اليوم

كما أنها تتمنى لكم رحلة آمنة!

تظاهرت لوتي بتصديقها لما تفوهت به للتو، على الرغم من أننا جميعًا نعرف أنه مجرد كذبة. رأيت ثيو على مسافة بعيدة والذي كان يمضي برفقة رجلين من الشرطة بسرعة خاطفة في أرجاء المخيم، لقد أحكم رجل الشرطة قبضته حول يده بطريقة لا توحي بالخروج الطوعي. وقفت متصلبة في مكاني أراقب مبنى الفنون والحرف اليدوية، هناك حيث كان التحقيق لا يزال مستمرًا ثم رمقني الحضور بابتسامة رسمية. كانت تلك هي فرصتي الأخيرة للاعتراف بالحقيقة.

صعدت إلى السيارة على الفور ثم قلت:

-هيا يا أبي من فضلك.

لم أكن أرغب في رؤية المزيد بعد، فها هو باب النزل مفتوح على مصراعيه بينما كان تشيت يركض إلى الداخل بوجهٍ مبلل بالدموع وسط مشهد ضبابي ثم صرخ باسم ثيو لكن لوتي هرعت خلفه للإمساك به وأخذه إلى مقر النزل مجددًا، أشرت إلى والدي بالمضي قدمًا، فلم أكن أرغب في رؤية ما هو أكثر من ذلك ثم أشحت بوجهي بعيدًا عن نافذة السيارة حتى تلاشى تشيت ولوتي ومخيم نايتنجيل بأكمله من مجال الرؤية.

الفصل الثاني والثلاثون

في تلك اللحظة التي غادرت فيها بيكا، بقيت مُكومةً في فراشي مُمسكةً بدمية كريستال بين ذراعي للتفكير فيما يمكنني القيام به بشأن لوتي. أخذت أتساءل إن كان بمقدوري إخبار شخص آخر، ولكن لم يكن لديَ خيارات كثيرة، فالمحقق فلاين لا يثق بي كما أنني لا أثق بفراني وحتى ثيو لن يُصدق أمراً كهذا فيما يخص تلك السيدة التي عاشت مع أفراد عائلته طيلة تلك الأعوام الطويلة. ها أنا أحدق خارج النافذة لأفكر فيما أنا مُقدمة على فعله أثناء تأمل لحظة تحول لون السماء الأزرق إلى الأسود السميك المظلم.

بدأ طاقم الطائرة الهيلكوبتر في استخدام الأضواء الكاشفة من أجل إجراء مسح شامل للبحيرة، وعندما أصدرت ذلك الدوي الصاخب الذي استمر لمدة خمس عشرة دقيقة أخذت أراقب تلاعب الضوء مع أوراق الشجر وفجأة طرقت ميندي على باب الغرفة وأدخلت صينية طعام أحضرتها من مقصف المخيم.

-أحضرت لكِ العشاء، قالتها.

عندما تأملت الطعام لم يبد كطعام تم إحضاره من المقصف، ولكنه بدا كطعامٍ طازج تم إعداده في النزل. كانت الوجبة عبارة عن شرائح اللحم التي يتطاير منها البخار والبطاطا المشوية المضاف إليها بعض التوابل الحارة. انتشرت الرائحة في أرجاء الغرفة حتى أنها بدت كما أطعمة عيد الميلاد الشهية لكنني قلت:

-في الواقع أنا لست جائعة، قلتها على الرغم من أني كنت لألتهم شرائح اللحم لو كنا في ظروفٍ عادية، فهذا الطعام يختلف كُليًا عن طعام المقصف السيء الذي لم أكن قادره على الاستمتاع بتناوله منذ لحظة وصولي.

لم يكن بمقدوري حتى النظر إلى الطعام ناهيك عن تناوله!

احتل التوتر معدتي إلى هذا الحد الذي لا يمكن تحمله حتى أنني خشيت ألا تعود معدتي إلى طبيعتها بعد ذلك الحادث.

-لقد أحضرت النبيذ أيضًا، قالتها ميندي مُمسكةً بزجاجة من النبيذ الأحمر.

-حسنًا سأتناولها.

-لكني سأتناول نصفها برفقتك فكما تعرفين لقد كان يومًا شاقًا على الجميع، فكافة مشرفات المخيم على حافة الانهيار كما أنه يجدر بنا في نفس الوقت أن نُحافظ على هدوئنا التام من أجل الفتيات، قالتها ميندي ثم وضعت صينية الطعام على الخزانة الخشبية التي كانت تملكها أليسون ذات مرة والآن باتت مملوكة لساشا أو ربما لم تعد تخص أحداً على الإطلاق، حالها كما حال ذمية الذب الخاصة بكريستال والتي أصبحت بغتةً من دون صاحب لفترةٍ مؤقتة.

يمكنني القول بناءً على الطريقة التي قام بها ميندي من أجل فتح زجاجة النبيذ أن تلك الزجاجة كانت مفتوحة من قبل في النزل، وعلى الأرجح كانت ميندي تُحاول منعي من فتحها بنفسي. تم وضع شوكة وسكين من البلاستيك كما أن أكواب النبيذ كانت بلاستيكية الصنع أيضًا وهذا بدوره ذكرني بأجواء مستشفى الأمراض العقلية حيث تم منع استخدام الأدوات الحادة بصورة قاطعة.

-نخبك!، قالتها ميندي بعد أن رفعت كوبها لأعلى ونقرت عليه.

قمت بذلك بدوري ثم سألتها:

-ولماذا هذه المعاملة الخاصة؟

جلست ميندي على حافة فراش كريستال في مُجابهتي وقالت:

-تلك هي فكرة فراني، لقد قالت أنك تستحقين الحصول على شيء لطيف خاصة بعد تعرضك لكل هذا التوتر والضغط، أعرف أنه كان يومًا شاقًا علينا جميعًا، لكنه أجهدك أنت على وجه التحديد.

-أعتقد أن هناك دافعًا آخر لزيارتك تلك.

-في الواقع لقد اقترحت فراني ذلك حتى أرى إن كنا سنشعر بالارتياح مع بعضنا البعض حتى أتمكن من المكوث معك هنا الليلة.

-لماذا؟، سألتها.

-لأبقي عيني عليك، قالتها ميندي، ولم تكن بحاجة لتفسير الأمر أكثر، فمن الواضح تمامًا أنه ما من أحد يثق بي الآن، وسوف يستمر الحال على هذا المنوال حتى

تلك اللحظة التي ستظل فيها ساشا وكريستال وميرندا مفقودات، وحتى تأتي تلك اللحظة سأظل موضع اشتباه، وعلى هذا فقد تم وضع الأدوات والأكواب البلاستيكية.

راقبتني ميندي أثناء قيامي بملء الأكواب حتى آخرها ثم قالت:

-في الواقع نحن أمام أحد الخيارين الآن إما أن نتجاهل بعضنا البعض ونجلس في صمتٍ تام أو أن نتحدث معًا.

-الخيار الثاني أفضل بالنسبة إليَ فأنا لا أطيق الهدوء أبدًا.

-هذه هي الإجابة التي توقعتها على وجه التحديد لذلك قمت بمنحها الخيارات السابقة الذكر حتى أجعلها تشعر أن تلك هي فكرتها الخاصة.

-كيف حال الأجواء في النزل؟، هل الجميع يتعاملون مع الأمر بشكلٍ جيد؟، سألتها.

-بالطبع لا، فالجميع يشعرون بالقلقِ الشديد، تحديدًا فراني.

-ماذا عن لوتي؟ أراهن أنها تتصرف بمنتهى الهدوء، أعتقد أن تلك الإستراتيجية هي الأفضل في مواجهة الأزمات.

-لا أعرف، لكنها تبدو قلقة مثلنا جميعًا.

-في الواقع، لست مُتفاجئة، فأنا أعرف كم هي مُتفانية بإخلاص خلال عملها لدى عائلة فراني.

-أتعرفين؟ أشعر دائمًا أن لوتي تقوم بعملٍ وظيفي مجرد شأنها شأن أي موظف هنا، فهي تذهب إلى عملها في الصباح وتُغادر في المساء وتحصل على كل عطلاتها و إجازاتها المرضية وخلافه مثل جميع الموظفين لدى عائلة هاريس وايت، ولكني لا أعتقد أنها سعيدة حقًا بقضاء عطلتها الصيفية هنا في مُخيم نايتنجيل ولا أنا أيضًا لكني أقوم ببذل قصارى جهدي من أجل الحصول على إعجاب فراني.

-وكيف تجري الأمور معك إذن؟

قامت ميندي بسكب كوب إضافي من النبيذ ثم ارتشفت القليل وقالت:

-أعرف أني لا أحظى بإعجابك، فهذه هي الحقيقة، أليس كذلك؟

-ترى ما الذي يجدر بي قوله بينما تم وضعي تحت الإقامة الجبرية في هذا المكان؟! بالتأكيد لا!

-لا أتحدث عن الوقت الراهن لكني أتحدث عن رأيك الخاص منذ أن التقينا أول مرة في الفخيم، لا مشكلة في الاعتراف بذلك.

لم أتفوه بحرف، وأعتقد أن تصرفي ذاك في حد ذاته كان يمثل إجابة لسؤالها.

-أعرف ذلك، فلقد التقيت المزيد من الفتيات مثلك في الجامعة اللواتي كن يتحلين بالانفتاح العقلي وحب الفنون وكن أيضًا سريعات في حكمهن على الفتيات أمثالي! أفترض أنك تعتقدين أنني فتاة فاسدة مدللة محظوظة بما يكفي لتكون بين أفراد عائلة هاريس وايت!

-ألست كذلك؟

-يمكنني القول إنني كنت تلك الفتاة الواثقة من ذاتها التي تفتخر بجمالها وذكائها إلى هذا الحد الذي لَفت انتباه شخص مثل تشيت هاريس وايت إليها!

-حقًا أنتِ جميلة جدًا، قلتها مُتعجبةً من صراحتها المباغتة وبررت ذلك بدوري إلى احتساء كميات هائلة من النبيذ أو ربما يعود إلى روح فيفان التي تسكن المكان.

-لقد سعى تشيت خلفي كثيرًا وحاول إقناعي بحبه بشتى الطرق، فلم أكن أنا الفاعلة لأنه لم يكن لديَ النية للوقوع في غرام فتى ثري مُدلل!

-ولكن ألست أيضًا فتاة ثرية ومُدللة؟

-على النقيض، لقد ترعرت ونشأت في مزرعة ريفية متواضعة الحال، لكني أراهن أنك لم تعرفي ذلك أبدًا.

لقد ظننت أنها ابنة احدى تلك العائلات الثرية التي تملك كافة الامتيازات والنفوذ والصلاحيات، اعتقدت أنها قد تكون ابنة أحد رجال الأعمال الجنوبيين أو أنها كريمة طبيب بارز مثل ناتالي.

-لقد نشأت في مزرعة ألبان، في منطقة متواضعة جدًا ضمن مقاطعة بنسلفانيا، وكنت أستيقظ يوميًا قبل بزوغ الفجر حتى أقوم بإطعام الأبقار منذ أن كنت في روضة الأطفال حتى تخرجت من الجامعة، لطالما كرهت ذلك لكني عرفت أني كنت ذكية وجميلة وهذا ما تحتاجه المرأة لتقود العالم بأسره.

لقد شرعت في المذاكرة والعمل بجد كما أني دربت نفسي على التصرف بشكلٍ اجتماعي لائق بحيث لم أعد أظهر بتلك الصورة للفتاة الريفية البسيطة التي تفوح رائحة الألبان وروث الأبقار من يديها. وها أنا قد نجحت في فعلها! وأصبحت رئيسة الطلاب وملكة جمال حفل التخرج وأكثر طالبة متفوقة، وعندما ذهبت إلى جامعة يال واصلت التصرف على نحوٍ راقٍ حتى التقيت تشيت، قالتها ميندي بعد أن انحنت إلى الوراء باتجاه الفراش ممسكةً بكوب النبيذ البلاستيكي في يدها شاعرةً بالمزيد من الارتياح. لقد كنت أنظر إليها بحسدٍ بالغ هذه المرة ثم تابعت حديثها قائلةً:

-لقد كنت متوترة جدًا في تلك المرة التي اصطحبني فيها تشيت لرؤية فراني. لقد اعتقدت أنها ستكشف أمري منذ اللحظةِ الأولى وستعرف خلفيتي الاجتماعية تحديدًا عندما خرجت من السيارة ورأيت اسم عائلة هاريس وايت على ذلك المبنى الضخم وفي المصعد أيضًا طيلة هذا الطريق حتى الوصول إلى الطابق العلوي بينما كانت فراني تنتظرنا في البيت الزجاجي، هل سبق لك رؤيته من قبل؟

-أجل، لقد بدا رائعًا.

-لقد بدا جنونيًا مذهلًا، لكنني تمالكت أعصابي لاحقًا عندما عرفت الحقيقة، قالتها ميندي ثم تناولت القليل من النبيذ.

-بشأن ماذا؟

-إن العائلة ليست بهذا الثراء الذي تبدو عليه حقًا! فلقد قامت فراني ببيع الكثير من ممتلكات هاريس وايت ولم يتبق لها سوى الشقة العلوية وبحيرة مُنتصف الليل فقط.

-في الواقع لازالت تبدو ثريةً جدًا بالنسبة إليَ!

-أجل، بالطبع ولكن ما أعنيه لا وجه أبدًا للمقارنة بين بضعة ملايين وهذا الكم السابق الذكر من المليارات!

-وكيف فقدت فراني كل تلك المبالغ الضخمة؟

-لقد فقدتها بسبب هذا المكان!، قالتها ميندي بعدما بدا الاستياء جليًا على وجهها وهي تنظر في الأرجاء والتي تشمل المخيم والبحيرة والغابات. أعرف جيدًا أنها كانت تُشير إلى حادث اختفاء الفتيات منذ خمسة عشر عامًا.

-لقد أنفقت الكثير من المال من أجل استعادة سمعتها

مُجددًا كما أنها دفعت أموالًا طائلة لأسر الفتيات المفقودات، فقد أخبرني تشيت أنها دفعت حوالي عشرة ملايين لكل أسرة، بالإضافة إلى الجمعيات الخيرية مُحاولة الحصول على مُباركة الناس من حولها وإغلاق قضية ثيو وعدم التحدث عنها مرةً أخرى.

-أجل، الحادث، قلتها.

-لقد أشار تشيت إلى ذلك من قبل، فقد كلف حادث السيارة الذي قام به ثيو فراني الكثير من الأموال حتى تستطيع إدخاله جامعة هارفارد، فلم يكن بمقدور القائمين على الجامعة قبول شخص مُتهم بجريمة قتل ودعوته داخل الحرم الجامعي، المعذرة إن كنت سببَت لك الشعور بالإهانة.

أومأت برأسي وقلت لها:

-لا توجد إهانة.

أردت أن أجبرها على مواصلة الكلام وحينها قالت:

-لقد أخبرني تشيت أن فراني اضطرت إلى دفع مبلغ من المال من أجل بناء مُختبر طبي جديد بداخل الجامعة كمحاولة من جانبها لتسمح بعودة ثيو مرة أخرى، أعتقد أنها قامت بذلك عندما شرعت في بيع ممتلكات عائلة هاريس وايت، في الواقع، كان من المفترض أن تقوم ببيع هذا المكان بدلًا من ذلك كما أن تشيت حاول مرارًا وتكرارًا إقناعها بذلك لكنها لم تكن لتتصور حتى فكرة التخلي عن منطقة بحيرة مُنتصف الليل أبدًا، ولم ترغب في التفكير في تلك المسألة على الإطلاق، لكني أعتقد أن مسألة البيع تلك قد تنتظر لبعض الوقت فقط، أنهت ميندي حديثها قبل أن تتطرق لمسألة احتضار فراني على الرغم من أني أعرف بالفعل حول إصابتها بمرض السرطان، في حقيقة الأمر أنا شديدة الإعجاب بتقديرها لتلك العائلة، فمن اللطيف حقًا أن تكون كاتمة لأسرار عائلتها المستقبلية.

-على أي حال فذلك هو موقفهم المادي، وبيني وبينك أنا أشعر بالارتياح الان ففكرة وجود الكثير من المال تُخيفني لأن هذا بدوره يعني أني سأحتاج للكثير من التظاهر، على الجانب الاخر فهناك ما يكفي لسد كافة الاحتياجات، فوضع تلك الأسرة أفضل بكثير من وضع أسرتي، لكنني ربما لن أضطر للقلق بنفس القدر السابق حيال ما يخص يدي التي

تفوح منها رائحة ألبان وروث الأبقار، قالتها ميندي ثم تأملت يديها أسفل ضوء المصباح الموضوع على المنضدة.

-أنا أسفة لأني تسرعت في حكمي عليك!

-أنا معتادة على ذلك، ولكن أرجوك لا تخبري تشيت وفراني أو أي شخص بذلك، من فضلك.

-لن أفعل.

-شكرًا لك، أود أيضًا إخبارك أنني لم أقم بدوري بإلحاق الأذى بأولئك الفتيات، لقد راقبت طريقة تعاملك معهن، وأدركت مدى حبك لكل واحدة منهن.

شعرت برجفة تتسلل إلى بدني في تلك اللحظة التي ذكرت فيها ميندي أسماء ميرندا وساشا وكريستال ثم تناولت القليل من النبيذ وقلت لها:

-أتمنى أن يكونوا بخير حال.

-وأنا أيضًا، قالتها ميندي بعدما استقرت أسفل أغطية فراش كريستال.

-على الجانب الآخر، أعتقد أن اسم عائلة هاريس وايت سوف يتمرغ في الوحل مرة ثانية، ولديّ شعور أن المسألة سوف تستمر إلى الأبد تلك المرة.

الفصل الثالث والثلاثون

أفرغنا زجاجة النبيذ بينما تركنا شرائح اللحم والبطاطا المشوية كما هي حتى بردت تمامًا ثم غطت ميندي في سُباتٍ عميق. لم أتمكن من النوم حينها ربما كان ذلك بسبب الخوف والقلق، وربما كان ذلك بسبب احتمالية وجود زيارة ليلية أخرى من جانب فيفان في تلك الليلة. كُلما أغمضت عيني رأيت نظارات ساشا الطبية تظهر أمامي بغتةً بينما كنت أتخيلها تمشي بمفردها تمامًا مُتعثرةً في طريقها. لقد كنت أتصورها تنزف على الأرجح! وبناءً على ذلك فقد حرصت على إبقاء عيني مفتوحة وتشبثت بدُمية الذب الخاصة بكريستال بينما كنت أستمع إلى شخير ميندي القادم من الجانب الآخر للغرفة.

جدير بالذكر، أن صوت الطائرة الهيلكوبتر كان يُغطي على صوت ميندي بين الحينِ والآخر، ففي كل مرة كانت إحدى الطائرات المُشاركات في عملية البحث تحوم حول المقصورة مُطلقةً أضواءها الكاشِفة، وقد عكس ذلك بدوره أن الفتيات لازلن مفقودات حتى تلك اللحظة، استمر الحال على هذا المنوال حتى تلك اللحظة التي رن فيها هاتفي في مُنتصف الليل، لقد كان مارك يتصل بي، وحينها أطلق هاتفي دويًا صاخبًا وسط هدوء وعتمة ذلك الليل البهيم.

توقف صوت شخير ميندي بغتةً ثم قالت:

-صوت هاتفك مُرتفع جدًا.

قمت بإسكات هاتفي ثم همست قائلةً:

-آسفة، من فضلك عودي إلى النوم.

اهتز الهاتف في يدي ثم أرسل مارك رسالة نصية فحواها:

«لقد عثرت على شيء ما، اتصلي بي».

انتظرت حتى عاد صوت شخير ميندي من جديد ثم تسللت من الفراش ومشيت على أطراف أصابعي مُمسكةً بمقبض الباب مُحاولةً فتحه ثم أدركت في تلك اللحظة فقط أنه لا يمكنني الخروج حيث إن كاميرا المراقبة مُثبتة في الخارج أمام باب المقصورة مُباشرةً كما أن أتباع المُحقق فلاين يقفون في مُجابهة النُزل لمراقبة ما يحدث في الأرجاء، وبدلًا من المُخاطرة بكل ذلك توجهت على الفور نحو النافذة بعد أن قمت بأخذ مصباح طاولة العشاء

بعيدًا عن مكانه ثم وضعته في فراش ميرندا حتى لا أتعثر به خلال رحلة دخولي إلى الغرفة مُجددًا.

حاولت الوصول إلى هناك بكل حذر ثم ألقيت نظرة خاطفة على النافذة والشاشة ونظرت مرة أخرى إلى ميندي لأتأكد إن كانت لازالت نائمة قبل أن أصعد فوق المصباح. لقد عصرني القلق في تلك الأثناء التي قررت فيها القفز من أعلى النافذة إلى الأرض ثم شعرت بغصة حقًا وأنا أحاول تجنب النظر إلى كاميرا المراقبة المثبتة أعلى المقصورة ثم ركضت بأقصى سرعة ناحية مقصورات المخيم الأخرى ثم وصلت إلى منطقة كُشك الاستحمام، وعلى هذا فقد تحركت بنصف انحناءة حتى لا يلاحظني أحدهم أحوم في الأرجاء على هذا النحو.

في الواقع، لقد كانت الطائرة الهيلكوبتر وأضواؤها الغبية هي ما تُشكِل التهديد الوحيد بالنسبة إليّ في تلك اللحظة لذا ألقيت بنفسي بمحاذاة جدار أقرب مقصورة ومشيت بحذرٍ بالغ بينما سطعت الأضواء عند لحظة مروري إلى جوارها.

لم أتحرك حتى تتوجه الطائرة الهيلكوبتر ناحية البحيرة ثم ركضت بدوري إلى كشك الاستحمام بينما كان هاتفي المحمول بداخل أحد جيوب معطفي. قمت بإضاءة الأنوار وتفقدت كل كُشك من أكشاك الاستحمام تمامًا كما فعلت في تلك الليلة التي عرفت فيها بحادث اختفاء الفتيات هذا الصباح. كان المكان فارغًا تمامًا وحينها تنفست الصعداء لأني كنت بمفردي ثم ذهبت إلى أحد تلك الأكشاك الصغيرة وأغلقت الباب خلفي حتى أتمتع بمزيدٍ من الخصوصية واتصلت بمارك.

كان الاتصال بالإنترنت ضعيفًا، فلم يكن هناك إلا إشارة واحدة، فعندما بدأت المكالمة لم أسمع أية كلمات سوى:

-أنا وبيلي عثرنا على شيء.

تفقدت هاتفي وحينها لم أجد سوى تلك الإشارة لذا وقفت على قمة مقعد المرحاض ووجهت شاشة الهاتف باتجاه السقف آملةً الحصول على إشارة أفضل، وفي تلك اللحظة بالفعل حصلت على إشارتين، بينما كانت الثانية تشهد حالة من عدم الاستقرار والثبات.

جلست فوق مقعد المرحاض وانحنيت قليلًا إلى الأسفل

ثم حركت مرفقي ناحية السقف بعض الشيء. لقد نجح الأمر كليًا عندما قمت بذلك التغيير البسيط في وضعية الجلوس، فلقد زال التشوش تمامًا وحينها سألت مارك:

-ما الذي عثرت عليه؟

-في الواقع نحن لم نحصل على الكثير من المعلومات، فقد أخبرني بيلي أنه من الصعب جدًا البحث عن مستشفى خاص للأمراض العقلية تحديدًا إن كانت صغيرة ومنعزلة إلى هذا الحد كما أنه فتش عنها في كل شيء بدءًا من الكتب والصحف والسجلات التاريخية كما أنه طلب العون من صديقه الذي كان يعمل في مجال صور الأرشيف والذي أجرى القليل من الاتصالات بالمكتبة في منطقة سيراكيوز. سوف أرسل لك كل المعلومات في رسالة عبر البريد الإلكتروني، على الرغم من أني لم أتمكن من إخضاع كافة الصور للمسح الضوئي لأنها قديمة جدًا وفي حالة سيئة، لكني قمت بتدوين كافة بياناتها على أية حال.

كان هناك صوت خشخشة ورق انبعث من الهاتف ثم واصل مارك حديثه قائلًا:

-لقد أخبرني بيلي أنه تم ذكر اسم رجل يُدعى تشارلز كالتر من مستشفى وادي السلام في دفتر السيد هاردي مان صاحب إحدى شركات الشعر المستعار في منطقة الجنوب الشرقي، هل يبدو هذا الاسم مألوفًا بالنسبة لك؟

-أجل، لقد كان تشارلز كالتر هو مالك المستشفى موضوع البحث كما أنه كان يبيع شعر مرضاه إلى شركات الشعر المُستعار.

-يا إلهي! انه العصر الديكنزي! ربما يُفسر ذلك مبلغ الخمسين دولار الذي دفعه السيد هاردي مان له في ثلاث مُناسبات مختلفة!

-متى كان هذا؟

-حدث مرة في عام 1901 ومرة أخرى في عام 1902

-إن هذا يتماشى بدوره مع ما رأيته في ذلك الكتاب الذي عثرت عليه فيفان في المكتبة. لقد كان هناك صورة للمكان منذ عام 1898

-هل أشار ذلك الكتاب متى تم إغلاق تلك المستشفى؟، سأل مارك.

-لا. لماذا؟

-لأنه ثمة شيء غريب قد وقع هناك لاحقًا.

تصدر صوت خشخشة الأوراق المشهد مُجددًا كما أنه قد عاد التشوش مرة أخرى مما جعلني أعتقد أن هذا علامة على سوء شبكة الاتصالات وعودتها إلى سابق عهدها.

-لقد عثر بيلي على مقال في عام 1904 حول رجل يُدعى هيلموت شميت من منطقة يونكرز، هل يُذكرك الاسم بشيءٍ ما؟

-لم أسمع عنه من قبل!

-حسنًا، لقد كان هيلموت مهاجرًا ألمانيًا قد قضى عشر سنوات في الغرب، وعندما عاد إلى نيويورك في وقتٍ لاحق بدأ في البحث عن شقيقته أنيا.

يبدو هذا الاسم مألوفًا بالنسبة لي، فلقد كانت هناك صورة فوتوغرافية لامرأة تُدعى أنيا والتي تم دسها بداخل محتويات الصندوق الذي عثرت عليه بداخل النزل. إنني أتذكر لون شعرها الآن. لقد كانت خُصلاتها المُنسدلَة أشبَه بلونِ الكتان.

-لقد وصف هيلموت حالتها بأنها كانت «مرتبكة جدًا وتخلط بين الأمور وتُعاني من الاضطرابات العصبية»، وبالطبع كلانا يفهم ما يعنيه ذلك.

أجل، فنحن على دراية بمعنى ذلك التوصيف، فلقد عانت أنيا من مرضٍ عقلي مجهول الهوية غير مُتعارف عليه في تلك الفترة الزمنية.

-يبدو وكأنه بعد رحيل هيلموت قد ساءت حالة شقيقته أكثر حتى ذهبت إلى جزيرة بلاكويل، وعندما بحث عنها وجد أنها تحت رعاية الدكتور كالتر وتم اصطحابها إذن إلى....

-مستشفى وادي السلام للأمراض العقلية، قلتها.

-رائع! وحينها سافر هيلموت إلى هناك ليقوم باستعادة أخته لكنه لم يجد مكاناً كهذا وحينها تكلم مع وسائل الإعلام والصحافة حول تلك المسألة.

-هل تقصد أن هذا المكان لم يكن موجودًا منذ الأساس؟

-بل أقصد إنه اختفى!

ها أنا أسمع تلك الكلمة مُجددًا. لقد أصبحت أكره ايقاع كلمة الاختفاء تلك، وحينها سألته دون تردد:

-وكيف من الممكن أن تختفي مستشفى للأمراض العقلية بغتةً؟

-لا أحد يعرف، أو على الأرجح لا أحد يهتم لأن يعرف! قالها مارك ثم أردف:

-ربما لأن المكان في منطقة منعزلة كما أن أولئك الذين كانوا يسكنون بالقرب منه لم تكن لديهم أية علاقة به، فكل ما يعرفونه أنه يتم إدارة تلك المستشفى من قبل أحد الأطباء وزوجته وأنه تم بيع تلك الأرض بعد سنة.

-هل هذا رأيك؟

-أعتقد ذلك، فلم يجد بيلي أية مقالات أخرى تخص السيد هيلموت شميت وأخته.

ها أنا أسمع صوت صلصلة المفاتيح ثم نقرة واحدة من جانب مارك.

-لقد أرفقت لك كل شيء عبر البريد الإلكتروني.

اهتز الهاتف في يدي، لقد كان هناك رسالة بريدية.

-أجل حصلت عليه.

-أتمنى أن يُساعدك ذلك، قالها مارك بعد أن تسلل الظلام إلى نبرة صوته المُعبرة عن قلقه.

-أنا قلق للغاية بشأنك يا إيما، عديني أنك ستكونين حذِرة.

-أعدك.

-هل تُقسمين على ذلك؟

-أقسم لك، قلتها مُبتسمةً على الرغم من شعوري بالخوف والقلق والإجهاد.

ها أنا أنهي المكالمة وأبدأ في تفقد بريدي الإلكتروني. لقد أرسل لي مارك عدة ملفات كان من بينهم ذلك الملف الذي عثرت عليه في المكتبة والذي يشتمل على فقرات تُشير إلى مستشفى وادي السلام للأمراض العقلية. تلك التي قمت بمطالعتها من قبل باستثناء تلك الخطوط التي قامت فيفان بوضعها أسفل بعض العبارات المُحددة، بينما كانت الصورة الأخرى لتشارلز كالتر الذي كان يقف أمام مستشفى وادي السلام، وعلى الجانب الاخر فقد كانت بقية الملفات المُرسلة عبارة عن رسائل نصية لمقتطفات تم اجتزاؤها من كتب علم نفس ومجلات نفسية وأطروحة

ماجيستير والتي تناولت تاريخ مستشفى دار السلام على نحو خاطف ضمن سلسلة تاريخ مستشفيات الأمراض العقلية والعلاج التقدمي. إنني أعتقد أنها مأخوذة من مصدر واحد لأن معلوماتها كلها تبدو متماثلة ومتطابقة جدًا.

جدير بالذكر أن الملف الأخير الذي أرسله مارك كان يشتمل على مجموعة متنوعة من الصور التي جلبها من الأرشيف، كانت الصورة الأولى للسيد تشارلز كالتر الذي بات معروفًا الآن بالنسبة لنا والتي ظهر خلالها يقف في خيلاء أمام ملكيته الخاصة على الرغم من أن الصورة لم تشتمل على أية إشارات سوى اسم مستشفى الأمراض العقلية فحسب وكأنه إعلان لأحد المنتجعات الصحية وليست مستشفى للأمراض العقلية والنفسية! كانت الصورة الثانية لمبنى المستشفى ذاته والذي أظهر مبنى قوطيأ ضخمأ عتيقأ كما برز الجناح على الجانب الآخر، واصلت تصفح الصور المرفقة على هذا النحو حتى وقعت عيني فجأة على تلك الصورة التي جعلت قلبي ينبض تمامًا بتلك الطريقة التي يباغتني بها عندما أتناول كوبًا من القهوة الفزة الداكنة. لقد رأيت مدخل مستشفى وادي السلام والذي بدأ بإحدى تلك البوابات الحديدية الضخمة والمنحنى المزخرف الذي بدا مألوفًا إليّ بشدة. ها أنا أتذكر الآن أنني كنت قد مررت إلى جواره ذلك اليوم الذي أقلني فيه ثيو بحافلته إلى المدينة. أجل! لقد كانت مستشفى دار السلام للأمراض العقلية هنا في مخيم نايتنجيل! وهذا يفسر لماذا لم يتمكن السيد هيلموت شميت من العثور عليه! فعندما جاء إلى تلك المنطقة باحثًا عن أخته كان السيد بوكانان هاريس قد حولها إلى بحيرة! ها أنا الآن أدرك على وجه التحديد طبيعة تلك المعلومات التي كانت فيفان تبحث عنها، ولماذا كانت تفتش طويلًا بداخل النزل و ذهبت إلى المكتبة. إن هذا أيضًا يبرر سبب خوفها الدائم وقلقها الذي كشفته يومياتها من أن يقع دفترها الخاص في أيدي بعض الأشخاص، وعلى هذا فقد هرعت بعيدًا محاولةً إخفاءه بكل السبل الممكنة.

أجل! لهذا السبب كانت فيفان خائفة مذعورة طيلة الوقت! لأنها أدركت أن هناك شيئًا من الحقيقة حول تلك القصص الشائعة التي تخص هذا المكان، فلم تكن مجرد

قرية للضم أو مستعمرة لمرضى الجُذام، لكنها كانت مستشفى للأمراض العقلية والنفسية!

الفصل الرابع والثلاثون

على الرغم من تأخر الوقت يظل مُخيم نايتنجيل مُكتظًا بضباط الشرطة والمحققين، أولئك الذين يجلسون في مبنى الفنون والحرف اليدوية ويمكن رؤيتهم بكل سهولة من خلال النوافذ.

أولئك الذين قد تجدهم يثرثرون بينما يحتسون القهوة أو يدخنون السجائر أو ينتظرون الأخبار السيئة في أحد الزوايا. هرولت بجوار أحد الجنود الذي كان يقف إلى جوار كلبه البوليسي والذي رفع رأسه لحظة مروري الخاطف وحينها سألني الشرطي على الفور:

-هل تحتاجين إلى شيءٍ ما يا عزيزتي؟

-لا أحتاج شيئًا منك يا عزيزي!، قلتها له ساخرةً ثم مضيت مباشرةً نحو النُزل ووقفت هناك أمام الباب الأحمر الرئيسي دون أن أحاول التسلل أو إبقاء الأمر سِرًا، فلقد أردت حقًا أن يعرف جميع هؤلاء الأوغاد أنني هنا الآن. استمر الطرق على الباب لمدة دقيقة كاملة ثم فتح تشيت بوجهٍ مُرهق وعيون مُحتقنة بالدماء ثم دفعني وقال:

-لا يُجدر بكِ التواجد خارج غرفتك الآن يا إيما.

-لا يهمني ذلك.

-أين ميندي؟

-نائمة، أين أمك؟

ظهر صوت فراني من العدم بغتةً والتي قالت:

-أنا هنا يا عزيزتي، هل تحتاجين شيئًا ما؟

اندفعت إلى الأمام مُتقدمةً تشيت وتوجهت ناحية مدخل الزدهة حيث غرفة المعيشة بينما كانت فراني تجلس مُتلحفةً بغطائها الثقيل، وفي تلك المرة بدت لي كل هذه الأسلحة الثقيلة العتيقة والبنادق والسكاكين والرماح الطويلة المُعلقة على الجدار تحمل معنى آخر يُنذر بالشؤم.

-هذه مفاجأة سارة بالطبع، قالتها فراني مُحاولةً ادعاء خسن الضيافة ثم أضافت:

-كنت أعرف أنه يصعب عليك النوم وسط كل تلك الأجواء المؤسفة المُربكة.

-نحن بحاجة لأن نتحدث قليلًا، قلتها وقد انضم تشيت إلينا في غرفة المعيشة وحاول لمس كتفي لتوجيهي

ناحية الباب لكن فراني أشارت له أن يتوقف ثم سألتني:
-بشأن ماذا؟

-مستشفى وادي السلام للأمراض العقلية والنفسية، أعرف أنها كانت هنا على هذه الأرض كما أن فيفان كانت تعرف ذلك أيضًا!

من السهل إذن أن أعرف ما كانت تبحث عنه في تلك الأثناء، لقد استمعت لتلك القصة التي تخص بحيرة منتصف الليل من كاسي مثلي وربما في بداية الأمر اعتبرتها مجرد حكاية خرقاء من حكايات الفخيمات المعتادة لكنها لاحقًا بعد أن عثرت على الصندوق القديم إلى جوار حافة المياه والذي كان مُكتظًا بالمقصات التي كانت تصدر صوت صلصلة مثل الزجاج، ربما حينها قامت بالمزيد من البحث وفتشت النُزل ثم تسللت إلى المكتبة وفي نهاية المطاف أدركت أن تلك الحكاية اشتملت على جزء من الحقيقة، تلك التي قد تاقت إلى فضحها. أظن أنها اعتبرت نفسها إحدى أقارب النساء اللواتي كن نزيلات ذلك المكان، فقد غرقن في البحيرة تمامًا كما أختها، وعلى الجانب الآخر قد أشعرها ذلك السر بالوحدة والخوف حتى أنها قد أشارت إلى تلك النقطة في يومياتها عندما تحدثت أنه كلما عرفت ناتالي وأليسون القليل من المعلومات حول تلك المسألة كلما كان هذا أفضل بالنسبة لهن.

لم تكن فيفان قادرة على حمايتهن، فلقد استطاعت ناتالي وأليسون التمكن من قراءة الكثير من دفتر يومياتها، وعلى الرغم من ذلك فقد حاولت فيفان حمايتي. إنني أتفهم الآن كل ما فعلته في السابق، فلقد تعمدت معاملتي على نحوٍ سيء ليس بدافع القسوة ولكن بدافع الرحمة! كانت تلك هي طريقتها الخاصة لحمايتي من ذلك الخطر المُحدق. لقد أجبرتني على كراهيتها لتحقيق غايتها تلك، ويمكنني الاعتراف أنها نجحت في ذلك بكل براعة!

-لم تُخبر فيفان أحدًا بهذا سوى ناتالي وأليسون وقد اختفوا جميعًا لاحقًا! وفي الواقع أشك أن تلك مجرد مصادفة، قلتها بينما حاولت فراني مد يدها للإمساك بكوب الشاي الموضوع أمامها على الطاولة ثم ارتجفت بغتةً ولم تحتس منه شيئًا على الإطلاق بعد أن ظهرت على ملامحها علامات الارتباك.

-في الواقع لا أفهم ما الذي تُريدين أن أقوله.

-يُمكنك إخباري بما حدث لهذه المستشفى المخصصة للأمراض العقلية والنفسية! أعرف أن هناك خطباً ما، أليس هذا أمرًا صحيحًا؟ أعرف أولئك الفتيات اللواتي عانين الأمرين هنا من قبل أيضًا.

حاولت فراني دون جدوى إحكام غطائها الثقيل حولها كما أن يدها بدأت ترتجف على نحوٍ ملحوظ بينما نبضت عروق يديها بشدة وفقدت السيطرة على نفسها ثم أفلتت قبضتها حول الغطاء وسقط الأخير أرضًا وحينها هرع تشيت ووضعه مُجددًا حول كتفيها ثم قال:

-هذا يكفي يا إيما، من المفترض أن تعودي إلى غرفتك الآن!

تجاهلته وقلت:

-أعرف أن أولئك الفتيات حقيقيات، لقد رأيت صورهن، قلتها ثم اندفعت مباشرةً ناحية المكتبة وبدأت أفتش في الدرج السفلي ثم فتحته ورأيت ذلك الصندوق الخشبي المألوف حيث تركته في نفس المكان.

قمت بفتحه وأمسكت بحفنة من الصور وأعطيتهم لفراني حيث شرعت في تأمل وجوه السيدات وكذلك تشيت.

-لقد قام تشارلز كاتلر بقص شعرهن وباعه لاحقًا ثم اختفت كل واحدة منهن بعدها في ظروفٍ غامضة.

تحول تعبير وجه فراني من الخوف والذعر إلى الشفقة قالت:

-يا إلهي! ها أنا أتفهم الآن سبب توترك وقلقك السابق يا عزيزتي المسكينة إيما.

-فقط أخبريني ماذا حدث لهن!

-لا شيء على الإطلاق.

ها أنا أتأمل وجهها لأرى إن كانت هناك أية علامات توحي بالكذب لكني لا أجد أياً منها.

-لا أفهم ذلك، قلتها وحينها سمعت صوت لوتي قادمة من الخلف.

-أعتقد أنه يتعين عليَ أن أشرح لك ذلك، قالتها وهرعت نحوي مرتدية قميص النوم فوق عباءة من الصوف ممسكةً

بكوب من القهوة بين يديها.

-أعتقد أن هذا أفضل، قالتها فراني بنبرة تأييد.

جلست لوتي بالقرب من فراني ومدت يدها صوب الصندوق الخشبي وقالت:

-يبدو لي يا إيما أنك لا تعرفين اسمي الحقيقي.

-أليس لوتي؟

-لا يا عزيزتي، لوتي مجرد اسم اختارته لي فراني عندما كنت فتاةً صغيرة، إن اسمي الحقيقي هو تشارلوت. لقد تمت تسميتي به تيمنًا باسم جدي الأكبر الدكتور تشارلز كالترا!

لقد تعثرت لوهلة ثم شعرت بكاملِ الارتباك.

-كانت أمه مريضة عقليًا وقد شاهد جدي تشارلز ما الذي فعله بها الجنون لذا قرر منذ تلك اللحظة أن يكرس حياته كلها لمساعدة الأخريات اللواتي يعانين من نفس المرض، وقد بدأ ذلك في مدينة نيويورك والتي كانت مكانًا مُريعًا وقد تم إجبار النساء هناك على تحمل ظروف بشعة ولم يشعرن بأي تحسن، لكنهن عانين أكثر، وعلى هذا فقد جاءته فكرة تأسيس مستشفى للأمراض العقلية والنفسية على أرض كبيرة كان يملكها جد جدي الأكبر حتى تكون ملجأ للعشرات من النساء اللواتي يعانين من مرضٍ عقلي، وقد اختار تشارلز الحالات الأكثر سوءًا من بين مرضاه اللواتي كن يمكثن في تلك المستشفى القذرة المزدحمة من الفقيرات غير القادرات على دفع المال المناسب للحصول علي رعاية صحية مُناسبة، أولئك ممن ليس لديهن عائلة أو أصدقاء.

عبثت لوتي ببعض محتويات الصندوق الخشبي ثم ابتسمت للصور الفوتوغرافية الموجودة كما لو كانت وجوه أصدقائها والتقطت واحدة من تلك الصور التي تم التدوين فوقها باللون الأحمر الأيرلندي ثم واصلت حديثها قائلةً:

-لقد شهد الوضع معاناة منذ البداية حتى أنه حاول بمساعدة زوجته كذلك من إجابة كافة متطلبات المكان ولم يكن هناك سواهم وكانوا بحاجة للمزيد من المال والطعام والثياب والدواء للمرضى، وفي تلك الأثناء خطرت على بال جدي تلك الفكرة أن يقوم ببيع شعر مرضاه من أجل سد نفقاتهم-بعد الحصول على موافقتهم

بالطبع- وقد حافظت تلك الخطة على مواصلة سير الأمور لعامٍ آخر فقط ولكن تشارلز كان يعرف جيدًا أنه سيضطر إلى إغلاق مشروعه النبيل في القريب العاجل، قالتها لوتي ثم أمسكت بصور النزيلات لوسيل تواني وهنيرتا جولدن وواصلت حديثها قائلةً:

-لكنه كان رجلًا ذكيًا يا إيما، فلقد رأى فرصة ما خلال فشله هذا، فقد عرف صديق قديم كان يبحث عن قطعة أرض كبيرة ليقوم بشرائها، ذلك الرجل الثري الحطاب السيد بوكانان هاريس، وقد عرض جدي بيع الأرض لقاء مبلغ مُنخفض إذا منحه السيد هاريس منصباً وظيفياً في شركته، وقد كانت تلك هي بداية علاقة العائلتين والتي استمرت حتى يومنا هذا.

-ولكن ما الذي حدث لمستشفى وادي السلام للأمراض العقلية؟

-ظلت المستشفى مفتوحة حتى تلك اللحظة التي تأهب فيها جدي لبناء السد من أجل حفر البحيرة، قالتها فراني ثم أردفت:

-تمكن تشارلز كالتر خلال ذلك الوقت من إيجاد أماكن أخرى لأولئك النساء بعيدًا عن تلك المصحات الوحشية بالطبع، لقد حرص جدي على بذل قصارى جهده من أجل ذلك، لقد كان رجلًا جيدًا يا ايما، لقد اعتنى بشدة بأولئك النساء ولهذا السبب لازلت أحتفظ بصورهن الفوتوغرافية حتى الآن، فهم ملكية عائلتي الأكثر رفعة وإنجازًا.

نظرت إليها على استحياء فلم أكن أشعر بالتوازن ولم تدعمني قدمي وشعرت بالخدر يتدفق في أنحاء جسدي وعلى الرغم من كل ذلك إلا أنني ركزت على معرفة سر فراني الأسود دون أن أفكر ولو للحظة أن فيفان كانت مخطئة.

-وهل لهذا أية علاقة بحادث اختفاء فيفان والفتيات الأخريات؟

-ليس له أية علاقة على الإطلاق، قالتها فراني.

-ولماذا إذًا أبقيتم الأمر سرًا؟

-نحن لم نفعل ذلك، فالأمر ليس سرًا على الإطلاق لكنه جزء من التاريخ القديم فحسب!، قالتها لوتي.

-في الواقع نحن نعرف قصص المخيمين حول بحيرة

منتصف الليل وكل تلك اللعنات والقرويين الغرقى والأشباح فالناس تُفضل ذلك النوع من القصص عن الحقيقة، فإذا أرادت فيفان أن تعرف المزيد عن ذلك فكل ما هي بحاجته أن تسأل أكثر.

أومأت برأسي شاعرةً بالهزيمة بغتةً، ها هو نفس الشعور السيء الذي باغتني قبيل مغادرة فيفان الغرفة عندما قامت بتوبيخي يُعاودني من جديد. ها أنا أشير بإصبع الاتهام هذه المرة باتجاه أحد أفراد عائلة هاريس متهمة إياه بفعل مُشين إجرامي.

-أنا آسفة، قلتها وأنا أعرف جيدًا أن الاعتذار البسيط ليس كافيًا على الإطلاق.

-سأمضي الآن.

-انتظري يا إيما، بمقدورك البقاء هنا قليلًا وتناول بعض الشاي حتى تشعري بالتحسن.

ها أنا أتوجه إلى خارج الغرفة من دون أن أسمح لنفسي بتقبل المزيد من العطف والشفقة ثم أجدني أركض بكل سرعة إلى الخارج، أركض من دون توقُف ثم أغلق الباب خلفي وأواصل الركض على هذا النحو حتى أصل إلى مقر مبنى الفنون والحرف اليدوية متجاوزةً غلالة الظلام والغُرف الساكنة.

كنت أركض وأنتحب في آن واحد طيلة رحلتي إلى منطقة أكشاك الاستحمام، لكني تظاهرت بغير ذلك ، لم أكن أود القول أن دموعي كانت دليلًا على الخزي والعار، لكني توقفت فجأة عندما رأيت إحدى الفتيات تقف خارج كُشك الاستحمام. لقد جذب سكونها الشديد اهتمامي ووقفت جامدةً أراقب ثوبها الأبيض الذي كان يتوهج في ظل ضوء الغسق. إنها فيفان. لقد كانت تقف وسط الغابات متأهبةً لغزو الفخيم على بعد أقدام بسيطة من خط نهاية الأشجار وظهور العشب. لم تتفوه فيفان بأي شيء لكنها حدقت في وجهي. في الواقع لست متفاجئة أبدًا لرؤيتها، تحديدًا بعد كل ما صادفته اليوم، لقد كنت أتوقع ذلك اللقاء ولهذا فإنني لم أمد يدي حتى للبحث عن السوار الخاص بي فأنا أعرف أنه لم يعد موجودًا قدر علمي أن لقاءنا هذا لا مفر منه على الإطلاق.

ها أنا أواصل السير من دون أن أنبس ببنت شفة، وها هي

فيفان تواصل الفضي قُدمًا نحو أعماق الغابة بينما تتدلى أكمام فستانها الأبيض وأطرافه إلى الأسفل متشابكةً بأوراق الشجيرات من حولها. ها أنا أمضي بدوري ناحيتها وليس بعيدًا عنها مأخوذةً بظهورها الفباغت. ها أنا أتوجه ناحية تلك الاستراحة التي تبتعد قليلًا عن المخيم، هناك حيث ما من نقطة للرجوع، وإذا بي أشعر بأوراق الشجر أسفل قدمي وأهيم على وجهي حتى تصفعني إحدى الأغصان القريبة وكأنها إصبع ساحرة ما فأشعر بألمٍ رهيب يسكن فروة رأسي على أثرها لكنني أواصل المشي مُخبرةً نفسي أن هذا ما يتوجب عليّ القيام به، فهذا أمر طبيعي جدًا.

-لا، لن أفقد عقلي، لن أفقد عقلي، أكررها هامسة.

لكنني أفقده بالفعل!

الفصل الخامس والثلاثون

لحقت بفيفان حتى حديقة المنحوتات، هناك حيث جلست على نفس المقعد الذي كانت فراني تجلس عليه منذ أيام قليلة. ها هي التماثيل من حولنا تُحدق في وجوهنا بأعينٍ فارغة.

-لم أرك منذ وقتٍ طويل يا إيما، قالتها فيفان بينما تقدمت بحذر لأقف بين تمثالين وحينها واصلت قولها:

-هل تفتقدين وجودي؟

ها أنا أحاول السيطرة على نفسي وأجبر ذاتي على التحدث فأقول لها:

-أنت لست حقيقية كما أنك لا تملكين أية قوة أو سيطرة عليَ.

تفوهت بتلك الكلمات بصوتٍ أشبه بصوت الجرذان المذعورة التي تركض في المناطق المهجورة.

انحنت فيفان ومالت قليلًا ثم وضعت يدها حول ركبتها وأشارت بطريقة غريبة تبعد كل البُعد عن طبيعتها الخاصة وقالت:

-لماذا أنتِ هنا إذن؟ فأنا لم أطلب منك اللحاق بي، لكنك لازلتِ تركضين خلفي كجروٍ صغيرٍ ضائع!

-لماذا غدت مُجددًا، لقد كنت بخير من دونك لسنواتٍ طويلة.

-هل تقصدين أنك كنت تبلين حسنًا عندما عكفت على رسم ملامحنا ثم تغطيتها مرارًا وتكرارًا؟ هل هذا هو التحسن الذي تُشيرين إليه؟ حسنًا دعيني أخبرك يا عزيزتي إن هذا ليس أمرًا جيدًا على الإطلاق، يكفي أننا اختفينا مرة فلم يعد هناك سبب لفعلها مُجددًا!

-لم أعد أقوم بذلك بعد الآن، لقد توقفت، قلتها.

-لقد توقفت مؤقتًا فحسب!، هناك فارق كبير بين الأمرين، قالتها فيفان.

-ألهذا السبب أنت هنا الآن لأنني توقفت عن رسمك؟

لقد أدركت لتوي أنني حرصت طيلة تلك السنوات على سجنهن بداخل لوحاتي. أجل لقد اعتدت رسمهن ثم تغطية ملامحهن الواحدة تلو الأخرى، ومنذ أن أقسمت أنني لن أفعل ذلك مُجددًا ظهرت لي فيفان مرة أخرى وكأنها تطلب

اهتمامي.

-الأمر لا علاقة له بي، إنه يخصك وحدك يا عزيزتي، قالتها فيفان.

-لماذا أراك وحدك ولا أرى ناتالي وأليسون مثلك؟

ضحكت فيفان ثم قالت:

-بربك يا ايما فأنت لا تعرفين أليسون وناتالي جيدًا.

-هذا غير صحيح.

-أنت لا تعرفينهن جيدًا، قالتها فيفان ثم نهضت واقتربت مني حتى أنني اعتقدت أنها ستلمسني لكنها بدلًا من ذلك مضت قدمًا ناحية التماثيل وشرعت في تحسسها وكأنها أشخاص تعرفهم.

-أعرفهن جيدًا تمامًا كما أعرفك!

-حقًا؟

-هل تحدثت إليهن يومًا؟ هل تحدثت مع أي واحدة منهن؟

-أجل، لقد فعلت ذلك، قلتها إلا أنني عندما بدأت في التفتيش بداخل ذاكرتي لم أجد شاهدًا على حدوث ذلك.

-حسنًا، فكري مليًا في هذا الأمر وستتأكدين أنك لم تتحدثي إليهن يومًا ما دمت لست موجودة في الجوار وإن تحدثت معهن تتحدثين عني فقط، فليس هناك شيء آخر!

إنها مُحقة بالفعل.

-لم يكن هذا خطأي، قلتها ثم أردفت:

-لقد حرصت بدورك على أن يكون الوضع على هذا النحو.

لقد كانت فيفان في الجوار دائمًا كما أنها أدارت المقصورة تمامًا بتلك الطريقة التي كانت ملكة النحل تحكم بها الخلية، ولم يكن أمامنا سوى الدوران خلفها لنلبي احتياجاتها ونستمر في الطنين والاستماع إلى شكواها وأنينها واهتماماتها.

-لهذا السبب أنت لا ترين ناتالي وأليسون الان، فأنا وحدي اللغز الذي لم تتمكني من حله!

-هل ستبتعدين عني إذا غادرت؟، سألتها بينما توقفت فيفان لبعض الوقت أمام إحدى المنحوتات التي كانت لامرأة تحمل إبريقًا فوق كتفها بينما غطت سترتها منطقة صدرها.

-في الواقع، هذا الأمر يعتمد عليك، هل تريدين أن أذهب بعيدة عنك؟

أجل، وأريدك ألا تعودي مجددًا. في الواقع لم أجرؤ على التفوه بتلك الكلمات، فلم يكن باستطاعتي فعل ذلك لذا همست بها في عقلي فقط وسط تلك الهالة من الضباب، وعلى الرغم من ذلك فقد بدا لي أن فيفان قد سمعت ما أردت قوله حيث إنها حركت شفتيها كما اعتادت وقالت:

-إن هذا يذكرني بالأيام الخوالي، فمن المؤكد أنك حققت أمنيتك الآن، أليس كذلك؟

أردت أن أهرب بعيدًا جدًا في تلك اللحظة لكني تجمدت في مكاني شاعرةً بالخدر، ذلك الشعور الذي لطالما اعتدت عليه في السابق. لم أستطع الهرب فقد كبلني الشعور بالذنب، ذلك الذي كان يسكنني طيلة الخمسة عشر عاماً الماضية.

-أنا آسفة لأني قلت هذا.

هزت فيفان أكتافها ثم قالت:

-على أية حال هذا لن يغير من طبيعة الأمور بيننا.

-لقد أردت فعل الصواب.

-ألهذا السبب عدت إلى هنا مُجددًا؟ لتفعلي مثلما فعلت في السابق؟ ولكن انظري ماذا حدث إلى صديقاتك الجُدد كنتيجة لذلك!

باغتني حديثها عن الفتيات الجُدد، لقد أمضيت جزءًا من الثانية أتساءل كيف استطاعت أن تعرف بشأنهن؟ ثم أخبرت نفسي أنها ليست حقيقية، وأنها لا تملك أية سيطرة عليَ وأنني أقوى مما يعتقد الاخرين وأنني قوية إلى هذا الحد الكافي الذي يجعلني أدرك أن فيفان ليست شبحًا يُحاصرني كما أنها ليست مجرد هلاوس بصرية لكنها أنا! أجل، إنها تُشكل جزءًا من عقلي المنهك والتي تحاول بدورها مساعدتي لأعرف ما الذي يجري، وعلى هذا فقد حدقت في وجهها وقلت:

-هل تعرفين أين الفتيات الان؟ أين يمكنني العثور عليهن؟

-لا يمكنني إخبارك بذلك.

-لم لا؟

-لأنني لست حقيقية! وليس لدي سيطرة عليك! أليس

هذا شعارك؟

-فقط أخبريني.

ها هي فيفان تمضي إلى جانب التمثال الاخر وتقوم باحتضانه من الخلف ثم تقول:

-دعينا نلعب معًا يا إيما، حقيقتان وكذبة، واحد: كل شيء تودين معرفته في حوزتك بالفعل.

-فقط أخبريني أين الفتيات؟

تتحرك فيفان ناحية تمثال أخر وتنحني قليلًا ثم تواصل حديثها:

-اثنان: السؤال ليس أين يمكنك العثور عليهن ولكن أين يمكنك العثور علينا نحن الثلاث أنا وناتالي وأليسون!

-أرجوك يا فيفان.

-ثلاثة: من موقعي هذا لا يمكنني إخبارك بمكان تواجدنا، لكن يمكنني فقط أن أخبرك أنه إذا استطعت العثور علينا ربما حينها سأرحل بعيدةً عنك ولن أعود مُجددًا.

ها هي تقولها وتختفي خلف التمثال. ها أنا أنتظر عودتها مرة أخرى من الجانب الاخر، ولكن عندما مرت دقيقة من الزمن لم تظهر خلالها مشيت نحو التمثال وقلت:

-فيفان؟ فيف؟

لم يكن هناك أي رد ولا أية إشارة على وجودها في المكان لذا ركضت نحو التمثال لأتفقد الوضع ثم استرقت النظر خلف أكتافه الرخامية.

لم يكن هناك شيء ما. لقد رحلت فيفان لكن كلماتها الأخيرة ظلت تسكن مسامعي وترفرف في الفضاء تمامًا كما ضوء القمر. لقد صرحت لتوها بثلاثة عبارات، حقيقتان وكذبة، وعلى الرغم أنه لم تكن لديَ أدنى فكرة حول تصريحاتها الأولى تمامًا كما كانت طبيعة الحال مع الكثير من كلام فيفان الذي كانت تقوله عندما كانت على قيد الحياة، فمن الصعب جدًا أن أعرف الفارق بين كلامها الحقيقي والمزيف لكني أتمنى أن تكون عبارتها الأخيرة على وجه التحديد حقيقية. إنني أتمنى ذلك بشدة.

الفصل السادس والثلاثون

ها أنا أعود إلى مقصورة القرانيا بنفس الطريقة التي غادرت بها- إنني أواصل الحركة على نحوٍ مُتعرج حتى لا تلتقط لي كاميرا المراقبة أية صورة خلال رحلة عودتي إلى الغرفة. يبدو أن طائرة الهيلكوبتر على وشك المغادرة شأنها كشأن قوارب البحث الأخرى. ألقي بنظرة خاطفة على البحيرة وإذ بي لا أجدن حركة هناك، فلقد كانت فارغة تمامًا كما لو كانت مرآة سوداء تعكس ضوء النجوم، لكن كاميرا المراقبة كانت قصة أخرى، فأنا أدرك تمام الإدراك أنها لازالت في وضع المراقبة لذا أحاول التسلل خلسة والقفز عبر النافذة المفتوحة. وقد أخبرني صوت شخير ميندي أنها لازالت نائمة. كان عليَ بكل السبل تجنب سؤالها حول أين كنت وما الذي أخطط لفعله في الخطوة القادمة عندما أذهب من أجل العثور على الفتيات جميعهن. ها هي كلمات فيفات تتردد في أذني بينما أزحف ببطء أسفل مصباح طاولة العشاء. السؤال ليس أين يمكنكِ العثور عليهن، لكن السؤال الذي يجدر بكِ طرحه هو كيف يمكنكِ العثور علينا نحن!

ها أنا أتذكر أيضًا آخر كلمات ميرندا، تلك التي قالتها قبل أن أغط في سباتٍ عميق في تلك الليلة. أنا قلقة بشأن ايما! هذا القلق الذي ربما قادها للقيام برد فعلٍ ما. يا إلهي! ميرندا الفتاة الجريئة الواثقة، العاشقة الغامضة ومُحققة المستقبل، قد تبدو مثل فيفان التي قادت كذلك مجموعة أخرى من الفتيات إلى الغابات من أجل البحث عن إجاباتٍ مُحددة، وها هي فيفان الآن تقترح عليَ البُعد عنها نهائيًا فقط إذا تمكنت من معرفة ما حدث لهن.

ربما كانت مُحقة حينها، ربما تلك هي الطريقة الوحيدة التي من شأنها أن تُحررني من عقدة الذنب، ربما ليس أمامي سوى أن أعرف الحقيقة. كم أتمنى ألا تعودي مُجددًا! يا إلهي! كم أكره نفسي لقولي ذلك في تلك الليلة! لكني لم أكن أعرف أبدًا أن تلك الأمنية سوف تصبح حقيقة. لقد كانت فيفان مُحقة-أنا لم أتحدث كثيرًا مع ناتالي وأليسون- وهذا شيءٍ إضافي أندم عليه، فقد كان يتوجب عليَ أن أهتم بأمرهن أكثر وأن أعاملهن كأفراد وليس كجزء من حاشية فيفان، لكنني ممتنة على أية

حال أنهمن لم يستمعن من قبل لأحاديثي مع فيفان.
ها أنا أمشي على أطراف أصابعي بمحاذاة المقصورة باذلةً قصارى جهدي لأتجنب إحدى تلك الألواح الأرضية المتصدعة، وإذ بي بغتةً أتذكر شيئاً آخر قالته فيفان وهو أن كل شيء أود معرفته بحوزتي أصلًا! أعرف أنها تُشير إلى الخريطة، فلقد عادت برفقة الفتيات في تلك الليلة من أجل استعادة الخريطة التي رسمتها يدويًا لكنهن اكتشفن أني قمت حينها بإغلاق الباب من الداخل. لقد كانت فيفان بحاجة إليها حتى تعرف أين دفنت دفتر يومياتها. كانت لاتزال تعتقد أن هناك شيئًا مشؤومًا يخص بحيرة مُنتصف الليل ومستشفى وادي السلام للأمراض العقلية. أعتقد أنها كانت تُخطط لكشف الأمر الذي كانت تشتبه فيه بخصوص فراني وعائلة هاريس.

ها أنا أفتح صندوق خزانتي الخشبية بغتةً وأحرك مصباحي بعيدًا ثم أمد يدي للتفتيش بالداخل باحثةً عن الخريطة. إنها لم تكن هناك، من المؤكد أن الفتيات أخذوها برفقتهن. تلك الفكرة تُعزز نظريتي المفترضة، ها أنا أشعر ببعض الأمل، لقد كنت مُحقة ولم يتأخر الوقت بعد. ها هي ميندي على الجانب الآخر تغط في سُباتٍ عميق، وها أنا أنظر مُجددًا من النافذة وإذ بي أرى حافة مياه البحيرة وصف الأشجار ورصيف الميناء وأكوام القوارب المطاطية وفي الأعلى تلك المنحدرات الغشبية والنُزل القاتم الضخم و إحدى النوافذ المضاءة تلك الوحيدة التي تقع في الطابق الثاني وتُطل على البحيرة.

بعد مرور خمس دقائق أخرى، انطلقت إلى الخارج حيث القارب الموضوع بداخل البحيرة وبدأت في التجديف بضرباتٍ قوية مُحددة آملةً ألا تراني الطائرة الهيلكوبتر أو أي من قوارب البحث. كان هاتفي بداخل جيب معطفي كما أني كنت قد ضبطته على تطبيق البوصلة. حدقت فيه في كل ثانية زمنية وحاولت أن أبقى في المسار الصحيح وتأكدت أنني أسبح في الاتجاه الصحيح، لقد عرفت أنني كدت اقترب من الشاطئ البعيد عندما بدأت أصوت أغصان الشجر المُحطمة تُباغتني، لقد جاءت تلك الأصوات من أسفل القارب مُباشرة. عندما قمت بإضاءة مصباحي اليدوي تمكنت من رؤية عشرات الأشجار الميتة أسفل المياه.

بدت الأغصان رمادية اللون أسفل إضاءة المصباح حتى أنها باتت أقرب إلى لون العظام، حاولت أن أضع المصباح بين رقبتي وأكتافي مُحاولةً تثبيته قدر الإمكان ثم استأنفت التجديف لأدفع بنفسي بعيدًا عن الأشجار المغمورة بالمياه، ولأنه لم يكن بمقدوري تجنب الأشجار من دون الاصطدام بها فقد خفف ذلك بدوره من حدة الأثر واستمر الحال على هذا المنوال حتى تجاوزت الأشجار في نهاية المطاف حتى بت أكثر اقترابًا من الجانب الآخر للبحيرة كما أن ضوء المصباح أغرق الشاطئ وأضاء أشجار الصنوبر كما أنه كان هناك عدد من الأيائل التي وقفت عند منطقة حافة المياه لبضع ثوان ثم ركضت على الفور، قمت بتوجيه دفه القارب إلى اليسار بمحاذاة الشاطئ، وقد جذب الضوء المزيد من الأشجار والبعوض ورفرفة أجنحة البومة ثم أضاء هيكل خشبي مُتعفن لا أمل في اصلاحه.

إنها الشرفة المطلة على الحديقة.

ها أنا أوجه القارب ناحية الشاطئ ثم أقفز إلى الخارج بينما لازال يتأرجح في الأرجاء ثم أخرج هاتفي المحمول أضعه في جيب معطفي الخلفي وأبدأ في السير اهتداءً بضوء المصباح اليدوي. ها أنا أتنفس بغمق مُحاولةً التركيز فيما أنا بصدد فعله، باذلةً قصارى جهدي لأن أتذكر رحلتي برفقة فيفان عندما جئنا إلى هنا منذ خمسة عشر عامًا، أحاول أن اتذكر موضع علامة الخطأ التي قامت فيفان برسمها في خريطتها اليدوية. ها أنا أفتش على الأرض باحثةً عن آثار أقدامنا، كل ما أراه هو الوحل الجاف وأغصان الصنوبر وأوراق الأشجار الميتة، لكن ثمة شيء آخر يظهر بغتةً من العدم كما يتوهج بالألوان الصفراء والزرقاء والحمراء.

عندما اقتربت وجدت صفحة مُلونة من كتاب «كابتن أمريكا»، لقد كانت تُقاوم وسط عدد من التحديات فثمة صخرة في الأعلى أبقتها في مكانها. ها أنا أدرك أن الفتيات كن هنا بالفعل كما أنهن لم يتركن تلك الورقة خلفهن من دون جدوى ولكنهن فعلن ذلك عن عمد حتى تكون دليل إرشادي خلال رحلة عودتهن إلى البحيرة والقارب. مشيت في هذا الاتجاه مُحكمةً قبضتي على المصباح اليدوي وتوجهت إلى غمق الغابات كما فعلت الكثير من الفتيات من قبلي.

الفصل السابع والثلاثون

لم تكن الغابة ليلًا ساكنة على الإطلاق، بل كانت أبعد ما تكون عن ذلك، فكلما مضيت قدمًا على نحوٍ أكثر عمقًا إلى الداخل بدا لي صوت صرصور الليل والضفادع أكثر اقترابًا من دوي طيور الليل الهائمة على غير هدى بين أشجار الصنوبر. خشيت أن أفقد القدرة على سماعٍ أية أصواتٍ أخرى كما أنني بذلت قصارى جهدي حتى أحذر السقوط في المنحدرات بين الشجيرات أو الارتطام بتلك الأغصان الملتوية التي تشير بأن أحدهم في الجوار.

على الرغم من أنه لم يكن هناك أية سبب يجعلني أعتقد أن هذا هو المكان الذي لحقت به الفتيات إلا أني لم أتمكن من طرد الفكرة خارج رأسي، فلقد شعرت بغتةً وكأن أحدهم كان يُراقبني لذا حاولت أن أكون حذرة وقمت بتثبيت المصباح اليدوي الخاص بي على الأرض على بُعد عدة أقدام مني ثم مررته ذهابًا وإيابًا باحثةً عن صفحة أخرى تم انتزاعها من كتاب كريستال المضور، وفجأة عثرت على ورقة منه خلف صخرة ما ووجدت واحدة أخرى على بُعد خمسين ياردة أخرى من تلك المسافة. جدير بالذكر، أنني قد تتبعت صفحات الكتاب المتناثرة هنا وهناك حتى وصلت إلى أحد المنحدرات، لقد قادني كتاب «كابتن أمريكا» إلى الأعلى. كانت هناك صفحة أخرى على قمة المنحدر والتي كشفت عن صورة لكابتن أمريكا ممسكًا بالطلقات النارية بينما كانت الجمل الحوارية المدونة أعلى رأسه تقول:

« إنني أرفض الاستسلام».

توقفت قليلًا ثم حركت المصباح اليدوي بشكلٍ دائري لأدرس جيدًا تلك الأشياء المحيطة بي ثم أضاء نوره منطقة أشجار البتولا من حولي وجعلها تتوهج باللون الأبيض بينما كانت السماء المرصعة بالنجوم إلى يميني. ها أنا الآن أقف على قمة المنحدر على بعد أقدام قليلة من البحيرة ثم أستدير إلى جهة اليسار ناحية الصخور المرتفعة حيث كانت احدى صفحات كتاب «كابتن أمريكا» وسط مجموعة من الصخور الصغيرة. ها أنا أتعثر بينها حتى أصل إلى الصخرة الضخمة، تلك التي كانت عبارة عن كتلة متراصة. ها أنا أوجه ضوء المصباح اليدوي ناحية

التل محاولةً رؤية المشهد بشكلٍ أفضل. لم يكن هناك أي أثر للفتيات كما أنه لم يعد هناك أيضًا أي وجود لصفحات رواية كابتن أمريكا المصورة، لم يكن هناك سوى المزيد والمزيد من الصخور وأوراق الشجر المدببة الحادة.

امتدت الغابة أمامي لذا أغمضت عيني نهائيًا حتى أتمكن من إصاخة السمع، وحينها فقط سمعت شيئًا ما يدوي في أرجاء المكان، وعلى هذا بدأت أهتف قائلةً:

-يا فتيات؟

تردد صدى صوتي في المكان بأسره ثم قلت:

-هل أنتن هنا؟

هدأ ضجيج الغابات تدريجيًا ثم ركضت إحدى حيوانات الليل المخيفة بكل سرعتها إلى جواري، وفي تلك اللحظة الساكنة على وجه التحديد سمعت إحداهن تقول:

-إيما؟

لقد كان هذا هو صوت ميرندا. أعرف ذلك جيدًا. لقد بدت قريبة جدًا بشكلٍ ملحوظ.

-أجل هذه أنا، أين أنتن؟

-نحن في منزل الهوبيت.

-نحن عالقات بالداخل، قالتها كريستال كما أعتقد بينما أضافت ميرندا كلمة أخرى أخيرة بنبرة يائسة:

-أسرعي!

ها أنا أركض نحو المنزل المذكور بكل سرعة ممسكةً بالمصباح اليدوي، وإذ بي أقفز فوق جذوع الأشجار وأتفادى الصخور الكبيرة بدوري، وخلال رحلتي السريعة جدًا تلك أصطدم بغتةً بأحد أغصان الأشجار الشائكة وأهرع إلى الأمام من دون توقف ثم أزحف على يدي وقدمي، وأظل على تلك الحالة حتى أصل إلى المنحدر بينما تتشبث يدي بالأرض وترتعش قدماي أثناء محاولتي النهوض. لم يكن بمقدوري الإبطاء من سرعتي في تلك الأثناء ولا حتى عندما رأيت ذلك المبنى الحجري الهائل أمامي، وبدلًا من ذلك ركضت بشكلٍ أسرع ناحية المخزن الأرضي، وعندما وصلت إلى البقعة تحديدًا أدركت أن أحدهم قام باحتجاز الفتيات بالداخل كما أنه وضع صخرة ضخمة مرتفعة أمام الباب لمساعدته على إنجاز المهمة بنجاح.

ها أنا أسمع صوت صراخ مدو فجأة مرة أخرى بعد أن اهتز الباب قليلًا.

-هل أنت هنا الآن؟، هتفت ميرندا متسائلة ثم أضافت:

-نحن نريد أن نخرج من هذا المكان اللعين!

-حسنًا، في الحال، قلتها بينما واصلت طرق الباب كاشفةً عن وجودي قبل أن أقوم بدفعه بكل قوة، وإذ بي فجأة أرى أحد صدوع الباب نفسه والتي سمحت لي برؤية وجه ميرندا خلف تلك الصخرة السميكة الهائلة.

ثمة رائحة كريهة لا تُطاق تفوح من الداخل والتي كانت مزيجًا من الأرض الرطبة والعرق والبول، كل تلك الأشياء البغيضة التي جعلتني أشعر بتوعك معدتي بغتةً. ها أنا أرى عين ميرندا المحتقنة بالدماء وأنفها المخضبة باللون الأحمر وشفتها التي تحاول عبثًا استنشاق المزيد من الهواء النقي.

-ساعدينا من فضلك، قالتها ميرندا بأنفاس لاهثة ثم حاولت مرة أخرى هز ذلك الباب الضخم.

-لماذا لا تقومين بفتحه؟

-لا زال مغلقًا بإحكام، ولكني أعمل على ذلك، كيف حال كريستال وساشا؟

-بأسوأ حال! جميعنا كذلك، أرجوك فقط دعينا نخرج من هنا!

-حسنًا، في الحال، أعدك، قلتها ثم زحفت أرضًا واضعة راحة يدي فوق الصخرة محاولةً دفعها بكل ما أوتيت من قوة لكنها كانت ثقيلة جدًا فلم يكن باستطاعتي تحريكها من مكانها قيد أنملة. لكني حاولت مجددًا ضاغطةً على أسناني هذه المرة باذلةً الكثير من الجهد ثم استخدمت المصباح اليدوي وبدأت في استكشاف المكان من حولي باحثةً عن أي شيء بمقدوره المساعدة.

ها أنا أمسك بصخرة مستديرة والتي سقطت من ذلك الجدار الضخم المتهالك ثم تقع عيني فجأة على أحد أغصان الشجر على الأرض والتي كانت نفس طولي تقريبًا كما أنها بدت قوية ومتماسكة إلى هذا الحد الذي يسمح لي باستخدامها كرافعة كما أتمنى. قمت بدفع طرفها الأخير أسفل الصخرة حيث يمكنني الذهاب إلى هناك والإمساك بها والدفع نحو الأسفل، ولقد نجحت تلك الحيلة بالفعل

وبدأت الصخرة تتدحرج قليلًا، وها أنا أسقط الغصن من يدي وأهرع ناحية الصخرة الضخمة دافعةً بها مُجددًا. استمر الحال على هذا المنوال حتى انفتح الباب ثم هتفت قائلةً:

-الوضع آمن الآن!

هرعت الفتيات إلى الخارج بوجوهٍ مُبللة بالعرق والقذارة، كن يتحرقن شوقًا لاستنشاق الهواء وحاولن التمدد لبعض الوقت وتأملن السماء بعيونٍ مذهولة بينما كانت ساشا تنظر إليها بعيون نصف مُغمضة بعد أن فقدت نظارتها كما أن أنفها بدا مُتورمًا مُخضبًا باللون الأرجواني.

كانت وجنتاها مُغطاة بالبُقع الصدئة التي انتشرت من أنفها حتى رقبتها. عندما تأملتها جيدًا وجدتها دماءً جافة.

-هل حقًا نحن في المساء الآن؟، قالتها بنبرة ساخرة غير مُصدقة لما يدور حولها بينما بدت ملامح الصدمة والجوع والجفاف على وجهها، وبدلًا من أن أقوم باحتضانها مررت يدي أعلى وأسفل ذراعها من أجل تفقد الجروح والإصابات، وحينها شعرت بالغباء الشديد لأني لم أجلب الطعام معي كما أني لم أحضِر الماء أو حتى حقيبة الإسعافات الأولية، فكل ما قمت به أني جففت تلك الدماء التي تُقطر من وجه ساشا بأكمام قميصي.

-منذ متى ونحن هنا؟، سألت ميرندا ثم ألقت بنفسها على الأرض في ارتياحٍ مُباغت ثم أضافت:

-لقد فرغت بطارية هاتفي منذ مُنتصف النهار أي منذ يوم كامل تقريبًا.

عندما سمعت كريستال تلك الكلمات ارتجفت قدمها على نحوٍ ملحوظ ثم تعثرت قليلًا وقالت:

-اللعنة!

-أخبروني ما الذي حدث منذ تلك اللحظة التي غادرتم فيها المقصورة؟، سألت على الفور.

-لقد جئنا إلى هنا من أجل العثور على أصدقائك، كانت تلك هي فكرة ميرندا، قالتها كريستال.

نهضت ميرندا شاعرةً بالمزيد من الخزي والخجل وقالت:

-لقد أردت فقط تقديم المساعدة، فلقد كنت مُضطربة ليلة أمس وحينها عرفت أن كل ما تريدينه هو معرفة ما حدث هنا منذ خمسة عشر عامًا، وبناءً على ذلك عثرت على دفتر

يوميات صديقتك، لقد فكرت أنه ربما تكون هناك بعض الأدلة والقرائن.

-ولماذا لم تخبريني بذلك؟

-لأنك لم تكوني لتسمحي لنا بالمجيء إلى هنا بمفردنا!

أنهيت تجفيف تلك الدماء المنتشرة بوجه ساشا والتي تركت بدورها بقعًا سوداء على قميصي ثم قلت:

-وماذا حدث بعد قدومكن إلى هنا؟

-هاجمنا أحدهم! قالتها ميرندا ثم انهمرت الدموع من وجهها المتعب.

-من قام بذلك؟

-لم نتمكن من النظر إلى وجهه، فلقد كانت ميرندا بالداخل برفقة كريستال بينما بقيت في الخارج، قالتها ساشا ثم أشارت ناحية المخزن الأرضي وأردفت:

-وفجأة ظهر شخص ما من العدم!

انتحبت قليلًا ثم تحدثت بوتيرة سريعة جدّا مُضيفةً:

-لقد قاموا بضربي وحينها سقطت نظارتي أرضًا ولم أتمكن من رؤيتهم ثم دفعوا بي إلى الداخل وقاموا بإغلاق الباب.

لقد لحق بهن شخص ما إلى هنا ثم قام بمهاجمتهن وحبسهن بدلًا من قتلهن، لكن الأمر يبدو غير منطقي بعض الشيء فلماذا إذن تركهن ذلك الشخص على قيد الحياة حتى الآن؟ ربما هذا يعني عودته في أي لحظة الآن! ها هو الخوف يلدغني بغتةً فإذ بي أخرج هاتفي المحمول مُحاولةً الاتصال بالشرطة إلا أنني لا أجد إشارة وهذا بدوره يفسر سبب عدم اتصال ميرندا بأحدهم قبل أن يتم احتجازها هنا.

-نحن بحاجة للذهاب الآن، أعرف أنكن مُتعبات جدّا ولكن يتعين علينا فعل ذلك. هل بمقدوركن الركض؟

نهضت ميرندا على الفور ورمقتني بنظرة قلقة ثم قالت:

-ولماذا نحن بحاجة إلى الركض؟

-لأننا جميعًا في خطر الآن.

ثمة ضوء قوي قادم من أحد تلك المصابيح اليدوية يومض بغتةً. لا يمكنني فتح عيني لأعرف مصدر الضوء واتجاهه. لقد أصابني بالعمى المؤقت ثم وضعت يدي فوق

عيني لاحقًا مُحاولة حمايتها من الوميض وحينها لمحت شخصاً ما طويل مفتول العضلات يُمسك بمصباح في يده.
إنه ثيو الذي اقترب منا عدة خطوات وقال:
-ايما؟ ما الذي تفعلينه هنا؟

الفصل الثامن والثلاثون

أشعرتني رؤية ثيو المفاجئة بهزة عنيفة حيث كانت الأرض ترتعش أسفل قدمي وربما أنا من كنت أرتجف بشدة من دون توقف. لقد شعرت وكأني فقدت تماماً السيطرة على جسدي، وفكرت أن وجوده هنا الآن لا يمكن أن يكون مجرد مصادفة، إنه هنا لسبب ما.

-ما الذي يحدث؟، سألني.

-كنت لأسألك نفس الشيء، على الرغم من أني أعرف سبب وجودك!، قلتها شاعرةً بغصة في حلقي.

أجل! لقد جاء خصيصاً من أجل الفتيات بعد أن هاجمهن واحتجزهن بداخل المنزل ثم انتظر حتى جوف الليل وعاد مرة أخرى. ها أنا أفكر الآن في تلك الأحداث التي اشتبهت في حدوثها منذ خمسة عشر عاماً. أجل! فربما يكون اتهامي له صحيحاً، فالحقيقة دائماً تتخفى في رداء الكذب!

إنني أكره التفكير في الأمر على ذلك النحو. أكره الاشتباه في جميع مَن يتواجدون بمخيم نايتنجيل ولطالما تمنيت حقاً أن يكون ثيو البريء الوحيد! لكن ها هو الشك لا يكف عن اللحاق بي حتى أنه خرج تماماً عن السيطرة كما حال جسدي المرتجف إرهاقاً وذعراً. ها أنا أنحرف باتجاه الفتيات الثلاث محاولةً حمايتهن من ثيو بصرف النظر عما سيحاول فعله لاحقاً ثم لوحت بسوار مصباحي اليدوي متأهبةً لاستخدامه كسلاح إذا أدى الأمر إلى ذلك كما أنني تمنيت سراً ألا تتطور الأمور إلى هذا الحد.

-هناك قارب على الجانب الآخر للشاطئ الذي جئنا به معاً في ذلك اليوم يا ميرندا خذي الفتيات واذهبن إلى هناك على الفور، وإذا واجهت ساشا أية مشكلة بإمكانك حملها، هل يمكنك ذلك؟، قلتها بصوت هادئ.

-لماذا؟ ما الذي يحدث؟، سألتني ميرندا.

-فقط أجيبي على سؤالي، هل بإمكانك ذلك أم لا؟

-أجل، قالتها ميرندا بنبرة مذعورة.

-حسناً عندما تصلوا إلى القارب باشروا في التجديف على الفور في منتصف البحيرة ولا تنتظروا لحظة قدومي ولا حتى لثانية من الزمن حتى تعودوا إلى المخيم.

وجه ثيو ضوء المصباح نحوي من جديد، وقال:

-هل من الممكن يا ايما أن تبتعدي قليلًا عن الفتيات لأعرف إن كن بخير؟

تجاهلته وقلت لميرندا:

-هل فهمت ما قلته لك؟

-حسنًا هيا اذهبوا الآن بسرعة!

-أجل، قالتها مُجددًا ولكن بصرامة هذه المرة ثم ركضت بأقصى سرعة وخلفها ساشا التي كانت تُجرجر قدميها في إرهاقٍ واضح ثم لحقت بهن كريستال.

حاول ثيو إيقاف الفتيات لكني تقدمت إلى الأمام ولوحت له بسلاحي مُهددةً أن أضربه به وحينها تجمد في مكانه على بعد خطوتين مني ورفع يديه إلى الأعلى في وضعية استسلام، لم أكن أرغم في خفض المصباح، لقد أردته على تلك الوضعية لأطول فترة مُمكنة حتى تتمكن الفتيات من الهرب.

-لا تجرؤ على اللحاق بهن!، حذرته.

-أنا لا أعرف ما الذي يحدث يا إيما!

-توقف عن الكذب!

-أنت تعرف جيدًا ما الذي حدث، ما الذي خططت لفعله بأولئك الفتيات؟

اتسعت عيون ثيو وقال:

-أنا؟ ما الذي كنتِ تُخططين أنتِ لفعله بأولئك الفتيات؟ لقد كنت أراقبكِ يا ايما لحظة خروجك من النزل وعندما ركبتِ القارب وأبحرتِ.

أعرف أن تلك هي مجرد كذبة. من المفترض أن تكون كذلك.

-ولماذا لم تتصل بالشرطة إذا كنت تعتقد أنني مُذنبة؟

-لأنني كنت أتمنى أن أكون مُخطئًا.

تمامًا كما كان حالي في السابق عندما اتهمته أثناء حادث اختفاء الفتيات منذ خمسة عشر عامًا. لقد تمنيت أن أكون مُخطئة! كما أنني تحملت كل هذا الشعور بالذنب ووخز الضمير دون جدوى.

-أود أن أعرف لماذا قمت بذلك الآن ومنذ خمسة عشر عامًا؟

-أنا لم أقم...

ها أنا أرفع المصباح عاليًا، وها هو ثيو يرتجف قائلًا:

-من فضلك، دعينا نتحدث في هذا الأمر من دون ذلك المصباح.

-أعتقد أنك كنت مُعجبًا بفيفان، لقد أردتها لكنها رفضتك وحينها جن جنونك وتسببت في اختفائها وكذلك الحال بالنسبة لناتالي وأليسون.

-أنتِ مُخطئة تمامًا يا ايما بخصوص كل شيء.

تقدم ثيو نحوي، حاولت السيطرة على أعصابي حتى لا أكشف عن خوفي على الرغم من أن يدي كانت ترتعش بشكلٍ لافت.

-منذ أن أفلت بفعلتك اعتقدت أنه باستطاعتك القيام بذلك مُجددًا، وحاولت بكل السُبل أيضًا أن تجعلني أبدو كما المُذنبة، ولقد كان سوار معصمي الذي عُثِر عليه في القارب مجرد تأمين بالنسبة لك.

-أنتِ مضطربة يا إيما، قالها ثيو مُحاولًا اختيار كلماته بعناية حتى لا يقوم بإهانتي.

-أنتِ بحاجة ماسة إلى المساعدة، تعالي معي، أعدكِ لن أؤذيكِ.

تقدم ثيو نحوي أكثر، وفي تلك اللحظة عدت بدوري قليلًا إلى الوراء وقلت:

-لقد اكتفيت من كذبك!

-هذه ليست كذبة يا إيما، أنا أريد مساعدتك.

كررنا خطواتنا حيث واصل ثيو تقدمه إلى الأمام بينما عدت بدوري إلى الوراء.

-كان يتعين عليك إذن مساعدتي منذ خمسة عشر عامًا بالاعتراف أنك قمت بذلك.

فلو كان ثيو قد سلم نفسه حينها لما كنت شعرت طيلة تلك الفترة بالذنب ووخز الضمير، ربما حينها ما كنت لأرى تلك الهلاوس بخصوص الفتيات، ربما لكنت حينها إنسانة طبيعية.

-لكنك تركتني أشعر بالندم طيلة الخمسة عشر عامًا الماضية، وجعلتني ألقي باللوم على نفسي لأنني قمت باتهامك في السابق!

ها هو ثيو يتقدم مُجددًا نحوي ثم يقول:

-أنا لا ألومك أبدًا يا إيما، فهذا ليس خطأك، أنت مريضة.
ها أنا أعود إلى الوراء مرة خطوة وأهتف قائلةً:
-توقف عن قول ذلك.
-لكن هذه هي الحقيقة التي تعرفينها جيدًا يا إيما.
تقدم ثيو هذه المرة خطوتين بدلًا من خطوة واحدة، وحينها عدت إلى الوراء ثم استدرت وبدأت في الركض، وفي تلك اللحظة شرع ثيو بمطاردتي وأمسك بذراعي بالفعل في غضون ثوان معدودة ثم هزني بعنف، صرخت باكيةً عبر الغابات الداكنة الشاسعة وسمعت صدى صوتي يملأ الأرجاء ثم أخرجت المصباح اليدوي وضربت رأسه به، وعلى الرغم من أنها كانت مجرد ضربة ضعيفة إلا أنها كانت كافية ليسمح لي بالهرب ثم قمت بدفعه بقوة وحينها شعر بحالة مؤقتة من فقدان التوازن ثم ركضت مُجددًا في الاتجاه المعاكس هذه المرة في طريق العودة باتجاه البحيرة.
صرخ ثيو في الفضاء قائلًا:
-ايما! لا تفعلي!
واصلت الركض بينما كانت تتسارع نبضات قلبي حتى أن دويها كان يسكن قلب أذني، وقد حاصرتني الأشجار والصخور من كافة الاتجاهات، ومع أنني حاولت تفادي بعضها إلا أنني اصطدمت بالبعض الآخر. لم يكن بمقدوري أن أتوقف. لم يكن باستطاعتي ذلك لأن ثيو أيضًا كان يركض خلفي بكل سرعة حتى أنه كاد أن يتجاوزني، أعرف في قرارة نفسي أنك على وشك الإمساك بي لذا فإن هزيمته لم تكن مجرد خيار. كنت بحاجة لأن أختبئ.
ثمة شيء ما كان يلوح في الأفق وسط الظلام. أجل! إنها تلك الكتلة الصخرية المتراصة. ها أنا أهرع نحوها أبدأ في الانحدار حتى أصل إلى حافتها الشمالية الغربية ثم أوجه ضوء مصباحي اليدوي ناحية الجدار الصخري لأرى ذلك الصدع البارز. ها أنا أتذكر أن ذلك هو الكهف الذي زحفت إليه ميرندا يوم أن كنا معًا. ها أنا أزحف بدوري متوجهةً إلى فتحة الكهف مُسلطةً ضوء المصباح هناك. إنني أرى المزيد من الجدران الصخرية والأرضيات الموحلة القذرة بالإضافة إلى ذلك الظلام الهائل الذي يلف المكان.
ها أنا أجلس في مكاني متأملةً الكهف بينما تُباغتني

نسمة هواء باردة تجعلني أرتجف بشدة. أسمع صوت ثيو يقترب تدريجيًا. إنه يدوي في الأرجاء قادمًا من مكانٍ أكثر قُربًا.

-ايما؟ أعرف أنك هنا، هيا تعالي.

أقوم بإطفاء ضوء المصباح اليدوي ثم أضعه أرضًا ناحية معدتي ثم أعود إلى الكهف من جديد شاعرةً بالقلق من ألا أتمكن بدوري من الدخول عبر تلك الفتحة لكني تمكنت من فعلها في نهاية المطاف. ها أنا ألمح السماء تُضيء الكهف كما أنني أرى مصباح ثيو من بعيد. انه يتقدم نحو الصخرة.

أحاول جاهدةً كتم أنفاسي كلما تعمقت إلى الداخل، يجدر بي القول أيضًا إن أرضية الكهف لم تكن مستوية تمامًا كما لو كنت أمشي فوق مُنحدر زلق. أرى إحدى الأزهار المُضيئة تنمو بالقرب من فم المغارة كما أنني أسمع صوت خطوات ثيو وأنفاسه المرهقة.

-هل أنتِ هنا يا إيما؟

ها أنا أمضي قُدمًا إلى داخل الكهف آملةً أن أتمكن من الهرب بعيدًا عن ضوء مصباح ثيو اليدوي إذا قام بتوجيهه نحوي.

-من فضلك يا إيما تعالي إلى هنا، كان صوته قادمًا من أمام الكهف مُباشرةً. إنني أرى حذاءه وخطواته العازمة على المُضي قُدمًا صوب الاتجاه المُعاكس. ها أنا أواصل تقدمي إلى الأسفل على نحوٍ أسرع داعيةً الله ألا يسمع ثيو صوت حركتي تلك. إنني أصيخ السمع إلى تلك المياه التي تُقطر من جدران الكهف الصخرية وتلك الأوحال التي تتحرك بالأسفل وتلمس أصابعي.

ها أنا أنزلق إلى الأسفل شيئًا فشيئًا، فلم يعد لي خيار آخر حيث أن تلك الأوحال التي تملأ الكهف، بالإضافة إلى انحدار النفق جعلتني أبذل قصارى جهدي من أجل الحفر في الطين بركبتي وقدمي حتى أصبحت الأرض زلقة أكثر، لقد تمنيت أن تصبح حينها مثل مكابح السيارة لكن ها أنا أغوص بالأعماق على نحوٍ أكثر سرعة بعد أن فقدت السيطرة تمامًا، وقد انغمست ذقني في الوحل حتى أنها تركت أثرًا أشبه بالأخدود ثم حاولت إضاءة مصباحي اليدوي لأرى المكان من حولي وحينها باغتتني

تلك الجدران الرمادية والطين البني وغيرها من الأشياء التي كانت تحتل هذا الطريق الطويل الذي قطعته للتو ثم شعرت فجأة باختفاء الأرض من تحتي وأصبحت في منتصف الهواء ثم هبطت إلى الأسفل شاعرةً بالعجز وقلة الحيلة وقد كتم صوت صرخاتي ذلك الدوي الذي تردد في أرجاء الكهف لحظة سقوطي في بئرٍ من العدم.

الفصل التاسع والثلاثون

أسقط لتوي في المياه الجارية مأخوذة بالصدمة غير قادرة على إغلاق فمي قبل الانغماس في المياه. ها هو السائل يباغتني بالدخول بينما أشعر حينها بالاختناق بمجرد هبوطي إلى الأسفل متأرجحةً في الأعماق. ها هو ضوء مصباحي اليدوي يكشف عن أعماق المياه، فإذ بي أرى المزيد من الأوحال والقذارة وسمكة وحيدة مندفعة نحوي، وفي تلك اللحظة التي أوشك فيها على لمس القاع أدرك أنني لم أصطدم بتلك الصخرة الهائلة الصلبة التي من شأنها إنهاء حياتي كما توقعت، لكني أرتطم بخفة ببعض تلك النتوءات العابرة. إن الأمر لا يزال يشكل صدمة لجهازي العصبي. ها أنا أدفع بنفسي بعيدةً عن القاع حتى أقوم بإفراغ تلك المياه التي شرعت في دغدغة مؤخرة حلقي. إنني أسعل مرارًا لإخراجها وأواصل فعل ذلك حتى أجد نفسي على السطح ثم أتنفس على نحوٍ صحيح ببطء وسط كل هذا الظلام.

بدأت في التجديف بينما كان مصباحي يتدلى من ذراعي وقد حاولت من خلال إضاءته أن أستكشف هذا المكان المحيط بي. إنني في مغارة بنفس حجم قاعة الطعام الخاصة بمخيم نايتنجيل كما أن الضوء المتدفق عبر المياه المظلمة يكشف عن صخورٍ رطبة وبقايا التربة الجافة التي تؤطر المسبح في شكل هلال، فالمياه نفسها تستوعب حوالي نصف الكهف تقريبًا فهي ليست أكبر من مجرد مسبح خلفي، وفي تلك اللحظة التي قمت فيها بإعادة توجيه ضوء المصباح إلى الأمام تمكنت من رؤية قبة الصخرة التي تُقطر بالمزيد من الرواسب الكلسية في الأعلى. ذكرني شكل تلك المغارة أفكر بالمعدة، ربما سقطت بداخل بطن أحد الوحوش تحديدًا في تلك الهوة السحيقة بأحد الزوايا التي يلتقي فيها الجدار الصخري بسقف المغارة.

ها أنا أحرك المصباح اليدوي إلى الأعلى والأسفل محاولةً قياس ذلك العمق الذي قطعته بدوري حتى أصل إلى تلك النقطة. يبدو أن المسافة تبلغ حوالي عشرة أقدام. بدأت في السباحة إلى الأمام متجهةً نحو الأرض التي كانت تستوعب نصف المغارة تقريبًا تلك التي كانت مغطاة

بالحصى هناك والتي قمت بتسليط ضوء المصباح عليها ثم ألقيت بنفسي هنا شاعرة بالإرهاق والألم الشديد ثم مددت يدي في جيب معطفي ولحسن الحظ عثرت على هاتفي، وليس ذلك فحسب لكني وجدته لازال يعمل! شكرًا لخاصية الهواتف المضادة للماء!

لم يكن هناك أي إشارة، وفي الواقع لم أكن لأتوقع ذلك هنا تحت الأرض، ومع هذا فإنني لازلت أتصل برقم 911 الخاص بالطوارئ، ربما تحدث معجزة ما وأتمكن من التواصل معهم، لكن هذا لم يحدث، وفي الواقع، لست متفاجئة على الإطلاق. لازلت أتذكر ما قاله المحقق فلاين حول إمكانية تتبع أولئك المفقودين عبر خاصية تحديد المواقع المرتبطة بهواتفهم، ليس بيدي حيلة سوى التفكير إن كان بالإمكان تطبيق ذلك إذا فُقد أحدهم في مكانٍ ما تحت الأرض؟

أشك في احتمالية حدوث ذلك الأمر، فحتى لو كان هذا ممكنًا فإن هذا من شأنه استغراق بضع ساعات أو أيام حتى يتمكنوا من تحديد مكاني بالضبط، فإذا أردت الخروج منها يتعين عليَ إذن الاعتماد على نفسي. ها أنا أقوم بتوجيه ضوء المصباح اليدوي الخاص بي ناحية الحائط الصخري المرتفع الممتد حتى تلك الحفرة في الأعلى. فعلى الرغم من أنها لا تبدو بزاوية قائمة تسعين درجة إلا أنها تقترب من ذلك.. ها أنا أحاول تفقد المكان جيدًا قبل أن أحاول تسلقها باحثةً عن طريقة أخرى.

ها أنا أقوم بتوجيه ضوء المصباح إلى كل زاوية وكل شق أو صدع بإمكاني ايجاده، لكني لم أجد سوى مزيدًا من المياه والصخور والنهايات المسدودة. ليس أمامي سوى التسلق على الجدار الصخري، وبالفعل هرعت نحوه في يأس تام من دون أن أتوقف قليلًا لأتحقق بدوري من الأماكن التي يمكنني الإمساك بها لكني قفزت على الجدار وتشبثت بالصخرة الهائلة وبقيت هكذا معلقة على بُعد ثلاثة أقدام قبل أن أفلت يدي وأسقط مجددًا على أرض المغارة. أحاول القيام بذلك مجددًا، جدير بالذكر أنني قمت هذه المرة بالقفز على بُعد أربعة أقدام ثم سقطت على الأرض بسرعة، وحينها حاولت الاتكاء على عظم الذنب وتسبب ذلك في إحداث ألم رهيب أطاح بظهري وأشعرني بالشلل لفترةٍ مؤقتة. ها أنا أقوم بدوري بمحاولة ثالثة

بعد أن أبطأت من حركتي شيئًا فشيئًا وحاولت الإمساك بتلك النتوءات في اتجاه تسلق أعلى الصخرة، ويمكنني القول إن محاولتي نجحت تلك المرة، فقد وجدت نفسي أحلق بعيدًا إلى الأعلى على بُعد ستة أقدام أو على الأرجح سبعة.

إنني على بُعد قدم واحد من النفق الذي يقودني إلى الخارج. ها أنا أدرك بغتةً أنه ما من شيءٍ يمكنني التشبث به. أحاول مد ذراعي الأيمن بينما كانت راحة يدي تصفع إحدى تلك الصخور الملساء الزلقة. لازال ذراعي الأيسر وكتفي يحملان العبء ثم بدأت في الاستسلام بينما كان جسدي يتدلى إلى الأسفل. لثانية من الزمن يترنح جسدي عبر حائط الكهف قبل أن أتهاوى على الأرض جثةً هامدة، لقد التوى كاحلي تحتي وقبل الوصول إلى مرحلة الانبعاج تلك أعتقد أنني سمعت صوت شيء ما ينكسر بالداخل، أو ربما كانت تلك هي مخيلتي عندما كوّمني الألم على الأرض. ها أنا أصرخ أملةً للتخفيف من الضغط، لكنه لا يزال مُستمرًا، فالألم يواصل رحلته من دون توقف وكذلك الصراخ! أنظر إلى كاحلي وقدمي. يا إلهي! لقد تأذيت بشكلٍ بغيض. لن أتمكن من التسلق مُجددًا. فها أنا أدرك لتوي حقيقة كوني مُحاصرَة هنا في ذلك المكانِ المُنعزِل حيث ما من أحدٍ يعرف أين أنا. فها أنا في عداد المفقودين تمامًا كما فيفان وناتالي وأليسون.

الفصل الأربعون

انطفأ ضوء المصباح بغتةً بعد الساعة الرابعة فجرًا. لقد عرفت الوقت حينها لأني قمت بتفقد هاتفي عندما خفت وميض المصباح شيئًا فشيئًا حتى تلاشى نهائيًا. أندم على عدم النظر على الرغم من أني كنت أشعر بالراحة بسبب تأمل ذلك الوهج الأزرق الممتزج بالأبيض المنبعث من شاشة الهاتف. ها هو الوقت يواصل مروره على وتيرة موجعة كما لو كانت الدقائق هنا تمتد لفترة أطول من المعتاد. لقد بدا الحال كما لو كانت الساعة هنا في ذلك الكهف تُعادل بدورها ثلاث ساعات عادية في الخارج. أحاول الحفاظ على بطارية هاتفي قدر المستطاع، وبناء عليه أغلقه وأعيده إلى جيب سُترتي ثم أجلس لاحقًا في ظلامٍ دامس يُشبه الموت. لا يوجد أي شيء سوى الفراغ. ها أنا أرتجف مُدركةً مدى إزعاج تلك البرودة الموجودة هنا بالأسفل.

تجدر الإشارة أن بركة المياه المُتجمدة تلك لا تدعم الوضع الراهن على الإطلاق تمامًا هو الحال مع ملابسي المُبللة التي تلتصق ببشرتي الرطِبة. جسدي يرتعش وأسناني تصطك، ومع ذلك فلا شيء من هذا يمنعني من أن أغفو قليلًا بينما أجلس مُكومةً إلى جانب جدار الكهف الصخري ساحبةً ركبتي إلى صدري، فمع كل رفة جفن في ذلك الظلام البهيم أستيقظ مُجددًا بسبب تشنجات الآلام، وعلى هذا أبدأ في العواء المُربك. في الواقع لقد تجاوزت مرحلة الإرهاق إن كان هناك وصفًا يليق بذلك، فأنا لا أتذكر آخر مرة نمت فيها! أعتقد كان هذا صباح اليوم عندما استيقظت لأجد نفسي بداخل مقصورة القرانيا. ها أنا أفتح هاتفي وأبدأ في تفقد الوقت مُجددًا. إنها الرابعة والنصف! اللعنة! ها أنا أبدأ في البحث عن أية إشارة مرة أخرى إلا أنني لا أجد. اللعنة مُجددًا.

ها أنا أغلق الهاتف وأبدأ في عد الثواني بصوتٍ عالٍ يُدوي بدوره في أرجاء غرفة الصدى الكهفية تلك.

-واحد، اثنان، ثلاثة. أقولها ثم أرمش بعيني وأبقي عيني مُغلقة لبرهة ثم أواصل العد:

-أربعة، خمسة، ستة.

إنني مُرهقة جدًا غير قادرة على التحدث. ها أنا أواصل

العد بداخل رأسي:

-سبعة، ثمانية، تسعة وأنام بعد ذلك لا أعرف كم من الوقت، واستيقظت مُجددًا على موجة تالية من الألم العنيف التي هزت جسدي وبدأت أعد مُجددًا: عشرة.

تطايرت الكلمات من شفتي الجافة وفتحت عيني على آخرها وعندما حدقت رأيت فيفان أمامي بهيئتها الضبابية. كانت تستلقي على أرضية الكهف خافضةً مرفقها رافعةً رأسها. لقد اعتادت على القيام بتلك الوضعية أثناء قيامها بلعبة «حقيقتان وكذبة» حيث إنها زعمت أن وضعية الاسترخاء تلك تجعل من الصعب اكتشاف أكاذيبها.

ها أنت قد استيقظت أخيرًا!، قالتها.

-كم من الوقت نمت؟، قلتها مُحاولةً التخلص من فكرة وجودها بقوة الإرادة.

-منذ ساعة أو أكثر.

-هل كنت هنا طيلة الوقت؟

-بشكلٍ مُتقطع، أعتقد أنك تبذلين قصارى جهدك من أجل التخلص مني.

-لقد أردت ذلك بالفعل، قلتها على الفور لأنه لم يكن هناك أي مغزى من الكذب عليها. فهي ليست حقيقية على أي حال.

-حسنًا، لن يُمكنك ذلك، قالتها فيفان بينما بسطت ذراعيها بابتهاجٍ واضح.

-أعتقد أنك سعيدة الآن بتلك المفاجأة! فها أنا أصبح فتاة مفقودة أيضًا!

-هل تعتقدين أنك ستموتين هنا؟

-على الأرجح.

-هذا مُقرف، قالتها فيفان مُتنهدة.

-أعتقد أن هذا يجعلنا مُتعادلتين إذن.

-لقد أردتك أن تعودي مُجددًا، فلم أكن أقصد ما قلته، أنا آسفة جدًا أيضًا لأني أغلقت باب المقصورة من الداخل، لقد كان ذلك فعلًا مُشينًا أندم عليه في كل يوم، هذه هي الحقيقة بأكملها. ليس هناك أية أكاذيب.

-ربما كنت لأفعل الشيء ذاته، قالتها فيفان مُعترفةً ثم أردفت:

-في الواقع لهذا السبب أعجبت بك يا إيما، فكلتانا عاهرات.

-هل معنى هذا أن صداقتنا كانت لتكون قائمة لو لم تختفي تلك الليلة؟

عبثت فيفان بإحدى خصلات شعرها بإصبعها ثم فكرت قليلًا وقالت:

-ربما، كنا لنعيش بعض الأحداث المثيرة والمحزنة معًا وكذلك كنا لنتشارك الأوقات السعيدة كما أنك من المحتمل حينها أن تكوني وصيفتي في حفل الزفاف وكذلك كنت لتصبحي تلك الرفيقة التي سأحرص على احتساء النبيذ معها بعد وقوع الطلاق الحتمي.

ابتسمت فيفان بطريقتها المعهودة على ذلك النحو العطوف الطيب. هذه هي فيفان التي كنت أعتبرها أختي الكبرى. إنني أشتاق إليها الآن بشدة. إنني أتعذب من أجل فقدانها.

-ما الذي حدث لكن يا فيفان في تلك الليلة؟ هل كان ثيو من قام بذلك؟

-في الواقع لا أصدق أنك لم تكتشفي الأمر حتى الآن! لقد تركت لك العديد من الأدلة يا إيما!

-ألا يمكنك فقط إخباري فحسب؟

-لأن هذا شيء يتعين عليك اكتشافه بنفسك، فمشكلتك يا إيما أنك مشوشة بفعل أحداث الماضي على الرغم من أن كل شيء أنت بحاجة إلى معرفته أمامك بالفعل، قالتها فيفان ثم أشارت ناحية الجانب الاخر من المغارة حيث بدأ شعاع من الضوء يتسلل خلسةً حول الجدار الصخري الممتد والذي بدا متموجًا وشكل بدوره تسليطًا على قبة الكهف ومن ثم فقد جعلها تبدو فجأة كما واجهة الملهى الليلي، لقد أربكني ذلك بوضوح. ها هو الظلام قد ولى وحل محله الضوء المنتشر في كافة أرجاء الكهف بأسره والذي جاء مصدره من المسبح الواقع في منتصف المغارة لقد كان ذهبيًا ممتزجًا باللون الوردي مما جعل المياه تتوهج كما المسبح الفندقي. ها أنا أتفقد هاتفي وإذ بي أجد الساعة السادسة. موعد شروق الشمس. إن ظهور الضوء على هذا النحو يوحي بأن هناك طريقًا اخر للخروج من الكهف.

-أعتقد أنه بمقدوري الخروج من هنا يا فيفان.

لم تعد فيفان هنا وكأنها لم تكن موجودة يومًا! لكن في تلك اللحظة لم يكن هناك أي إحساس بالنسبة إليَ أنها قد تعود مجددًا، فمن المحتمل أن تكون فيفان قد ذهبت إلى الأبد. ها أنا أنهض وأعرج إلى حافة المياه. تبدو الأضواء أكثر سطوعًا من جهة اليمين. إن توهجها الواضح قد اقترح مسارًا مستقيمًا من الكهف إلى العالم الخارجي. كان على الأرجح أشبه بنفق تحت الماء يربط الكهف بالبحيرة. ها أنا أنزلق على الفور ناحية البركة لأكون في مواجهة الضوء. إنني أرى الآن دائرة متوهجة أسفل المياه والتي تُماثل نفس حجم النفق الذي دخلته للتو. فلو كان نفس عرضها مُماثلًا للطول لأمكنني السباحة إلى خارج الكهف. أقوم ببضع لفات حول المسبح، وأحاول الاسترخاء أثناء اختبار كاحلي المصاب. إنه يؤلمني بالطبع، وهذا يُقيد حركتي بطبيعة الحال. يتعين عليَ خوض تلك التجربة فليس لديَ خيار آخر.

ها أنا أحاول الاستعداد على نحوٍ سليم، أقف بمحاذاة مدخل النفق، ومع هذا يرتجف جسدي في بداية المطاف بسبب التوتر أكثر من تأثره ببرودة المياه. إنني خائفة للغاية كما أني أتوق للعثور على طريق آخر للخروج من هنا. لم يكن واحدًا فكما هو معروف إن المخرج الوحيد من مأزقٍ ما خوضه! ألتقط أنفاسي ثم أنزلق أسفل المياه مُحدقةً في تلك الهالة من الضوء الذهبي المُمتزج بالوردي وأبدأ في السباحة نحوه.

الفصل الحادي والأربعون

يتعين عليك السباحة، ها أنا أخبر نفسي.

فهذا هو كل ما أنا بحاجته الآن. أجل، يتوجب عليّ أن أسبح فقط من دون أن أحاول التفكير في مدى ألم كاحلي المصاب وإلا سأصبح حبيسة ذلك النفق ولن أتمكن من المضي إلى الأمام حتى ولو لمسافة بسيطة. يمكنني فعل أي شيء سوى السباحة الآن، ومع ذلك أعرف أنه يتحتم عليّ السباحة بكل قوة وسرعة تمامًا كما اعتدت أن أفعل. ها أنا أسبح متقدمةً إلى الأمام تمامًا كما تلك الفتاة الصغيرة في ذلك الفيلم المرعب التي جعلتني أشعر بالذعر الشديد عندما كنت في التاسعة من عمري.

عليك السباحة فقط، لا تفكري في ذلك الفيلم المخيف والمهرج وأصوات الفرقعة المنبعثة من التلفاز. ها أنا أحاول المضي قُدمًا من دون أن أفكر كيف يحجب طمي المياه رؤيتي أو كيف يلسع عيني. ها أنا أخبر نفسي مرارًا وتكرارًا. عليك السباحة الآن من دون أن تفكري في مدى ضيق النفق وكيف تحتكُ أكتافك بجدرانه الصخرية كاشطةً مجموعاتٍ من الطحالب التي تُشوش مجال الرؤية.

عليك بالسباحة فقط ولا تفكرين بتلك الطحالب أو النفق الخانق أو كيف تؤلمك قدمك اليمنى وترسل بدورها الألم الفباغت إلى كاحلك وبعيدًا عن كون القلق قد قام ببناء منطاد ضخم بداخل صدري على وشك الانفجار. ها أنا أسبح ناحية الضوء مشوشةً به لكن الوهج النوراني يجبرني على إغلاق عيني. أشعر وكأن رئتي تصرخ وكأن كاحلي يطلب النجدة. ها أنا نفسي على وشك الصراخ.

بدأ النفق في الانحسار تدريجيًا وشعرت وكأنه ينزلق بعيدًا عن أكتافي كما الثوب الفضفاض. ها أنا أفتح عيني على مشهد المياه الواسعة التي تُحيط بي من كل جانب. لم يعد هناك كهف. لم يعد هناك جدران. فقط تلك السماء المفتوحة المباركة التي تتوهج باللون الأصفر تحت تأثير ضوء الفجر الأكثر سطوعًا وإشراقًا. أتوجه إلى سطح المياه وأستنشق بعض الهواء النقي حتى تهدأ رئتي قليلًا. لازال كاحلي يؤلمني وكذلك الحال مع ذراعي الأشبه بذراعي الدمية المهترئة. ها أنا الآن أصبح أكثر عزمًا على

البقاء على قيد الحياة. ها أنا أحاول قدر الإمكان إبقاء رأسي فوق الماء، إنني قادرة حتى على العودة مُجددًا إلى الفخيم بعد الحصول على بعض الراحة.

لحسن الحظ لم يصل الأمر إلى هذا الحد. لقد بدأ الناس في البحث عني، لقد أدركت ذلك على الفور بعدما سمعت صوت محركات القوارب على مسافة بعيدة ثم استدرت لأتأمل القارب القادم، لقد كان أبيض اللون، ذلك الذي اعتاد على الرسو في رصيف مُخيم نايتنجيل مع قارب آخر. ها أنا ألمح تشيت يجلس بالقرب من مُحرك القارب ويقوم بجولة عبر البحيرة. ها أنا أرفع ذراعي ملوحةً إليه بعد أن تنفست بعض الهواء وهتفت باسمه:

-تشيت!

لمحني تشيت وأشرق وجهه بالدهشة بعد أن وجدني أتخبط هكذا على غير هُدى في البحيرة. قام على الفور بإيقاف المُحرك والإمساك بمجدافه الخشبي وتوجه نحوي.

-إيما؟ يا إلهي! لقد كنا نبحث عنك في كل مكان.

ها أنا أستأنف السباحة وأواصل التجديف ثم التقينا معًا في نهاية المطاف. أحاول الصعود إلى القارب بمساعدة تشيت. أشعر بالتعب الشديد والإرهاق وأحاول التقاط أنفاسي ثم أتحدث على عجلة بصوتٍ أقرب إلى النباح مُتسائلةً:

-هل عثرت على الفتيات؟

-أجل هذا الصباح، لقد كن جائعات ويعانين من الجفاف وعلى وجهن علامات الصدمة، لكنهم بخير على أية حال، آخر ما سمعته أن ثيو سوف يقوم باصطحابهن إلى المستشفى.

أجلس شاعرةً بالتوتر:

-هل عاد ثيو إلى المخيم؟

-أجل، قالها تشيت ثم أردف:

- لقد قال إنه عثر عليك برفقتهن وأنك قمت بمهاجمته قبل اختفائك في الغابات.

-إنه يكذب.

-هذا جنون يا إيما وأنت تعرفين ذلك، أليس صحيح؟

أواصل حديثي من دون توقف لأحرر نفسي من هذا

الجنون المفترض.

-لقد ألحق الأذى بأولئك الفتيات ولا يفترض به أن يكون بالقرب منهن، يتعين علينا الاتصال بالشرطة.

أمد يدي باحثةً عن هاتفي في جيب سترتي الذي يدهشني وجوده حتى الآن كما أن بطاريته لايزال بها جزء مُتبق. بدأت في الاتصال برقم الطوارئ 911 لكني توقفت بعدما لمحت ظلًا يحتل شاشة هاتفي والذي كان انعكاس تشيت، وحينها بدا وجهه مُشوهًا مثل مرآة مدينة الملاهي وقد كان مُمسكًا بالمجداف الخشبي وضربني به في مؤخرة رأسي. لوهلة من الزمن توقف كل شيء. قلبي. عقلي. رئتاي وأذناي وعيناي. لقد بدا الأمر كما لو أن جسدي بأكمله بحاجة إلى دقيقة ليكتشف خلالها كيف بمقدوره أن يتصرف؟!

خلال ذلك الوقت الضئيل جدًا اعتقدت أن هذا ما قد يعنيه الموت. ربما هكذا يكون وليس سُباتاً عميقاً أو الانجراف ببطء نحو الضوء الدافئ .شعرت أنه توقف مفاجيء لكن عندما عاد الألم مُجددًا أدركت أنني على قيد الحياة. فالموتى لا يشعرون بذلك الألم! آه كم أحسدهم! ذلك الألم الذي لا يُحتمل ها هو يُدغدغ جسدي بلا رحمة ويُشوش رؤيتي وعلى أثره تطن رأسي وأفتح فمي متأهبةً لقول شيء ما من فرط المفاجأة الصادمة عندما يسقط هاتفي وأنهار كُليًا في قاع المركب.

الفصل الثاني والأربعون

سقطت في قاع المركب بعد أن باغتتني ملامسة وجنتي لقشرةٍ من الألياف الزجاجية ثم استنشقت رائحة السمك العفنة البغيضة وسمعت صوت تردد صدى المياه بالأسفل. ها هو القارب الآن يتحرك ببطء. يُصدر المحرك صوت طنين أقرب إلى ضجيج الضوضاء المنفر. لا يزال رذاذ مياه البحيرة يُبلل وجهي من حينٍ إلى آخر. لقد سقطت على جانبي بينما بقي ذراعي الأيسر مثبتًا تحتي وارتعش الأيمن قليلًا. لازالت عيني اليسرى مغمضة أيضًا، فتلك هي التي سحقتها أرضية القارب بينما كان جفني الأيمن يرتجف.

أرى السماء من فوقي ترتعش تمامًا كما لو كانت فيلمًا سينمائيًا قديمًا، وبدلًا من التنفس أحاول إطلاق مجموعة من الأنفاس القصيرة السريعة جدًا وكأنني أتحرق شوقًا لاستنشاق الهواء لكنني ألتقط أنفاسي بصعوبةٍ بالغة. ها هو الألم يعود من جديد من دون أن يستهلك كل الوقت كما هي عادته. لقد استحال أقرب إلى صوت قرع الطبول المنتظم بدلًا من دوي آلات الصنوج القديمة. أدرك في تلك اللحظة أنه بمقدوري الحركة، إذا تأهبت لذلك فعلًا، وإذ بذراعي ينحني بينما تتمدد ساقي. ها أنا أحرك أصابعي متعجبةً من قيامي بذلك الإنجاز. يُجدر بي القول أيضًا إن صفاء ذهني حينها شكل لي مفاجأةً أخرى.

أعرف ما الذي يجري، فأنا لست صماء أو عمياء أو غبية. أعتقد أن تشيت قد تراجع عائدًا إلى الوراء قبل أن يقضي عليّ بالمجداف الخشبي أو أنني مجرد فتاة محظوظة جدًا، وفي كل الأحوال سأغتنم تلك الفرصة، فعندما هدأ صوت محرك القارب وفي تلك اللحظة التي أبطأ فيها القارب من حركته، انقلبت على ظهري بعد أن غمرني السرور لإدراكي أن عيني اليسرى لازالت تعمل. ها أنا أرى تشيت يقف أمامي بينما لازال ممسكًا بمجدافه الخشبي بين يديه، مع أنه حاول التبديل بين الإمساك به بإحكام والسماح له بالسقوط والإفلات من قبضته.

-في الواقع لا أصدق أبدًا أنك امتلكت الشجاعة الكافية للعودة مجددًا إلى هنا يا إيما!، قالها تشيت ثم أضاف:

-على الرغم من أنها كانت فكرتي إلا أن عودتك مرة

أخرى كانت مفاجأة حقيقية بالنسبة لي! لا تفهميني بشكل خاطئ، فأنا مسرور لعودتك ولكن لم أكن أظن أنك بهذا الغباء!

-لماذا فكرت في دعوتي إلى هنا مُجددًا؟، قلتها بفمٍ جاف مُحاولةً التقاط أنفاسي بصعوبة حتى تبدو كل كلمة أتفوه بها في غاية الوضوح.

-لأنني اعتقدت أن الأمر سيكون مُمتعًا، فقد أخبرني ثيو أنك أصبت بالجنون لفترة وكل ما أردت معرفته هو أن أرى مدى جنونك هذا، فكما تعرفين أمور مثل احتجاز بعض الطيور الصغيرة بداخل مقصورتك وطلاء كلمة كاذبة على باب الغرفة ومراقبتك من خلال النافذة وكُشك الاستحمام لم تكن بالأمور الهائلة، قالها تشيت ثم نظر إليّ مازحًا حتى أنه جعلني أشعر بغتةً بتوعك معدتي ثم أردف:

-في الواقع لم أكن أتوقع أن تلك الأمور سوف تؤثر فيك وتجعلك تركضين بعيدًا، فقد كنت أظن أن المسألة ستحتاج للكثيرِ من العمل لأجعلك تبدين مُذنبة، لكن حديثك طيلة الوقت عن رؤية فيفان جعل الجميع يراك فتاة مُحطمة.

-ولكن لماذا؟

-يرجع هذا إلى نفس السبب الذي جعلني أقوم بدعوتك إلى هنا مُجددًا وهو حادث اختفاء الفتيات المُقيمات في غرفتك منذ خمسة عشر عامًا لذا فقد أردت أن أضعك في مسرح الجريمة كما أنني أسقطت إحدى متعلقاتك الشخصية في القارب الفارغ برفقة زوجين من النظارات الطبية المكسورة، في الواقع لقد لعب سوارك السحري دورًا مثاليًا في تلك المسألة، لقد كنت أعرف ذلك منذ تلك اللحظة التي أخذته فيها من معصمك عندما كنت بداخل النُزل، قالها تشيت ثم رمقني بابتسامة مُخيفة أشبه بابتسامة شخص مجنون حتى أنه بدا أكثر ارتيابًا من حالة الجنون التي كنت عليها منذ سنوات.

-لاحقًا قمت بحذف جميع فيديوهات المُراقبة التي أظهر فيها بالقرب من مقصورتك وتركت فقط ذلك الفيديو الذي يخص رحيلك من مقصورة القرانيا بالأمس وقمت بتغيير اسم الملف، وإليك أيضًا هذا السر الصغير يا إيما، لم تتسلل الفتيات من الغرفة قبل استيقاظك بخمسة دقائق، ولكن

كان ذلك قبله بساعة كاملة على الأقل!

ها أنا أنهض مستخدمة مرفقي للدعم ثم ارتعش بدني لوهلة قبل أن أقوم بتشبيك ذراعي ولملمة شتات نفسي. كان لتلك الحركة الصغيرة أبلغ الأثر على نفسي حيث إنها منحتني دافعًا قويًا للغاية وشعرت لتوي بالاستفاقة فإذ بي أتحدث إليه بصوتٍ أكثر قوة قائلة:

-في الواقع لا أفهم سبب قيامك بكل هذا الجهد!

-لأنك دمرت حياتنا يا إيما، قالها تشيت بنبرةٍ تذمر واضحة وواصل:

-تحديدًا ثيو، فلقد حاول قتل نفسه مرارًا وتكرارًا، لقد ألحقت به كل الأذى باتهامك له وهذا من شأنه دمر شمعته وقضى على شمعتنا جميعًا! فعندما ذهبت بعد ذلك إلى جامعة يال رفض التحدث إليّ نصف الطلاب تقريبًا حينها لأنهم كانوا ينظرون إليّ على أنني شقيق أحد المجرمين الفارين من العدالة لأننا عائلة فاحشة الثراء! على الرغم من أننا لسنا كذلك، فلم يعد لدينا سوى شقة أمي وتلك البحيرة المهجورة البائسة.

على الرغم من أن رأسي كان يطن بالألم إلا أنني فهمت مبرر كل ذلك في نهاية المطاف، فهذا مجرد انتقام! أجل، إنه محاولة لجعلي أظهر في صورة المذنبة تمامًا كما فعلت مع ثيو في الماضي، لقد أرادني على وجه التحديد أن أعيش وسط سحابة من الشك والاشتباه وأن أخسر بدوري كل شيء.

-لم أكن أرغب في قتلك يا إيما، في الواقع كنت أفضل أن أراكِ تتعذبين في حياتك خلال الخمسة عشر عامًا القادمة بدلًا من ذلك ولكن الخطة تغيرت الآن تحديدًا بعد أن قمت بتحرير الفتيات، فليس أمامي خيار آخر سوى أن أقوم بإخفائك.

أمسك تشيت بي وجذبني من طوق قميصي ثم رفعني تدريجيًا عن أرضية القارب بينما بقيت على تلك الحال من دون أية مقاومة، فكل ما كان باستطاعتي فعله هو التمايل يمينًا ويسارًا تحديدًا عندما ألقاني بالقرب من حافة المركب. ها أنا الآن مستلقية على الأرض أراقب المشهد من أمامي، فكل ما بمقدوري رؤيته جانب إحدى البحيرات التي لم أستطع التعرف عليها من قبل. كان

أقرب إلى الخليج، فالأشجار تزدحم على امتداد الشاطئ وتحاصر المياه كما لو كانت جدران إحدى القلاع المحصنة. ثمة وميض من الضوء الخافت يتسرب بينها وكأنه وسيلة لحرق ذلك الضباب الذي يلف المياه. هناك شيء ما يتوسط ذلك الضباب الهائل ويقفز من داخل المياه على بُعد بضعة أقدام من القارب. إنها آلة دوارة الرياح. نفس تلك الآلة التي رأيتها في الصور والتي كانت تقع في قمة مستشفى وادي السلام للأمراض العقلية. ها هي الآن تقف مغطاة كليًا بالصدأ وقشور الأصداف البحرية ماكثةً على أنقاض تلك المستشفى التي باتت تستلقي أسفل مياه البحيرة.

ها أنا أحدق في البحيرة بالتزامن مع أضواء مُنتصف الليل. ها أنا ألمح ذلك السقف الهائل المغطى بالقذارة والطين. أدركت الآن أن جزءًا من قصة كاسي كان حقيقيًا.

-لديَ احساس أنكِ تعرفتِ على المكان، قالها تشيت ثم واصل حديثه ساخرًا:

-إن معرفتك لهذا المكان تعد مفاجأة إضافية بالنسبة لي، فها هي عزيزتنا إيما الفضولية تُحاول دائمًا القيام بواجباتها المدرسية على أكمل وجه!

بالنظرِ إلى تلك الكميات الهائلة من الطين الجاف المُنتشر على امتداد الشاطئ، أعتقد أن البحيرة مرتفعة جدًا لهذا الحَد الذي من شأنه تغطية دوارة الرياح نهائيًا، ربما كان من الممكن رؤيتها الآن بسبب موجة الجفاف الراهنة.

-لقد عثرت على هذا المكان منذ أن كنت مُراهقًا، فلا أحد آخر يعرف أنه لازال موجودًا ولا حتى أمي وكذلك لوتي. أعتقد أنهم يظنون أن السيد بوكانان هاريس قام بهدم ذلك المكان عندما اشترى الأرض، ولكنه بدلًا من ذلك فقد تركه وأغرقها، والآن لن يعرف أحد بمكان وجودك.

ها هي نبضات قلبي تتسارع على نحوٍ مُربك كما أن الدماء تتدفق برأسي وتجعلني أشعر بمزيجٍ من الخوف والقلق، وبدلًا من أن يخرسني كل ذلك وجدت الخوف يدفع بي لأن أتحدث ثم قلت على الفور:

-لا تفعل ذلك يا تشيت، لم يفت الأوان بعد.

-أعتقد أن الأوان قد فات بالفعل يا إيما.

-إن الفتيات لم يتعرفن على وجهك. لقد أخبروني بذلك. وإذا أردتني أن أخبر الشرطة أنني من قمت بذلك سأفعل.

إن الكلمات هي سلاح دفاعي الوحيد. فليس لديَ القوة لأقاتله وحتى وإن فعلت ذلك سينتهي بي المطاف بضربة أخرى من مجدافه الخشبي.

-لن يعرف أحد بالأمر، أعدك، الأمر بيني وبينك فقط، ولن أخبر أي شخص آخر، سوف أتلقى اللوم كما أنني سأقر بذنبي.

نقل تشيت المجداف من يد إلى الأخرى. أعتقد أنني تمكنت من التأثير عليه بعض الشيء.

-هل تريد رؤيتي أعاني؟ حسنًا تخيل إذن إمكانية وجودي بداخل السجن، وفكر في كم تلك المعاناة التي سوف أواجهها هناك.

ها أنا أتذكر بغتةً وميضاً من الذاكرة عندما كنت على وشك مُغادرة مُخيم نايتنجيل منذ خمسة عشر عامًا وكان تشيت هناك يركض خلف أخيه باكيًا وينادي عليه، أعتقد أنه قد فكر حينها في الانتقام، لذا أردت تذكيره بصورة الولد التي كان عليها قبل ذلك.

-أنت لست قاتلاً يا تشيت، فأنت شخص جيد جدًا للقيام بذلك لكنني أنا مَن قامت بأمرٍ سيء، لا تكن مثلي.

ها هو تشيت ينهض واقفًا على قدميه ثم يقوم برفع المجداف الخشبي مُتأهبًا لإسقاطه أرضًا. أتقدم نحوه بكل سرعة مُترنحة ثم أضرب جسدي به، وحينها أشعر وكأن القوة قد جاءتني فجأة من العدم وكأنها كانت تتخفى بين مشاعر الذعر واليأس. تعثر تشيت باتجاه مقاعد القارب وتخلف بدوره إلى الوراء ثم سقط المجداف من يده ووقع على أرضية القارب. مددت يدي للإمساك به لكن حركة تشيت كانت أسرع، فلقد أمسك المجداف بيدٍ واحدة وقام بصفعي باليد الأخرى وحينها لدغ الألم وجنتي على نحوٍ مُريع لكن قوة الضربة أيضًا كانت سببًا في تدفق القليل من الأدرينالين بداخلي إلى هذا الذي مكنني من الاندفاع إلى مقدمة القارب بينما كان تشيت خلفي مُباشرة مُمسكًا بالمجداف في يده.

رفع تشيت المجداف أولًا ثم تأهب لضربي. أغلقت عيني وأنا أصرخ مُنتظرةً لحظة اصطدام جمجمتي به، ولكن بدلًا من ذلك سمعت صوت عيار ناري. ذلك الذي اجتاح أرجاء الخليج بأسره. فتحت عيني بعدها ورأيت انفجار المجداف

إلى آلاف الشظايا ثم أغلقتها مرة أخرى وحاولت الزحف لأتجنب الاصطدام بها. وفجأة انقلب القارب وكذلك أنا ثم تراجعت للخلف مُتعثرةً حتى انجرفت إلى أحد جوانبه وسقطت في بحيرة مُنتصف الليل.

الفصل الثالث والأربعون

كان سقوطي عبر المياه موجزًا مقتضبًا. فلم يستغرق المزيد من الوقت حتى وجدت نفسي أتشبث بشيءٍ ما على السطح، ربما أحد تلك الألواح الخشبية التي كانت زلقة تحتلها العديد من الأعشاب والطحالب كما أن مياه البحيرة ذات المائة عام استمرت في الصعود والهبوط. لقد تعرفت بدوري أيضًا على سقفٍ ما ثم انزلقت تلك الأخشاب والأشجار أسفل قدمي فاسحةً المجال للهبوط مجددًا. لازلت أسفل المياه محاطة بتلك الجدران المغلفة. إنني أغوص في أعماق ذلك المبنى الذي كان يومًا مستشفى وادي السلام للأمراض العقلية. ها أنا بداخله الآن ثم أحاول دفع نفسي بكل الطرق متنقلةً من السقف إلى الطابق الأرضي ثم أرتد بعيدةً عن الأرض وأنجرف صعودًا. أرى تلك الأضواء الخافتة عبر النوافذ المتهالكة المغطاة بالطحالب، لقد مكنتني على نحوٍ كافٍ من رؤية إحدى تلك الغرف الخالية التي احتلتها الأوحال، تلك التي سكنت كل شيء بدايةً من الجدران، والسقف وإطارات الأبواب.

جدير بالذكر أيضًا أن أنه قد تم انتزاع مفصلات ذلك الباب وبقي موضوعًا على نحوٍ مائل غير مستقيم وقد كشف عن وجود ردهة قصيرة والمزيد من السلالم والضوء. ها أنا أسبح في هذا الاتجاه باذلةً قصارى جهدي من أجل شق طريقي عبر الممر من خلال تلك الردهة وصولًا إلى الدرج.

كان الباب مفتوحًا على مصراعيه بالأسفل وقد اختلطت باقي محتويات الغرفة مع قاع البحيرة، هناك غرفة معيشة إلى جهة اليسار كما أن هناك فتحة في الجدار والتي تتواجد فيها مجموعات من الطوب والألواح الأرضية ورقائق ورق الجدران. كانت أسماك الجهير المخطط تحوم حول الغرفة. قمت بالسباحة صوب الباب المفتوح وتجولت من الداخل إلى الخارج على الرغم من أن كل هذا كان جزءً من نفس المنظر الطبيعي المائي. باغتني الشعور بالألم. ها هي رئتي تحرقني من جديد. إنني بحاجة للهواء النقي. إنني بحاجة ماسة إلى النوم. أشرع في السباحة إلى الأمام متجهةً إلى السطح ثم أتوقف بعد أن لفت شيء ما نظري. إنها جمجمة! بيضاء تمامًا كما لون الطحين كما

أن الفك مفقودًا وتجاويف العين موجهة ناحية السماء، بالإضافة إلى ذلك كانت هناك الكثير من العظام المنتشرة حولها. العشرات على ما أعتقد. ها أنا أتأمل تلك الأضلاع وانحناءات الأصابع وإذ بي أرى جمجمة أخرى على بعد بضع ياردات من الجمجمة الأولى. أعتقد أن تلك الأشياء هي آخر ما تبقى من الفتيات، لقد عرفت ذلك بعد أن رأيت سلسلة ذهبية طويلة على شكل قلب مزودةً بإحدى حبات الزمرد في منتصفها. ثمة شيء ما تسلل إلى داخل المياه خلفي. إنني أستشعر وجوده أكثر من رؤيته. أرتجف بغتةً عند رؤية ذراعٍ ما يحاول الاقتراب مني وإحاطة خصري. ها أنا أنجذب إلى الأمام بعيدًا عن الفتيات متقدمةً إلى سطح المياه.

سرعان ما تمكنت من اختراق مياه بحيرة منتصف الليل. ها أنا أرى السماء المفتوحة، والأشجار كما أنني ألمح ذلك القارب الآخر الخاص بمخيم نايتنجيل على الجانب الآخر والذي يجلس فيه المحقق فلاين مصوبًا بندقيته ناحية تشيت الذي أسقط مجدافه أرضًا، وها هو ثيو يسبح إلى جواري واضعًا ذراعه حول خصري بينما وصلت المياه إلى مستوى ذقنه تقريبًا.

-هل أنتِ بخير؟، سألني.

أفكر في فيفان وناتالي وأليسون اللواتي يرقدن هنا بالأسفل. أفكر في كل تلك السنوات التي انتظروني خلالها لأتمكن من إيجادهن لذا عندما سألني ثيو مجددًا إن كنت بخير لم يكن بمقدوري إلا الإيماءة برأسي والانتحاب حيث غطت الدموع صفحة وجهي.

الفصل الرابع والأربعون

ها أنا أجلس في المقعد الأمامي لسيارة الشرطة برفقة المحقق فلاين، وها هي تلك الذكرى البعيدة الخاصة بالمشفى تُعاود الظهور في مرآة السيارة الخلفية. لقد انتهى بي المطاف بعددٍ من الجروح والرضوض أكثر مما كنت أتوقع، فلقد كان تشخيص الطبيب مريعًا حقًا عندما قال ارتجاج في المخ بسبب مجداف القارب، و التواء في الكاحل بسبب السقوط، وحالة من الجفاف، والكثير من التمزقات والصداع المستمر. لقد قضيت يومين في المشفى وقد كانت الفتيات الثلاث هناك أيضًا كما أنني مكثت في الغرفة مع ميرندا وقضينا الساعات نتذمر بشأن سوء أحوالنا ونقهقه حل سخافة كل ذلك ونثرثر حول ذلك الممرض الوسيم الذي كان يعمل في النوبة الصباحية كما تدفق الزوار مجيئًا وذهابًا فقد جاءت ساشا وكريستال من الغرفة الأخرى بين الحين والاخر بالإضافة إلى جدة ميرندا والتي كانت امرأة كاثوليكية شديدة الهوس بالشعور بالذنب والعناق الخانق كما أن بيكا أحضرت لنا كتاب الصور الفوتوغرافية لانسل آدامز كما قدمت كاسي اعتذارها الشديد لكونها ظنت يومًا أن لي علاقة بحادث اختفاء فتيات مقصورة القرانيا.

وصل مارك وبرفقته كومة من مجلات النميمة والشائعات والأخبار والتي حصل عليها برفقة صديقه بيلي أمين المكتبة كما وصل والداي من فلوريدا، وقد لمسني ذلك الموقف من جانبهم أكثر من المتوقع وقد خططنا أن نتوجه معًا إلى مانهاتن ظهيرة هذا اليوم كما أن مارك سوف ينضم إلينا، في الواقع ستكون رحلة مذهلة بالنسبة للجميع على الرغم من أني الآن لديَ بعض الأعمال غير المنجزة التي يتعين عليَ انهاؤها أولًا تمامًا كما ذكرني المحقق فلاين.

-إليك ما حدث على الأرجح، قالها المحقق ثم أردف بدوره:

-بالنظر إلى ما دونته فيفان في دفتر يومياتها فمن الواضح أنها كانت مثلك تمامًا تظن أن هناك أمرًا مشؤومًا يخص مشفى وادي السلام للأمراض العقلية وتشارلز كالتر وبوكانان هاريس وبناءً عليه فقد عرفت موقع المشفى

على وجه التحديد ثم اصطحبت أليسون وناتالي إلى هناك للحصول على بعض الأدلة المادية التي تتعلق بما حدث، ولكن من خلال وصفك لما شاهدته بالأسفل فمن الوارد أن يكون نفس الشيء قد حدث معهن، فالوضع مُربك بالداخل، ربما توجهن إلى مياه البحيرة وبدأن في السباحة حول ذلك الخطام سابق الذكر ولم يتمكنوا من العودة مُجددًا، ما أعنيه أنه ربما يكون ذلك مجرد حادث غرق طبيعي.

في الواقع، لا يجعلني ذلك الافتراض أتعامل مع الأمر بسهولة تحديدًا لأني أصبحت على علم الآن أن فيفان قد ماتت بنفس الطريقة التي ماتت بها أختها في السابق! فالأكثر أكثر مأساوية ومن الصعب فهمه واستيعابه.

-أليس هناك أي احتمال أن يكون تشيت هو من قام بقتل الفتيات منذ خمسة عشر عامًا؟، قلتها على الرغم من ثقتي أن هذا أمر مستحيل ثم هز فلاين رأسه قائلًا:

-لقد أقسم إنه لم يفعل ذلك، ليس لديَ أي شك بخصوصه، لقد كان حينها في العاشرة من عمره فحسب بالإضافة إلى أننا لا نعرف حتى الآن إن كانت تلك العظام القليلة التي تم إيجادها في قاع البحيرة تعود إلى صديقاتك أم لا.

لكني أعرف ذلك جيدًا، تلك العظام تخص فيفان وناتالي وأليسون. لقد رأيتها في أعماق البحيرة، فالسلسلة كانت دليلًا كافيًا بالنسبة إليّ، بمجرد أن أفكر في ذلك أشعر وكأن الألم يتدفق في صدري وكأنه منطاد هائل لا أقوى على تحمل ثقله، ذلك الشعور البغيض الذي اعتدت عليه خلال اليومين السابقين.

-كما أن تشيت اعترف أيضًا أنه لم يكن يخطط لإلحاق أي ضرر بالفتيات ميرندا وساشا وكريستال، أعتقد أنه لم يكن على علم بما يفكر فيه وكأنه أراد فقط التنفيس عن غضبه بأي صورة من دون أن يعرف عواقب ذلك.

-أين هو الآن؟

-في سجن المقاطعة خلال الوقت الراهن، إنه يخطط للإقرار بذنبه حيال كل التهم الموجهة إليه غدًا ومن ثم سيتم نقله على الأرجح إلى مصحة للأمراض العقلية لفترة غير معلومة من الوقت. لقد غمرني الارتياح لمعرفة ذلك، فأنا أعرف جيدًا أن تشيت بحاجة إلى المساعدة لأني

أعرف القليل أيضًا عن الرغبة في الانتقام، فلقد كنت مثل تشيت أشعر بذلك أيضًا لكنني تعافيت الآن، ليس بالكامل لكنني أتحسن بالتأكيد.

-كما أنني أعتقد إنني مُدين لك باعتذار، قالها فلاين ثم أضاف:

-أعتذر لأني لم أصدقك منذ البداية.

-لقد كنت تقوم بوظيفتك فحسب.

-لكن كان يتعين عليَ أن أستمع إليك أكثر، لقد كنت مُتعجلًا وكأني أردت اتهامك بكل سرعة لأن ذلك هو التفسير الأسهل، أنا آسف حقًا.

-أتقبل اعتذارك، قلتها ثم واصل المُحقق فلاين قيادة السيارة في صمتٍ تام حتى وصلنا إلى البوابة الحديدية لمُخيم نايتنجيل وعندما اعتدلت في مقعدي نظر إليَ فلاين وقال:

-هل أنتِ متوترة للعودة إلى هنا مرة أخرى؟

-ليس على هذا النحو المعتاد، أخبرته وبدأت في تأمل أطراف المعسكر، فرؤيتها تجعلني أشعر بخليطٍ من المشاعر مثل الحزن والندم والحب والاشمئزاز والارتياح الشديد، ذلك النوع من المشاعر التي تُباغت المرء عند الكشف عن حقيقة ما مثل زوج مُخادع أو تشخيص رسمي، فالكشف عن الحقيقة دائمًا وفضحها يجعل الإنسان يتمكن من إزالة العبء بعيدًا عن كاهله. ها هو المُحقق فلاين يتوجه بسيارته إلى قلب المُخيم مُباشرةً. لقد كان فارغًا ساكنًا تمامًا كما كان ذلك الصباح الذي استيقظت فيه لأكتشف مسألة اختفاء الفتيات من المقصورة، ولكنه على تلك الحال لسببٍ جيد هذه المرة فقد تم إرسال كل الفتيات والمستشارات والمعلمات إلى الديار، وقد تم إغلاق مُخيم نايتنجيل باكرًا ولكن لسببٍ وجيه هذه المرة، وعلى الرغم من شعوري بالأسف لحدوث ذلك إلا أن هذا للصالح العام.

في الواقع لقد شهد ذلك المكان العديد من المآسي التي لم تعد فراني قادرة على تحملها. كانت لوتي تقف بالخارج في انتظار لحظة خروجي من السيارة لتصطحبني إلى مقر النُزل، ولأنني أيضًا كنت مُشوشة بفضل مُسكنات الالام وكان كاحلي ملفوفًا بضمادة الجروح كنت بحاجة للحصول على مساعدتها وبالفعل قامت بذلك بشكل ودود وقبل أن

تترك يدي ضغطت عليها برقة لتعبر لي أنها لا تكن لي أي مشاعر سلبية بسبب ما قلته في السابق. أشعر بالامتنان الشديد لقيامها بمسامحتي والصفح عني. ها هو المحقق فلاين يقوم بتشغيل بوق السيارة ويلوح لي ثم انطلق إلى خارج المعسكر بينما أرشدتني لوتي إلى داخل النزل. لم يكن هناك أية علامة على وجود ميندي. في واقع الأمر، لم أكن مندهشة لأن كاسي قالت لي بتلذذ أثناء زيارتها في المشفى إن ميندي عادت إلى المزرعة وكأنها قد حصلت بالضبط على ما تستحقه. إن كان هذا يعني شيئًا ما أفضل من التواجد مع تشيت فأنا مضطرة إلى الموافقة.

-أخشى أنه ليس هناك المزيد من الوقت لأن فراني لم يتبق أمامها سوى دقائق معدودة حتى تتمكن من الذهاب للقاء تشيت فالأشخاص المسؤولون عن السجون صارمين جدًا فيما يتعلق بساعات الزيارة.

-أتفهم ذلك.

ها أنا أمضي صوب الرصيف الخلفي وأجد فراني تجلس على إحدى الكراسي الخشبية في مجابهة الشمس. قامت بإلقاء التحية عليَ بكل ترحيب وحفاوة ثم صافحتني وابتسمت وكأنه لم يكن بيننا يومًا بحر من الاتهامات المتبادلة والآثام، ربما لم يعد لكل هذا وجود الآن، ربما قد أصبحنا مُتعادلتين في الوقت الراهن.

-يسرني لقاؤك مرة أخرى يا عزيزتي إيما، قالتها ثم أشارت ناحية الأرض بالقرب من كرسيها حيث تتواجد حقيبتي وصندوق أدوات الرسم الخاص بي.

-كل شيء هناك، لقد تأكدت أن لوتي قامت بجمع أشيائك، الشيء الوحيد المفقود هو دفتر يوميات فيفان الذي طلبت الشرطة الاحتفاظ به وكذلك الصور الفوتوغرافية التي تم انتزاعها من النزل والتي أعتقد أنه من المفترض أن تظل برفقة لوتي، ألا تعتقدين ذلك؟

-بالطبع، أوافقك الرأي تمامًا.

-هل أنت واثقة أنك لا ترغبين في إلقاء نظرة أخيرة على مقصورتك؟، سألتني فراني ثم أضافت:

-للتأكد من أننا لم ننس شيئًا ما.

-لا، كل شيء على ما يُرام.

كانت مقصورة القرانيا هي اخر مكان قد أفكر في العودة

إليه مجددًا، تلك البقعة المليئة بالذكريات الجيدة والسيئة. لا يمكنني ذلك، تحديدًا الآن بعد كل ما حدث وبعد ما عرفته كل شيء، فأنا لست جاهزة لمواجهة كل تلك التفاصيل. إن رؤية تلك الأسماء المحفورة على صناديق خزانات الملابس وحدها كفيلة لأن تجعلني أشعر بالألم كما أن صرير تلك الألواح الأرضية قد يجعلني أنهار كليًا وأفقد سيطرتي على نفسي. ها هي فراني تنظر إليَ بتفهم وكأنها تلتمس لي كامل العذر.

-أنا آسفة حقًا لأنني لم أقم بزيارتك في المشفى فقد فضلت البقاء بعيدةً عنك في ظل الظروف الراهنة.

-أنتِ لست بحاجة للاعتذار عن أي شيء، قلتها وأنا أعني كل كلمة.

-كلا، يتعين عليَ الشعور بالأسف فما فعله تشيت أمر لا يُغتفر، أنا حقًا آسفة جدًا بسبب كل هذا الألم الذي سببه لكِ ولبقية الفتيات، لكن أرجوكِ صدقيني عندما أقول لكِ إنه لم يكن لديَ أي علم عما كان يُخطط له ولو كنت أعرف لذلك لما طلبت منكِ العودة إلى هنا مُجددًا.

-أنا أصدقك وأسامحك فأنتِ لم تفعلي أي شيء خاطئ بالنسبة إليَ على النقيض يا فراني لطالما كنتِ عطوفة وجيدة معي بل أنا من تتوسل الحصول على غفرانكِ.

-لقد سامحتكِ بالفعل يا إيما منذ سنواتٍ طويلة.

-لكني لم أستحق ذلك.

-لقد كنتِ تستحقين ذلك بالفعل، لأنني رأيت فيكِ نموذج الخير والصلاح حتى وإن لم تكوني على علم بذلك وبالحديث عن الغفران فهناك شخص آخر ربما له علاقة بذلك الشأن وربما يود قول المزيد.

مدت فراني يدها وعانقنا بعضنا البعض بألفة ثم توجهنا ناحية السياج الداكنة وبالأسفل كانت بحيرة مُنتصف الليل في غاية الروعة والجمال كما كانت على الدوام بينما كان ثيو جالسًا على العشب.

-هيا امض قُدمًا، فكلاكما يود التحدث إلى الاخر قليلًا.

في بداية الأمر لم أقل شيئًا لثيو وجلست فقط برفقته على العشب المجابه للبحيرة، في الواقع لقد كنت أستحق معاملته تلك لأني قمت باتهامه مرتين.

أخذت أحدق في وجهه متأملةً تلك الندبة على وجنته

والأخرى على جبينه، وذلك الجرح الأرجواني العميق الذي سببته له بعد أن ضربته بالمصباح اليدوي. يا إلهي! لقد سببت له الكثير من الالام. لقد كان تشيت مُحقًا في كراهيته لي. لديه كل الحق في ذلك، لقد فعل ثيو كل ما في وسعه من أجل إنقاذي من الغرق، فقد وصف لي المحقق فلاين المشهد قائلًا إنه قفز خلفي من دون أي تردد! ذلك الجميل الذي لن أتمكن من رده أبدًا!

كان بمقدوري الجلوس هناك برفقته لساعات أطلب منه السماح والغفران أو أن أعتذر له مرارًا وتكرارًا عما سببته له من ألم، لكني بدلًا من ذلك مددت يدي وقلت:

-مرحبًا، أنا إيما.

نظر إليّ ثيو بغتةً وكأنه استشعر وجودي للتو وقال مُصافحًا يدي:

-مرحبًا أنا ثيو، سررت بلقائك.

كان هذا كل ما أحتاج إلى قوله ثم استدار واضعًا يده في جيب سترته مُلتقطًا شيئًا ما ثم وضعه في راحة يدي. لم أكن بحاجة لأن أنظر فأنا أعرف جيدًا أنه السوار السحري الخاص بي. بمقدوري الشعور برؤوس الطيور الثلاثة الدقيقة وحجمها.

-اعتقدت أنك قد تكونين بحاجته على الرغم من أننا التقينا للتو فقط، قالها ثيو راسمًا تلك الابتسامة العريضة على وجهه.

ها أنا أمسك بالسوار، فلقد كان رفيقي المخلص من وقتٍ طويل قد يصل لأكثر من نصف سنوات عمري تقريبًا ولكني شعرت أنه قد آن الأوان لأقوم بتوديعه الآن فلم أعد بحاجة إليه.

-شكرًا لك، ولكن...

-ولكن ماذا؟

-أعتقد أني لم أعد بحاجته، بالإضافة إلى ذلك أعرف مكانًا أفضل يُناسبه.

قمت على الفور ومن دون تفكير بإلقائه في الهواء حيث حلقت الطيور بعيدًا في نهاية المطاف ثم أغلقت عيني قبل هبوطها أرضًا لأنني لم أكن أرغب أن تظل ذكرى اختفائها عالقة برأسي، بدلًا من ذلك واصلت الإصغاء إلى صوت هبوطها في أعماق مياه البحيرة في تلك اللحظة التي

مددت فيها يدي للإمساك بيد ثيو.

هكذا ينتهي الأمر

ها هي فراني ترحل بعيدًا في إحدى تلك الأمسيات الحارة في نهاية شهر سبتمبر. لم تلق حتفها أمام البحيرة لكنها ماتت في غرفة نومها في منزل آل هاريس. كان ثيو ولوتي برفقتها، وطبقًا لثيو كانت آخر كلماتها هي:

- أنا جاهزة الآن

ها أنت تحضرين جنازتها بعد أسبوع الموافق يوم الإثنين الذي شهد أجواء صيفية حارة. فأنت تعتقدين أن فراني كانت لتقدّر لك ذلك ثم تتوجهين برفقة ثيو للذهاب معًا في نزهة إلى الحديقة المركزية بعد انتهاء مراسم الجنازة. أنت لم ترينه منذ آخر مرة كنت فيها في مُخيّم نايتنجيل، فعلى الرغم من كل ما حدث أمن كلاكما أن الوقت والمسافة سوف تُصلح من الأوضاع، ومع هذا فإنك تشعرين بوابلٍ من المشاعر المُختلطة في تلك اللحظة بعد لَم الشمل، فهناك الشعور بالحزن والمرارة والسعادة لرؤيتكما بعضكما البعض من جديد كما أنه هناك شعور غريب بالذُعرِ! فأنتما لا تعرفان كيف ستكون علاقتكما خلال الأيام القادمة تحديدًا بعد أن قال لك ثيو في منتصف الطريق:

- أخطط للسفر خلال الأسبوع القادم.

ها أنت تتوقفين فجأة.

- أين؟

- أفريقيا.

لقد وقعت مع منظمة أطباء بلا حدود لعامٍ آخر للقيام بجولة إضافية، أعتقد أنها ستكون فرصة جيدة بالنسبة إليّ لأني بحاجة لبعض الوقت لترتيب الأمور.

ها أنت تتفهمين ذلك كليًا. يبدو الأمر بالنسبة إليك كفكرة جيدة، وإذ بك تتمنين له قضاء جولة ممتعة.

- أرغب في تناول العشاء معك عندما أعود، قالها ثيو.

- هل تقصد موعدًا غراميًا؟

يمكنك اعتبارها دعوة تناول العشاء بين صديقين اعتاد كل منهما اتهام الاخر بأشياء مريعة، رد ثيو ثم أضاف:

- لكني أرى أن مسألة الموعد الغرامي هي فكرة جيدة.

ها أنت تقولين: وأنا أيضًا.

في تلك الليلة، قضيت ساعاتك تفكرين في تغير الفصول ومرور الزمن ثم باغتك تسللك المفاجئ من فراشك والوقوف أمام لوحة فارغة، ها أنت تعرفين جيدًا ما يتوجب عليك فعله الآن- ها أنت تفكرين في رسم ما رأيته بالفعل وليس ما تتوهمين رؤيته- إنك ترسمين الفتيات بنفس الترتيب. فيفان أولًا ثم ناتالي ثم أليسون ثم تشرعين في تغطية ملامحهن بأشكالٍ متعرجة مغطاة بظلال اللون الأزرق والأخضر والبني. ها أنت تحرصين على وجود الطحالب والأعشاب وأشجار الصنوبر في كل مكانٍ في أرجاء اللوحة كما أنك أضفت الكثير من الأشجار الراقدة تحت المياه والتي تتلوى أغصانها حتى تصل إلى السطح. ها أنت ترسمين أيضًا دوارة الرياح التي تمكث أعلى المبنى المغمور بالمياه في تلك الأعماق الباردة المظلمة الموحشة آملةً أن يجده أحدهم.

عندما تنتهين من ملء لوحتك الأولى، تشرعين في رسم اللوحة الثانية والثالثة والرابعة وغيرها من الأعمال القوية الجريئة التي تكشف عن المزيد من الجدران والمباني الغارقة أسفل المياه المغمورة بها، تلك المحاطة بكل تفاصيل الحياة النباتية التي عاشت حالة من الضياع عبر الزمن.

في كل مرة ترسمين فيها وجوه الفتيات تشعرين وكأنه تم دفنهن للتو وكأن الأمر أقرب إلى السير في جنازتهن. ها أنت تواصلين الرسم على هذا النحو من دون توقف لأسابيع طويلة. يؤلمك معصمك كما الحال مع أصابعك التي لا تزال مُجعَّدة حتى وإن لم تكوني مُمسكةً بالفرشاة. عندما تنامين تحلمين بالألوان، وها هم مُعالجوك النفسيون يُخبرونك أن ما تقومين به الآن أمر صحي جدًا.

ها أنت تحاولين ترتيب أفكارك والتعامل مع المرارة والألم، فمنذ شهر يناير قد أنجزت رسم إحدى وعشرين لوحة فنية! تلك اللوحات التي أطلقت عليها اسم «سلسلة أسفل المياه» ها أنت تعرضين لوحاتك على راندال الذي يشعر بقمة الانتشاء في تلك اللحظة. إنه يحدق في كل لوحة متعجبًا كيفية تفوقك على نفسك. أنت على مشارف تنظيم معرض فني آخر وسرعان ما يبدأ راندال في إعداد كل ما يتطلبه الأمر مستغلًا الدعاية الخاصة بجريمة منتصف الليل. من المقرر عقد معرضك في شهر مارس.

يسير بناء الفاعلية على قدمٍ وساق. ها أنت تتصدرين واجهة مجلة النيويوركر كما أن والداك يخططان لحضور المعرض.

في صباح يوم الافتتاح، تلقيت اتصالًا هاتفيًا من المحقق ناثان فلاين والذي قد أخبرك بما كنت تعرفينه بالفعل فقد قال إن العظام التي غثر عليها في البحيرة تنتمي بالفعل إلى ناتالي وأليسون.

- ولكن ماذا عن فيفان؟

- هذا سؤال جيد جدًا، قالها فلاين ثم أخبرك أن العظام الموجودة لم تتطابق معها وبأنه يبدو أن ناتالي وأليسون قد وقع لهن حادث ارتطام تهشمت على أثره جمجمتهما، ربما اصطدمتا بتلك المجرفة الثقيلة التي تم العثور عليها وسط العظام. ها هو يُخبرك أيضًا أن تلك السلاسل والأحجار التي تم العثور عليها ربما سقطت منهن كما يُضيف أن تلك الحقيبة البلاستيكية التي عثرت عليها مدفونة مع دفتر يوميات فيفان كانت تشتمل على البوليستر تلك المادة المُستخدمة بكثرة في عملية صناعة الشعر المُستعار كما أنه قال لك أن نفس الحقيبة كانت تشتمل على آثار للغراء والمواد اللاصقة التي تعد أدوات ذائعة الصيت في مجال إنتاج بطاقات الهوية المُزيفة.

- ما الذي تقصده؟، ها أنت تسأليه.

- ما تفكرين فيه بالضبط، قالها.

كل ما تفكرين به الآن هو آخر كلمات قالتها فيفان لك عندما طرقت على باب المقصورة المُغلق تلك الليلة.

- من فضلك يا إيما، دعيني أدخل.

لقد قالت دعيني وليس دعينا ندخل! لقد كانت بمفردها إذن!

ها أنت تُغلقين الهاتف شاعرةً بالقلق يعصر معدتك، لقد سببت لك تلك المحادثة حالة من الارتباك الواضحة إلى هذا الحد الذي جعلك ترغبين في التراجع عن فكرة حضور ليلة الافتتاح لكن صديقك مارك جعلك تعدلين عن ذلك ودفعك إلى اتخاذ عدة إجراءات استعدادية مثل الاستحمام و ارتداء ثوبك الحريري الأزرق ونعالك الحمراء ذات الكعوب السوداء. ها أنت ترين راندال يقوم ببذل قصارى جهده. إنك تحتسين النبيذ وتُراقبين

مقبلات القريدس المنتشرة على تلك الصواني الفضية أثناء حديثك مع ذلك الرجل ممثل شركة كريستيز لمجال مزادات الفنون الرائدة والسيدة الأخرى من مجلة التايمز وتلك الممثلة التليفزيونية التي ساعدت في بدء مسيرتك الفنية كما حضرت ساشا وكريستال وميرندا أيضًا. وها هو مارك يلتقط لكن معًا صورة أمام أكبر لوحاتك الفنية رقم 6 والتي تبدو ضخمة تمامًا كما بحيرة منتصف الليل.

لاحقًا في تلك الليلة بينما كنت تقفين أمام نفس تلك اللوحة الفنية وإذا بامرأة تقترب منك وتقول:

- إنها لوحة جميلة حقًا!، قالتها مثبتةً عينيها على العمل الفني ثم أضافت:

- إنها جميلة بشكلٍ محيرا!، هل أنت الفنانة؟

- أجل.

ها أنت تُحدقين في وجهها وتلمحين خصلات شعرها الأحمر وهيئتها الملكية الفخمة. إن ملابسها في غايةِ الأناقة. إنها ترتدي ثوبًا داكنًا وقفازاتٍ سوداء وقبعة سوداء مترهلة ومعطفاً بربرياً. تعتقدين أنها ربما تكون عارضة أزياء لكنك سرعان ما تتعرفين على أنفها الأشم وابتسامتها الماكرة ثم تصطك ساقاك وتشرعين في سؤالها على الفور:

- فيفان؟

ها هي تواصل التحديق في وجهك مُتحدثةً بصوتٍ هادئ لا يُمكن لأحد سماعه سواكما.

- «حقيقتان وكذبة»، هل أنت مستعدة لنلعب الآن يا إيما؟

إنك ترغبين بشدة في قول لا، لكنه يتعين عليك الموافقة.

- واحد: كانت ناتالي وأليسون برفقة شقيقتي ليلة موتها، لقد تحدوها على السقوط في الجليد وعندما رأوها تسقط وتغرق لم يقوموا بإبلاغ أي أحد، على الجانب الاخر كانت لدي شكوكي الخاصة فأنا أعرف جيدًا أن كاثرين ما كانت لتفعل أي شيء خطير من دون أن يكون ذلك بالإكراه، وعلى هذا بدأت في مصادقتهن وحاولت كسب ثقتهن ثم تظاهرت أني أثق بهن بدوري، وحينها فقط عرفت الحقيقة. تمكنت من انتزاعها منهن وكان ذلك تزامنًا مع يوم الرابع من يوليو. لقد أقسمن لي أنهن كن يحاولن مساعدة كاثرين

لكني أدركت مدى كذبهن عندما تظاهرت بالغرق ذلك اليوم أمام الجميع فلم يتحرك أحد لمساعدتي سوى ثيو على الرغم من أن أليسون وناتالي يُجدن السباحة! لكنهن وقفن جامدات في أماكنهن يُراقبن فقط تمامًا كما فعلن مع كاثرين.

ها أنت تتذكرين ذلك اليوم الذي عدت فيه إلى المقصورة لتجدي الفتيات يتشاجرن معًا. ها أنت تدركين الآن أنهن كن في مرحلة الاعتراف، وعلى نقيض تلك العلاقة الودية التي ظهرت أمام الجميع، لم تكن الأمور تسير بينهن على نحوٍ جيد.

- اثنان: لقد اشتبهت فيما فعلته ناتالي وأليسون وقضيت عامًا كاملًا أخطط وأبحث وقد عرفت حينها تاريخ بحيرة منتصف الليل ووجدت مكانًا لا أحد يعرف عنه شيء- مشفى الأمراض العقلية الذي غمرته المياه بالأسفل- وقمت بوضع سترتي وسط الغابات لإرباك الباحثين كما أنني أقمت علاقة مع رجل الصيانة الخاص بالمخيم وسرقت المفتاح الخاص بالمخزن وقدت ناتالي وأليسون إلى تلك البقعة السرية هناك في تلك البحيرة المهجورة. لقد فعلت بهن ما فعلوه بأختي.

ها أنتِ الآن تعرفين أنكِ قد أسأت تفسير يومياتها، فهي لم تكن تبحث عن مشفى وادي السلام من أجل الكشف عن وجوده، لكنه بحثت عنه لأنه كان المكان الأفضل لإخفاء جريمتها. ها أنا تتذكرين تلك المجرفة المسروقة من غرفة المخزن وتلك الجماجم المهشمة أسفل المياه. ها أنت تفكرين في القلادة التي أسقطتها فيفان في مياه البحيرة فقط لأنها فعلت مثلما فعلت بسوارك السّخريَ، لقد أرادت أن تتخلص منه لأنها لم تعد بحاجته.

- ثلاثة: فيفان ميتة.

ها هو الجفاف يُغلّف فمك الآن كما تعجزين عن الكلام بفعل الصدمة لكنك تتحدثين بصوت أقرب إلى النعيق قائلةً:

- رقم ثلاثة.

- خطأ، لقد ماتت فيفان منذ خمسة عشر عامًا يا إيما، دعي روحها ترقد في سلام، قالتها وغادرت بسرعة فائقة.

ها أنت تحاولين اللحاق بها إلى الخارج بينما تشعرين أن

قدميك تهتز على نحوٍ خارج عن السيطرة بسبب الصدمة المباغتة، تلمحينها تدخل إلى إحدى سيارات المدينة التي تقف على الرصيف. لا أحد في تلك المنطقة على الإطلاق، فقط أنت وقلبك الخافق.

بعد عودتك إلى المعرض الفني مجددًا، ها أنت تودعين مارك وراندال والاخرين وتقولين إنك لا تشعرين بالتحسن الآن وتُلقين باللوم على مُقبلات القريدس التي لم تتناولي أياً منها طيلة تلك الليلة ثم تهرعين إلى المنزل، هناك حيث غرفة المكتب الخاص بك وتشرعين في الرسم طيلة الليل حتى بزوغ الفجر. ها أنت تواصلين عملك حتى قدوم شاحنات جمع القمامة وتسلل ضوء الشمس عبر نوافذ المبنى. عندما توقفت عن العمل تقدمت إلى الأمام لتأمل اللوحات التي انتهيت منها وإذا بك تقفين أمام الصورة التي قمت برسمها لفيفان. لم تقومي برسمها كما كانت تبدو في السابق منذ خمسة عشر عامًا لكنك قمت برسمها كما أصبحت تبدو الآن. ها أنت تُحدقين في أنفها الفاتن وعينيها التي قمت بطلائها بلون أزرق منتصف الليل. إنها تُحدق في وجهك راسمةً تلك الابتسامة الماكرة. هذه هي آخر مرة ستقومين برسمها فيها. أنت تعرفين ذلك جيدًا.

خلال ساعات قليلة عندما يفتح مكتب البريد ستقومين بشحن اللوحة وإرسالها إلى المحقق فلاين وسترفقين معها ملحوظة صغيرة تقول إن فيفان لا زالت على قيد الحياة وأنك رأيتها آخر مرة في مانهاتن وسوف يسألك إن كنت تسمحين بإرسال صورتها المرسومة إلى وسائل الإعلام حتى يُمكنها استخدامها كما تريد. تُقررين القيام بفضح هويتها وكيف تبدو وما فعلته. ها أنت لا ترغبين في إخفائها أسفل طبقات الطلاء مُجددًا وسترفضين أن تقومي بالتّستُر عليها. لقد ولى زمن الأكاذيب.

